تاويلات القران

١٤٢٥

لابى منصور محمد بن محمد الماتريدى السمرقندى

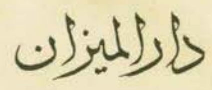
تحقيق
الدكتور ارطغرل بوينوقالين

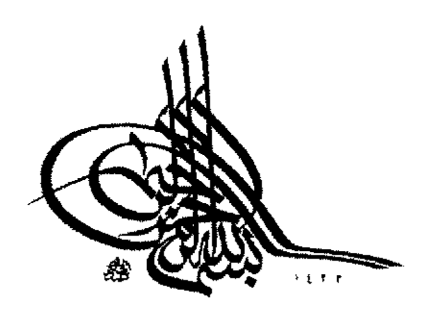
مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلى

الجزء السادس
الاعراف - التوبة






دار الميزان



ISBN 975-9048-01-9 (Tk.)
ISBN 975-9048-06-X

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي

عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٦



لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الدكتور ارطغرل بوينوقالين

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلى

الجزء السادس

الاعراف - التوبة

استانبول ٢٠٠٦

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ك: نسخة كوبريلي – مكتبة كوبريلي، تحت رقم ٤٧، ٤٨.

ن: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ع: نسخة عاطف أفندي – مكتبة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦، ٧٧.

م: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ١٧٦.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية – مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

صح هـ: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ك هـ: هامش النسخة الخطية بمكتبة كوبريلي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **أَوَلم يَهد لِلذين يرثون الأرض مِن بَعد أهلها**، على تأويل من يجعل الآية في الأمم السالفة يقول: **أَوَلم** يُوفَّقوا[١] و لم يُهدَوا للصواب[٢] بهلاك أمة[٣] بعد أمة وقوم بعد قوم. وعلى تأويل من يقول بأن الآية في هذه الأمة يقول: **أَوَلم** يُبَيَّن[٤] لهؤلاء[٥] الذين ورثوا **الأرض من بعد** هلاك **أهلها أن لو نشاء أصبناهم** بعذابٍ[٦] **بذنوبهم**،[٧] كما أصاب أولئك العذاب بذنوبهم. وقوله: **أَوَلم يَهد لِلذين يرثون الأرض مِن بَعد أهلها**، أي **من بعد** هلاك **أهلها**.

وقوله: **أَوَلم يهد**، على إسقاطِ الواو والألف، أي **لم يَهد لِلذين يرثون الأرض**. ثم يحتمل وجهين.[٨] يحتمل قوله: **لم يهد لهم**، أي لم[٩] يتفكّروا بما[١٠] أهلك الأولين وما حلّ بهم بتكذيبهم الرسل[١١] أنهم[١٢] إذا تركوا التفكّر والنظر فيهم وما نزل بهم لم يهد لهم. والثاني قد هداهم، لكن نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به، وهو [على] ما نفى عنهم من السمع والبصر والعقل[١٣] لما لم ينتفعوا به.

---

[١] ك ن: ألم يوفقوا.
[٢] ع: و لم يهد وللصواب.
[٣] ع: أمته.
[٤] ك ن: ألم يبين
[٥] ك – لهؤلاء؛ ن: لهم.
[٦] ك – بعذاب.
[٧] ك + أي لو نشاء أصبناهم بعذاب بذنوبهم.
[٨] ع م – يحتمل وجهين.
[٩] جميع النسخ: أو لم.
[١٠] ك: إذ لم يتفكروا بها؛ ن: إذ لم يتفكروا بما.
[١١] ع: الرسول.
[١٢] ع – أنهم؛ ع م + كانوا. أي لأنهم إذا تركوا...
[١٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿صُمّ بُكْم عُمْي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).

ويحتمل على غير[1] إسقاطِ **أَوَ**، كأنه قال: **أَوَلَم يَهد لِلذين يرثون الأرض**، أولم يهدهم[2] الرسول قدرةَ الله في إهلاك الأمم الخالية، فعلى ذلك هو قادر على إهلاك **الذين يرثون الأرض مِن بَعد أهلها**. يحتمل هذه الوجوه التي ذكرنا. *والله أعلم*. أو يقول: **أَوَلَم يَهد لهم** وِراثةُ **الأرض مِن بَعد** هلاك **أهلها** أنهم بم أُهلِكوا، حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله.

وقوله: **أَوَلَم يَهد لِلذين يرثون الأرض**، يخرج[3] على وجهين. أحدهما قد هداهم وبيّن لهم أنّ مَن تقدّمهم إنما هلكوا بما أصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد، لكن لم يهتدوا لعنادهم.[4] والثاني لم يهدهم لما لم يتفكّروا فيها[5] و لم ينظروا. على التلاوة[6] قُرِئت [الآية] بإسقاط الواو.[7]

وقوله:[8] **أَنْ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم**، فإن كانت في الأمم السالفة فقوله: **أن لو نشاء أصبنا** قوما بعد قوم **بذنوبهم**. وإن كانت في المتأخرين فيكون قوله: **أن لو نشاء** أصبنا هؤلاء[9] **بذنوبهم**، على ما أصاب أولئك بذنوبهم. **ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون**، / والطبع يحتمل الختم، أي ختم[10] **على قلوبهم**. ويحتمل الطبع ظلمة الكفر، أي ستر **قلوبهم** بظلمة الكفر،[11] [٢٥٩ظ]

---

[1] ن – غير.

[2] ع: أو لم يهد لهم.

[3] ن – يخرج.

[4] ع: العنادهم.

[5] ن – فيها.

[6] أي من حيث التلاوة.

[7] ن ع م – الواو. أي من حيث التلاوة... لكن الشارح رحمه الله يقول: «ثم قوله: ﴿أَوَلم يهد لِلذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ قرئ على إسقاطِ الألف والواو، لم يَهد لِلذين يرثون الأرض وقرئ على إثبات الألف والواو أَوَلم يهد لِلذين يرثون الأرض. فمن قرأ بالإسقاط فقراءته يحتمل وجوها. أحدها على التقرير والإثبات أي قد هداهم وبيّن لهم أنّ مَن تقدّمهم إنما هلكوا لما أصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد، لكن لم يهتدوا لعنادهم. والثاني أي لم يهد لهم لما لم يتفكّروا ولم ينظروا فيما أهلك الأولين وما حلّ بهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام أنهم إذا تركوا التفكّر والتأمل. والثالث يحتمل لم يهد لهم، أنهم لم ينتفعوا به وإن هداهم فكأنه لم يهد لهم وهو كما نفى عنهم السمع والبصر والعقل مع الوجود حقيقة لما لم ينتفعوا بها، فهذا مثله. وأما القراءة بإثبات الألف والواو معناه أولم يبين لهم الرسل عليهم السلام قدرةَ الله تعالى في إهلاك الأمم الماضية، ليعلموا أنه قادر على إهلاك الذين يرثون الأرض مِن بَعد أهلها. ويحتمل أَوَلم يَهد لهم وراثةُ الأرض مِن بَعد هلاك أهلها أنهم أُهلِكوا حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٣و).

[8] ن: أو قوله.

[9] ك ن م: أصبناهم لا؛ ع: أصبناهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٣و.

[10] ك: أي وختم.

[11] جميع النسخ + كقوله.

وكل شيء ستر شيئا وتغشاه فهو طَبْع.[١] **فهم لا يسمعون**، يحتمل وجهين.[٢] يحتمل **لا يسمعون** لما لا ينتفعون به. ويحتمل **لا يسمعون**، أي لا يجيبون، كقوله [عليه السلام]: «سمع الله لمن حمده»،[٣] قيل: أجاب الله لمن حمده، أي دعاءه.

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **تلك القرى نقص عليك من أنبائها**، قوله: **نقص عليك**، أي قصصنا عليك، مما قصّ[٤] عليه من الأنباء. يخبر رسوله أنّ القرى التي كانت من قبل قد سألوا رسلهم الآيات فجاءوا بها ولم يصدّقوها[٥] فعلى ذلك هؤلاء، أنك[٦] لو أتيت بما سألوك[٧] من الآيات لم يؤمنوا بها ولم يصدّقوها؛ يخبره عن تعنّتهم ومكابرتهم وعنادهم. والثاني يذكر أن الآيات ليس يجب أن يأتوا بها من الجهة التي يريدون، إنما يجب أن يأتوا بما هو[٨] حجة.

وقوله عز وجل: **ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات**، يحتمل وجوها.[٩] يحتمل الأنباء التي أنبأت الرسل أقوامهم من نزول العذاب بهم بالتكذيب والكفر بها. ويحتمل **البينات** الآيات[١٠] التي تدل على صدق الرسل بما يقولون ويخبرون بعد ما سألوهم الآيات، لكن ردّوها ردّ عناد ومكابرة بعد ما عرفوا أنها حق.

وقوله عز وجل: **فما كانوا ليؤمنوا**، قيل: يحتمل قوله: **فما كانوا ليؤمنوا**[١١] **بما كذّبوا من قبل**، أي **ما كانوا ليؤمنوا** لَمّا رأوا بأسنا **بما كذبوا من قبل**، أي لا ينفعهم إيمانهم عند رؤيتهم بأس الله،

---

[١] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «طبع».
[٢] ن + أحدهما.
[٣] صحيح *البخاري*، الأذان ١٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٧١.
[٤] ك: بما قص.
[٥] ك: ولم يصدقوبها.
[٦] أي لأنك لو أتيت...
[٧] جميع النسخ + ما سألوك.
[٨] جميع النسخ: ما هو.
[٩] م - يحتمل وجوها.
[١٠] ن ع م - الآيات.
[١١] ع م - قيل يحتمل قوله فما كانوا ليؤمنوا.

كقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ.[1] ويحتمل **ما كانوا ليؤمنوا** بسؤالهم الآيات إذا أتاهم الآيات[2] **بما كذّبوا من قبل**، لأن تركهم[3] الإيمان وتكذيبهم الرسل ليس لمالم يكن لهم الآيات، ولكن للتعنّت. فأخبر أنهم وإن سألوا الآيات فإنهم[4] لا يؤمنون. والثالث **ما كانوا ليؤمنوا** بما يخبرهم[5] الرسول من إتيان العذاب بهم **بما كذّبوا من قبل** من[6] الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **وما وجدنا لأكثرهم من عهد**، يحتمل العهد المذكور وجوها ثلاثة. أحدها **عهد** الخلقة،[7] لما في خلقة[8] كل أحد الشهادة بالوحدانية له والألوهية، فلم يوفوا بتلك العهود، بل نقضوها. والثاني العهد الذي أخذ الله عليهم على ألسُن الرسل، كقوله: وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[9] الآية، فلم يوفوا بذلك. والثالث ما أعطوهم[10] من أنفسهم من العهد، كقول فرعون[11] لموسى: يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ،[12] فلم يوفوا بما أعطوهم من العهود.

وقوله عز وجل: **وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**، أي[13] وقد **وجدنا أكثرهم فاسقين**، بنقض العهد. *والله أعلم.*

---

[1] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦).

[2] ع + إذا هم الآيات.

[3] ع: إلا أن تركهم.

[4] ك: إنهم.

[5] ك: بما أخبرهم.

[6] ع م – من.

[7] ع: عند الخلقة.

[8] ك – خلقة، صح، هـ.

[9] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نَقِيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأُكفرنّ عنكم سيئاتكم﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).

[10] م: ما أعطواهم.

[11] ن – فرعون، صح، هـ.

[12] سورة الزخرف، ٤٩/٤٣.

[13] ع م – أي.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **ثم بعثنا من بعدهم موسى**، يحتمل قوله: **ثم بعثنا من بعد** هلاك قرون كثيرة **موسى** رسولا. **بآياتنا إلى فرعون ومَلَئِه**، يحتمل قوله: **بآياتنا**، حججنا. ثم يحتمل حجج وحدانية الله وألوهيته، ويحتمل آيات رسالته ونبوته. وعلى قول الحسن **بآياتنا** ديننا. وعلى ذلك يتناول جميع الآيات التي ذكرت في القرآن.

وقوله عز وجل: **إلى فرعون ومَلَئِه**؛ إنّ موسى كان مبعوثا إليهم جميعا، **إلى فرعون** والملأ والأتباع[١] جميعا، لا أنه كان مبعوثا **إلى فرعون ومَلَئِه** خاصة دون الأتباع. وكذلك ذكر في مكان آخر: إِلَى فِرْعَوْنَ،[٢] خاصة. وهو بعث إليهم جميعا. لكن يخرج تخصيص ما[٣] ذَكَر هؤلاء القادة -والله أعلم- لما أن الذي ينازع الأنبياء والرسل هم الكُبَراء والرؤساء دون الأتباع والسَّفَلةِ، والأتباعُ هم الذين يَصدُرون لآراء الكُبَراء ويتبعونهم[٤] فيما يدعونهم إليه، وعلى ذلك سُمُّوا الكبراء والرؤساء[٥] أضداد الرسل، وإلا كان موسى مبعوثا إليهم جميعا، الوضيع منهم والرفيع.[٦]

وقوله عز وجل: **فظلموا بها**، قال بعضهم: قوله: **فظلموا بها**، أي ظلموا الآيات والحجج التي أتى[٧] بها موسى فرعون[٨] وقومه. سُمِّي ظلما لأنهم سَمَّوا تلك الآيات سحرا بعدما عرفوا أنها منزلة من الله، فوضعوها غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. وقال قائلون: قوله: **فظلموا بها**، أي ظلموا نعم[٩] الله التي أنعمها عليهم حيث عبدوا غيره، فصرفوا[١٠] شكر تلك النعم إلى غير الذي أنعمها عليهم، فذلك ظُلمٌ. شَكَروا من لم ينعم عليهم وصرفوا عمن أنعم عليهم. *والله أعلم*.

---

[١] م: الأتباع.
[٢] ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ (سورة المزمل، ١٥/٧٣).
[٣] ك - ما.
[٤] ع: ويتبقونهم.
[٥] ن م - والرؤساء.
[٦] ع + والله أعلم.
[٧] ن ع - أتي.
[٨] م: موسى إلى فرعون.
[٩] ع: أنعم.
[١٠] ع: فضربوا.

ويحتمل **ظلموا** الأتباعَ بتلك الآيات، حيث منعوهم عن اتباع الرسول واستتبعوهم.[1] أو يقول: ظلموا بها[2] أنفسهم حيث تركوا اتباعها.

وقوله عز وجل: **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**، هذا الخطاب في الظاهر[3] لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان المراد بالخطاب غيره. أَمَر كُلًّا بالنظر في **عاقبة المفسدين** لما حلّ بهم بفسادهم، لأن من نظر في **عاقبة** ما حلّ بغيره بمعصية أو فساد يمتنع[4] عن مثله. وأمكن أن يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهين. أحدهما لما له -بما حلّ بهم- بعضُ التسلّي لأذاهم إياه، لأن مَن توهّم حلول الهلاك على عدوه في العاقبة صبر على أذاه، ويكون له بعض التسلّي في ذلك. والثاني[5] يذكّرهم وينبّئهم بما يحلّ بهم في العاقبة[6] ليمتنعوا / عما ارتكبوا من المعاصي، لأن ذلك أزجر. [٢٦٠و]

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين**. فإن قيل: كيف قال: **إني رسول** الله، وذلك يخرج في الظاهر مخرج الامتداح والتزكية، وقد نُهينا[7] عن ذلك،[8] لأنه أخبر بمحل الذي يوضع الرسالة فيه وأنه أهل لها؟

قيل: ليس فيه امتداح نفسه ولا تزكية له، لأنه إنما يَذكر منّة الله تعالى أنه جعله بحيث[9] يوضع فيه الرسالة، وجعله أهلا لها. والتزكية والامتداح إنما يقع فيما هو فعله حقيقة، لا فعل الله. أو إن كان تزكية وامتداحا[10] فهو قد أمر بذلك، فجاز ذلك بالأمر. أو أراد[11] بذلك تعريفه،

---

[1] أي طلبوا منهم أن يتبعوهم.
[2] ع م: لها.
[3] ع: هو الظاهر.
[4] ك: يمنع.
[5] ع م - والثاني.
[6] ن - ذلك والثاني يذكرهم وينبئهم بما يحل بهم في العاقبة.
[7] ع م: وقد نبهنا.
[8] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنّةٌ في بطون أمهاتكم فلا تُزَكُّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ (سورة النجم، ٣٢/٥٣).
[9] ع: حيث.
[10] ك ن ع: وامتداح.
[11] ن: وأراد.

لما كان من عادة الملوك أنهم إذا بعث بعضهم إلى بعض رسولا فإنهم لا يستقبلون الرسل بالمكروه والشر، بل يعظّمون الرسل ويكرمونهم وإن كان[١] بينهم معاداة؛ فذكر أنه **رسول من رب العالمين** لئلا يُستقبَل بالمكروه.

وقوله: **من رب العالمين**، قيل: العالم هو جوهر الكل، وهو قول الفلاسفة. وقال أبو بكر الأصم: **رب العالمين**، أي مليك الخلائق.

﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**، قال أهل التأويل: إن موسى لما قال لفرعون: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[٢] فقال له: كذبت، فعند ذلك قال له موسى: **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**. وأمكن أن يكون ذلك منه على غير تكذيب القول من فرعون، ولكنه قال ذلك له موسى[٣] لما أنه[٤] **حقيق على** كل أحدٍ أكرمه الله بالرسالة واختاره لها **أن لا** يقول **على الله إلا الحق**. أو أن يقول: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[٥] **حقيق على** ما أكرمني بالرسالة **أن لا أقول على الله إلا الحق**. وقوله: **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**، قد ذكرنا أن لا يصح الإبتداء بهذا إلا بعد أن يسبق من فرعون[٦] كلام تَخرَج[٧] ذلك الكلام من موسى جوابا لما كان منه. وهو ما قال[٨] أهل التأويل: أنْ قال له لما قال: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ[٩] إليك: كذبت، لم يرسلك إلينا، أو كلام نحو هذا. فعند ذلك قال:[١٠] **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**، أي ما كان ينبغي لي أن **أقول على الله** الكذب. وهو كما قال عيسى: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ،[١١]

[١] ك: إن كان.
[٢] مر آنفا.
[٣] ك ع م – له موسى.
[٤] ك ن ع – أنه.
[٥] مر آنفا.
[٦] ك ن + اللعين.
[٧] ن: يخرج.
[٨] ع: ما يقال.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ك + فعند ذلك قال.
[١١] سورة المائدة، ٥/١١٦.

لما قال له:[1] أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ.[2] كان ذلك القول من عيسى بعد[3] ما ادعى قومه[4] على عيسى أنه قال لهم ذلك. وكذلك قول الملائكة: سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ، بعد ما قال لهم: أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ،[5] فعند ذلك قالوا: سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ، خرج ذلك القول منهم جواب ما تقدم. فعلى ذلك قول موسى: **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**، خرج على تقدُّم قولٍ كان منهم. *والله أعلم*. ومن قرأ: **حقيق عَلَى أن لا أقول على الله إلا الحق**،[6] فتأويله مُحَقُّوق[7] **على أن لا أقول على الله إلا الحق**. ومَن قرأ[8] بتشديد "عَلَيَّ"[9] فتأويله: **حق عَلَيَّ أن لا أقول على الله إلا الحق**.

وقوله عز وجل: **قد جئتكم ببينة من ربكم**، يحتمل **ببينة من ربكم**،[10] ما يُبين وحدانية الله وألوهيته. ويحتمل بينة الرسالة،[11] ما يُبين أني رسول[12] رب العالمين غير كاذب عليه ولا مُفترٍ. وقوله عز وجل: **فأرسل معي بني إسرائيل**، أي لا تستعبدهم، فإنهم ليسوا بعبيد. لم يُرِد إرسالهم[13] معه، ولكن طلب استنقاذهم من العُبودَة، كقوله: أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.[14]

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين**، دل قول فرعون:

---

[1] ن – له.

[2] ﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٦).

[3] ع م – بعد.

[4] م – قومه.

[5] ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٠-٤١).

[6] ك م – خرج على تقدم قول كان منهم والله أعلم ومن قرأ حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق.

[7] جميع النسخ: للحقوق؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٤و.

[8] م: ومن قرأه.

[9] قرأ نافع من الأئمة العشرة بتشديد الياء مفتوحة: عَلَيَّ، وقرأ الباقون بدون تشديد: عَلَى؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٠.

[10] ع – يحتمل ببينة من ربكم.

[11] ع م: الرسل له.

[12] ع + من.

[13] ع: إسالهم.

[14] ﴿وتلك نعمة تَمُنُّها عليّ أنْ عَبدتَ بني إسرائيل﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٢).

إن كنت جئت بآية، أن موسى أراد بقوله: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ،[١] الآية. ودل قوله: **إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين**، أنه قد كان عرف أنه ليس بإله، وعرف عُبودَة نفسه، حيث طلب منه الآية على صدق ما ادعى من الرسالة، ولو كان عنده أنه إله لكان قال لموسى: أنا الإله، فمتى أرسلتك؟ ولم يطلب منه الآية.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**، قال أبو عَوْسَجَة: الثعبان الحية. قال: كل حية تسمى ثعبانا،[٢] والثعابين[٣] جماعة. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الثعبان هي الحية[٤] الذكر.[٥] وقوله: **مبين**، أي مبيّن أنها حية. وهو كما ذكر:[٦] فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى.[٧] **مبين**، لا يشك أحد أنها ليست بحية. ويحتمل **مبين**، أي **مبين** أن ذلك التغيير والتحويل لا يكون إلا من الله.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين**، ذكر **نَزَعَ يده**، ولم يذكر مما ذا؟ فهو ما ذكر في آية أخرى: وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ،[٨] أي من غير أذى ولا آفة.[٩] وقال أهل التأويل: من غير بَرَص. ولكن عندنا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، أي[١٠] من غير أن تُستقبَح أو تُستقذَر؛[١١] لأن خروج الشيء عن خلقته وجوهره مما يُستقذَر، فأخبر أنه لم يكن كذلك.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ع: ثعبان.
[٣] م: أو الثعابين.
[٤] ك ن: هو الحية.
[٥] *تفسير الطبري*، ١٥/٩.
[٦] م: كما ذكرنا.
[٧] سورة طه، ٢٠/٢٠.
[٨] سورة النمل، ١٢/٢٧.
[٩] ك: وآفة.
[١٠] ع م - أي.
[١١] ع: أن يستقبح أو يستقذر.

فإن قيل لنا: ما الحكمة في إدخال يده جيبه على ما هي عليها وإخراجه إياها **بيضاء** من غير أن كانت كذلك قبل أن يدخلها، وكذلك صيرورة العصا حية بعد ما طرحها على الأرض دون أن تصير[1] حية وهي في يده؟

[٢٦٠ظ] قيل: ذلك / -والله أعلم- أنه[2] إنما أراهم آية بعد ما أخرج العصا عن سلطانه وتدبيره، لِيُعلَم أنها إنما صارت حية[3] لا بتدبيره وتغييره، ولكن بالله[4] عز وجل. وكذلك اليد صيّرها آية بعد ما غيّبها عن بصره وتدبيره لِيُعلَم أنها صارت كذلك لا به، ولكن بالله[5] عز وجل. والآية[6] هي التي تخرج عن وسع الخلق وتدبيرهم.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم**، وقال في آية أخرى: قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،[7] يحتمل أن يكون فرعون قال للملأ: إِنَّ هَٰذَا كذا، ثم **قال الملأ** لقومه **إن هذا لساحر عليم**. أراد -والله أعلم- تلبيس ما أتى به موسى من الآية على قومه. وأراد بقوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[8] إغراء قومه عليه. والسحر عندنا هو من آيات الرسالة، ولو كان ما أتى به[9] موسى سحرا كان ذلك من آيات رسالته ونبوته، لأنه لا يستفاد إلا بعلم من السماء وخبر منها. وكذلك هذه الحِرَف والمكاسب التي تُكتسَب في الخَلْق، لأنه لا يُعلَم إلا بالوحي من السماء، لكنه ليس بآية على الإشارة.[10] ولو كان ما أتى به سحرا لكان له آية، لأنه نشأ بين أظهرهم، لم يروه اختلف إلى ساحر قط،

---

[1] م: أن يصير.
[2] أي لأنه...
[3] ع م - حية.
[4] ك: ولكن الله.
[5] ك: ولكن الله
[6] م: الآية.
[7] سورة الشعراء، ٣٤/٢٦.
[8] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦. أما الآية التالية هنا فليس فيها قوله: ﴿بسحره﴾.
[9] ع م - به.
[10] قال الشارح: «... لكنه ليس بآية على الإشارة والتعيين. أعني أنه ليس بآية في حق كل شخص واحد، لأنه قد يوجد من الشخص بطريق التعليم من غيره إلى أن ينتهي إلى الوحي بالحرف والمكاسب سواء. وهذا طريق معتاد. والآية ما خرجت على نقض العادة. وإنما يكون آية بوصف خاص، وهو أن توجد منه في حق من يعرف أنه لم يحصّله بالتعليم، فيتعيّن في حقه الوحي، وهو خلاف العادة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٤و).

ولا عُرِف[1] أنه تعلّم ذلك من أحد، فدل ذلك أنه من الآية. لكنه أخرج ذلك عما عرفوا من السحر لِما لا كلُّ أحدٍ يَعرف أنه لم يختلف في ذلك ولا تعلّم من أحد، فأخرجه عن وُسع السحرة وتدبيرهم ليعرف كل أحد أنه آية[2] رسالته ونبوته، لا السحر. *والله أعلم*.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **يريد أن يخرجكم من أرضكم**، كان موسى لا يريد أن يخرجهم من أرضهم، ولكن -والله[3] أعلم- كأنه قال فرعون لقومه: لو اتبعتم موسى وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه لأخرجتُكم من أرضكم،[4] لكن أضاف ذلك إلى موسى لما كان هو سبب إخراجهم. *والله أعلم*. أو يقول: **يريد أن** يذهب بعيشكم الطيب وراحتكم وتلذّذكم بأنواع التلذّذ؛ لأنهم كانوا يستعبدون بني إسرائيل ويستخدمونهم[5] ويستريحون هم[6] ويَنعمون. فيقول للقبط: **يريد أن** يذهب بذلك كله عنكم. وجائز أن يكون موسى لم يكن **يريد أن** يخرجهم من أرضهم، ولكن **يريد أن** يخرجهم من دينهم الذي كانوا عليه، ولكنه كان يغري قومه عليه.

وقوله: **فماذا تأمرون**، دل هذا القول من فرعون أنه كان يعرف أنه ليس بإله ولا رب، لأنه لو كان كما يقول:[7] أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى،[8] لكان لا يطلب من قومه الأمر والإشارة في ذلك، دل ذلك أنه كان يعرف عجزه وضَعْفه، لكنه يكابر ويُلَبِّس على قومه ويُمَوِّه بقوله: إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،[9] وقوله: **يريد أن يخرجكم من أرضكم**. هذا الحرف حرف إغراء وتحريش عليه. وقوله: **فماذا تأمرون**، هو حرف تقريب، حيث جعل إليهم الأمر والإشارة، وجعلهم من أهل مشورته.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[١١١]

وقوله: **قالوا أرجه وأخاه**، هذا الحرف لا يقال ابتداء، إلا أن يكون هنالك تقدّم شيء.

---

[1] ع م: لا عرف.
[2] جميع النسخ: آيات.
[3] ع م: الله.
[4] م - من أرضكم.
[5] ك: ويستخدمو، صح، هـ.
[6] ن: ويستريحونهم.
[7] جميع النسخ: ما يقول.
[8] سورة النازعات، ٢٤/٧٩.
[9] الآية السابقة.

فكأنه همّ بقتله، كقوله: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ،[1] فقالوا له: **أرجه**، أي أَخِره واحبسه ولا تقتله، ليتبين سحره عند الخلق جميعا، كانوا يمنعون فرعون عن قتله. ألا ترى أنه قال: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى، لو لم يكن منهم[2] مَنْع عن قتله لم يكن ليقول لهم: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى. وقوله: **قالوا أرجه وأخاه**، قال القُتَبي: **أرجه وأخاه** هارون، يقول: احبسه، أي أَخِره، ومنه قوله: تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ،[3] ومنه سُمِّيت المُرْجِئة.[4] وقال ابن عباس رضي الله عنه: **أرجه وأخاه**، ولا تقتلهما، **وأرسل في المدائن حاشرين**، أي **أرسل** إلى **المدائن**[5] الشُّرَط، فأتوه من **المدائن حاشرين**، أي يحشرون عليك السحرة والناس؛ إلى هذا يذهب ابن عباس رضي الله عنه.[6]

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾[١١٢]

وقوله: **يأتوك بكل ساحر عليم**، لا تقتلوه حتى **يأتوك بكل ساحر عليم**،[7] أي ليجتمعَ كل أنواع السحر ليتبيّن سحره، وإلا كان ساحر واحد كافيا،[8] ولكن أرادوا –والله أعلم– بقوله: **يأتوك بكل ساحر عليم**، ليجتمع جميع[9] أنواع السحر[10] عنده ليتبيّن سحره.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾[١١٣] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[١١٤]

وقوله عز وجل: **وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين**، في المنزلة والقدر عندي. هذا يدل أن هِمّة الساحر ليس إلا الدنيا،

---

[1] سورة المؤمن، ٢٦/٤٠.

[2] ك: معهم.

[3] ﴿تُرجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ (سورة الأحزاب، ٥١/٣٣). والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أي تؤخر من تشاء من أزواجك في القَسْم... وهناك أقوال أخرى.

[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠. والإرجاء التأخير، ومنه سُمِّيَت المُرْجِئة، والمرجئة صنف من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، كأنهم قدّموا القول وأرجئوا العمل، أي أخروه، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم (*لسان العرب* لابن منظور، «رجأ»).

[5] ع + حاشرين.

[6] *تفسير الطبري*، ١٧/٩، ١٨.

[7] ع – لا تقتلوه حتى يأتوك بكل ساحر عليم.

[8] ع م: كاف.

[9] م: جمع.

[10] ك ن – ليتبين سحره وإلا كان ساحر واحد كاف ولكن أرادوا والله أعلم بقوله يأتوك بكل ساحر عليم ليجتمع جميع أنواع السحر.

لأنهم طلبوا من فرعون الأجر والقدر والمنزلة عنده إن كانوا هم الغالبين، ولا يجوز مَن هِمّته[١] هذه[٢] الدنيا[٣] وما ذكر أن يكون له الرسالة بحالٍ، وهِمّة الأنبياء كانت الدين وطلبَ الآخرة.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾[١١٥]

وقوله عز وجل: **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين**، هذا ليس على إلقاء هذا وترك أولئك الإلقاءَ،[٤] لأنه لو كان على إلقاء أحدهما لكان لا يتبين السحر من الآية، لكن إلقاء الأوّل. كأنهم **قالوا يا موسى إما أن تلقي** أوّلا أو **نحن** الملقون أول مرة. وهو كما ذكر في آية أخرى: إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى.[٥]

﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[١١٦]

وقول موسى: **ألقوا**، كأنه أمره ربه أن يأمر بذلك. **قال** موسى **ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم**، هذا يدل أن السحر إنما يأخذ الأبصار على غير حقيقة كانت له،[٦] وهو كالسراب الذي يُرَى مِن بُعد،[٧] كقوله: يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً،[٨] الآية؛ فعلى ذلك السحر يأخذ الأبصار ظاهرا،[٩] فإذا هو في الحقيقة باطل لا شيء، وكالخيال في القلوب لا حقيقة له. وكان قصدهم بالسحر استرهاب الناس وتخويفهم به؛ ألا ترى أنه[١٠] ذكر في آية أخرى: / فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى.[١١] وقد ذكرنا[١٢] أن ما جاء به الرسل لو كان سحرا في الحقيقة [٢٦١و] لكان ذلك حجة لهم في إثبات الرسالة، لأن قومهم لم يروهم اختلفوا إلى ساحر قط، فيدل ذلك أنهم إنما عرفوا ذلك بالله تعالى. وهو كالأنباء التي أتى بها رسول الله صلى الله على وسلم.[١٣]

---

[١] ن ع: همه.
[٢] ع م – هذه.
[٣] ك – لأنهم طلبوا من فرعون الأجر والقدر والمنزلة عنده إن كانوا هم الغالبين ولا يجوز من همته هذه الدنيا.
[٤] ن ع: الإلقى.
[٥] سورة طه، ٦٥/٢٠.
[٦] ك: له كانت.
[٧] ع م: من بعيد.
[٨] ﴿والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بِقِيعةٍ يحسبه الظَّمْآن ماء﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).
[٩] ع: ظاهر.
[١٠] م – أنه.
[١١] سورة طه، ٦٧/٢٠.
[١٢] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ١٠٩/٧.
[١٣] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿تلك مِن أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنتَ تَعلمها أنت ولا قومُك مِن قَبْل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ (سورة هود، ٤٩/١١).

وقوله: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، يخرج على وجهين. أحدهما أخذ سحرُهم بصرَه[١] كما أخذ **أعين الناس**. والثاني خاف أنّ سحرهم يمنع أولئك عن رؤية[٢] حقيقة ما جاء به. وقوله: **سحروا أعين الناس،** أي حيّروا، كقوله: مَسْحُورُونَ،[٣] أي مأخوذٌ أعينكم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[١١٧]

وقوله عز وجل: **وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك**، فيه أن موسى كان لا يلقي[٤] عصاه إلا بعد الأمر بالإلقاء. وكذلك قوله: اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ،[٥] و أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ،[٦] ونحوه. كان لا يضرب بالعصا ولا يلقي إلا بعد الأمر بالإلقاء والضرب، ليُعلَم أن في ذلك امتحانا[٧] لموسى فيما يأمر بالإلقاء على الأرض لتصير[٨] حية، وفيما يأمره بالضرب بها الحجر والبحر. ولله أن يمتحن عبده بما شاء من أنواع المحن، وإلا كان قادرا أن يَفلِق البحر على غير الأمر بالضرب بالعصا، وكذلك يفجّر الحجر ويشق على غير ضرب بالعصا، وكذلك تصير[٩] تلك العصا حية وهي في يده؛ ولكن[١٠] أمره بذلك كله -والله أعلم- امتحانا منه إياه وابتلاء، إذ هي دار محنة وابتلاء. إذ في زمن[١١] موسى كان السحر هو الظاهر، وكان الناس وقتئذ يعملون بالسحر. فجاء موسى من الآيات على رسالته بنوع ما كانوا يعملون به ومن جنس ذلك، ليعرفوا بخروجه[١٢] عن وسعهم أن ذلك ليس بسحر،[١٣] ولكن آية سماوية. وكذلك ما جاء [به] عيسى من الآيات، جاء بنوع ما كان يعمله قومه،[١٤]

---

[١] م – بصره.
[٢] ن: عن رؤيته.
[٣] ﴿ولو فَتَحْنا عليهم بابا من السماء فظَلّوا فيه يَعرُجون. لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٥).
[٤] م: لما يلقي.
[٥] سورة البقرة، ٦٠/٢.
[٦] سورة الشعراء، ٦٣/٢٦.
[٧] جميع النسخ: امتحان.
[٨] ك: ليصير.
[٩] ك: وكذلك يصير.
[١٠] ك: ولكنه.
[١١] ك ع: أن في زمن.
[١٢] جميع النسخ: خروجه.
[١٣] ع م: بسحرهم.
[١٤] ع: قوم.

وهو الطب،[١] فجاء بنوع الطب،[٢] ليعلموا أنه بالله عرف ذلك.

وقوله عز وجل: **فإذا هي تَلْقَف ما يَأفِكون**، قال القُتَبي: **تلقف** تَلْتهم[٣] وتَلْقَم،[٤] اشتقاقه من اللَّقْم والابتلاع.[٥] وقوله: **ما يأفكون**، قيل: ما يكذبون. قال الحسن: **تلقف ما يأفكون**، حبالهم وعِصِيَّهم.[٦] وقيل: **تلقف ما يأفكون**، ما جاءوا به من الكذب.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١١٨]

وقوله[٧] عز وجل: **فوقع الحق**، قيل: أي ظهر **الحق**. **وبطل ما كانوا يعملون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **بطل ما كانوا يعملون**، أي **بطل** ما عملوا من السحر. والثاني **بطل ما كانوا يعملون**، أي ترك[٨] السحرة العمل بالسحر إذ ظهر[٩] الحق لهم. **والله أعلم**.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾[١١٩]

وقوله عز وجل: **فغُلِبوا هنالك**، أي عند ذلك غلب السحرة، لأنهم قالوا لفرعون في الابتداء: إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ،[١٠] فذكر هاهنا أنهم **غُلِبوا** عند ظهور الحق، لا أنهم صاروا غالبين. وقوله: **فغلبوا هنالك**، ليس غلبة القهر والقسر، ولكن غلبة بالحجج[١١] والبراهين، أي **غُلبوا** بالآيات والحجج.

وقوله عز وجل: **وانقلبوا صاغرين**، قال بعض أهل التأويل: رجع السحرة لما غُلبوا **صاغرين** مُذَلِّين. لكن نقول: رجع فرعون وقومه إلى منازلهم مُذَلِّين، لا السحرة، لأن السحرة قد آمنوا، فلا يحتمل أن يوصفوا بالرجوع **صاغرين** مُذَلِّين وقد رجعوا مع الإيمان.

---

[١] ك ن ع: الطير.
[٢] ك ن ع: الطير.
[٣] جميع النسخ: تلتقم؛ ع + وتلتقم. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠.
[٥] لَقِفْتُ الشيء أَلْقَفُه لَقْفا، إذا أخذته فأكلته أو ابتلعته، وفي التنزيل العزيز: ﴿فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾. ولَقِم والتَقَم أيضا في هذا المعنى (*لسان العرب* لابن منظور، «لقف، لقم»).
[٦] *تفسير الطبري*، ٢١/٩.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن ع م: أي تلك.
[٩] جميع النسخ: إذا ظهر.
[١٠] سورة الأعراف، ١١٣/٧.
[١١] ع: بالحج.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[١٢٠]

وقوله عز وجل: **وألقي السحرة ساجدين**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله:[١] **ألقي**، أي أُمروا بالسجود فسجدوا. وقال آخرون: قوله: **ألقي**، أي لسرعة ما سجدوا كأنهم أُلقوا. والآية ترد[٢] على المعتزلة، لأنهم ينكرون أن يكون لله في فعل العباد صنع، وهاهنا قد أضيف الفعل إلى غيرهم بقوله: **وألقي السحرة ساجدين**، دل أن لله[٣] في فعل العباد صنعا،[٤] وهو أنْ خَلَق فعل السجود[٥] منهم.[٦] وقال جعفر بن حرب:[٧] يجوز أن يُضاف الفعل إلى غير وإن لم يكن لذلك الغير في ذلك الفعل صنع، نحو ما يقال في السفر: إن هؤلاء خَلَّفوا أولئك، وهم لم يُخَلِّفوا أولئك في الحقيقة، ولا صنع لهم في التخليف،[٨] ثم أضيف إليهم فعل التخليف،[٩] فعلى ذلك[١٠] هذا. يقال: إن لهم في ذلك صنع، وهو[١١] أنهم إذا لم ينتظروهم[١٢] فقد خَلَّفوهم، ولهم في ذلك صنع، فأضيف إليهم. أو أن يقال: إنهم لا يملكون تخليف هؤلاء، فأما الله سبحانه قادر أن يُلقيهم، أي[١٣] يخلق منهم فعل السجود، فأضيف الفعل إليه لذلك.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٢١] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**، قال بعض أهل التأويل: إنهم لما **قالوا آمنا برب العالمين**، قال لهم[١٤] فرعون: إياي تَعنُون؟ فعند ذلك قالوا:

---

[١] ك – قوله.
[٢] ك ن – ترد؛ ع م: يرد.
[٣] ن ع: أن الله.
[٤] جميع النسخ: صنع.
[٥] م: السجو.
[٦] ك: فيهم.
[٧] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد. له *كتاب متشابه القرآن*، *وكتاب الاستقصاء*، *وكتاب الرد على أصحاب الطبائع*، *وكتاب الأصول*. وتوفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩–٥٥٠.
[٨] ن ع م: في التخلف.
[٩] ك: التأخير.
[١٠] ن – ذلك.
[١١] جميع النسخ: وهم.
[١٢] ع: ينتظرون.
[١٣] ع م + بما.
[١٤] ك + موسى.

لا، ولكن[1] **ربِّ موسى وهارون**. ولكن لا ندري هذا، وموسى أولَ ما جاء فرعون ودعاه إلى دينه قال له: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ،[2] فلا يحتمل أن يُشكل عليه قولهم: **آمنا برب العالمين**، أنهم إياه عنوا بذلك. وجائز أن يكون **آمنا برب العالمين** الذي أرسل موسى وهارون رسولا.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[١٢٣]

وقوله: **قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم**، هذا يدل على أن[3] الإيمان[4] هو التصديق لا غير، لأنه[5] لما قال السحرة: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[6] **قال** لهم **فرعون آمنتم به**، وهم لم يأتوا[7] بسوى التصديق، دل على أن[8] الإيمان هو التصديق الفرد لا غير.[9]

وقوله عز وجل: **إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها**، هذا من فرعون نوع من التمويه على قومه، كما قلنا في الابتداء: إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،[10] هو حرف التمويه والتلبيس على قومه، فعلى ذلك قوله: **إن هذا لمكر مكرتموه**. وهو تمويه منه وتلبيس على قومه لئلا يؤمنوا كما آمن السحرة برب موسى. وقوله: **إن هذا لمكر مكرتموه**،[11] أي شيء صنعتموه فيما بينكم وبين موسى، وهو كما قال في آية أخرى: / إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ.[12] [٢٦١ظ]

---

[1] ع: لا ويكن.
[2] سورة الأعراف، ١٠٤/٧.
[3] ن ع: يدل أن.
[4] ع + هل.
[5] ن ع م: لأنهم.
[6] الآية قبل السابقة.
[7] ع + هم.
[8] ك ن ع: دل أن.
[9] ك ن: لا غيره؛ ع: ولا غيره.
[10] سورة الأعراف، ١٠٩/٧.
[11] ن ع م – في المدينة لتخرجوا منها أهلها هذا من فرعون نوع من التمويه على قومه كما قلنا في الابتداء إن هذا لساحر عليم هو حرف التمويه والتلبيس على قومه فعلي ذلك قوله إن هذا لمكر مكرتموه وهو تمويه منه وتلبيس على قومه لئلا يؤمنوا كما آمن السحرة برب موسى وقوله إن هذا لمكر مكرتموه.
[12] سورة طه، ٧١/٢٠؛ وسورة الشعراء، ٤٩/٢٦.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [١٢٤]

وقوله عز وجل: **لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف**، هذا لجهله[١] بأشد العقوبة والنكال، وإلا لم يوعدهم بقطع الأيدي والأرجل **من خلاف**، إذ ذلك أيسر وأقل في العقوبة من القطع من جانب. والقطع من جانب أشدّ وأنْكَل من القطع **من خلاف**، إذ القطع[٢] **من خلاف** لا يمنع القيام ببعض المنافع، ولا يعمل في إتلاف النفس. إذ جُعل ذلك حدّا في بعض العقوبات، و لم يُجعَل القطع من جانب عقوبة بحال، دل أنه أشدّ و أنْكَل ويعمل في إهلاك النفس، والقطع **من خلاف** لا يعمل،[٣] دل أنه لجهله ما قال. أو أنْ اختار[٤] القطع **من خلاف** ليكون مؤنة الصَّلْب[٥] عليهم لا عليه، لأن المقطوع **من خلاف** قد يمكن له الصعود على الخشبة، والثاني لا. ***والله أعلم***.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [١٢٥]

وقوله: **قالوا إنا إلى ربنا منقلبون**، وقال في موضع آخر: لَا ضَيْرَ.[٦] هذا –والله أعلم– يخرج على وجهين. أحدهما[٧] على الإقرار منهم بالبعث والإيمان به. والثاني وعيد منهم لفرعون،[٨] حيث أوعدهم بقطع الأيدي والأرجل والصَّلْب وغير ذلك من العقوبات، فقالوا: **إنا** وأنت **إلى ربنامنقلبون**، فتُجزَى وتُعاقَب جزاء صنيعك بنا.[٩]

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[١٢٦]

وقوله عز وجل: **وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا**، قيل بوجهين.[١٠] قيل: قوله: **وما تنقم منا**، أي **وما** تعيب علينا[١١] وتطعن، **إلا**[١٢] بما كان منا من الإيمان **بآيات ربنا لما جاءتنا**،

---

[١] ع: هذه الجملة.
[٢] ع م: إذا القطع.
[٣] م – ولا يعمل في إتلاف النفس إذ جعل ذلك حدا في بعض العقوبات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة بحال دل أنه أشد و أنكل ويعمل في إهلاك النفس والقطع من خلاف لا يعمل.
[٤] ك: أو أن اختيار.
[٥] جميع النسخ: الطلب؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٥ظ.
[٦] ﴿قالوا لا ضَيْرَ إنا إلى ربنا منقلبون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٥٠).
[٧] ع م – أحدهما.
[٨] ك + لعنه الله.
[٩] م: ربنا.
[١٠] ن ع م: لوجهين.
[١١] ك: وما يعيب عليه.
[١٢] ع م: الإيمان.

وهو ما جاءهم من الآيات. وقيل: **وما** تعاقبنا وتنتقم[١] **منا إلا أن آمنا بآيات ربنا**، وكان الحق عليك[٢] أن تؤمن بها كما آمنا نحن.

وقوله عز وجل: **ربنا أفرغ علينا صبرا**، قوله: **أفرغ**، قيل: أنزل **علينا صبرا**، وقيل: أتمم لنا **صبرا**، وقيل: أَصْبُبْ علينا صبرا. وهو كله واحد. ثم يحتمل سؤالهم الصبر لما لعله إذا فعل بهم ما أوعد[٣] من العقوبات لم يقدروا على الصبر[٤] على ذلك،[٥] فيتركون الإيمان، لذلك[٦] سألوا ربهم الصبر على ذلك لِيَتثبَّتوا على الإيمان به.[٧] **وتوفنا مسلمين**، سألوا ربهم أيضا التوفي على الإسلام. وهكذا كان دعاء الأنبياء، كما قال يوسف: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا،[٨] الآية. وكذلك كان[٩] أوصى إبراهيم بَنيه حيث قال: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.[١٠] وهكذا الواجب على كل مؤمن ومسلم[١١] أن يتضرع إلى الله في كل وقت، ويبتهل[١٢] إليه في كل ساعة، لئلا يسلب الإيمان منه[١٣] لكسبٍ يكتسبه؛ إذ الأنبياء[١٤] والرسل صلوات الله عليهم مع عصمتهم كانوا يخافون ذلك، لِيُعلَم أن العصمة لا تُسقِط الخوف ولا تُؤمِن عن[١٥] الزلات.

و[في] قوله: **ربنا أفرغ علينا صبرا**، دلالة على أنهم علموا أنه[١٦] إذا أفرغ عليهم الصبر صبروا، إذ لو لم يعلموا ذلك لم يكن لسؤالهم الصبر معنى. فهذا على المعتزلة في قولهم

---

[١] ن: وينتقم؛ ع م: وما ينتقم.
[٢] ك + وعلينا؛ ن ع م: علينا وعليك.
[٣] ن: لما أوعد؛ ع م: بما أوعد.
[٤] ع م: على التصبر.
[٥] ع م – على ذلك.
[٦] ع: كذلك.
[٧] ن – به.
[٨] سورة يوسف، ١٢/١٠١.
[٩] ك – كان.
[١٠] سورة البقرة، ٢/١٣٢.
[١١] ك: مسلم ومؤمن.
[١٢] ع: ويبهل.
[١٣] ع م – منه.
[١٤] ع: إذا الأنبياء.
[١٥] ك – عن.
[١٦] ك ع م: أنهم.

أنه يُفرغ ولا يصبرون،[1] وأنه قد أعطاهم غاية ما يصلح[2] في الدين. فدلّ سؤالهم ذلك على أنه لم يعطهم، وأن عنده مَزِيدا[3] لو أعطى لهم ذلك كان.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[١٢٧]

وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وقوله: **ليفسدوا في الأرض**،[4] قال بعضهم: في إخراجكم من أرض[5] مصر، وإفسادهم[6] العيش عليكم. أو ما ذكروا من ترك عبادة فرعون وخدمته.[7] **ويَذَرَك وآلهتك**، وقد قرئ: و إِلَاهَتَك، فمن[8] قرأ بِ"إِلَاهَتَك" حمله على العبادة، أي **يذرك** وعبادتك.[9] ومن قرأ بِ"**آلهتك**" -وهو قول ابن عباس ومجاهد-[10] فقالوا:[11] إن فرعون[12] قد كان جعل لقومه آلهة[13] يعبدونها، ليتقرّبوا بعبادتهم تلك الأصنام إلى فرعون، على ما كان يعبد أهل الشرك الأصنام دون الله، ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[14] فقالوا:[15] **وَيَذَرَكَ وآلهتك** التي جعلت لهم. وقال آخرون: إن فرعون كان يعبد الأصنام والأوثان على ما عبد غيره. وقال غيرهم: لا يحتمل أن يكون عبد[16] هو[17] الأصنام،

---

[1] جميع النسخ: ولا يصبر.
[2] ن + لهم.
[3] جميع النسخ: مزيد.
[4] ع م – وقوله ليفسدوا في الأرض.
[5] ع: في أرض.
[6] ن: وإفساد؛ ع م: وإفسادكم.
[7] ع: وخدمته.
[8] ك + حملها.
[9] نسبت هذه القراءة الشاذة إلى ابن عباس ومجاهد؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٢٥/٩.
[10] القراءة المتواترة المتفق عليها عند جميع القراء المعروفين هي: وآلهتك، لكن نسبت القراءة بِ"إلاهتك" إلى ابن عباس ومجاهد كما ذكرنا، فلعل المذكور في المتن خطأ من الناسخين. والله أعلم.
[11] جميع النسخ: وقالوا.
[12] ك + لعنه الله.
[13] ك: له لهة.
[14] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[15] ع م – فقالوا.
[16] ع م – عبد.
[17] ك: هو عبد.

ولكن جعل[١] لقومه الأصنام على ما ذكرنا؛ ألا ترى أنه قال: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى.[٢]

ثم قال:[٣] **سَنُقَتِّلِ أبناءهم ونستحيي نساءهم،** قال بعضهم: قوله: **سنقتل أبناءهم،** يعني رجالهم، **ونستحيي نساءهم،** أي نترك **نساءهم،**[٤] لأنه[٥] لا يحتمل قتل الأبناء ولم يكن منهم إليه[٦] صنع، إنما كان ذلك من[٧] الرجال. وقال بعضهم: قد كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل له: إنه يولد مولود يذهب بملكك ويغيّر دين أهل الأرض، فلم يزل يقتل[٨] في ذلك العام[٩] الأبناء، ويترك[١٠] البنات، فذلك[١١] قوله: **سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم.** *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وإنا فوقهم قاهرون،** قيل: مسلّطون عليهم.

فإن قيل لنا: ما الحكمة في ذكر هذه القِصص والأنباء السالفة في القرآن؟

قيل: لوجوه. *والله أعلم.* أحدها[١٢] أن فيها دليل إثبات رسالة[١٣] محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته؛ لأن هذه القصص والأنباء كانت في كتبهم[١٤] ثابتة[١٥] مُبَيَّنة، وقد علموا[١٦] أن لسانه كان على غير ما كانت كتبهم، وعرفوا أنه لم يختلف إلى أحد ممن يعرف ذلك ليتعلم منه، ولا سمع عن أحد منهم، ثم أنبأهم[١٧] على ما كانت، دل أنه إنما عرف ذلك بمن يعلم علم الغيب.

[١] ع م – جعل.
[٢] سورة النازعات، ٧٩/٢٤.
[٣] ك + اللعين.
[٤] ع م – أي نترك نساءهم.
[٥] ع: أنه.
[٦] ن – إليه.
[٧] ك: صنع.
[٨] جميع النسخ: يقتلهم.
[٩] ك + الذي قيل له أنه يولد مولود.
[١٠] ع: وينزل.
[١١] ن: وذلك.
[١٢] ع م – أحدها.
[١٣] ن + نبينا.
[١٤] أي في كتب اليهود والنصارى، وهي التوراة والإنجيل.
[١٥] ع م – ثابتة.
[١٦] م – علموا.
[١٧] ع: من أنبائهم؛ م: ثم أنبائهم.

والثاني أن البشر جُبِلوا على حب السماع إلى الأخبار[1] والأحاديث، وحُبِّب[2] ذلك في قلوبهم، حتى أن واحدا منهم يولّد أحاديث وينشئها من ذات نفسه لأنْ يستمعوا في ذلك إليه[3] ويسمعوا[4] منه. فذكر لهم[5] هذه الأنباء والقصص ليكون استماعهم إليها وسماعهم لها. وذلك أحسن وأوفق، إذ أخبر أن ذلك أحسن القصص بقوله: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ [٢٦٢و] أَحْسَنَ / الْقَصَصِ.[6]

والثالث ذكر لهم هذا ليعلموا ما حل بهم في العاقبة من الهلاك والاستئصال وأنواع العذاب بفسادهم[7] وتكذيبهم الرسل، وما عاقبة المفسد منهم والمصلح، ليكون ذلك زجرا لهم عن صنيع[8] مثلهم.

والرابع ذكر ذلك ليعرفوا كيف كانت معاملة الأنبياء والرسل أعداءهم ومعاملة الأعداء الرسل، ليعاملوا أعداءهم بمثل معاملتهم.

والخامس أنهم كانوا ينكرون أن يكون[9] من البشر رسول،[10] فأخبر أن الرسل الذين كانوا من قبل كانوا[11] كلهم من البشر.

والسادس أنهم كانوا يعبدون هذه الأصنام والأوثان، ويقولون: بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ،[12] وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[13] فأخبر أنْ كان في آبائهم السعداء -وهم الأنبياء- والأشقياء، فكيف اقتديتم أنتم بالأشقياء منهم، وهلّا اتبعتم السعداء[14] دون الأشقياء؟

---

[1] ك: للأخبار.
[2] ع: وجب.
[3] ن - إليه.
[4] جميع النسخ: وسمعوا.
[5] ك: فذكروا لهم.
[6] سورة يوسف، ١٢/٣.
[7] ك: لفسادهم.
[8] ك: عن صنع.
[9] ع: أن ينكرون.
[10] جميع النسخ: رسولا.
[11] ن - كانوا.
[12] سورة الشعراء، ٢٦/٧٤.
[13] سورة الزخرف، ٤٣/٢٣.
[14] جميع النسخ: بالسعداء.

والسابع فيها أنْ كيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عَرَّفَنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يأمر به ومن ينهى عنه. وأيضا[١] أن فيه ذكر الصالحين منهم بعد ما ماتوا وانقرضوا، فصاروا[٢] بالذكر كالأحياء.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٢٨]

وقوله[٣] عز وجل: **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا**، يحتمل قوله: **استعينوا بالله**، على أداء طاعته، ربما تتقرّبون[٤] به إلى الله ويكون لكم[٥] زُلْفَى لديه.[٦] أو أنْ يقولُ[٧] لهم: **استعينوا بالله**، [ليعين][٨] بالنصر[٩] لكم والظفر، **واصبروا** على أذاهم والبلاء. **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده**، يحتمل[١٠] هذا وجهين. يحتمل أن يخرج[١١] ذلك من موسى مخرج الوعد لهم بالنصر والظفر على الأعداء، وجَعْل الأرض لهم[١٢] من بعد إهلاك[١٣] العدو. وهو كما ذكر[١٤] في موضع آخر: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ،[١٥] الآية. ويحتمل أن يخرج[١٦] ذلك منه مخرج التصبير على الرضاء بقضاء الله تعالى، أن الأرض له يُصيِّرها لمن يشاء، فاصبروا أنتم على البلايا، وارضوا بقضائه.

---

[١] ك: وأيضه.
[٢] ع م: فكانوا.
[٣] ك: قوله.
[٤] ك: وبما يتقربون؛ ن: وبما تتقربون.
[٥] جميع النسخ: لهم.
[٦] أي بعد استعانتكم بالله على أداء طاعته اصبروا وداوموا على أداء الطاعات حتى تتقربوا إلى الله فينجيكم بسبب قربكم إلى الله من ظلم فرعون. والله أعلم.
[٧] ن: وأن يقولوا؛ ع م: أو أن يقولوا.
[٨] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٦و.
[٩] ك ع م - بالنصر.
[١٠] ن: ويحتمل.
[١١] ع: إذ يخرج.
[١٢] ك: لهم الأرض.
[١٣] ك ن ع: وإهلاك.
[١٤] ك: وهو كما وضع؛ ن: وكما ذكر.
[١٥] ﴿ونُمَكِّنَ لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥-٦).
[١٦] ن: أن تخرج.

والعاقبة للمتقين، قال الحسن: **العاقبة** أي الآخرة **للمتقين** خاصة، وأما الدنيا فإنها بالشركة بين أهل الكفر وأهل الإسلام، يكون لهؤلاء ما لأولئك، وأما الآخرة فليست للكفار،[1] إنما هي للمؤمنين خاصة. وهو ما ذكر في آية أخرى: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ،[2] الآية. فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*. وقال غيره: **والعاقبة للمتقين**، أي عاقبة الأمر بالنصر والظفر **للمتقين** على أعدائهم، وإن كان في الدفعة[3] الأولى عليهم.

[٢٦٢و س٣٥] *وقوله: **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا**، أمرهم -والله أعلم- بطلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع حوائجهم دينا ودنيا. ويحتمل أن يكون على طلب التوفيق لما أمر به، والعصمة عما حذره عنه. وكذلك الأمر[4] البيّن في الخَلْق من طلب التوفيق والمعونة عن الله والعصمة عن المنهي عنه، جَرَت به سنة الأخيار. *وبالله المعونة*.[5] ثم لا يصح ذلك على قول المعتزلة، لأن الدعاء بالمعونة على أداء ما كلّف، وقد أعطى. إذ على قولهم لا يجوز أن يكون مكلّفا [و]قد بقي شيء / [٢٦٢ظ] مما به أداءُ ما كُلِّف عند الله. وطَلَبُ ما أعطى كتمان للعطية. وكتمان العطية[6] كفران. فيصير كأن الله أمر بكفران نعمه وكتمانها، وبطلبها منه تعنُّتا. وظَنُّ مثلِه بالله كُفْر. ثم لا يخلو[7] من أن يكون عند الله ما يطلب، فلم يعط التمام إذًا. أو ليس[8] عنده، فيكون طَلَبُه استهزاءً به، إذ مَن طلب إلى آخر ما يعلم أنه ليس عنده فهو هازئ[9] به في العرف.[10] مع ما كان الذي يطلب إما أن يكون لله أن لا يعطيه مع التكليف، فيبطل قولهم: لا يجوز أن يكلّف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي. أو ليس له أن لا يعطي،[11] فكأنه قال: اللهم لا تَجُرْ ولا تظلم. ومَن هذا عِلمُه بربه فالإسلام أولى به.[12]

---

[1] ع: الكفار.

[2] ﴿ولبيوتهم سُقُفا من فضّة ومعارج عليها يَظهَرون. ولبيوتهم أبوابا وسُرُرا عليها يتكئون. وزُخرُفا وإنْ كلُّ ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣-٣٥).

[3] ع: بالدفعة.

[4] ك: لا من.

[5] ك: وبالله التوفيق.

[6] ع - وكتمان العطية.

[7] ك: لا يخ؛ ن ع م: لا يخلوا.

[8] ك: إذن وليس.

[9] ع: فهو هاوي.

[10] ع: من العرف.

[11] ع - أن لا يعطي؛ م: أن يعطي.

[12] أي من يعتقد هذا فعليه اعتناق الإسلام من جديد.

فهذا مع ما لا يدعو[١] اللهَ أحدٌ بالمعونة إلا[٢] ويطمئن قلبه أنه لا يَزِلُّ عند المعونة ولا يزيغ عند العصمة. وليس مِثلَه يَملك الله عند المعتزلة. *ولا قوة إلا بالله*.* [٢٦٢ظ س٧]

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[١٢٩]

وقوله عز وجل: **قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما أن يخرج مخرج استبطاء النصر والظفر لهم، كأنهم استبطئوا النصر وإهلاك العدو والظفر عليهم، فقال لهم موسى عند ذلك: **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض**. والثاني أن يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسى لما خطر ببال موسى أنهم يقولون: إن[٣] ما أصابهم من البلايا والشدائد إنما كان لسببه ولمكانه، فقالوا ذلك له[٤] اعتذارا منهم له أنْ قد أصابنا ذلك[٥] **من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا**، لئلا يوهم أنهم يقولون ذلك، أو يخطر ببالهم ذلك. *والله أعلم*. وجائز أن يكونوا قالوا ذلك على التعيير[٦] له[٧] والتوبيخ، يقولون: لم يزل يصيبنا[٨] من الأذى لسببك ولأجلك، **من قبل أن تأتينا**، من الاستخدام، **ومن بعد ما جئتنا**، من أنواع الضرر.* وقال بعض أهل التأويل في قوله: **أوذينا** بسببك[٩] [٢٦٢و س٢٩ **من قبل أن تأتينا** بالرسالة، يعنون بالأذى قتل الأبناء[١٠] واستخدام النساء، **ومن بعدما جئتنا** بالرسالة من الشدائد التي أصابتهم من بعد. لكن الأول أقرب وأشبه.* [٢٦٢و س٣١]

وقوله عز وجل: [قال] **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم**، والعسى من الله واجب. فوعد لهم إهلاك العدو واستخلافهم **في الأرض**.*

---

[١] ع: ما لا يدعوهم.
[٢] جميع النسخ: بالمعونة وإلا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٣و/سطر ٣٥ - ٢٦٣ظ/سطر ٧.
[٣] ع - إن.
[٤] ن - له.
[٥] جميع النسخ + نحن.
[٦] ن ع م: على التغيير.
[٧] ن - له.
[٨] م: يصيبننا.
[٩] جميع النسخ: في سببك.
[١٠] ن: الأنبياء.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٢و/سطر ٢٩-٣١.
* وقع هنا المقطع المشار إليه في الحاشية السابقة.

وقوله عز وجل: **فينظر كيف تعملون**، يحتمل هذا أيضا وجهين. أحدهما أنْ يجعلُ لكم الأرض ويوسع عليكم الرزق،[1] يمتحنكم في ذلك ويبتليكم، لا أنه يجعل لكم ذلك على غير امتحان تعملون ما شئتم في ذلك. والثاني يمتحنكم بالشدائد والبلايا لينظر كيف[2] تصبرون على ذلك. ويحتمل وجها آخر، وهو أن يقول لهم: **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف** تشكرون ربكم فيما أنعم عليكم. و[يحتمل] قوله: **فينظر كيف**، الواقع لكم من الجزاء والثواب[3] [بسبب العمل].[4]*

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٣٠]

وقوله عز وجل: **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونَقْصٍ من الثمرات**، عن ابن مسعود رضي الله عنه: **بالسنين**، قال: بالجوع، وقيل: بالقحط. ومجاهد **بالسنين** قال: بالجوائح،[5] **ونَقْصٍ من الثمرات**، دون ذلك.[6] وقال القُتَبي: **بالسنين**، بالجدب،[7] يقال: أصاب الناس سنة، أي[8] جدب.[9]

فإن قيل: ذكر أنه أخذ **آل فرعون**، وكان فيهم بنو[10] إسرائيل، فما معنى التخصيص؟

قيل: يحتمل أن يكون ذلك لهم[11] خاصة دون بني إسرائيل وإن كانوا[12] فيهم، على ما ذكر في بعض القصة أن القبط كانوا يشربون الدم وبنو[13] إسرائيل الماء. أو كان الجدب[14]

---

[1] ن: الأرض.
[2] ك + تعملون.
[3] ك: من الثواب والجزاء.
[4] الزيادتان من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٦و.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٣و/سطر ٣٥ - ٢٦٣ظ/سطر ٧.
[5] ن ع م: بالحوائج. الجوائح جمع جائحة، وسنة جائحة: جدبة، والجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة... جاحتهم السنة تجوحا وجياحة وأجاحتهم واجتاحتهم: استأصلت أموالهم، وهي تَجُوحهم جَوْحا وجياحة... (*لسان العرب* لابن منظور، «جوح»).
[6] انظر للأقوال المذكورة: *تفسير الطبري*، ٢٨/٩-٢٩.
[7] ن: بالجذب.
[8] م - أي.
[9] ك: أي جذب. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧١
[10] ك: بنوا.
[11] ن - لهم.
[12] جميع النسخ: وإن كان؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٦و.
[13] ك ع: وبنوا.
[14] ن: الجذب.

والنقص[١] **من الثمرات** يضر **آل فرعون** ولا يضر بني إسرائيل، لما أنهم كانوا يأكلون للشهوة،[٢] وبنو[٣] إسرائيل للحاجة. فمن يأكل للحاجة كان أقل حاجة إلى الطعام ممن يأكل[٤] للشهوة، فإذا لم يجدوا ما يأكلون للشهوة كان ذلك[٥] أَضَرّ بهم. ألا ترى أنه قيل: «يأكل المؤمن في مِعًى[٦] واحد والكافر في سبعة[٧] أمعاء».[٨] أو خرج تخصيص ذلك لهم لما أن في عَقْد[٩] بني إسرائيل أن لله[١٠] أن يمتحنهم بجميع أنواع المحن، مرة بالشدة ومرة بالسعة، ومن عَقْد القبط لا، فأضيف إليهم ذلك لما لم يكن في عَقْدهم ذلك وإن كانوا جميعا في ذلك.

وقوله عز وجل: **لعلهم يَذَّكَّرون**، أي يتعظون.[١١] ولعل[١٢] من الله واجب. قد اتعظوا، لكنهم عاندوا وكابروا، وإلا قد لزمهم الاتعاظ.

﴿فَإِذَا جَاءَ تْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَ لَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٣١]

وقوله عز وجل: **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه**، أي الخصب والسعة، **قالوا لنا هذه**، أي هذا ما كنا نعرفه أبدا، وما جرينا على اعتياده. أو أن يقولوا: **لنا هذه** بفرعون وبعبادتنا له. **وإن تصبهم سيئة**، قيل: الضيق والقحط، **يطّيّروا بموسى**، وقالوا بشؤمه.

* وقوله عز وجل: **يَطّيّروا**، من الطِيَرَة، وهو من التشاؤم. يقال: تشاءمت بفلان، [٢٦٢ظ س٢٩] أي قلت: هو غير مبارك. وتطيّرت بفلان، أيضا[١٣] مثله. ويقال: تبرّكت به، إذا قلت: هو مبارك.

---

[١] ع: والنقض.
[٢] جميع النسخ: لشهوة.
[٣] ك ع: وبنوا.
[٤] م: فمن يأكل.
[٥] ع م: لهم.
[٦] ك: في مغي؛ ع: في مع.
[٧] جميع النسخ: لسبعة.
[٨] *صحيح البخاري*، الأطعمة ١٢؛ و*صحيح مسلم*، الأشربة ١٨٤. «واختلف في معنى الحديث؛ فقيل: ليس المراد به ظاهره، وإنما هو مَثَل ضُرِب للمؤمن وزهده في الدنيا، والكافر وحرصه عليها، فكأن المؤمن لتقلّله من الدنيا يأكل في معى واحد والكافر لشدة رغبته فيها واستكثاره منها يأكل في سبعة أمعاء...» (*فتح الباري بشرح صحيح البخاري* لابن حجر، ٥٣٧/٩). وفي معنى الحديث أقوال أخرى كثيرة ذكرها ابن حجر.
[٩] أي في اعتقاد...
[١٠] ع م: أن الله.
[١١] ن- فأضيف إليهم ذلك لما لم يكن في عقدهم ذلك وإن كانوا جميعا في ذلك قوله لعلهم يذكرون أي يتعظون، صح ه.
[١٢] ك: ولل.
[١٣] ك: أيضه.

ويقال: تطيّرت واطّيّرت منه وبه.[1] **ألا إنما طائرهم**، أي شؤمهم ذاك الذي يخافون منه هو من **عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون**، أنه[2] من عند الله كان بتكذيبهم موسى.* وهذا كما قالت[3] العرب لمحمد [كما أخبر تعالى عنهم بقوله]:[4] وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ، كانوا يضيفون ما يصيبهم من الحسنة إلى الله، لأنهم كانوا يقرون[5] بالله، والقبط لا، فيقولون:[6] ذلك[7] لنا من فرعون أو على الاعتياد. فقال: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ.[8] فعلى ذلك قال هاهنا: **ألا إنما طائرهم عند الله**. ثم يحتمل هذا وجوها. قيل: جزاء تَطَيُّرِهم **عند الله** في الآخرة. وقيل: **طائرهم** وشؤمهم الذي كانوا تطيّروا بموسى كان بتكذيبهم موسى. أضاف ذلك إلى ما عنده من الآيات، لأنهم بنزول[9] تلك الآيات وإرسالها عليهم تطيّروا[10] بموسى، [و]بتلك الآيات تَجَدَّدَ[11] تطيُّرهم وتشاؤمهم.[12] وقال بعضهم قوله: **إنما طائرهم عند الله**، أي حظّهم **عند الله**. وكذلك قال في قوله: أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ.[13] وهو كما ذكر: فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[14] لما كذّبوا تلك الآيات زاد ما نزل[15] من الآيات مِن بَعدُ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ. فعلى ذلك شؤمهم و **طائرهم** الذي كان بتكذيبهم موسى.*

[1] ك: به ومنه.
[2] ك + كان؛ م: بأنه.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٢ظ/سطر ٢٩-٣٢.
[3] ع م: كما قال.
[4] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٠ظ.
[5] ع: يقرؤن.
[6] ع م: لا يقولون.
[7] ع م + بل يقولون.
[8] ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله﴾ (سورة النساء، ٧٨/٤).
[9] ع: نزول.
[10] ع: يطيروا.
[11] ع م: تحذو.
[12] ن: وتشئامهم.
[13] ﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ (سورة الإسراء، ١٣/١٧).
[14] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥).
[15] ك + بهم؛ ع: ما ترك.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٢ظ/سطر ٢٩-٣٢.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[١٣٢]

وقوله عز وجل: **وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**، قال أبو بكر الكيساني: تأويله كلما تأتينا[1] به تزعم أنه[2] **آية تريد أن تسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين.** وقال ابن عباس والحسن:[3] أي **ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها**، الآية، وقوله: مَهْ، زيادة. وهو قول القُتَبي. ومعناه أي ما **تأتنا**. وقال الخليل:[4] هو في الأصل "ما ما"، إحداهما زيادة، فطرحت الألف وأبدلت مكانها هاء طَلَبًا للتخفيف.[5] وقال سيبويه النحوي:[6] قوله: **مهما تأتنا به من آية**، أي مَهْ،[7] كأنهم قالوا له: مَهْ، أي اسكت، كما يقول الرجل لآخر: مَهْ، أي اسكت،[8] **ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**. والسحر هو التحيير[9] وأخذ الأبصار، ولا حقيقة له. كقوله: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا،[10] أي متحيّرا،[11] وقولِه: سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ.[12] ثم دل قولهم: **مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**، أنّ ما قالوا: إن هذا ساحر، وإنه سحر، عن علم بالآية والنبوة له قالوا ذلك[13] / لا عن جهل وغفلة. [٢٦٣و]

---

[1] جميع النسخ: تأتنا.

[2] ع م – أنه.

[3] جميع النسخ + وهؤلاء.

[4] هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفَرَاهِيدِي البصري، كان رأسا في لسان العرب، وهو منشيء علم العَروض، وكان متواضعا ورعا متعبدا، أخذ عنه النحو سيبويه وغيره، وله *كتاب العين* في اللغة، توفي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٤٢٩/٧-٤٣١.

[5] «وأما مهما فإن أصلها "ما ما" ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاء ليختلف اللفظ. فـ"ما" الأولى هي ما الجزاء، و"ما" الثانية هي التي تزاد تأكيدا لحروف الجزاء مثل أينما ومتى ما وكيفما...» (*كتاب العين* للخليل بن أحمد، ٣٥٨/٣).

[6] هو أبو بِشْر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري، ولقبه سِيبَوَيْه، إمام النحو، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير. قيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الأربعين. توفي سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٣٥١/٨-٣٥٢.

[7] ك + أي

[8] ذكر ابن منظور هذا القول ولم ينسبه إلى أحد، ونسب القول الأول إلى سيبويه. انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «مهه».

[9] ع: هو التخيير.

[10] ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٠١/١٧).

[11] ع: أي متحيزا.

[12] سورة الأعراف، ١١٦/٧.

[13] ك: قالوا له ذلك.

حيث قالوا: **مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**، ذلك منهم إياس عن الإيمان به وقبول الآيات، لأنهم[1] أخبروا أنهم لا يقبلون[2] الآيات ولا يصدقونه في ذلك.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[١٣٣]

وقوله عز وجل: **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد**، إلى آخر ما ذكر، قال أهل التأويل: لما[3] قالوا ذلك أرسل الله بعد السنين ونقص[4] الثمرات **الطوفان** والآيات التي ذكر. ويحتمل أن يكون هذا وإن كان مؤخّرا في الذكر فهو مقدَّم لما قال: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ.[5] **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد**، إلى آخره، **لعلهم يذّكرون**، أي يتعظون. ثم اختلف أهل التأويل في **الطوفان**، قال بعضهم: **الطوفان**[6] الماء والمطر حتى خافوا الهلاك، وهو قول ابن عباس.[7] وعن عائشة[8] قالت: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الطوفان، فقال: «الموت».[9] فإن ثبت فهو هو. وقيل: **الطوفان** هو أنواع العذاب. **والجراد** هو المعروف. **والقُمَّل**، قال بعضهم: هو بنات الجراد، يقال[10] [لها] الدَّبَا.[11] وقيل: هو الجراد[12] الصغار التي لا أجنحة لها. **والضفادعَ والدم آياتٍ مُفَصَّلات**، قيل: **مُفَصَّلات**، أي مُفَرَّقات واحدا بعد واحد، لم يرسل آية إلا بعد ذهاب أخرى، بعضها على إثر بعض. وقيل: **مُفَصَّلات**، أي بيّنات واضحات مما علم[13] كل أحد

---

[1] ن ع م: لا أنهم.
[2] ع: لا يقبلو.
[3] ع م - لما.
[4] ع: ونقض.
[5] سورة الأعراف، ١٣٠/٧.
[6] ك - الطوفان.
[7] *تفسير الطبري*، ٣٠/٩-٣١. وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٢٠/٣.
[8] ع: وعائشة.
[9] *تفسير الطبري*، ٣١/٩. وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥١٩/٣. وقال ابن كثير: «حديث غريب» (*تفسير ابن كثير*، ٢٤١/٢). وذكر ابن حجر أنه رواه ابن مردويه بإسنادين ضعيفين؛ انظر: *فتح الباري بشرح صحيح البخاري* لابن حجر، ٣٠٠/٨.
[10] ع: ويقال.
[11] الدَّبَا هو الجراد قبل أن يطير، وقيل: الدَّبَا أصغر ما يكون من الجراد والنمل (*لسان العرب* لابن منظور، «دبى»).
[12] ن: هو جراد.
[13] جميع النسخ: ما علم.

أنه ليس[١] من عمل السحر، ولكن آية سماوية؛ إذ لو[٢] كان سحرا لتكلّفوا في دفعه،[٣] واشتغلوا بالسحر على ما اشتغلوا[٤] بسحر العِصِيّ والحبال،[٥] فإذا لم[٦] يتكلّفوا في ذلك ولم[٧] يشتغلوا بدفع ذلك بل فزعوا إلى موسى ليكشف ذلك عنهم ووعدوا له الإيمان به[٨] وإرسال بني إسرائيل معه دلّ فزعهم إليه في كشف ذلك عنهم[٩] على أنهم قد عرفوا أنه ليس بسحر، ولكنه آية. وقد[١٠] أقروا بها أنها ليست بسحر وأنها آيات، لأنهم[١١] فزعوا عند ذلك إلى موسى.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١٣٤]

*وقوله عز وجل: **ولما وقع عليهم الرجز**، قيل: **الرجز** ألوان العذاب الذي كان نزل بهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع[١٢] والدم وما ذكر.[١٣]* فقالوا:[١٤] **ادعُ لنا ربّك بما عَهِد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل**، ووعدوا له الإيمان به وبَعْثَ بني إسرائيل معه إن كشف عنهم الرجز. وقوله عز وجل: **بما عهد عندك**، اختلف فيه. قال بعضهم: **بما عهد عندك**، ما عهد لك أنك متى دعوته أجابك. وقيل: **بما عهد عندك**، أنّا متى آمنا بك وصدّقناك كشف عنا الرجز. فقالوا له:[١٥] **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل.***

[٢٦٣و س١٩ - ٢٦٣و س٢١]

---

[١] ع م + من أحد وليس.
[٢] ع م: إن لو.
[٣] ع م: في وقعة.
[٤] ع - بالسحر على ما اشتغلوا.
[٥] ع: والجبال.
[٦] ك ع: فإذ لم.
[٧] ن ع م: لم.
[٨] ن - به.
[٩] ن - عنهم.
[١٠] ع م - وقد.
[١١] جميع النسخ: الا انهم.
[١٢] ن ع م - والضفادع.
[١٣] ن: وما ذكرنا.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٣و/سطر ١٩-٢١.
[١٤] م: فقال.
[١٥] ك ع م - له.
وقع هنا مقطع من في تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٤و/سطر ١٩-٢١.

قالوا: **لئن كشفت عنا الرجز**، يحتمل أن يكون كلما حلّ[1] بهم نوع من العذاب فسألوا أن يكشف عنهم فقالوا: **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل**، فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك، وعادوا إلى ما كانوا من قبل. ويحتمل أن يكون[2] قولهم لموسى: **ادْعُ لنا ربَّك بما عَهِد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك**، بعد ما حلّ بهم أنواع العذاب. عند ذلك قالوا: **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك**. فلما كشف ذلك[3] عنهم نكثوا عهدهم، وهو قولهم: **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك**، وعادوا إلى ما كانوا، فعند ذلك كان ما ذكر من قوله: فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ.[4]

وقوله: **لنؤمننّ لك**، بما تدعي بأنك رسول، **ولنرسلن معك بني إسرائيل**، أمكن أن يكون ليس على نفس الإرسال، ولكن على ترك الاستعباد، أي[5] لا نستعبدهم بعد هذا، لأنهم كانوا يستعبدون بني إسرائيل.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[١٣٥]

وقوله عز وجل: **فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون**، قال الحسن: قوله: **كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه**، لو أطاعوا[6] وَوَفَوْا[7] بالعهد الذي عهدوا، لكنهم لما نكثوا ذلك انتقم منهم. وهذا الحرف يؤدي إلى مذهب الاعتزال، لأنهم يقولون: إن من قُتِل أو عُذِّب تعذيبَ إهلاك إنما هلك قبل أجله، وأجله الموت. لكن هذا يصلح ممن يجهل العواقب. فأما الله[8] سبحانه يتعالى عن ذلك أن يجعل له أجلين، أحدهما الموت، والآخر القتل. ولكن جَعَل أجلَ من في علمه أنه يُقتَل القتلَ، ومن يموت حَتْف أنفِه الموتَ. وكذلك[9] ما روي في الخبر أن «صلة الرحم تزيد في العمر»،[10]

---

[1] ن: كلما أحل.
[2] م + كلما حل بهم نوع من العذاب أن يكون.
[3] ع م – ذلك.
[4] سورة الأعراف، ٧/١٣٦.
[5] ن – أي.
[6] ن ع م: ولو أطاعوا.
[7] م: وأوفوا.
[8] م: وأما الله.
[9] ن – وكذلك.
[10] روي بهذا اللفظ عن أبي أمامة وغيره مرفوعا؛ انظر: *المعجم الكبير* للطبراني، ٨/٢٦١؛ و*كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/٢٩. وحسن الهيثمي إسناد حديث أبي أمامة؛ انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣/١١٥. وروي في هذا المعنى أحاديث عديدة، منها ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا: «من أحب أن يُبسَط له في رزقه ويُنسَأ له في أثَره فليَصِل رحمه» (*صحيح البخاري*، الأدب ١٢؛ و*صحيح مسلم*، البر والصلة ٢١). وورد في بعض الروايات: «... وأن يمد في أجله...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/١٥٦). وهو يفسر الرواية السابقة.

أي من علم منه أنه يصل رحمه جعل عمره أَزْيَدَ ممن يعلم أنه لا يصل رحمه، لا أنه يجعل عمره إلى وقت، ثم إذا وصل رحمه زاد، لما ذكرنا أن ذلك أَمْرُ من يجهل العواقب، وأما من يعلم ما كان وما يكون أنه لو كان كيف يكون فلا.[١]

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[١٣٦]

وقوله عز وجل: **فانتقمنا منهم**، يحتمل أن يكون قوله: **فانتقمنا منهم**، ما ذكر على إثره من الغرق: **فأغرقناهم في اليم**. ويحتمل أن يكون قوله: **فانتقمنا منهم**،[٢] بالطوفان[٣] وأنواع[٤] العذاب الذي كان حل بهم، ثم كان[٥] الإغراق من بعد. وقوله عز وجل: **بأنهم كذبوا بآياتنا**، يحتمل الآيات التي جاء بها موسى على وحدانية الله تعالى وربوبيته، وهي الحجج. أو الآيات[٦] التي تقدم ذكرها من الطوفان والجراد والقمل / وما ذكر. وقال[٧] الحسن: **بآياتنا** ديننا. وقوله: [٢٦٣ظ] **وكانوا عنها غافلين**، قيل: معرضين مكذبين بها، لا أنهم كانوا على غفلة وسهو عنها، لكنهم أعرضوا عنها معاندين مكابرين[٨] كأنهم[٩] غافلون[١٠] عنها. وجائز أن يكونوا[١١] **غافلين** عما يحل بهم من العقوبة بتكذيبهم.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[١٣٧]

وقوله عز وجل: **وأورثنا القوم الذين كانوا يُستَضعَفون مشارق الأرض ومغاربها**،

---

[١] جميع النسخ: لا.
[٢] ن – ما ذكر على إثره من الغرق فأغرقناهم في اليم ويحتمل أن يكون قوله فانتقمنا منهم.
[٣] جميع النسخ: من الطوفان.
[٤] ن: ووأنواع.
[٥] ن + بهم.
[٦] م: والآيات.
[٧] ع: قال.
[٨] ع م: مكابرين معاندين.
[٩] ن – كأنهم.
[١٠] جميع النسخ: غافلين.
[١١] م: أن يكون.

هو ما سبق من الوعد لهم بوراثة الأرض[1] وإنزالهم[2] فيها، وهو قوله: عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ،[3] وكقوله: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ.[4] كان وعد لهم الاستخلاف والإنزال في أرض عدوهم، ثم أخبر أنه أنزلهم وأورثهم على ما وعد[5] لهم بقوله: **وأورثنا القوم الذين كانوا يُستَضعَفون** باستعبادهم.* وقيل في قوله:[6] **كانوا يُستَضعَفون**، يعني بالاستضعاف قتل الأبناء واستحياء النساء بأرض مصر. ورّثهم الله ذلك.* [٢٦٣ظ س٢٤ – ٢٦٣ظ س٢٥]

وقوله:[7] **مشارقَ الأرض ومغاربها**، قيل فيه بوجوه. قيل: **مشارق الأرض ومغاربها** مملكة فرعون، مصر ونواحيها، ما يلي ناحية الشرق وناحية الغرب. وقيل: كان في بني إسرائيل من بلغ ملكه **مشارق الأرض ومغاربها**[8] من نحو ذي القرنين وداود وسليمان. وقيل: **مشارقَ الأرض ومغاربها** أن فُضِلُوا[9] على أهل **مشارق الأرض ومغاربها**، كقوله: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.[10] قيل:[11] عالمي ذلك الزمان.[12] ثم تفضيله إياهم على البهائم بالجوهر والخلقة، وعلى الجن بالرسالة والنبوة والمنافع، وعلى جوهرهم من بني آدم بالرسالة والحكمة والملك، كقوله: وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[13]

وقوله عز وجل: **التي باركنا فيها**، قيل: أرض الشام. وقيل: أرض مصر[14] ونواحيها. وقيل: سماها مباركة[15] لأنها مكان الأنبياء عليهم السلام. وقيل: مباركة لكثرة[16] أنزالها وسعتها.

---

[1] م + فيها.
[2] ع – وإنزالهم.
[3] سورة الأعراف، ١٢٩/٧.
[4] سورة القصص، ٥/٢٨.
[5] ع: ما عد.
[6] ع – أي أهلكنا وأفسدنا يعرشون يعرش ويعرش يعني يبنون من البيوت والكروم والأشجار وقيل في قوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٣ظ/سطر ٢٤–٢٥.
[7] ع م – وقوله.
[8] ع م + كقوله وفضلناهم على العالمين قيل عالمي زمانهم.
[9] م: أن نصلوا.
[10] سورة الجاثية، ١٦/٤٥.
[11] ك + على.
[12] ع م: عالمي زمانهم.
[13] سورة المائدة، ٢٠/٥.
[14] م: لمصر.
[15] جميع النسخ: سماه مباركا.
[16] ن: لكثر.

وقوله عز وجل: **وتمت كلمة ربك الحسنى**، قيل:[١] هي الجنة، أي **تمت** لهم الجنة **بما صبروا**. وقيل: **وتمت كلمة ربك الحسنى**، بما كان وعد لهم أنه ينزلهم فيها ويستخلفهم، تم ذلك[٢] الوعد لهم.[٣] وهو كما قال:[٤] وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ، تم ما[٥] وعد لهم أن يمنّ عليهم. وقوله عز وجل: **بما صبروا**، يحتمل **بما صبروا**[٦] على أذى فرعون. ويحتمل **بما صبروا** على أداء[٧] ما أوجب[٨] عليهم. *والله أعلم*.* وقيل في قوله:[٩] **وتمت كلمة** [٢٦٣ظ س٢٦ **ربك الحسنى**: هي النعم[١٠] التي أنعم، **على بني إسرائيل بما صبروا**، على البلاء حين كُلِّفوا ما لا يطيقون من استعباد فرعون إياهم، والكلمة [هي] التي ذكر ما ذكر في القصص من قوله: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ.* ٢٦٣ظ س٢٨]

وقوله عز وجل: **ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يَعرِشون**، قال بعضهم: قوله: **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه**، على الوقف على قومه،[١١] **وما كانوا يعرشون**، معطوفا على قوله: **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها**[١٢]... **وما كانوا يعرشون**، وهو من العرش الذي يتخذه الملوك. وقيل: **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** أيضا، أي أهلكنا **ما كانوا يعرشون**. قال القُتَبي: **يعرشون** أي يبنون،[١٣] والعَرْش: البيت،[١٤] والعَرْش: السقف.[١٥] وقال أبو عَوْسَجة:

---

[١] ن: فقيل.
[٢] ن: ثم ذلك.
[٣] ع م – لهم.
[٤] ن ع م: ما قال.
[٥] ن: ثم ما.
[٦] ع – يحتمل بما صبروا.
[٧] جميع النسخ: من أداء.
[٨] ك: ما وجب.
[٩] ن + في قوله.
[١٠] ك م: وهي النعمة؛ ن ع: وهي النعم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٣ظ/سطر ٢٦-٢٨.
[١١] ع – على قومه.
[١٢] ن: ونواحيها.
[١٣] ن ع: أي يبينون.
[١٤] جميع النسخ: بيوت.
[١٥] جميع النسخ: سقوف. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٢.

ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه، أي أهلكنا وأفسدنا؛ **يعرشون**، يَعرِش ويَعرُش[1] يعني يبنون من البيوت والكُرُوم والأشجار.[2]*

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[١٣٨]

وقوله عز وجل: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر**، دل هذا على أن لله[3] في فعل العباد صُنعا وفعلا،[4] حيث أضاف ونسب المجاوزة إلى نفسه، وهم الذين جاوزوا البحر، دل أن له في فعلهم صُنعا.[5] وهذا ينقض على المعتزلة، حيث أنكروا خلق أفعال العباد. *وبالله المعونة والعصمة.*

وقوله عز وجل: **فأتوا على قوم يَعْكُفون على أصنام لهم**، العُكُوف هو المُقام والدوام. وقوله: **يَعْكُفون على أصنام لهم**، أي وجدوهم[6] عُكُوفا على عبادة الأصنام مقيمين على ذلك.

وقوله: **قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة**، يشبه أن يكون سؤالهم **إلها** يعبدونه لا على الكفر بربهم والتكذيب لرسوله، ولكن لما لم يروا أنفسهم أهلا لعبادة الله[7] والخدمة له، لما رأوا في الشاهد أنه لا يخدم[8] الملوك إلا الخواصّ لهم والمقرّبون[9] إليهم، ومَن بَعُد منهم يخدم خواصّهم. فعلى ذلك هؤلاء سألوا موسى **إلها** يعبدونه لما لم يروا أنفسهم أهلا لعبادة الله والخدمة له، لتقرّبهم[10] عبادة تلك الأصنام إلى الله. ويخرج ذلك مخرج التعظيم لله والتبجيل، لا على الكفر وصرف العبادة عنه إلى غيره. وكذلك كان عادة العرب أنهم كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم عبادتها إلى الله زُلْفَى.[11] وكذلك ما ذكر في بعض القصة أن فرعون كان يتخذ لقومه أصناما يعبدونها[12] لتقرّبهم عبادة تلك الأصنام إليه زُلْفَى.[13]

---

[1] م: ويغرس.
[2] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «عرش».
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية متأخرين عن موضعهما، فقدمناهما إلى موضعهما المناسب؛ انظر: ورقة ٢٦٣ظ/سطر ٢٤-٢٨.
[3] ك: أن الله.
[4] جميع النسخ: صنع وفعل.
[5] جميع النسخ: صنع.
[6] ن ع م: أي وجدهم.
[7] ن ع م: للعبادة لله.
[8] ك ن ع: لم يخدم.
[9] ك ن ع: والمقربين.
[10] ك: ليقربهم.
[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نَعْبُدُهم إلا لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[12] ن: يعبدون.
[13] ع – وكذلك ما ذكر في بعض القصة أن فرعون كان يتخذ لقومه أصناما يعبدونها لتقربهم عبادة تلك الأصنام إليه زلفى.

فعلى ذلك سؤال هؤلاء لموسى **اجعل لنا إلها**. *والله أعلم*. أو كان سؤالهم ذلك لما لم يروا في الشاهد أحدا يُخدَم إلا لحاجة تقع له إلى ذلك، فرأوا أن الله / يتعالى[1] عن[2] أن يُعبَد ويُخدَم للحاجة؛ ويخدمون القادةَ [٢٦٤و] والرسلَ ويعبدونهم لما رأوا [أنهم] ينالون من النعم وأنواع المنافع من الرؤساء والكبراء، لذلك كانوا يخدمونهم.[3] وأما أهل التوحيد فإنهم لا يرون العبادة لغير الله، لأنه ما من أحد وإن بَعُد منزلته ومحله إلا وآثار نعم الله عليه ظاهرة حتى عرف ذلك كل أحد، حتى لو بُذِل له جميع حُطام الدنيا أو أُوعِد بكل أنواع الوعيد[4] ليترك[5] الدين الذي[6] هو عليه ما ترك[7] البَتَّة.* ويحتمل أن يكون سؤالهم **إلها** يعبدونه[8] لما أن أهل الكفر قالوا لهم: إن الرسل هم الذين أمروهم بعبادة الأصنام، كقوله: وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا؛[9] فعلى ما قالوا: إن الرسل هم الذين أمروهم بذلك، سألوا موسى أن يجعل لهم إلها[10] **كما لهم آلهة**.

[قال إنكم قوم تجهلون].* وفي أمر موسى صلوات الله عليه خصلتان. أحدهما[11] أن يُعلَم [٢٦٤و س ٤ أنْ كيف يأمر[12] بالمعروف وينهى عن المنكر، وكيف يعامل مرتكب الفسق[13] والمنكر. يعامل على ما عامل[14] موسى قومه باللين والشفقة وإن استقبلوه[15] بالعظيم من الأمر والمناكير. والثانية...[16]* ٢٦٤و س ٧]

---

[1] ك: تعالي.

[2] م – عن.

[3] قال الشارح: «ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾، لم يريدوا بذلك جعل الأصنام لهم آلهة يعبدونها، لكن أرادوا أن يجعل لهم قادة ورؤساء يخدمونهم ويعظمونهم، فيكونون سُفراء بينهم وبين موسى، وليكون لهم من أولئك الرؤساء النعم وأنواع المنافع، كما رأوا قوما ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾، أي رأوا قوما يقيمون على خدمة رؤسائهم وعظمائهم، ونالوا منهم النعم وأنواع المنافع، فتمنوا ذلك، لا أنهم سألوا منه أن يعبدوا غير الله تعالى...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٧ظ).

[4] ك: العذاب.

[5] ع: لينزل.

[6] م – الذي.

[7] ع: ما نزل.

* وقع هنا مقطع متقدم على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٤و/سطر ٤-٧.

[8] ن: يعبدون.

[9] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[10] ك: إلها لهم.

[11] م: إحديهما.

[12] ك م: يؤمر.

[13] ن + ألبتة.

[14] ن: ما عمل.

[15] م: وإن استقبلواه.

[16] جميع النسخ هكذا. وفي هامش نسخة ك: "في الأصل هكذا بياض." وترك في المتن بياض بمقدار سطر تقريبا.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٥و/سطر ٤-٧.

﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٣٩]

وقوله: **إن هؤلاء مُتَبَّر ما هم فيه**، أي إن عبادتهم لهؤلاء **مُتَبَّر**، أي مُهلكهم ومُفسدهم،[١] **وباطل ما كانوا يعملون**، أي **باطل ما**[٢] يأملون بعبادتهم هؤلاء. وقال القُتَبي: التبار الهلاك.[٣] وقال أبو عَوْسَجَة: المُتَبَّر المفسَد، يقال: تبَرت الشيء، أي أفسدته، ويقال: رجل **مُتَبَّر**، أي مفسَد.[٤]

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١٤٠]

وقوله عز وجل: **قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضّلكم على العالمين**، يحتمل قوله: **فَضَّلكم على العالمين**، بما هداكم ووفّقكم للهداية بما لم يوفق ولم يهد[٥] أحدا[٦] من عالمي زمانكم. ويحتمل قوله: **أبغيكم إلها**، دونه وقد **فضَّلكم** بما استنقذكم من استخدام فرعون وقَهْرِه إياكم، وأخرجكم من يده، وأعطاكم رسولا يبيّن لكم عبادة إلهكم الحق. وقوله: **أَغَيْرَ الله أَبْغِيكم إلها وهو فَضَّلكم على العالمين**، يقول: أما تستحيون ربكم أن تسألوا[٧] **إلها**[٨] تعبدونه دونه، وقد **فَضَّلكم**[٩] بما ذكر من أنواع النعم التي ذكر.[١٠] ***والله أعلم***.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[١٤١]

وهو[١١] ما ذكر في قوله:[١٢] **وإذ أنجيناكم من آل فرعون**، الآية، يذكّرهم نعمه عليهم بما استنقذهم من فرعون وآله وأهلكهم.[١٣] وقوله عز وجل: **يسومونكم**، قيل:[١٤] يعذبونكم،

---

[١] «أي إن هؤلاء مفسد ما هم فيه، أي من العبادة لغير الله تعالى واتخاذهم الأصنام آلهة وإن عبادتهم لغير الله مهلكهم ومفسدهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٧ظ).

[٢] ن + كانوا.

[٣] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٧٢.

[٤] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «تبر».

[٥] ع: ولم يوفق.

[٦] ع - أحدا؛ م + من العالمين.

[٧] ع: لا تسألوا.

[٨] ن - إلها.

[٩] ن: وفضلكم؛ م: وهو فضلكم.

[١٠] م - التي ذكر.

[١١] إشارة إلى الآية السابقة، أي ما ذكر الله من النعم التي فضلهم بها على العالمين هو...

[١٢] ن م: من قوله.

[١٣] ع: وأهلكم.

[١٤] ن - قيل.

سوء العذاب، قتل الأبناء واستحياء النساء.[١] فذلك قوله: **يُقَتِّلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم**، قيل: في ذلك، يعني فيما أنجاكم من آل فرعون، **بلاء من ربكم عظيم**، يعني نعمة **من ربكم عظيم**. ويقال: البلاء بالمد هو النعمة، وبغير المد مقصورا[٢] الشدة.[٣]

﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[١٤٢]

وقوله عز وجل: **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر**، ذكر هاهنا **ثلاثين ليلة**، ثم ذكر التمام بالعشرة، وذكر في السورة التي فيها[٤] ذكر البقرة[٥] أربعين ليلة بقوله: وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.[٦] وهو واحد، كان الميعاد[٧] له أربعين ليلة.[٨] لكنه يحتمل ذكر **ثلاثين** مرة وعشرا [بعد ذلك] وجهين. أحدهما[٩] أن **ثلاثين ليلة** كان لأمر،[١٠] وعَشْرًا[١١] كان لأمر آخر، فذكر متفرقا[١٢] لما كان لأمرين مختلفين. والثاني أنه كان[١٣] في وقتين، كان هذا في وقت والآخر في وقت، والقصة واحدة والميعاد واحد؛ فذكر التمام بعشر كقوله: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ،[١٤] أي[١٥] وإن كان في وقتين. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فتَمّ ميقات ربه أربعين ليلة**، قيل: تم الميعاد الذي وعد له **أربعين ليلة**.

---

[١] ن ع: البنات.
[٢] ك ن ع: مقصور.
[٣] ولكن المعروف أن البلاء يستعمل في الخير والشر؛ انظر: (*لسان العرب* لابن منظور، «بلو»).
[٤] م – فيها.
[٥] ن: في البقرة.
[٦] سورة البقرة، ٥١/٢.
[٧] م: كالمعياد.
[٨] ع – وهو واحد كان الميعاد له أربعين ليلة.
[٩] ع: أحدها.
[١٠] ن: كان الأمر.
[١١] ن ع م: وعشر.
[١٢] م: متفرقة.
[١٣] ع: أن كان.
[١٤] سورة البقرة، ١٩٦/٢. والآية في كفارة المحصَر في الحج.
[١٥] ن ع م + ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة.

وقوله عز وجل: **وقال موسى لأخيه هارون اخلُفْني في قومي**. فإن قيل: ما معنى قول **موسى لأخيه هارون اخلُفْني في قومي**، وهو كان مبعوثا معه رسولا[1] إلى فرعون مشتركا[2] في تبليغ الرسالة إلى فرعون، كقوله: وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي،[3] وقوله: إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[4] وقوله: فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ،[5] وقوله: وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا؛[6] فإذا كان هو رسولا كموسى في تبليغ الرسالة كيف احتاج إلى أن يقول له[7] موسى: **اخلُفْني في قومي**، وهما شرعًا سواءٌ في الرسالة؟

قيل: يحتمل هذا وجهين. يحتمل[8] أن يكونا كما ذكر رسولين، لكن من ولّى اثنين أمرا لم يكن لواحد منهما أن يتفرد به إلا بأمر الآخر؛ فعلى ذلك هذا، كأنه قال له: **اخلفني في** الحكم بينهم، **وأصلح** ذات بينهم، **ولا تتبع** من دعاك إلى **سبيل المفسدين**. أو يحتمل أن يكون موسى كان هو الرسول إذًا، وكان إليه الحكم، وهارون كان دَخِيلا في أمره رِدْءًا له على ما قال: فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي،[9] وإلا موسى كان هو المأمور بها أولا والمبعوث إليهم دونه. ألا ترى أنه كان هو المناجي ربه دون هارون، وكان هو المعطَى الألواح دون هارون، كقوله: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ،[10] وهو الذي قال: إِنِّي آنَسْتُ نَارًا،[11] وهو الذي نودي[12] بالبركة دون هارون،[13] وغير ذلك من الآيات. فإذا كان كذلك استخلفه موسى في قومه.

---

[1] جميع النسخ: رسولان.
[2] ن: شركا؛ ع: شركاء.
[3] سورة طه، ٣٢/٢٠.
[4] ﴿فَأْتِيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ (سورة الشعراء، ١٦/٢٦).
[5] سورة طه، ٤٧/٢٠.
[6] سورة القصص، ٣٤/٢٨.
[7] ك ع م – له.
[8] ك ن ع – يحتمل.
[9] الردء: العون والناصر (*لسان العرب* لابن منظور، «ردأ»).
[10] سورة الأعراف، ١٤٥/٧.
[11] سورة طه، ١٠/٢٠؛ وسورة النمل، ٧/٢٧؛ وسورة القصص، ٩/٢٨.
[12] ع – نودي.
[13] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلمّا جاءها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَن في النار ومَن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾ (سورة النمل، ٨/٢٧).

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٤٣]

وقوله عز وجل: **ولما جاء موسى لميقاتنا**، أي لميعادنا الذي وعدناه. **وكلّمه ربه**؛ لا يجوز لنا أن نصف كيفية الكلام ومائيته، سوى أنه[١] أنشأ كلاما وصوتا أسمعه[٢] / موسى كيف شاء [٢٦٤ظ] بما شاء[٣] بكلام مخلوق وصوت مخلوق.

قال ربّ أَرِني أَنظرْ إليك قال لن تراني، الآية. قال قائلون: إن موسى لم يسأل ربه الرؤية لنفسه، ولكنه سأل لقومه لسؤال القوم له، كقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً.[٤] لكن هذا بعيد،[٥] لأنه لو كان سؤاله إياه لسؤال قومه لكان لا يقول: **رب أرني أنظر إليك**، ولكن يقول:[٦] أرهم ينظروا[٧] إليك،[٨] فدل أنه لم يكن لذلك. وقال قائلون: لم يكن سؤالُه ربّه رؤيةَ الرب، ولكن سأل ربّه رؤيةَ الآيات[٩] والأعلام والأدلة التي بها يُرَى. وذلك جائزٌ:[١٠] سؤالُ رؤيةِ الآيات والأعلام. وذلك[١١] أيضا[١٢] بعيد، لأنه قد كان[١٣] أعطاه من الآيات والأعلام ما لم يكن له الحاجة إلى غيرها من الآيات، من نحو العصا التي كان يضرب بها الحجر فتَفَجَّر[١٤] منه اثنتا عشرة[١٥] عينا، وما كان من فَرْق البحر وإهلاك العدو واليد البيضاء وغير ذلك من الآيات. فإذا بطل ذلك دل أنه سأل حقيقة الرؤية.

---

[١] ن – أنه.
[٢] ن: سمعه.
[٣] ع: بمشاء.
[٤] سورة البقرة، ٢/٥٥.
[٥] ع: يعبد.
[٦] ن – يقول.
[٧] جميع النسخ: ينظرون.
[٨] ع: أولئك.
[٩] م + رؤية الآيات.
[١٠] جميع النسخ + سؤال الرؤية.
[١١] م: فذلك.
[١٢] ع م – أيضا.
[١٣] ع م – كان.
[١٤] ك: فينفجر.
[١٥] ن: اثنتا عشر.

والقول بها لازم عندنا في الآخرة وحَقٌّ، من غير إدراك ولا تفسير.[1] والدليل على ذلك قوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ،[2] ولو كان لا يُرَى لم يكن لنفي الإدراك حكمة، إذ لا يُدرَك غيرُه بغير الرؤية. فموضع[3] نَفْيِ الإدراك[4] -وغيرُه من الخلق لا يُدرَك إلا بالرؤية- لا معنى له. **والله الموفق**. وأيضا قول موسى: **رب أرني أنظر إليك**، الآية، ولو كان لا يجوز الرؤية لكان منه جهل بربه، ومن يجهله لا يحتمل أن يكون موضعا لرسالته، أمينا على وحيه. وبعد، فإنه[5] لم ينهه ولا آيَسَه.[6] وبدون ذلك قد نهى نوحا،[7] وعاتب[8] آدم وغيرهما[9] من الرسل. ولو[10] كان لا يجوز لبلغ الكفر. ثم قال: **فإن استقر مكانه فسوف تراني**.[11]

فإن قيل: لعله سأل[12] آية يَعلم بها[13] [ربه].

قيل: لا يحتمل ذا لوجوه. أحدها أنه قال: **لن تراني**، وقد أراه الآية. وأيضا إن طلب الآيات يخرج مخرج التعنُّت، إذ قد أراه الآيات على ما ذكرنا،[14] وذلك صنيع الكفرة، أنهم لا يزالون يطلبون الآيات وإن كانت الكفاية قد ثبتت[15] لهم، فمثله ذلك.[16] وأيضا إنه قال: **فإن استقر مكانه فسوف تراني**، والآية التي يستقر معها الجبل هي دون التي لا يستقر معها. ثبت أنه لم يرد بذلك الآية.

---

[1] ك: ولا تغيير.
[2] سورة الأنعام، ١٠٣/٦.
[3] ع م: فوضع.
[4] أي الإدراك بهذه القوة المخصوصة بإدراك الأشياء.
[5] ع: فإن.
[6] ن ع: ولا اياسة.
[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عَمَلٌ غير صالح فلا تسألنِ ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ (سورة هود، ٤٥/١١-٤٦).
[8] ع: وعابت.
[9] جميع النسخ: وغيره.
[10] ن ع م: وذلك لو.
[11] أي وهذا يدل على جواز الرؤية، لأن استقرار الجبل أمر جائز.
[12] ك: سألت.
[13] ك - بها.
[14] ع: ما ذكر.
[15] ن ع: قد ثبت.
[16] م + أيضا.

وأيضا محاجّة إبراهيم عليه السلام قومه في النجوم وما ذكر بالأُفول والغَيبة، ولم يحاجّهم بأنْ لا أحبّ[١] ربا يُرَى، ولكن حاجّهم بأنْ لا أحبّ[٢] ربا يأفُل،[٣] إذ هو دليل عدم الدوام. **ولا قوة إلا بالله**.

وأيضا قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ،[٤] ثم لا يحتمل ذلك الانتظارَ [لثواب الله][٥] لوجوه. أحدها أن الآخرة[٦] ليست بوقت للانتظار،[٧] إنما هي الدنيا. وهي دار الوقوع والوجود إلا في وقت الفزع وقبل أن يعاينوا في أنفسهم ما له حق الوقوع.

والثاني[٨] قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، وذلك وقوع الثواب.[٩]

والثالث قوله: إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، و"إلى" حرف يستعمل في النظر إلى الشيء، لا في الانتظار.

والرابع أن القول به يخرج[١٠] مخرج البِشارة لعظيم ما نالوه من النعم، والانتظار ليس منه. مع ما كان الصرف عن حقيقة المفهوم قضاءً على الله.

فيلزم القول بالنظر إلى الله كما قال، على نفي جميع معاني الشَّبه عن الله سبحانه، على مثل ما أضيف[١١] إليه من الكلام والفعل والقدرة والإرادة. إنه يجب الوصف به على نفي جميع معاني الشَّبه، وكذلك القول بالهَسْتِيّة.[١٢] فمن زعم أن الله لا يقدر أن يكرم أحدا[١٣] بالرؤية فهو يُقَدِّر في الرؤية التي فهمها من الخلق. وإذا كان القول بـ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى،[١٤]

---

[١] جميع النسخ: لا نحب.

[٢] ك ن: لا نحب.

[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما جَنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٧٦).

[٤] سورة القيامة، ٧٥/٢٢-٢٣.

[٥] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٨ظ.

[٦] ع م: أن الآخر.

[٧] ن: الانتظار.

[٨] ع + في.

[٩] وعبارة الشارح هكذا: «... أحدها أن الآخرة ليست بوقت الانتظار، إنما هي الدنيا، أما الآخرة هي دار وقوع الثواب ووجود الجزاء إلا في وقت الفزع. ولأنه قال ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، ونضرة الوجوه من باب وقوع ووجود الجزاء إلا في وقت الفزع. ولأنه قال ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾، ونضرة الوجوه من باب وقوع الثواب. وفي وقت وقوع الثواب لا معنى للانتظار» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٨ظ).

[١٠] ك: خرج.

[١١] ن ع - أضيف.

[١٢] م: بالشبه. و الهَسْتِيّة كلمة فارسية بمعنى وجود الشيء في الخارج.

[١٣] م: أحد.

[١٤] سورة طه، ٢٠/٥.

وغير ذلك من الآيات لا يجب[1] دَفْعُها بالعَرْض على المفهوم من الخَلْق، بل يحقَّق ذلك على نفي الشَّبه، فمثله خبر الرؤية.

وأيضا[2] قوله: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ،[3] وجاء في غير خبر [أن الزيادة في] النظر إلى الله.[4] وقد يحتمل غير ذلك مما جاء فيه التفسير، لكنه لولا أن القول بالرؤية كان أمرا ظاهرا لم يحتمل صرفُ ظاهرٍ لم يجيء فيها إليها،[5] ويُدفَع به الخبر.[6] **والله أعلم**.

وأيضا ما جاء عن رسول الله صلى الله وسلم في غير خبر أنه قال: «سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، لا تُضَامُون [في رؤيته]».[7] وسئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «بقلبي[8] فبلى»،[9] فلم ينكر على السائل[10] السؤال. وقد عَلِم السائل[11] رؤية القلب، إذ هي عِلْم قد عَلِمه، وإنه لم يَسأل عن ذلك. وقد حذّر الله المؤمنين عن السؤال عن أشياء[12]

---

[1] ع م: لا يجوز.

[2] ع: أيضا.

[3] سورة يونس، ٢٦/١٠.

[4] عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: إن لكم عند الله موعدا، قالوا: ألم يُبَيِّض وجوهنا ويُنْجِنا من النار ويُدخِلْنا الجنة؟ قالوا: بلى -قال- فينكشف الحجاب -قال- فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه (*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٩٧؛ *وسنن الترمذي*، صفة الجنة ١٦). وانظر للأحاديث والآثار مجموعة: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٦/٤-٣٦٠.

[5] ع - إليها.

[6] ك: بها الخبر. أي إن لم تكن رؤية الله عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم من جمهور العلماء حقيقة واضحة لم يمكن حمل نص لم يرد في شأن الرؤية على الرؤية، حتى أنه كان من الممكن أن يترك الخبر الدال على أن الزيادة بمعنى الرؤية. قارن: *كتاب التوحيد* للمؤلف، ١٢٤.

[7] ع م: لا يضامون. وانظر للحديث: *صحيح البخاري*، التوحيد ٢٤؛ وصحيح *مسلم* الإيمان ٢٩٩-٣٠٠. يُروَى هذا الحديث بالتشديد "لا تُضَامُّون" من الضَمّ أي الاجتماع، والتخفيف "لا تُضَامُون" من الضَّيم أي الظلم، فالتشديد معناه لا ينضمّ بعضكم إلى بعض وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها على تَفاعَلون وتُفاعَلون، ومعنى التخفيف لا ينالكم ضَيْم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، والضَّيْم الظلم (*لسان العرب* لابن منظور، «ضمم، ضيم»).

[8] ع: فقلبي.

[9] ع: قبلي؛ م: قلبي. لم أجده بهذا اللفظ. لكن روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله عز وجل: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ (سورة النجم، ١١/٥٣): رأى محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٣/١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٨٥؛ *وسنن الترمذي*، التفسير سورة ٥٣). وعن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ، أنّى أَرَاه؟» (*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٩١). وفي رواية لابن خزيمة عن أبي ذر قال: رآه بقلبه، ولم يره بعينه. انظر: *فتح الباري* لابن حجر، ٦٠٨/٨.

[10] م: عن السائل.

[11] ك + أن.

[12] ع م: عن الأشياء.

قد كُفُّوا عنها[١] بقوله: لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ.[٢] فكيف يحتمل أن يكون السؤال عن مثله يجيء -وذلك كفر في الحقيقة عند قوم- ثم لا ينهاهم عن ذلك ولا يُوَبِّخُهم في ذلك، بل يُلَيِّن[٣] القول في ذلك، ويرى[٤] أن ذلك ليس ببعيد؟[٥] *والله الموفق*.

وأيضا إن الله وعد أن يجزي [المؤمنين] أحسن ما عملوا[٦] به في الدنيا.[٧] ولا شيء أحسن من التوحيد، وأرفع قدرا من الإيمان به،[٨] إذ هو المستحسن بالعقول. والثواب الموعود من جوهر الجنة حُسْنُه حُسْنُ الطبع، وذلك دون حسن العقل. إذ لا يجوز أن يكون[٩] شيءٌ حسنٌ في العقول لا يستحسنه ذو عقل. / وجائزٌ [أن يكون] ما استحسنه الطبع[١٠] [أنْ] لا يتلذّذ به [طبع آخر]، كطبع[١١] الملائكة، ومِثلُه في العقوبة. لذلك[١٢] لزم القول بالرؤية، لتكون كرامةً تَبلغ في الجلالة ما أُكرِموا به، وهو أن يَصير لهم المعبود بالغيب شُهودا، كما صار المطلوب من الثواب حُضورا. *ولا قوة إلا بالله*. [٢٦٥و]

ولا يحتمل [أن تكون الرؤية بمعنى] العلم؛ لأن كُلًّا[١٣] يُجْمِع على العلم بالله في الآخرة العِلمَ الذي لا يعتريه الوسواس، وذلك علم العيان، لا علم الاستدلال. وكثرة الآيات لا تحقِّق علم الحق الذي لا يعتريه[١٤] ذلك.[١٥] دليله قوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ،[١٦] الآية،

---

[١] أي مُنِعوا عنها.

[٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تَسُؤْكم﴾ (سورة المائدة، ١٠١/٥).

[٣] جميع النسخ: يليق. والتصحيح من *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٢٥.

[٤] ع م: ويروى.

[٥] ك ن م: ببديع؛ ع: بديع. والتصحيح من *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٢٥. أي إذا لم تكن رؤية الله جائزة كيف يسمح الرسول بسؤال الصحابي عن ذلك، ويراه سؤالا لائقا، وأن ذلك ليس بشيئ مُحْدَث في الدين؟

[٦] ك ن م: مما عملوا.

[٧] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحْيِيَنّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (سورة النحل، ٩٧/١٦).

[٨] ن - به.

[٩] ن + أن يكون. ويكون هنا تامة، بمعنى يوجَد، أي لا يجوز أن يوجَد...

[١٠] جميع النسخ + طبعا.

[١١] ع: لطبع.

[١٢] ع: وكذلك.

[١٣] ع: لأن الكلام.

[١٤] جميع النسخ: لا يعتري.

[١٥] أي الوسواس.

[١٦] ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).

وما ذكر من استعانة الكفرة بالتكذيب في الآخرة وإنكار الرسل،[1] وقولهم: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ،[2] وغير ذلك. وبعد، فإنه إذ[3] لا يجوز أن يصير علمُ العيان[4] نحوَ[5] علم الاستدلال لم يجز أن يصير علمُ الاستدلال نحوَ[6] علمِ[7] العيان،[8] فثبت أن الرؤية توجب ذلك. وبعد، فإن في ذلك العلم[9] يستوي الكافر والمؤمن، والبِشارة بالرؤية خُصّ بها المؤمن. *ولا قوة إلا بالله*.

ولا نقول بالإدراك، بقوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ،[10] فقد امتدح بنفي الإدراك، لا بنفي الرؤية. وهو كقوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا.[11] كان في ذلك إيجاب العلم ونَفْيُ الإحاطة، فمِثلُه في حق الإدراك. *وبالله التوفيق*. وأيضا إن الإدراك إنما هو الإحاطة بالمحدود، والله يتعالى عن وصف الحد، إذ هو نهاية وتقصير عما هو أعلى منه. على أنه وَاحِدِيّ الذات[12] -والحد وَصْفُ المتصل الأجزاء حتى ينقضي- مع إحالة القول بالحد، إذ كان[13] ولا ما يُحَدّ[14] أو به يُحَدّ[15] فهو على ذلك، لا يتغير. على أن لكل شيء حدا[16] يُدرَك بسببه[17] نحو الطعم واللون والذوق والرائحة[18]

---

[1] م + عليهم. يقول الشارح رحمه الله تعالى: «... وكذلك ما ذكر في استعانة الكفرة بالتكذيب للرسل عليهم السلام في الآخرة والإنكار عليهم التبليغ، كقوله تعالى خبرا عنهم: ﴿[قالوا والله] ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦)، يقسمون بالله كذبا في الآخرة مع معاينتهم الدلائل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٨ظ).

[2] ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

[3] ع – إذ.

[4] ع: البيان.

[5] ك ن ع: بحق.

[6] ك ن ع: بحق.

[7] ع – الاستدلال لم يجز أن يصير علم الاستدلال بحق علم.

[8] ع: البيان.

[9] أي العلم بوجود الله بالمنهج الاستدلالي.

[10] سورة الأنعام، ١٠٣/٦.

[11] سورة طه، ١١٠/٢٠.

[12] أي الذي لا ينقسم.

[13] م: إذا كان.

[14] ك: كلا ما يحد؛ ع: ولا ما يحد.

[15] أي كان الله في الأزل و لم يُحَدّ، وكذلك لم يكن هناك شيء يحده...

[16] جميع النسخ: حد. أي لكل شيء وَصْفٌ مميّز له عن الأشياء الأخرى.

[17] جميع النسخ: سبيله.

[18] جميع النسخ: والحد. والتصحيحان من *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٢٥.

وغير ذلك من حدود[١] خاصية الأشياء، جعل الله[٢] لكل شيء[٣] من ذلك وجها يُدرَك ويحاط به، حتى العقول والأعراض. فأخبر الله تعالى أنه ليس بذي حدود وجهات مِن طُرُق[٤] إدراكه بالأسباب الموضوعة لتلك الجهات. وعلى ذلك القول بالرؤية والعلم جميعا. *ولا قوة إلا بالله*.

وبعد فإن القول بالرؤية يقع على وجوه، لا يُعلَم حقيقة كل وجه من ذلك إلا بالعلم بذلك الوجه، حتى إذا عُبّر عنه بالرؤية صُرِف إلى ذلك، وما لا يُعرَف له الوجه بدون ذكر الرؤية لزم الوقف[٥] في مائيتها على تحقيقها.[٦] وأما الإدراك إنما هو معنى الوقوف على حدود الشيء؛ ألا ترى أن الظل في التحقيق يُرَى، لكنه لا يُدرَك إلا بالشمس، وإلا كان مرئيا على ما يُرَى لوقت نسخ الشمس، ولكن لا يُدرَك بالرؤية إلا بما يتبين له الحد.[٧] وكذلك ضوء النهار يُرَى، لكن حده لا يُعرَف بذاته. وكذلك الظُّلْمة، لأن طرفها لا يُرَى فيُدرَك ويحاطَ به، وبالحدود يُدرَك الشيء وإن كان يُرَى لا بها. ولذلك ضرب المثل بالقمر،[٨] أنه[٩] لا يُعرَف حده ولا سعته ليُوقَف [عليه] ويحاط به، و[لكنه] يُرَى بيقين. *ولا قوة إلا بالله*. والأصل فيه القول بذلك على قدر ما جاء، ونفي كل معنى من معاني الخلق، ولا يُفسّر لما لم يجئ. *والله الموفق*.

ثم زعم الكَعْبي[١٠] أن الغائب إذ لم يخرج عن الوجوه التي بها يُعلَم فكذلك لا يُرَى إلا بالوجوه التي بها يُرَى من المبايَنة للمَرْئي -ولما حلّ فيه المَرْئي- بالمسافة والمقابلة واتصال الهواء والصغر وعدم الصغر والبُعد، ولو جازت الرؤية بخلاف هذا[١١] لجاز العلم به.[١٢]

---

[١] ك: من الحدود.

[٢] ك + الأشياء.

[٣] ع - حد يدرك سبيله نحو الطعم واللون والذوق والحد وغير ذلك من حدود خاصية الأشياء جعل الله لكل شيء.

[٤] م: هي طرق.

[٥] ك: التوقف.

[٦] أي مع قبول وقوعها.

[٧] ن + ولكنه.

[٨] أي في الحديث السابق الذي شُبّهت فيه رؤية الله تعالى في الآخرة برؤية القمر ليلة البدر.

[٩] ع م: لأنه.

[١٠] أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي الخراساني، من شيوخ المعتزلة، صاحب التصانيف. توفي سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م. انظر: *سير أعلام النبلاء*، ١٥/٢٥٥.

[١١] ع: هذه.

[١٢] وعبارة الشارح هكذا: «ثم زعم الكلبي أن الغائب إذا لم يخرج عن الوجوه التي يُعلَم بها في الشاهد لمعنى الضرورة والاكتساب فكذا يجب أن لا يُرَى في الغائب إلا بالوجوه التي يُرَى في الشاهد من المبايَنة للمَرْئي والمسافة والمقابلة واتصال الهواء وعدم الصغر، ولو جازت الرؤية بخلاف هذا لجاز العلم بخلاف الوجوه التي في الشاهد (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٨ظ-٣٠٩و).

{قال الشيخ رحمه الله:} وهذا خطأ، لأنه قدّر[1] برؤية[2] جوهره. وقد عُلِم أنَّ غير جوهره جواهر[3] يَرون من الوجه الذي لا يَقدر [الإنسان] على الإحاطة بجوهره، فضلا عن إدراك بصره،[4] نحو الملائكة والجن وغيرهم، مما يَروننا[5] من حيث لا نراهم، و[كذلك] الجثة الصغيرة نحو البَق ونحو ذلك مما يَرى، لما[6] لو توهم مثل ذلك البصر لما احتمل الإدراك. ويَرى الملك الذي يكتب جميع أفعالنا ويسمع جميع أقوالنا، على ما لو أردنا[7] تقدير ذلك بما عليه جُبِلْنا للزم إنكار ذلك كله، وذلك عظيم. وكذلك ما ذكر مِن نُطق الجلود وغيرها مما لو امتُحِن بمثلها أمْرُ الشاهد لوُجِد عظيما.[8] وبعد، فإنه في الشاهد يُفصَل بين البصرين في الرؤية والتمييز على قدر تفاوتهما بما اعتراهما من الحُجُب،[9] مما لو قابل أحدَهما بحال[10] الآخر على حاله وجده[11] مستنكرا. وإذا كان كذلك بطل التقدير بالذي ذكر. **والله الموفق**.

وأيضا[12] إنه في الشاهد بكل أسباب العلم لا يَعلم غير العَرَض[13] والجسم. ثم جائز العلم بالغائب خارجا منه، فمثله الرؤية.

والثالث ما ذكرنا من رؤية الظل والظلمة والنور من غير شيء من تلك الوجوه.

والرابع أنه قد يجوز وجود تلك المعاني كلها مع عدم الرؤية، إما بالحجب[14] أو بالجوهر، فجاز تحقيق الرؤية على نفي تلك المعاني. نحو ما أجيب القائل بالجسم عند معارضته بالفاعل والعالِم: إذ وُجِد[15] جسم لا كذلك فيجوز وجود ذلك ولا جسم، فمثله في الرؤية.

---

[1] يقول الماتريدي في *كتاب التوحيد* (١٢٨): «وقد أخطأ في هذا الفصل بوجوه. أحدها أنه قدر...».

[2] ع م: رؤية.

[3] ك ع م: جوهر؛ ن – جواهر.

[4] م: ببصره.

[5] ع: مما يرونه.

[6] ك: لنا.

[7] ك ن ع: ما أردنا.

[8] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أ نطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه تُرجَعون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢١). وانظر أيضا: سورة يس، ٣٦/٦٥.

[9] ع م: في الحجب.

[10] جميع النسخ: حال.

[11] م: وجد.

[12] أي ثاني وجوه أخطاء الكعبي.

[13] م: غير العضو.

[14] إما لحجب.

[15] م: إذا وجد.

على أن البُعد[1] الذي يحجبنا والدِّقَّة[2] يجوز أن يبلغه بصر غيرنا، فصار ارتفاع الرؤية بالحجاب، فإذا ارتفع جاز. **ولا قوة إلا بالله**.

وبعد، فإن الذي يقوله[3] تقدير برؤية الأجسام، ولم يمتحن بصره بغير الأجسام والأعراض أنْ كيف سبيل الرؤية له. وبعد، فإن كل جسم / يُرَى، وإن كانت الدّقّة والبُعد يحجبان، [٢٦٥ظ] فيجوز ارتفاعهما عن بصر غيرٍ[4] فيُرَى. على ما يَرى ملك الموت مَن بأطراف الأرض ووسطها مما لو اعتُبر ذلك ببصر البشر لما احتمل الإدراك. فثبت أن الذي قدّر به ليس هو سبب تعريف ما يبصره،[5] ولكن سبب تعريف ما يُحجب به البصر، فإذا ارتفع رأى. مع ما كان المنفي[6] رؤيته لذاته عَرَض، وإلّا فكل جسم يُرَى. فإن لزم إنكار الرؤية لما ليس بجسم أو لما لا يُرَى إلا بما ذكر ليلزم الإقرار به،[7] لأن الذي لا يُرَى لذاته هو العَرَض، وإلّا فكلُّ غَيْرٍ يُرَى. **ولا قوة إلا بالله**.

وعارض[8] بأمر الدنيا. ولا يُحَالُ ذلك، لكن يُسقِط[9] المحنة ويرفع[10] الكُلفَة، والدنيا[11] لهما [خلقت].

ثم ذَكر[12] في أمر موسى أن ذلك على علم الإحاطة بالآيات. وقد بيّنّا فساد ذلك. وما ذلك العلم بالذي يَسأل وهو رسول بُعِث إلى ما به نجاة الخلق. وذلك لا يكون بغير الممتحن، إذ هو تبليغ الرسالة والدعاء إلى العبادة، وهي محنة.[13] بل سأل الرؤية ليجلّ قدره وليعرف[14] عظيم محله عند الله. أو أن يكون الله أمره به ليعلم الخلق جواز ذلك. **وبالله التوفيق**.

---

[1] ع: أن العبد.
[2] م: والرؤية.
[3] ع: بقوله. أي الذي يقوله الكعبي.
[4] ك: من غير بصر.
[5] ك: ما يبصر.
[6] ك + به.
[7] أي ينبغي القول بإمكان الرؤية نظريا.
[8] جميع النسخ: وعورض. أي عارض الكعبي بأنه تعالى لا يرى في الدنيا.
[9] م: الدنيا ومحال العرض بذلك لا يسقط.
[10] ك: وترفع.
[11] ك ن م + هي.
[12] أي الكعبي.
[13] قال الشارح: «وذَكر في أمر موسى عليه السلام [أنه] رسول بُعِث إلى ما به نجاة الخلق من الدعاء إلى التوحيد والعبادة لله تعالى، وهو مكلف ممتحن بتبليغ الرسالة إليهم، وهذا النوع من العلم الضروري مما يُسقِط المحنة والابتلاء، أي لا يبقى الخطرات واعتراء الشبهة ليؤمر بالدفع بالاستدلال بالآيات، فدل أن سؤال هذا النوع من العلم في دار المحنة لا يجوز...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٩و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٤٤و).
[14] ع م: ليعرف.

ثم استدل بأنه[1] لم يُرَ من يعقل، إنما أُرِيَ الجبلَ، والجبل لا يعقل ليعلمه وليراه.

فيقال له: ولو كانت[2] آية[3] فالجبل لا يراها ولا يعقل. وإذا كان كذلك فالآية إذًا صار انْدِكَاك الجبل وانشقاقه، لا أنْ أراه الآية لينْدكّ[4] بها. وفي هذا[5] أنه[6] قد أَرَى موسى الآية، وهو اندكاك الجبل، والله يقول: **لن تراني**، وحَمَلْتَه على الآية، وقد رآها. ***ولا قوة إلا بالله***.

فإن قيل: ما معنى توبته [في قوله: **فلمّا أفاق قال سبحانك تُبْتُ إليك وأنا أول المؤمنين**]، لو كان سؤاله على الأمر؟

قيل: على العادة في الخَلْق مَن يُحْدِثها[7] عند الأهوال بلا حدوث ذنب. أو لما رأى من جلال الله وعظمته فزع إلى التوبة وإحداث الإيمان به، وإن لم يكن ما يوجب ذلك، وذلك متعارف في الخلق. ويحتمل أن يكون [لِ]قوله: **لن تراني**، وكان عنده[8] جواز الرؤية في الشاهد، واحتمال وسعة ذلك بما وعد الله في الآخرة، [فـ]رجع عما كان عنده، وآمن بالذي قال: **لن تراني**، وإن كان في أصل إيمانه داخلا. على نحو إحداث المؤمنين الإيمان[9] بكل آية تنزل، وبكل فريضة تتجدّد، وإن كانوا في الجملة[10] مؤمنين بالكل.[11] ***والله الموفق***. وقد بينا ما قالوا في قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.[12]

والأصل في الكلام أنه إذا كان على أمر معهود أو يُقرَن به المقصود إليه صُرِف[13] عن حقيقته، وإلا لا. وذلك نحو قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[14] و أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ.[15]

---

[1] ع – بأنه. بأنه: أي الله تعالى.
[2] أي الرؤية.
[3] م: الآية.
[4] م: يستدل.
[5] م: وفي هذ.
[6] جميع النسخ: اية.
[7] جميع النسخ: من يحدثه. أي من يجدد التوبة.
[8] ن: عقده.
[9] ك: الإيمان المؤمنين.
[10] ك: في الجحا.
[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).
[12] سورة القيامة، ٧٥/٢٢-٢٣.
[13] ن: وإليه طرف.
[14] سورة الفرقان، ٢٥/٤٥.
[15] سورة الفيل، ١٠٥/١.

وأصله أنّ مَن قال: رأيت فلانا، أو نظرت إلى فلان، لم يحتمل غير ذاته، وإذا قال: رأيته يقول كذا، ويفعل كذا، أنه لا يريد به رؤية ذاته. فمثله أمر قصة موسى وهذه الآية. وروي عن ضرار بن عمرو[١] أنه أتى البصرة فقال: يا أهل البصرة، إمّا أنْ كان موسى مُشَبِّهِيًّا، وإما أنْ كان الله يُرَى، لأنه لو كان بالذي لا يُرَى فسأل هو[٢] رؤيته كان جاهلا به مُشبِّها[٣] خَلْقَه به، فدل أنه يُرَى.

ثم الأصل أن من[٤] تأمل الذي[٥] ذكره الكَعْبي عرف أنه مُشَبِّهِيّ المذهب،[٦] لأنه لم يذكر المعنى الذي له يجب أن يكون الرؤية بتلك الشرائط،[٧] إنما أخبر أنه كذلك وُجِد، وهو قول المشبِّهة أنه وُجِد كلُّ فاعل في الشاهد جسما، وكذا كل عالم، فيجب مثله في الغائب. ثم ذكر معنى رؤية الجسم ولم يذكر معنى رؤية غير الجسم حتى يكون له دليلا. وبعد، فإنه نَفَى[٨] بالدِّقّة والبُعد، وهما زائلان عن الله تعالى. ثم احتج بامتداح الله تعالى: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ،[٩] وقال: لا يجوز أن يزول. فمثله عليه في قوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ،[١٠] وقوله:[١١] وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[١٢] فلا يجوز أن يزول. ثم قد وُصف اللهُ بالرؤية على إسقاط ما ذكر. فثبت أن ذلك طريق لا يؤدي عن كُنْهِ ما به الرؤية.[١٣]

---

[١] ضِرار بن عمرو من رءوس المعتزلة. له تصانيف كثيرة تدل على كثرة اطلاعه على الملل والنحل، مات قبل ٢٠٠هـ/٨١٦م؛ انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٤–٥٤٥.

[٢] ع م: ربه.

[٣] ك ن ع: مشبهيا.

[٤] ع: إن ما من.

[٥] ن – الذي.

[٦] أي إن قوله يؤدي إلى ذلك، وإلا فالكعبي من المعتزلة.

[٧] ك – الشرائط، صح هـ.

[٨] ك: فإن نفى.

[٩] سورة الأنعام، ٦/١٠٣.

[١٠] سورة الأنعام، ٦/١٠٢.

[١١] ن – وقوله؛ ع – خالق كل شيء وقوله.

[١٢] سورة المائدة، ٥/١٢٠.

[١٣] قال الشارح: «ثم احتج أيضا بامتداح الله تعالى بنفي الإدراك بقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، وقال: لا يجوز أن يزول معنى التمدّح، وإذا قلتم: يُرى في الآخرة، وأراد بنفي الإدراك الرؤية، فلا يتكامل معنى التمدّح، بل يكون في وقت دون وقت. ويَرِد عليه مثله في قوله: ﴿خالق كل شيء﴾، وقوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾، يجب أن لا يزول لأنه تمدّح به، وهو قد قال: إنه ليس بخالق في الأزل، إنما يصير خالقا بعد الخلق، وكذلك لم يصف الله تعالى بالقدرة على خلق أفعال العباد منهم بطريق الاختيار. ثم إنما يَرِد هذا على قول من يجعل الإدراك والرؤية واحدا، وهو قول بعض أهل السنة من أصحاب الحديث، فأما نحن فقد ذكرنا أن الإدراك لا يتحقق في حق الله تعالى على لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلا يلزمنا هذا الكلام. والله الموفق. ثم سلّم الكعبي أن الله رأى جميع المرئيات بدون ما ذكر من المشابهة والمقابلة ونحو ذلك، ليجوز أن يكون مرئيا بدون ما ذكر، وبهذا يتبيّن أن ما ذكر لا يؤدي عن كيفية مائية الرؤية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٩ظ).

فإن قيل: كيف يُرَى؟

قيل: بلا كيف، إذ الكيفية تكون لذي صورة.[1] بل يُرَى بلا وصف قيام وقعود واتِّكاء وتعلُّق واتِّصال وانفصال ومقابلة ومُدابَرة وقصير وطويل ونور وظُلْمَة وساكن ومتحرِّك ومُمَاسّ ومُبَايِن وخارج وداخل، ولا معنى يأخذه الوهم أو يُقَدِّره[2] العقل، لِتَعَالِيه عن ذلك.[3]

وقوله عز وجل: **فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دَكًّا**، الآية، قال أبو بكر الأصم: **تجلَّى** بالآيات والأعلام[4] التي بها يُرَى، لا رؤية الذات.[5] وكذلك قال في قوله: **رب أرني أنظر إليك:** إنه إنما سأل ربه الآيات والأعلام التي بها[6] يُرَى، لا رؤية الذات. وقد بيّنا بُعدَه وإحالتَه لما قد أعطاه من الآيات والأعلام ما له[7] غُنْيَة عن غيرها، [فـ]لا يحتاج إلى غيرها.

وقال الحسن: إن موسى سأل ربه الرؤية في غير وقت الرؤية. وهو يقر بالرؤية، لكنه يقول: سألها في الدنيا، وبنية هذا العالم لا تحتمل[8] ذلك. ألا ترى أنه قال: **فإن استقر مكانه فسوف تراني**، أخبر أن الجبل لا يستقر له، فكيف[9] تستقر أنت؟ لكنه ينشئ بنية تحتمل[10] ذلك. وقال:[11] لذلك قال موسى: **إني تبت إليك وأنا أول المؤمنين**، أنْ ليس في الدنيا الرؤية. إلى نحو هذا يذهب الحسن. وقد ذكرنا نحن الوجه على قدر ما حضر لنا.[12]

وقال أهل التأويل: قوله: **تجلّى ربه للجبل**، أي ظَهَر، لكن لا يُفهَم[13] من ظهوره ما يُفهَم من ظهور الخلق. على ما ذكرنا / في قوله: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[14] وقوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[15] [٢٦٦و]

---

[1] ع: الذي صورة.
[2] ع: أو يقدر.
[3] تجدر الإشارة هنا إلى أنه اعتبارا من قول المؤلف: «والقول بها لازم عندنا في الآخرة وحق من غير إدراك ولا تفسير...» (ص ٤٦) إلى هنا موجود بفروق طفيفة جدا في *كتاب التوحيد* للمؤلف، ١٢٠-١٣٤.
[4] ك: بالأعلام والآيات.
[5] ن ع م – لا رؤية الذات.
[6] ع م – بها.
[7] ن: وما له؛ م – وما له.
[8] ن: لا يحتمل.
[9] ك: لكيف.
[10] ن: يحتمل.
[11] ن ع م + الحسن.
[12] ذكر الآلوسي معنى هذا الكلام وقال بأنه نُسِب إلى الحسن رحمه الله، واستغربه منه؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٤٧/٩.
[13] ك: لا نفهم.
[14] سورة الأعراف، ٥٤/٧؛ وسورة يونس، ٣/١٠؛ وغيرها.
[15] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.

وغيره من الآيات، لا يُقَدَّر استواؤه باستواء الخلق، وكذلك مجيئه، فعلى ذلك ظهوره. **وبالله العصمة**. وروي أن في التوراة أنه جاء من طور سيناء، وظهر من جبل ساعورا،[١] واطّلع من جبل فاران.[٢] وتأويله: جاء وحيه على موسى في طور سيناء، وظهر على عيسى في جبل ساعورا، واطّلع على محمد في جبل فاران.

ثم العجب أنْ كيف اجترأ موسى بالسؤال بسؤال مثله: **أرني أنظر إليك**؟ لكنه يحتمل وجوها. أحدها على الأمر بالسؤال عن ذلك،[٣] ليُعلَم أنه يُرَى ويعتقدوا ذلك. أو على الظن منه لما رأى أنه أعطاه أشياء[٤] لا يكون مثلها في الدنيا، إنما يكون في الآخرة، [و]خُصَّ بها من نحو انفجار العيون من الحجر من غير مؤنة تكون لهم في ذلك من حفر الأنهار و إصلاحها وأنواع المؤن، ونحو ما أعطاهم من اللباس الذي[٥] ينمو ويزداد على قدر قامتهم وطولهم، ومن نحو[٦] ما أعطاهم من المَنّ والسَّلْوَى على غير مؤنة ولا جهد. وذلك كله وصف الجنة. فلما رأى ذلك ظنّ أن الرؤية أيضا تكون[٧] في الدنيا على ما كانت له من أشياء لم يكن مثلها لأحد في الدنيا. أو لما رأى أنه سمع كلام ربه وألقى في مَسامعه[٨] كلامه لا من مكان ولا من قريب ولا من بعيد[٩] ولا من أسفل[١٠] ولا من أعلى ولا من فوق ولا من تحت، لكنه أسمعه[١١] بما شاء وكيف شاء بلطفه، فعلى ذلك ظن[١٢] أنه يجوز له أن يسأل ربه الرؤية، فيُريه بما شاء وكيف[١٣] شاء بلطفه كما أسمع كلامه بلطفه[١٤] كما ذكرنا.[١٥]

---

[١] وقد وردت تسميته في *تفسير القرطبي* و*تفسير ابن كثير*: سَاعِير، وهو جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى عليه السلام؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ١٥٩/١٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٥٢٧/٤-٥٢٨.

[٢] فاران اسم عبراني لجبال مكة المكرمة (*لسان العرب* لابن منظور، «فأر»).

[٣] جميع النسخ: على ذلك.

[٤] ك: شيأ.

[٥] ن + كان.

[٦] ك: من نحو.

[٧] ك: تكون أيضا؛ ن ع م: يكون.

[٨] ع م: وألقى مسامعه.

[٩] ن ع م: ولا بعيد.

[١٠] ك: لا من أسفل.

[١١] ع: سمعه؛ م: سمع.

[١٢] ع م: فعلى ظن.

[١٣] ع م: كيف.

[١٤] م - كما أسمع كلامه بلطفه.

[١٥] ك: لما ذكرنا.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[١٤٤]

وقوله عز وجل: **قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي**. سمى الله عز وجل موسى وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه بأسماء الجوهر موسى وعيسى ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وسمى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وذلك يدل على تفضيله. وكذلك سمى سائر الأمم المتقدمة: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ،[١] و يَا بَنِي آدَمَ،[٢] وسمى أمة محمد صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا،[٣] وقال: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ،[٤] ونحوه، فذلك يدل أيضا على تفضيل أمة محمد على غيرها من الأمم. وقوله: **إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي**، كان مصطفى[٥] ومفضَّلا بالكلام على الناس كافّة، الأنبياء وغيرهم، لأن الله تعالى لم يكلم أحدا من الرسل إلا بسفير سوى موسى، فإنه كلمه ولم يكن بينهما سفير. وأما قوله: **اصطفيتك على الناس برسالاتي**، على ناس[٦] زمانه[٧] وأهله خاصة.[٨] ويحتمل **برسالاتي**[٩] التي بَيْن موسى وبَيْن الله تعالى. وهذا ينقض على المعتزلة قولهم: إن الله تعالى لا يرسل رسولا إلا وهو يستحق الرسالة. ولو كان طريقه الاستحقاق لا الإفضال والإحسان لم يكن للامتنان معنى، دل أن طريقة الإفضال[١٠] والإحسان، لا الاستحقاق. *والله أعلم*. وعلى قول المعتزلة لا يكون الله مُصطفِيًا[١١] موسى ولا غيره من الأنبياء، ولكن هم الذين اصطفَوْا أنفسهم.

وقوله عز وجل: **فخذ ما آتيتك**، يخرج[١٢] على وجهين. أحدهما القبول، أي اقبل ما أعطيتك.

---

[١] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٤٠.
[٢] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٧/٢٦.
[٣] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/١٧٢.
[٤] سورة آل عمران، ٣/١١٠.
[٥] ك: مططفي.
[٦] ع: على أناس.
[٧] ك: زماله.
[٨] ن: خاصته.
[٩] ك: برسالتي.
[١٠] م + والاحا.
[١١] ك: مصفيا؛ ن + على؛ م: مصطفا.
[١٢] م: تخرج.

كقوله:[١] **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً.**[٢] ويحتمل قوله: **فخذ ما آتيتك**، أي اعمل بما آتيتك[٣] بأحسن العمل. **وكن من الشاكرين**، لنعمه[٤] التي أنعمها عليك[٥] من التكليم والرسالة وغيره من النعم.[٦] *والله الموفق*.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[١٤٥]

وقوله عز وجل: **وكتبنا له في الألواح من كل شيء**، يحتمل[٧] قوله:[٨] **وكتبنا له في الألواح**، وجهين. أحدهما أنه إنما أضاف ذلك إلى نفسه لما تولّى كتابتها الملائكةُ البَرَرَة الكِرام، أضاف ذلك[٩] إلى نفسه تفضيلا لهم وتعظيما؛ على ما ذكر في الكتاب في غير موضع، من نحو قوله: **فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا**،[١٠] وقوله: **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**،[١١] أخبر أن طاعة الرسول له طاعة، وغير ذلك، فكذلك هذا. *والله أعلم*. أو أضاف ذلك إلى نفسه لما كان ويكون إلى يوم القيامة إنما يكون بِ"كُنْ" الذي كان منه في الأوقات التي أراد أن يكون. فعلى ذلك كتابته[١٢] تلك الألواح[١٣] كان تحت ذلك الـ"كُنْ". وإن كان أضاف بعض تلك الأشياء إلى نفسه [بطريق الخصوص]،[١٤] كقوله: **جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**،[١٥] و **جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا**،[١٦] و **أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**،[١٧]

---

[١] م: كقولهم.
[٢] سورة التوبة، ١٠٣/٩.
[٣] ن + أي اعمل.
[٤] م: لنعمته؛ ع: لنعمة.
[٥] ع م: عليها.
[٦] م: من النعيم.
[٧] ن – يحتمل.
[٨] ع – قوله.
[٩] ع – ذلك.
[١٠] سورة التحريم، ١٢/٦٦.
[١١] سورة النساء، ٨٠/٤.
[١٢] ك ع م: كتبته؛ ن: كتبة.
[١٣] ع: ذلك الألواح؛ م: ذلك في الألواح.
[١٤] من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.
[١٥] سورة القصص، ٧٣/٢٨.
[١٦] سورة يونس، ٥/١٠.
[١٧] جميع النسخ + كذا. والآية في سورة النمل، ٦٠/٢٧.

و خَلَقَ لَكُمْ كذا،[1] و جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ،[2] ونحو ذلك، فذلك كله كان[3] تحت قوله: كُنْ، فكانت على ما أراد أن تكون في الأوقات التي أراد أن تكون. *والله أعلم*. وقوله: **وكتبنا له في الألواح من كل شيء**، يحتمل قوله: **من كل شيء** مما يقع للعباد الحاجة إليه. ويحتمل **من كل شيء** من أمره ونهيه وحلاله[4] وحرامه.

وقوله عز وجل: **موعظة**، {قال:} الموعظة هي التي تحمل القلوب على القبول، والجوارح على العمل. وقال[5] بعضهم: الموعظة هي التي تنهى عما لا يحل. وقال[6] أبو بكر: الموعظة هي التي تُلين القلوب القاسية، وتُدمع العيون الجامدة، وتُصلح الأعمال الفاسدة. {قال الشيخ رحمه الله:} وعندنا الموعظة هي التي[7] تُذكِّر العواقب، وتحمله على العمل بها.[8]

وقوله عز وجل: **وتفصيلا لكل شيء**، قيل: **تفصيلا** لما أُمِروا به ونهُوا عنه. وقيل: بيانا لكل ما يُحتاج إليه.

[٢٦٦ظ] وقوله: **فخذها**،[9] يحتمل أيضا[10] / وجهين. يحتمل قوله: **فخذ**، أي اقبل، على ما ذكرنا في قوله: فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ.[11] ويحتمل اعمل بما فيها. وقوله عز وجل: **بقوة**، قال أهل التأويل: بجِدّ ومواظبة. ولكن قوله: **فخذها بقوة**، القوة المعروفة. وعلى قول المعتزلة لا يكون أخذا بقوة –وقد أخبر أنْ يَأخذْها[12] بقوة– لأنهم يقولون: إن القوة تكون قبل الفعل، ثم يقولون: إنها لا تبقى وقتين. فيكون في الحاصل –لو كانت قبل الفعل– أخذا بغير قوة. دل أنها مع الفعل. وتقول المعتزلة: دل قوله: **فخذها بقوة**، على أن القوة قد تقدمت الأمر بالأخذ. لكن لا يكون ما ذكروا، لأنه أمر بأَخْذٍ[13] بقوة، دل أنها تُقارن الفعل، لا تتقدّم.

[1] ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٩).
[2] سورة النحل، ١٦/٧٨؛ وسورة السجدة، ٣٢/٩؛ وسورة الملك ٦٧/٢٣.
[3] م: كانت.
[4] م: وحله.
[5] ع م: قال.
[6] م: قال.
[7] ع م – التي.
[8] ك: العمل لها.
[9] م: فخذ.
[10] ن – أيضا.
[11] الآية السابقة.
[12] ن: أخذهما؛ م: أخذها.
[13] ع: وبأخذ.

وقوله عز وجل: **وأمُرْ قومك يأخذوا بأحسنها**، يحتمل قوله: **يأخذوا**، ما ذكرنا من الوجهين: القبول أو العمل. أي مُرْهُم يَقبلوا بأحسن القبول. ويحتمل مُرْهُم يعملوا بأحسن ما فيها من الأمر[١] والنهي والحلال والحرام. ويحتمل قوله: **بأحسنها**، أي بما هو أحكم وأتقن. أو بأحسن ما عمل به الأولون، إذ فيه أخبار الأولين.

وقوله عز وجل: **سأريكم دار الفاسقين**، قال بعض أهل التأويل: قال ذلك لبني إسرائيل: **سأريكم دار الفاسقين**، يعني سنة **الفاسقين**، وهو الهلاك. كقوله تعالى: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ.[٢] وسنته في أهل[٣] الفسق والكفر الهلاك.[٤] وقال ابن عباس[٥] رضي الله عنه: **سأريكم دار الفاسقين**، يعني[٦] جهنم. وأمكن أن يكون الخطاب للفَسَقة: **سأريكم** يا أهل الفسق **دار الفاسقين**.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[١٤٦]

وقوله عز وجل: **سأصرف عن آياتي**، الآية، يخرج هذا على وجهين. أحدهما[٧] سأصرفهم عن قبولها[٨] وتصديقها، إذ لم يستقبلوها بالتعظيم لها، بل استهزءوا[٩] بها واستخفّوا بها على علم منهم أنها آيات من الله وحجة. والثاني سأصرفهم[١٠] عن وجود الطعن والقدح فيها والكيد لها. ثم إن كل واحد من هذين الوجهين يتوجّه على وجهين. قال الحسن:[١١] إن للكفر حداً[١٢] إذا بلغ الكافر ذلك الحد يُطبَع عليه، فلا يَقبل ولا يُصدِّق آياته بعد ذلك.

---

[١] ع: فيها الأمر.
[٢] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٨).
[٣] ع: وسنة أهل.
[٤] ع: والهلاك.
[٥] ك + قال.
[٦] ك ع م - يعني.
[٧] ك ن + سأصرف عن آياتي أي.
[٨] ع: عن قولها.
[٩] ع م: بل استهزاء.
[١٠] جميع النسخ: سأصرف.
[١١] «أما أحد الوجه الأول ما قاله الحسن» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٠ظ).
[١٢] ع م: لكفر حد.

والثاني أنهم كانوا يتعنّتون في آياته ويُكابِرون في ردها[1] مع علمهم أنها آيات وحجج من الله، فإذا تعنّتوا[2] صَرَفهم عن قبولها وتصديقها. وهو كقوله تعالى: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[3] وقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[4] أي خلق منهم فعل الزيغ وفعل الانصراف.[5] وهكذا كل من يختار عداوة الله فالله لا يختار له ولايته، ولكن يختار له ما اختار هو. وأما قوله: **سأصرف،**[6] عن وجود الطعن[7] فيها والقدح، فذلك[8] أن الله عز وجل جعل للرسل والأنبياء أضدادا[9] من كُبَراء الكفرة وعظمائهم، وكانوا يطعنون في الآيات ويقدحون فيها، فأخبر أنه يصرفهم عن وجود الطعن فيها والقدح والكيد لها، أي لا يجدون فيها مطعنا ولا قدحا. والثاني قوله: **سأصرف عن آياتي،** الهلاك والإبطال، بل هم[10] المهلَكون، والآيات هي الباقية. ثم اختلف في الآيات. قال الحسن: **آياتي** ديني. وتأويله ما ذكرنا أنهم إذا بلغوا ذلك الحد صرفهم عنها. وقال غيره:[11] آياته حججه وبراهينه.

وقوله عز وجل: **الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق،** كانوا يتكبّرون هم على الرسل لما لم يروهم أمثالا لأنفسهم وأشكالا. وهكذا كل من تكبر على آخر إنما[12] يتكبر لما لم يره مِثْلا لنفسه ولا شكلا، أو يتكبر لما يرى نفسه سليمة عن العيوب ويرى في غيره عيوبا، أو يرى لنفسه حقوقا عليه فيتكبر. فإذا كان التكبر[13] لهذا فالخلق كلهم أكفاء بعضهم لبعض، لأنهم أمثال[14] وأشكال، وفيهم العيوب والحاجات، فلا يسع لأحد التكبر[15] على أحد.

---

[1] ك: في ردنا.

[2] جميع النسخ: فإذا تعانتوا؛ والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٣١٠ظ.

[3] ﴿ وإذا ما أُنزلت سورةٌ نَظَر بعضهم إلى بعض هل يَراكم مِن أحدٍ ثم انصرفوا صَرَف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٧).

[4] ع م – وقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم. والآية في سورة الصف، ٦١/٥.

[5] ك: الانحراف.

[6] «وأما أحد الوجه الثاني أي سأصرف» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٠ظ).

[7] ن + في الآيات.

[8] جميع النسخ: وذلك.

[9] ع م: أضداد.

[10] ع م – هم.

[11] ن – غيره.

[12] م – إنما.

[13] م – فإذا كان التكبر.

[14] ن: مثال.

[15] م: الكبر.

وإنما التكبير لله تعالى فله يليق، لما لا مثل له ولا شكل، [وهو] منزه عن العيوب كلها والحاجات، لذلك كان هو الموصوف بالكبرياء والعظمة. وقوله عز وجل: **بغير الحق**، أي ليسوا هم بأهل[١] للكبر.[٢]

وقوله: **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها**، أمكن أن يكون قوله: **يروا**، أي وإن علموا أنه آية لا يؤمنون بها[٣] أبدا. هذا في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون أبدا. **وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا**، أي وإن علموا أنه **سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا** ولا يتبعوه مخافة أن تذهب رئاستهم ومَأكلتهم. **وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا**،[٤] أي وإن علموا أن ذلك هو[٥] **سبيل الغي** والباطل **يتخذوه سبيلا**.

وقوله: **ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا**، يحتمل قوله: **ذلك**،[٦] الصرف الذي ذكر عن آياته، لما كذبوا الآيات بعد علمهم أنها آيات من الله، **وكانوا عنها غافلين**، غفلة الإعراض والعناد، لا غفلة الجهل والسهو.[٧]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٤٧]

وقوله: **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة**، أي الذين كذبوا بالآيات والبعث بعد الموت. وقوله: **حبطت أعمالهم**، يحتمل هذا[٨] وجهين. يحتمل أنهم كانوا مؤمنين من قبل، فكذبوا الآيات وكفروا[٩] بها، فحبطت الأعمال التي كانت لهم في حال الإيمان، وبطلت. ويحتمل **حبطت أعمالهم**، المعروف الذي[١٠] كانوا يفعلون[١١] في حال الكفر من نحو صلة الرحم والصدقات وغيره من المعروف والخيرات التي عملوا بها، حَبِط[١٢] ثواب ذلك كله إذا لم يأتوا بالإيمان.

---

[١] ع + الكبر.
[٢] م: الكبر.
[٣] م: به.
[٤] ع م – أي وإن علموا أنه سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ولا يتبعوه مخافة أن تذهب رئاستهم ومأكلتهم وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا.
[٥] ن + على.
[٦] ن – ذلك.
[٧] ن ع م: والسوء.
[٨] ك: هذا يحتمل.
[٩] م: فكفروا.
[١٠] ع: الذين.
[١١] ك: يعملون.
[١٢] م: حبطت.

وقوله عز وجل: **هل يُجزَون إلا ما كانوا يعملون**، أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون، من الاستهزاء بالآيات والاستخفاف.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[١٤٨]

وقوله عز وجل: **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا**. وقوله: **واتخذ قوم موسى**؛ كيفية[١] وصف اتخاذ العجل ما ذكر في سورة طه بقوله: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا / [٢٦٧و] لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ،[٢] الآية. وصف الله عز وجل قوم موسى بعضهم بالهداية والعدالة واتباع الحق بقوله: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ،[٣] وبعضهم[٤] وصفهم بالسَّفاهة وقلة الفهم والضعف في الدين بقولهم: اِجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[٥] وقال[٦] هاهنا إنهم[٧] اتخذوا العجل إلها عبدوه. يذكر[٨] هذا -والله أعلم- لما لم يعرفوا نعم الله ولم يتفكروا في آياته وحججه، يذكر هذا لنا لننظر في آياته وحججه، ولنتفكر[٩] في نعمه فنؤدي شكرها، ونتدبر في آياته وحججه لنتبعها ولا نضيعها على ما ضيع[١٠] قوم موسى. وقوله: **من بعده**، أي من بعد مفارقة موسى قومه. وقوله: **من حُلِيِّهم**، وقال في موضع آخر: أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ،[١١] وكانت تلك الحلي عارية عندهم[١٢] من قوم فرعون،[١٣] وأضاف هاهنا إلى قوم موسى بقوله: **من حليهم**، دل أن العارية يجوز[١٤] أن تُنسَب إلى المستعير.

---

[١] ن: كيفيته.
[٢] سورة طه، ٨٨/٢٠.
[٣] سورة الأعراف، ١٥٩/٧.
[٤] ن + وبعضهم.
[٥] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.
[٦] ن ع م: وقالوا.
[٧] ع م - إنهم.
[٨] ع: بذكر.
[٩] ن ع م: وللتفكر.
[١٠] ع م: ما صنع.
[١١] ﴿ولٰكِنّا حُمِلْنَا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري﴾ (سورة طه، ٨٧/٢٠).
[١٢] ن: عند، صح هـ.
[١٣] جميع النسخ + بقوله أوزارا من زينة القوم أضاف إلى فرعون. وهي غير موجودة في شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٠ظ.
[١٤] ن: تجوز.

وفيه[١] دلالة أن من حلف[٢] لا يدخل دار فلان، فدخل دارا له عارية عنده، يَحْنَث.

وقوله: **عجلا جسدا**، قال بعضهم: صورته كانت صورة عجل، ولم يكن عجلا في جوهره. وقيل: الجسد هو الذي لا تدبير له ولا تمييز[٣] ولا بيان،[٤] [ألا ترى إلى][٥] قوله: **ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**. لكنه كأنه قال: **عجلا** له **جسد**. يذكر سفههم أنهم عبدوا من لا تدبير له ولا كلام ولا سبب الذي يعبّر به إذا دعاهم،[٦] واختاروا إلهيّة مَن وَصْفُه ما ذكر.

وقوله: **له خُوَار**، قيل: إن السامري قد أخذ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ،[٧] فألقى ذلك القبضة في الحلي الذي ألقوه[٨] في النار، فصار شبه عجل **له خوار**. وقال بعضهم: صاغ من حليهم عجلا، فنفخ فيه من تلك القبضة، فخار خُوَارا.[٩] وقال بعضهم: إن السامري كان هيّأ ذلك العجل الذي اتخذه بحالٍ حتى إذا مسّه وحرّكه خار. وقال بعضهم: كان وُضِع في مَهَبّ الريح فيدخل الريح[١٠] في دبره ويخرج مِن فِيه، فعند ذلك يخور.[١١] ***والله أعلم***.

وقوله: **ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**، ذكر **أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**،[١٢] وفي سورة طه: وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.[١٣] ليس فيه أنه إن كان يكلمهم أو يملك لهم ضرا ونفعا[١٤] يجوز أن يُعبَد، ليُعلَم أنّ ذِكر حظر الحكم في حال لا يوجب إباحة ذلك في حال أخرى.

---

[١] ع م: فيه.
[٢] ع: من أحلف.
[٣] ع: وتمييز.
[٤] جميع النسخ + لكنه ذكر فيه هذا ما لا يحتاج إلى هذا وهو.
[٥] من *الشرح*، ورقة ٣١١و.
[٦] ك م: او دعا؛ ن: او دعاء؛ ع: ودعا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١١و. أي وليس له لسان يعبر به ويدعوهم إلى عبادته. والله أعلم.
[٧] ﴿قال فما خَطْبُك يا سامِري. قال بَصُرتُ بما لم يَبْصُرُوا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سَوَّلَتْ لي نفسي﴾ (سورة طه، ٩٦/٢٠).
[٨] ع: القوة.
[٩] ن ع م: خوار.
[١٠] ن – فيدخل الريح.
[١١] ع: يجوز.
[١٢] ك م – ذكر أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا.
[١٣] ﴿أفلا يَرون أَلّا يَرجِع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ (سورة طه، ٨٩/٢٠).
[١٤] م: ولا نفعا.

وفيه أنّ امتناع العلة عن اطّرادها يوجب نقضها، وإن كان اطرادها في الابتداء في معلولاتها لم يدل على صحتها. وفي قوله: **لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا**، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفعًا، ذكر سفههم بعبادتهم[1] شيئا لا يملك لهم ضرا ولا نفعا.[2]

[٢٦٧و س٢٦ *وفي قوله: **ألم يروا أنه لا يكلمهم**، بعد قوله: **له خُوار**، دلالة أن الكلام هو ما يُفهَم منه المراد، ليست الحروف نفسها، لأنه أخبر أن **له خُوار**، ثم أخبر أنه كان[3] **لا يكلمهم**، دل أن الصوت وإن كان ذا هجاء وحروف ليس بكلام. وذلك يدل لأصحابنا في مسئلة إذا حلف أن لا يكلم فلانا، ثم خاطبه بشيء لا يفهم مراده، أن ذلك ليس بكلام ولا يحنث.* ٢٦٧و س٢٩]

وقوله: **اتخذوه**، أي **اتخذوه** إلها[4] عبدوه، **وكانوا ظالمين**، في عبادتهم العجل، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها، والإلهية في غير موضعها.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١٤٩]

وقوله عز وجل: **ولما سُقِط في أيديهم**، هذا حرف تستعمله[5] العرب عند وقوع الندامة وحلولها. وتأويله: لما رأوا أنهم قد ضلّوا **سُقِط في أيديهم**، أي ندموا على ما كان منهم.

وقوله عز وجل: **لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا**، أي **لئن لم يرحمنا ربنا**، ويوفقنا للهداية والعبادة له،[6] **ويغفر لنا**، ما كان[7] منا من العبادة للعجل والتفريط في العصيان، **لنكونن من الخاسرين**. ويحتمل قوله: **لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا**، ابتداء سبب الرحمة والمغفرة، كقوله: وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ،[8] الآية.[9] ويحتمل التجاوز لما كان منهم والعفو.*

---

[1] ك: لعبادتهم.
[2] ع: ضرا نفعا.
[3] ن – كان.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٧و/سطر ٢٦-٢٩.
[4] ع م – أي اتخذوه إلها.
[5] ك: يستعمله.
[6] جميع النسخ: الهداية والعبادة لك.
[7] ك ن م: لما كان.
[8] ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ (سورة هود، ٩٠/١١).
[9] أي لئن لم يوفقنا الله للاستغفار والتوبة التي هي سبب الرحمة والمغفرة لكنا من الخاسرين.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٧و/سطر ٢٦-٢٩.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١٥٠]

وقوله عز وجل: **ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أَسِفا**، الأسف هو النهاية في الحزن والغضب. كقوله: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ،[١] هو النهاية في الحزن، والأسف في موضع الغضب [في] قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ،[٢] أي أغضبونا. لكن الغضب يكون على من دونه، والأسف والحزن على من فوقه. وقوله عز وجل: **غضبان**، أي لله على قومه لعبادتهم العجل وتركهم عبادة الله، حَزِنا[٣] على قومه لما يلحقهم بعبادتهم[٤] العجل من العقوبة. وهكذا الواجب على من رأى المنكر أنه يغضب لله على مرتكب ذلك المنكر لمعاينته[٥] المنكر، ويأسف عليه لما يلحقه من العقوبة والهلاك[٦] رحمة منه له ورأفة، ويلزم الشكر لربه لما عصمه عن مثله. وكذلك وصف رسوله عليه السلام بالأسف والحزن لتكذيبهم إياه، حتى كادت نفسه تَهلِك حُزْنا عليهم حيث قال: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[٧] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[٨] ذكر هذه القصة لنا لنعرف أنْ كيف نعامل[٩] أهل المناكير[١٠] وقت ارتكابهم المنكر.

وقوله عز وجل: **قال بئسما خلفتموني من بعدي**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما **بئسما خلفتموني**، **بئسما** اخترتم[١١] من عبادتكم العجل على عبادة الله. والثاني[١٢] **بئسما خلفتموني** باتباعكم السامري إلى ما دعاكم إليه بعد اتباعكم إياي وأخي رسول الله وما أمركم به / ودعاكم إلى عبادة الله. *والله أعلم*. [٢٦٧ظ]

[١] ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ٨٤/١٢).
[٢] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.
[٣] حَزِن وحَزِين بنفس المعنى (*لسان العرب* لابن منظور، «حزن»).
[٤] ك: بعبادة.
[٥] م: لمعاينة.
[٦] ن – والهلاك.
[٧] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[٨] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٩] ن – نعامل.
[١٠] م: المناكر.
[١١] ع: أخبرتم.
[١٢] ع: عبادة والثاني.

وقوله عز وجل: **أَعَجِلتم أمر ربكم**، اختلف فيه. قال بعضهم: **أَعَجِلتم** ميعاد ربكم، كقوله: أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا،[1] أي أَعَجِلتم الوعد الحسن الذي وعد لكم ربكم، وهو قوله: وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً.[2] وقال آخرون: قوله:[3] **أمرَ ربكم**، أي عذاب ربكم وغضبه بعبادتكم العجل واتخاذكم [إياه][4] إلها. وقد سمى الله تعالى الأمر في غير موضع من القرآن عذابا، كقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ،[5] ونحوه جَاءَ أَمْرُ اللهِ.[6]

وقوله عز وجل: **وألقى الألواح**، قال أكثر أهل التأويل: **ألقى الألواح**،[7] أي طرح **[الألواح]** على الأرض غضبا منه، فرُفِع منها كذا وكذا وبقي كذا.[8] لكن لا يجوز أن يُفهَم من قوله: **ألقى الألواح**، طرحها لا غير؛ ألا ترى أنه قال: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ،[9] ليس يُفهَم منه الطرح والإلقاء، لكن إنما فهم منه الوضع. فعلى ذلك قوله: **وألقى الألواح**، أي وضع[10] **[الألواح]**؛ لأنه أخذ رأسه ولحيته، أعني رأس أخيه هارون، ولا سبيل له إلى أن يأخذ رأسه ولحيته والألواح في يديه، فوضعها على الأرض، ثم أخذ رأسه ولحيته **يجرّه إليه**. وعلى ما ذكر في سورة طه حيث قال: يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي،[11] دل هذا أنه كان[12] أخذ رأسه ولحيته جميعا، لشدة غضبه لله على صنيع قومه. وفي الآية دلالة العمل بالاجتهاد،

---

[1] سورة طه، ٨٦/٢٠.

[2] سورة الأعراف، ١٤٢/٧.

[3] ك – قوله.

[4] من *الشرح*، ورقة ٣١١و.

[5] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة النحل، ١/١٦).

[6] ﴿فإذا جاء أمر الله قُضِي بالحق وخسِر هنالك المُبْطِلون﴾ (سورة المؤمن، ٧٨/٤٠)؛ ويقول تعالى: ﴿وغرّتكم الأمانيُّ حتى جاء أمر الله ﴾ (سورة الحديد، ١٤/٥٧).

[7] ن – ألقى الألواح.

[8] قيل: إن التوراة كانت سبعة أسباع، فلما ألقى موسى الألواح تكسّرت، فرُفِع منها ستة أسباعها، وكان فيما رُفِع تفصيل كل شيء الذي قال الله: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ (سورة الأعراف، ١٤٥/٧)، وبقي الهدى والرحمة في السُّبع الباقي. وروي نحو ذلك عن ابن عباس وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ٦٦/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥٦٤/٣-٥٦٥.

[9] سورة النحل، ١٥/١٦؛ وسورة لقمان، ١٠/٣١.

[10] م: أي وضعه.

[11] ﴿قال يا ابن أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرّقتَ بين بني إسرائيل و لم تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (سورة طه، ٩٤/٢٠).

[12] م: إن كان.

لأنه قال: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي، ولا يحتمل أن يكون موسى يأخذ رأسه بالوحي[١] والأمر من الله[٢] ثم يقول له هارون: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِكذا، ولا تفعل كذا. وفيه أيضا أن هارون لما قال له: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ، إنما قال ذلك[٣] بالاجتهاد،[٤] حيث قال: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لأنه لو كان يقول له بالوحي أو بالأمر لم يكن ليعتذر إليه بقوله:[٥] **فلا تُشْمِت بِيَ الأعداء.**

وقوله: **وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه،** فيه دلالة أنه إنما أخذ شعر رأسه، لأنه لو كان أخذ رأسه لكان لا يحتاج إلى أن **يجره إليه،** دل أنه كان أخذ بشعر رأسه. وكذلك قوله: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي. وفيه دلالة لأصحابنا[٦] أن من مسح[٧] رأسه ثم أزال شعره لم يسقط عنه حكم المسح، وإذا مسح على لحيته ثم سقط زال عنه[٨] حكمه ولزم غَسلُ ذَقَنِه، لما سَمَّى الشعر رأسا، وسمى اللحية لحية، وسقوطها يُسقط حكم المسح، وسقوط شعر الرأس لا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني،** خرج هذا صلة قول موسى لهارون لما قال له: يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي،[٩] فقال عند ذلك: **إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشْمِتْ بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين.**

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[١٥١]

وقوله عز وجل: **قال رب اغفر لي ولأخي،** قال بعضهم: إنما خصّ أخاه بسؤال المغفرة، لأنهم جميعا قد عبدوا العجل سوى أخيه هارون، لذلك خصّه بسؤال المغفرة.[١٠] وقال بعضهم: إنما قال[١١] ذلك جوابا مما قال هارون: فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ،[١٢] الآية.

---

[١] ك - بالوحي.
[٢] ك: ولا من الله.
[٣] ن - ذلك.
[٤] ن + ذلك.
[٥] ك: لقوله.
[٦] ع: أصحابنا.
[٧] ك + سعر.
[٨] ن - عنه.
[٩] سورة طه، ٢٠/٩٢-٩٣.
[١٠] أي خص موسى نفسه وأخاه هارون بسؤال المغفرة وطلب الرحمة من الله ولم يشرك قومه في ذلك، لأنهم...
[١١] ع - قال.
[١٢] الآية السابقة.

ويحتمل أن يكون تخصيص السؤال له بالمغفرة لما سأل ربه أن يجعل هارون له وزيرا بقوله: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي.[١] لما سأل ربه أن يشركه في أمره[٢] ويشدّ به[٣] أَزْرَه فعلى ذلك خصّه بسؤال[٤] المغفرة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وأنت أرحم الراحمين**، لأن كل من يَرحم دونه إنما يَرحم برحمته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[١٥٢]

وقوله: **إن الذين اتخذوا العجل**، أي عبدوا العجل،[٥] **سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا**، قال بعضهم: **غضب من ربهم**، عذاب في الآخرة لمن مات منهم على ذلك، **وذلة في الحياة الدنيا**، القتل والهلاك في الدنيا. وقال[٦] بعضهم: قوله: **غضب من ربهم**، القتل والهلاك، **وذلة في الحياة الدنيا**، الجزية والأسر[٧] والقهر. ويحتمل قوله تعالى: **وذلة في الحياة الدنيا**، ذِكرَ الذم[٨] بصنيعهم، وثناءَ الشر على ما كان. وبصنيع[٩] الخيرِ المَحْمَدةُ في الدنيا وثناءُ الخير.[١٠]

وقوله: **سينالهم غضب من ربهم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي قد نالهم **غضب من ربهم**،[١١] وما ذكر. والثاني أن يكون هذا مذكورا في كتبهم أن من اتخذ العجل معبودا **سينالهم غضب من ربهم**.[١٢] فإن كان هذا خبرا عما في كتبهم فسينالهم على الوعد،[١٣] وإلا على الخبر أنْ قد نالهم.[١٤] **وكذلك نجزي المفترين**، أي كذلك نجزي كل مفتر[١٥] على الله تعالى.

---

[١] سورة طه، ٢٠/٢٩-٣٢.
[٢] ع – أن يشركه في أمره.
[٣] م – ويشد به.
[٤] ع: بسؤاله.
[٥] م – أي عبدوا العجل.
[٦] ن: قال.
[٧] ع: والأمر؛ م: والسبي.
[٨] ك: الذمة.
[٩] م: بصنيع.
[١٠] ك ن ع: الحسن.
[١١] ع – هذا يحتمل وجهين أحدهما أي قد نالهم غضب من ربهم.
[١٢] ن – غضب من ربهم وما ذكر والثاني أن يكون هذا مذكورا في كتبهم أن من اتخذ العجل معبودا سينالهم غضب من ربهم.
[١٣] جميع النسخ + صحيح.
[١٤] م: أي قد نالهم.
[١٥] ن: كل مفترى.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٥٣]

وقوله عز وجل: **والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا**، قال أهل التأويل: قوله: **والذين عملوا السيآت**، يعني الذين[١] عبدوا العجل، **ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم**، وهو في كل من عمل السيئات أيَّ سيئة كانت، إذا تاب عنها وندم عليها وطلب من الله المغفرة غفر له.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[١٥٤]

وقوله: **ولما سكت عن موسى الغضب**، [أي] الغضب[٢] الذي غضب لله على قومه بعبادتهم[٣] العجل. ولا يحتمل ما قاله أبو بكر الأصم: إن الغضب عقوبة وشَتْم، لأن الغضب معروف لا يجوز أن يُتَأوَّل [على] ما قال هو. وقوله: **أخذ الألواح**، يعني الألواح[٤] التي وضعها على الأرض.

وقوله: **وفي نسختها هدى ورحمة [للذين هم لربهم يَرْهَبون]**، قال بعضهم: يعني في نسخة الألواح، لما كانت نُسِخت[٥] من اللوح المحفوظ. وقال بعضهم: قوله: **وفي نسختها**، أي الكتب التي انتسخها بنو[٦] إسرائيل من تلك / الألواح. [٢٦٨و] وقوله: **هدى ورحمة**، أي **هدى** من كل ضلالة، وبيان من كل عمى وشبهة، **ورحمة** من كل سخطة وغضب. **للذين هم لربهم يَرْهَبون**، أي للذين يخشون ربهم فيعملون به.[٧]

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[١٥٥]

وقوله عز وجل: **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا**، قال بعضهم: قوله: **لميقاتنا**،

---

[١] ن – الذين.
[٢] ع م – الغضب.
[٣] ك: لعبادتهم.
[٤] م – يعني الألواح.
[٥] ك: نسخة.
[٦] ك: بنوا.
[٧] م – به.

أي لتمام الموعدة التي وعد، وهو الأربعون[1] الذي وعد. ولكن لا ندري ما ذلك الميقات الذي ذكر.

وقوله: **واختار موسى قومه**، قال بعضهم: [يعني] السبعين الذين اختارهم[2] موسى ليكونوا مع هارون، فعبدوا[3] العجل في أَفْنِيَتهم،[4] فلم ينكروا ولم يغيّروا[5] عليهم، فأخذتهم الرجفة. وقال الحسن: إنهم[6] جميعا قد عبدوا العجل إلا هارون. فالرجفة[7] التي أخذتهم إنما أخذتهم[8] عقوبة لما عبدوا العجل. ولسنا ندري من أولئك السبعين الذين اختارهم موسى. وأمكن أن يكون موسى اختار السبعين ليخرجوا معه، فيكونوا شهداء له على إنزال[9] التوراة عليه وكلام ربه. وقيل: هم الذين تركهم في أصل الجبل، فلما جاءهم موسى بالتوراة قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً،[10] فأخذتهم الصاعقة وهلكوا لقولهم ذلك. وقد ذكرنا أنّا لا ندري من كانوا. وقيل: اختارهم موسى ليتوبوا إلى الله مما عمل قومهم.

وقوله: **فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي**، قال بعض أهل التأويل: لو شئت أَمَتَّهم، **وإيّاي** بقتل القبطي.[11] وقال آخرون: **لو شئت أهلكتهم**، على نفس الإهلاك، **وإيّاي**؛ على القدرة، أي تقدر على إهلاكي، ولكن لا تهلكني[12] لما لم يكن ما يستحق[13] ذلك. ويشبه أن يكون قوله: **لو شئت أهلكتهم**، إهلاك فتنة، **وإياي**.[14]

وقوله عز وجل: **[لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي] أتهلكنا بما فعل السفهاء منا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول[15] –والله أعلم– لك أن تهلكنا ابتداء إهلاك، و السفهاء بما فعلوا.

---

[1] ك ن ع: وهو الأربعين.

[2] م: الذي اختارهم.

[3] ك: فعبد.

[4] فِناء الدار ما امتدّ من جوانبها، والجمع أَفْنِيَة (*لسان العرب* لابن منظور، «فني»).

[5] ن ع م: ولم يفتروا.

[6] م: إنه.

[7] ن – هي.

[8] م – إنما أخذتهم.

[9] م: على إنزاله.

[10] سورة البقرة، ٢/٥٥.

[11] أي قَتْل موسى عليه السلام للقبطي، وقد ذكر في قوله تعالى: ﴿قال رب إني قَتلتُ منهم نفسا فأخاف أن يَقتلونِ﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٣)، وغير ذلك.

[12] ن: لا تهلكه؛ ع م: لا تهلكنا.

[13] جميع النسخ: ما يستحقه.

[14] ن – وإياي.

[15] ك: نقول؛ م: بقول.

والثاني يقول:[١] لو شئت[٢] أهلكتهم وإياي مِن قبل، فلا تُهلكْنا الآن،[٣] لأن موسى [خاف إن][٤] أتى قومه وأخبرهم أنهم أُهلِكوا بسبب كذا لم يُصدّقه[٥] قومه بذلك، ولكنهم يتّهمونه ويقولون: أنت قتلتهم. على ما ذكر في بعض القصة أنه[٦] خرج بهارون إلى بعض الجبال، فمات هارون هنالك،[٧] فأخبر قومه بذلك، فكذّبوه وقالوا:[٨] أنت قتلته. فعلى ذلك جائز أن يكون هاهنا خاف أن يتّهمه قومه في أولئك، ولا يُصدّقوه[٩] فيما حلّ بهم. ***والله أعلم***.

وقوله: **أتهلكنا بما فعل السفهاء منا**،[١٠] يحتمل هذا[١١] وجوها. يحتمل [أن] يُراد به التقرير. ويحتمل الإنكار والرد. ويحتمل الإيجاب. أما الإنكار فيكون معناه: **أتهلكنا بما فعل السفهاء منا**،[١٢] أي لا تفعل، ولا **تهلكنا بما فعل السفهاء منا**.[١٣] ومثل هذا قد يقال، يقول الرجل لآخر: أتفعل أنت كذا؟ على الإنكار،[١٤] أي لا تفعل. فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم***. ويُراد به الإيجاب، كأنه قال: لك أن **تهلكنا**[١٥] **بما فعل السفهاء منا**، وما **هي إلا فتنتك**، أنْ يكون ذلك امتحانا وابتلاءً ابتداءً، أي تفعله امتحانا وابتلاء لا تعذيبا. ويحتمل أن يكون على الاستفهام، لكن لم يخرج له الجواب، كقوله: أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ،[١٦] وقوله: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى،[١٧] ونحوه، مما لم يخرج له جواب. فعلى[١٨] ذلك هذا.

---

[١] ك: نقول؛ م: بقول.
[٢] ع – لو شئت.
[٣] ك: و لم تهلكنا قومنا؛ ن: و لم تهلكنا قوما؛ ع م: وما تهلكنا قومنا. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١١ظ.
[٤] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١١ظ.
[٥] ع م: لم يصدقوا.
[٦] ن + ذكر.
[٧] م: هناك.
[٨] ن: فقالوا.
[٩] ع: ولا يصدقوة.
[١٠] ن + ومثل هذا.
[١١] ن – هذا.
[١٢] ع م – منا.
[١٣] ن – أي لا تفعل ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا.
[١٤] ك: كذا الإنكار.
[١٥] م: أتهلكنا.
[١٦] سورة الرعد، ٣٣/١٣.
[١٧] سورة الأنعام، ٢١/٦، ٩٣؛ وغير ذلك.
[١٨] ع م: فعل.

ويجوز أن يكون إهلاكه إياهم محنة بتفريطٍ كان من بعضهم، وإن كان بعضهم بُرَآء من ذلك. على ما كان من أهل المَرْكَز[1] من العصيان،[2] وكان الفشل والهزيمة عليهم محنة منه إياهم، كقوله: إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ،[3] الآية. فعلى ذلك هذا.

وقوله عز وجل: **إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء**[4] **وتهدي من تشاء**، قال أبو بكر: **تضل بها**، أي تنهى **من تشاء** نهيا ما لولا ذلك النهي لم يكن الفعل فعل الضلال، **وتهدي من تشاء**، أي تأمره أمرا ما لولا ذلك الأمر لم يكن الفعل[5] فعل الاهتداء. لكن حرف "مَن" إنما يُعبَّر به عن الأشخاص[6] دون الأفعال، فلو كان على ما ذكر هو لقال: تضل به ما تشاء، فإذ لم يقل[7] ذا ثبت أنه ليس على ما ذكر. وتأويله عندنا أنه يخلق فعل الضلال ممن يعلم أنه يختار ذلك، ويخلق فعل الهدى ممن يعلم أنه يختار ذلك، وهو خالق كل شيء. وأصل ذلك أن جميع ما يضاف إلى الله من طريق الأفعال -على اختلاف الإضافة باختلاف[8] وجوهها- حقيقةُ ذلك [أنه] من الله خَلْقُ ما أضيف إليه من الوجه الذي يَحِقّ وَصْفُه بأنه خالقه؛ فعلى ذلك قوله: **تهدي و تضل**. ويحتمل تُوفِق[9] وتَخْذُل.[10]

وقوله عز وجل: **أنت ولينا**، أي **أنت** أولى بنا. ويحتمل **أنت** ولي هدايتنا. أو **أنت** ولي نعمتنا. **فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، وأنت خير** الراحمين، لأن كل أحد دونه إنما يَرحم ويَغفر برحمته.

---

[1] مركز الجند هو الموضع الذي أُمروا أن يَلزموه وأن لا يبرحوه (*لسان العرب* لابن منظور، «ركز»).

[2] أي في غزوة أحد عندما ترك الرُماة مواقعهم على الجبل.

[3] ﴿ولقد صَدَقَكم الله وَعْدَه إذ تَحُسُّونهم بإذنه حتى إذا فَشِلتم وتَنازعتم في الأمر وعَصَيْتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صَرَفَكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٢). وتحسونهم أي تقتلونهم.

[4] ن + أي تأمره.

[5] ع م – تشاء نهيا ما لولا ذلك النهي لم يكن الفعل فعل الضلال وتهدي من تشاء أي تأمره أمرا ما لولا ذلك الأمر لم يكن الفعل.

[6] ك ن ع: به الأشخاص.

[7] ع م: فإن لم يقل.

[8] ن – أنه يختار ذلك وهو خالق كل شيء وأصل ذلك أن جميع ما يضاف إلى الله من طريق الأفعال على اختلاف الإضافة باختلاف؛ ع م: بالاختلاف.

[9] ن ع م: وتوفق.

[10] ك: ويخذل.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٥٦]

وقوله عز وجل: **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة**، يحتمل الكتابة[١] الإيجاب، أي أوجب **لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة**؛ أو الإثبات، أي أثبت لنا وأعطنا **في هذه الدنيا حسنة**؛ ويكون [بمعنى] قوله: آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.[٢] وقال بعضهم: قوله: **واكتب لنا**، أي وفّق لنا[٣] العمل الذي نستوجب به الحسنة في الدنيا والآخرة. ويحتمل **اكتب لنا في** الدنيا الحسنات، ولا تكتب علينا السيئات. *والله أعلم*. وقوله: **في هذه الدنيا حسنة**، تُختَم بها الدنيا وتَنقضي بها، وإلا ما من مسلم إلا وله في هذه[٤] الدنيا حسنة آتاها إياه. وعلى ذلك يخرج قوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، أنهم[٥] إنما سألوا حسنة أنْ يُختَموا[٦] عليها.[٧] ويكون كقوله: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ كذا.[٨] والله أعلم بذلك.[٩]

وقوله عز وجل: **إنّا هُدْنا إليك**، قال بعض أهل التأويل:[١٠] قوله: **هدنا إليك**، أي مِلْنا إليك. / وقال غيرهم: **إنا هدنا إليك**، أي تُبنا إليك. وقيل: ولذلك سَمّت اليهود أنفسهم [٢٦٨ظ] يهودا، أي تائبين إلى الله. لكن لو كان كما ذكر كان قوله: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا،[١١]

---

[١] ع: الكتاب.

[٢] ن – ويكون قوله آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة؛ ع م – أو الإثبات أي أثبت لنا وأعطنا في هذه الدنيا حسنة ويكون قوله آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. والآية في سورة البقرة، ٢/٢٠١.

[٣] ع: أي وفقلنا.

[٤] م – هذه.

[٥] ك – أنهم.

[٦] ن ع م: أن يختمون.

[٧] ن: علينا.

[٨] ﴿من جاء بالحسنة فله عشرُ أمثالِها﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠)؛ ﴿من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٩؛ وسورة القصص، ٢٨/٨٤).

[٩] ن – وقوله عز وجل في هذه الدنيا حسنة آتاها إياه وعلى ذلك يخرج قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أنهم إنما سألوا حسنة أن يختموا عليها ويكون كقوله من جاء بالحسنة فله كذا والله أعلم بذلك.

[١٠] ن ع – أهل التأويل.

[١١] ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٦٧).

أي تائبا، وذلك بعيد. ولكن إن كان لذلك[١] سُمُّوا فهو -والله أعلم- مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا، أي لم يكن إبراهيم[٢] على المذهب الذي عليه اليهود،[٣] وكذلك لم يكن على المذهب الذي ادعت النصارى أنه كان عليه، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.

وقوله عز وجل: **قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء [فسأكتبها للذين يتقون]**، قال الحسن: شاء[٤] أن يصيب عذابه من كفر بالله وكذّب رسله، وشاء من أطاع الله وصدّق رسله أن يصيب رحمته. ودل قوله: **عذابي أصيب به من أشاء**، أنه لما شاء أن يصيبهم عذابه شاء العمل والفعل الذي كان به يصيبهم، لأن حرف "مَن" إنما يُعبَّر به عن بني آدم، ولا جائز أن يشاء لهم الإيمان ثم يشاء لهم أن يصيبهم عذابه، ولكن إذا علم[٥] منهم أنهم لا يؤمنون[٦] ويختارون فعل الضلال على فعل الهدى شاء لهم ما اختاروا. وقوله: **ورحمتي وسعت كل شيء**، ما من أحد من مسلم وكافر إلا وعليه من آثار رحمته في هذه الدنيا،[٧] بها يَتعيّشون ويُؤاخون ويُوادّون، وفيها يتقلّبون، لكنها للمؤمنين خاصة في الآخرة، لا حظ للكافر فيها. وذلك قوله: **فسأكتبها للذين يتقون**، معصية الله والخلاف له، **ويؤتون الزكاة**. وكقوله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[٨] جعل طيبات الدنيا ونعيمها مشتركة بين المسلم والكافر، خالصة للذين آمنوا يوم القيامة، لا حظ للكافر فيها. فعلى ذلك رحمته نالت كل أحد في هذه الدنيا، لكنها[٩] للذين آمنوا واتقوا الشرك خاصة في الآخرة. ويحتمل قوله -والله أعلم- **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة**، أنهم إنما سألوا الرحمة، فقال: **سأكتبها للذين يتقون**، معاصي الله ومخالفته. ***والله أعلم***.

وقوله: **ويؤتون الزكاة**، يحتمل **يؤتون الزكاة** المعروفة. ويحتمل تزكية النفس، كقوله:

---

[١] ع م - لذلك.
[٢] ن ع م - إبراهيم.
[٣] ك: اليهود عليه.
[٤] م: يشاء.
[٥] ع م: إذ علم.
[٦] ك: ألا يؤمنون.
[٧] ك: في من الدنيا.
[٨] سورة الأعراف، ٣٢/٧.
[٩] ن - لكنها.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا،[1] ومعلوم أنه لم يرد به زكاة المال، ولكن زكاة النفس بالتوحيد والتقوى. وكذلك قوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا،[2] هو ذلك الزكاة، لا الزكاة[3] المعروفة: زكاة المال. فعلى[4] ذلك الأول. *والله أعلم*. وإن كان على الزكاة المعروفة فذلك في قومٍ ثَقُل عليهم واشتدّ إخراج الزكاة من أموالهم، كقوله: الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ،[5] كذا.

وقوله عز وجل: **والذين هم بآياتنا يؤمنون**، قد ذكرنا في غير موضع[6] أن من آمن بآيات الله وصدّقها فقد آمن[7] بالله وبرسله، ومن كذّب بآياته كذّب بالله وخالف رسله، لأن طريق معرفة الله ورسله إنما هو من طريق الآيات والحجج، ليس من طريق المشاهدات والمحسوسات، لذلك كان الإيمان بالآيات إيمانا بالله وبرسله، والتكذيب بها كفرا[8] بالله ورسله.

﴿ اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٥٧]

وقوله عز وجل: **الذين يتبعون الرسول النبيَّ**، أي يَقفُون أثر الرسول في كل سيرته وفي كل أمره ونهيه ويطيعونه. سماه رسولا ونبيا بقوله: **الرسول النبي**، و **الرسول** كالمبعوث على تبليغ الرسالة والمأمور بها على كل حال، و **النبي** كالمنبئ لهم أشياء عند السؤال والاستخبار. و **الرسول** هو المأمور بالتبليغ، سألوه أولم يسألوا، شاءوا أو أبوا. وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم كلاهما الإنباء والتبليغ، كقوله: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ،[9] وقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.[10]

---

[1] سورة الشمس، ٩١/٩-١٠.
[2] سورة النور، ٢٤/٢١.
[3] ن - لا الزكاة.
[4] ك: وعلى ذلك.
[5] يقول الله تعالى: ﴿الذين لا يُؤتُون الزكاة وَهُمْ بالآخرة هم كافرون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٧).
[6] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٣٦.
[7] ع - آمن.
[8] جميع النسخ: وبالتكذيب بها كفر.
[9] سورة المائدة، ٥/٦٧.
[10] سورة الشورى، ٤٢/٤٨.

وقوله عز وجل: **الأُمِّيَّ الذي يجدونه مكتوبا، الأمي** ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،**[1] الآية. **الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة،** أي **يجدونه مكتوبا في التوراة**[2] أنه رسول نبي وأنه أمي. قوله: **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ**، لئلا يقولوا: إنك أخذت هذا من الكتب المتقدمة ومن علومها وحكمتها، **وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**، لئلا يقولوا: إنه من تأليفك، ويعلموا أنه من عند الله جاء به،[3] لا من ذات نفسه.

[٢٦٩و س١٧ *وفي هذه الآية دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عله وسلم، لأنه أخبر أنه أمي، والأمي ما ذكر في قوله: **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**، كان لا يتلو ولا يخطه بيده،[4] ثم أخبر على ما كان في كتبهم من غير أنْ عَرَف ما في كتبهم أو نَظَر فيها وعَرَف لسانهم، دل أنه إنما عرف ذلك[5] بالله تعالى.* ٢٦٩و س٢٠]

وفي قوله: **يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر،** إلى آخر ما ذكر،[6] دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن أولئك لم يأتوا بالتوراة والإنجيل فيقولوا:[7] لا نجد ما تذكر في التوراة والإنجيل، دل ذلك منهم على أنهم وجدوه كذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر**، أي **يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة،** أنه يأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه، **ويحل لهم الطيبات،** ما أحل الله لهم، **ويحرم عليهم الخبائث،** ما حرم الله عليهم. يجدونه في التوراة أنه لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء ولا يحل شيئا ولا يحرم إلا بأمر من الله له، لكنهم ينكرونه إنكار عناد ومكابرة، كقوله تعالى: **يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،**[8] وغيره. ويحتمل قوله: **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر،** الآية،

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وما كنتَ تتلو مِنْ قَبْلِهِ من كتاب ولا تَخُطُّهُ بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).
[2] ن – أي يجدونه مكتوبا في التوراة.
[3] ك: جابه.
[4] ك: بيمينه.
[5] ن – ذلك.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٦٩و/سطر ١٧-٢٠.
[6] ن – ما ذكر.
[7] جميع النسخ: فيقولون.
[8] سورة البقرة، ١٤٦/٢؛ وسورة الأنعام، ٢٠/٦.

أي **يأمرهم** بما هو معروف في العقل وشهادة الخلقة، وهو التوحيد. وكذلك **ينهاهم** عما هو في العقل وشهادة الخلقة منكر، وهو الكفر وجميع المعاصي. **ويحل لهم الطيبات**، أي **يحل** ما هو طيب في العقل والطبع، **ويحرم** ما هو خبيث في العقل / والطبع جميعا. لأن من الأشياء ما هو مستخبث [٢٦٩و] في الطبع لم يجعل غذاء البشر فيه، وإنما جعل غذاؤهم[١] فيما هو مستطاب في الطبع، بلغ غايته في الطِّيب، ولا كذلك جعل غذاء البهائم والأنعام، هذا محتمل.[٢] *والله أعلم*. والثالث يحتمل...[٣] ثم **المعروف والطيبات**، لو تُركت العقول والطباع على ما هي عليها لكانت لا حاجة تقع إلى رسول يخبر أن هذا معروف وأن هذا طيب أو خبيث أو منكر، ولكان[٤] تَعرف العقول والطباع ذلك كله،[٥] لكن تَعترض[٦] العقولَ من الشُّبَه فتمنعها عن معرفة ذلك، فاحتاجت إلى رسول الله[٧] يخبرها[٨] عن ذلك.

وقوله عز وجل: **ويضع عنهم إصرهم**، قيل: ما غلّظوا على أنفسهم[٩] من الشدائد. وقيل: **إصرهم**، شدة من العبادة والعمل. وقيل: **إصرهم**، عهدهم. وقيل: **إصرهم**، أي الثقل[١٠] الذي كان بنو[١١] إسرائيل أُلزِموه.[١٢] وقال القُتَبي: **ويضع عنهم إصرهم**، أي ذنبهم الذي كانوا يذنبون،[١٣] أي عقوبة الذنب الذي أذنبوا في الدنيا.

وقوله عز وجل: **والأغلال التي كانت عليهم**، قال الحسن: إن اليهود قالوا: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ،[١٤] أي محبوسة عن عقوبتنا، فقال[١٥] عز وجل: غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا،

---

[١] ع: غذاهم؛ م: غذائهم.

[٢] ن: هذا يحتمل.

[٣] م – والثالث يحتمل. وفي نُسَخ ك ن بياض بمقدار عدة كلمات. وفي هامش نسخة ك: كذا بالأصل بياض. ولا توجد هذه الزيادة أو أي كلام آخر في *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.

[٤] جميع النسخ: ولكن.

[٥] ن – كله.

[٦] ك: لكن يعترض؛ م: لكن تعرض.

[٧] ك ع – الله.

[٨] ن ع م: يخبر.

[٩] ن: في أنفسهم.

[١٠] م: إصرهم الثقل.

[١١] ك: بنوا.

[١٢] وهوقول ابن قتيبة. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٣.

[١٣] ن: يذنبوا. لعل المؤلف رحمه الله أخطأ في نسبة هذا القول إلى ابن قتيبة. قارن: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٣.

[١٤] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٤).

[١٥] ن + الله.

أي غُلّت أيديهم إلى أعناقهم في النار، فأخبر أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لما آمنوا به وصدّقوه رفع تلك **الأغلال التي**[1] **كانت**[2] **عليهم** عن هذه الأمة بطاعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: **الأغلال التي كانت عليهم**، الشدائد **التي كانت عليهم**، من نحو ما لا يجوز[3] لهم العفو عن الدم العمد،[4] ولا أَخذُ الدية، وما لا يجوز غَسلُ النجاسات إلا القَطْع،[5] وغير ذلك من الأشياء التي لم تُحَلَّ لهم، فأُحلّت لهذه الأمة. ويحتمل أن يكون الإصر[6] **والأغلال التي كانت عليهم** من نحو ما حُرِمت من أشياء بظلم كان منهم، وتحريم،[7] نحو قوله: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ،[8] وقوله: وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ -إلى قوله- ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ.[9] حُرِمت تلك الأشياء عليهم عقوبة لبغيهم وظلمهم الذي كان منهم. أخبر أنه وضع عن هؤلاء ذلك، لم يحرّم ذلك عليهم.*

وقوله: **فالذين آمنوا به**، أي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، **وعزّروه**، قيل: أعانوه بأموالهم، **ونصروه**، بأيديهم بالسيف. وقال الحسن: قوله: **وعزّروه ونصروه**، إنما هو كلام مَثْنِي، وهو إعانة. وقيل: **عزّروه**، أطاعوه، **ونصروه**، أعانوه. وقيل: **عزّروه**،[10] أي عظّموه.

وقوله عز وجل: **واتبعوا النور الذي أنزل معه**، يعني القرآن، سماه نورا لما ينير[11] الأشياء عن[12] حقائقها بالعقول، لأن النور في الشاهد هو الذي يَكشف عن الأشياء سواترها، فعلى ذلك القرآن هو نور[13] لما يَرفع الشُبَه عن القلوب ويكشف عن سواترها. وقال بعضهم: سمي نورا لما ينير الأشياء ويعرف به ما غاب وما شهد، فيصير الغائب به كالشاهد.[14]

---

[1] ع – التي.
[2] ك ن ع – كانت.
[3] ك: ما يجوز.
[4] ك: والعمد.
[5] ع: إلا انقطع.
[6] ك: الإصرار.
[7] بسبب تحريمهم، أي هم حرموا بعض الأشياء عليهم.
[8] سورة النساء، ٤/١٦٠.
[9] يقول الله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظُفُرٍ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حمَلت ظهورهما أو الحَوَايَا أو ما اختلط بعَظْم ذلك جزيناهم ببغيهم﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤٦).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٦٩و/سطر ١٧-٢٠.
[10] ن ع م – أطاعوه ونصروه أعانوه وقيل عزروه.
[11] ن م: لما تنير.
[12] م + حقا.
[13] ع م: وهو نور.
[14] ن ع م: به له كالشاهد.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٥٨]

وقوله عز وجل: **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**، فيه دلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الناس كافّة. وكذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثتُ إلى الأحمر والأسود».[١] وسائر الأنبياء بُعِثوا إلى أقوام خاصة، وإلى البلدان والقرى المعروفة المحدودة.[٢] وفيه أنه لما خاطبه أن يقول للناس:[٣] **إني رسول الله إليكم**، أنه[٤] لا سبيل له إلى أن يخاطب الناس والخلق جميعا فيقول: **إني رسول الله إليكم جميعا**، ولكن إنما يكون بِبَعث الرسل إليهم، فيُنَزَّل قول الرسول: إنه[٥] رسول الله إليكم، منزلةَ قول نفسه: **إني رسول الله إليكم**. فانتشر ذكره بتبليغ الرسل إليهم، كأنه[٦] هو بلّغ ذلك، وقال لهم: **إني رسول الله**[٧] **إليكم**. أو إن الله عز وجل سخّر الخلق حتى بلّغ بعضهم بعضا رسالته، حتى فشا خبره وانتشر ذكره في جميع آفاق[٨] الأرض شرقا وغربا. وذلك من عظيم آيات نبوته ورسالته.

ثم بيّن أنه رسول من الله، فقال[٩] [بأنه] رسول **الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت**. وذكر تخصيص السماوات والأرض وإن كان له ملك الكل لما هما النهاية في ملك البشر عند البشر.[١٠] أو ذكر هذا ليعلموا أن من في السماوات والأرض له، [وهم] عبيده وإماؤه. أو ذكر هذا ليعلموا أن التدبير فيهما جميعا لواحد، حيث اتّصل منافع السماء بمنافع الأرض على بُعد ما بينهما.

---

[١] مسند أحمد بن حنبل، ٣٠٤/٣؛ وصحيح مسلم، المساجد ٣.
[٢] ك: المعدودة.
[٣] ن: الناس.
[٤] ن: لأنه.
[٥] ع: إني.
[٦] ن + كأنه.
[٧] م – إنما يكون ببعث الرسل إليهم فينزل قول الرسول إنه رسول الله إليكم منزلة قول نفسه إني رسول الله إليكم فانتشر ذكره بتبليغ الرسل إليهم كأنه هو بلغ ذلك وقال لهم إني رسول الله.
[٨] م: الآفاق.
[٩] ك ن: رسول من فقال.
[١٠] ع م – عند البشر.

وقوله عز وجل: **لا إله إلا هو**، ذكر هذا لأن العرب سمّت كل معبود إلها، وهم كانوا يعبدون الأصنام دونه ويسمّونها آلهة، فنفى الألوهية عمن يعبدونهم[1] دونه، وأثبتها له. وأخبر أنه هو المستحق لاسم الألوهية والعبادة لا غير، لأنه **يحي ويميت**، ومن يعبدون دونه[2] لا يملك الإحياء ولا الإماتة. وذكر[3] -والله أعلم- الحياة والموت، لأنه ليس شيء[4] أَلَذّ وأشهى في الشاهد من الحياة، ولا أَمَرّ ولا أشدّ من الموت، ليرغبوا في أَلَذّ ما غاب عنهم، ويَنفِروا عن الأَمَرّ والأَكْرَه[5] مما غاب عنهم. ***والله أعلم***. أو ذكر أنه هو[6] **يحيي ويميت** ليدل أنه فعلُ واحدٍ لا عَدَد.

وقوله عز وجل: **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله**، كان صلى الله [٢٦٩ظ] / عليه وسلم هو السابق إلى كل خير، فعلى ذلك دعا الخلق إليه[7] كقوله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ،[8] وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ.[9] فعلى ذلك إنما أمر بالإيمان به[10] بعد ما آمن هو. وجائز أن يكون قوله: **يؤمن بالله وكلماته**، أي آمن رسول الله **بالله وكلماته**، التي كانت في الكتب الماضية، فأخبر بها[11] على ما في كتبهم ليعرفوا أنه إنما عرفها بالله تعالى.

وقوله تعالى: **وكلماتِه**، اختلف فيه. قال عامة أهل التأويل: **كلماته**، القرآن. وذكر في بعض القراءات: وَكَلِمَتِه، بلا ألف.[12] فصُرِف التأويل إلى عيسى، كأنه قال: آمنوا بالله وبمحمد وبعيسى. ويحتمل أن يكون قوله: **وكلماته**، ما أعطاه من الحلال والحرام والأمر والنهي[13] والحكمة والأحكام التي أمر بها[14] وشرعها لنا، على ما ذكر في إبراهيم أنه ابتلاه بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ.[15] ***والله أعلم***.

---

[1] ن ع: يعبدون هم.
[2] ن: ومن يعبدونه.
[3] ن ع م + هذا.
[4] ك - شيء.
[5] ع: والإكراه.
[6] ك ع ن - هو.
[7] ع م - إليه.
[8] سورة الأعراف، ١٤٣/٧. وذلك قول موسى عليه السلام.
[9] سورة الأنعام، ١٦٣/٦.
[10] ع م - به.
[11] ك: فأخبرونا.
[12] *روح المعاني* للآلوسي، ٨٣/٩. وهي قراءة شاذة.
[13] ن - والنهي.
[14] ع: أمرها.
[15] ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن﴾ (سورة البقرة، ١٢٤/٢).

وقوله عز وجل: **واتبعوه لعلكم تهتدون**، قد ذكرنا[1] الاتّباع له،[2] فإذا اتّبعوه اهتدوا.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[١٥٩]

وقوله عز وجل: **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق**، قيل: **أمة** يدعون إلى سبيل الحق، **وبه يَعدِلون**، أي به يعملون، وهو كقوله: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ،[3] فعلى ذلك يحمل[4] الأول على إضمار[5] الدعاء إلى سبيل الحق. وقال الحسن: **يهدون بالحق**، أي يعملون[6] بالحق، **وبه يعدلون**، فيما بينهم. لكن الأول أقرب. *والله أعلم*. ثم قوله: **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق**، جائز أن يكون الأمة التي أَكْرَم **مِن قوم موسى** كان في زمنهم، يدعون الناس إلى الإيمان برسول الله. أو أن يكون الأمةُ من قومه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَقِيّةً **من قوم موسى** مؤمنين به، يدعون الناس إليه، وبه يعملون.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١٦٠]

وقوله عز وجل: **وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطا أُمَما**، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو ما ذكر:[7] وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا،[8] أي جماعات.[9] وقيل: **وقطّعناهم**، أي جعلناهم، **اثنتي عشرة أسباطا**، فِرَقا. وقال غيرهم: قوله: **وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطا أُمَما**، أي جاوزنا بهم البحر، وجعلنا لهم **اثنتي عشرة أسباطا**. قال[10] أبوعَوْسَجَة: الأسباط الأفخاذ، والسِّبْط واحد.

---

[1] ن: قد ذكر.
[2] انظر: الآية السابقة.
[3] سورة النحل، ١٢٥/١٦.
[4] ن: يحتمل.
[5] ك: على الإضمار.
[6] ع م – وهو كقوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة فعلى ذلك يحمل الأول على إضمار الدعاء إلى سبيل الحق وقال الحسن يهدون بالحق أي يعملون.
[7] ع: وهو ماذكرنا؛ م: هو ماذكره.
[8] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[9] جميع النسخ: أي جماعة.
[10] ع: وقال.

وقال القُتَبي: الأسباط القبائل، واحدها سِبْط.[1] وقيل: الأسباط لهم كالقبائل للعرب.[2] وقيل: الفخذ دون القبيلة. وقيل: إن أولاد إسحاق تُسَمَّى **أسباطا**، وأولاد[3] إسماعيل قبائل وأفخاذا.[4] ولذلك[5] يقال للعرب: قبيلةُ كذا وفخذ كذا. ولسنا ندري كيف هو. وقيل: سِبْط الرجل ولد ولده،[6] على ما رُوي أن الحسن والحسين سِبْطا رسول الله صلى الله عليه وسلم.[7]

وقوله عز وجل: **وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه**، قيل: دل[8] قوله:[9] **إذ استسقاه قومه**، أنهم كانوا في المَفَازَة لا في البلدان والقرى، لأنهم لو كانوا[10] في القرى فالقرى[11] لا تخلو[12] عن أنهار تجري فيها أو عيون.[13] ألا ترى أنه قال: **وظللنا عليهم الغمام**، دل أنهم كانوا في المفازة، لأنه[14] هنالك تقع الحاجة إلى الغمام، وأما في القرى فلا.

وقوله: **فانبجست منه اثنتا عشرة عينا**، قال بعضهم: انفجرت، على ما ذكر في سورة أخرى.[15] وقيل: إن هذه الكلمة بلسانهم لا بلسان العرب. وقوله عز وجل: **قد علم كل أُناس مَشْرَبهم**، قال بعضهم: تعبّدهم عز وجل بمعرفة كل منهم مَشْرَبه.[16] وقال بعضهم: لا، ولكن لئلا يزدحموا في ذلك فيقع[17] في أولادهم التقاتل[18] والإفساد والتنازع والاختلاف.

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٣.
[2] ع م – وقيل الأسباط لهم كالقبائل للعرب.
[3] ك: والأولاد.
[4] ك م: وأفخاذ.
[5] ع: وكذلك.
[6] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «سبط».
[7] لم أجده بهذا اللفظ. لكن عن يَعْلَى بن مُرَّة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سِبْطان من الأسباط» رواه الطبراني، وإسناده حسن. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٨١/٩.
[8] ن – دل.
[9] ع م – قوله.
[10] ن: لأنهم كانوا.
[11] جميع النسخ: والقرى.
[12] ك: لا تخ؛ ن م: لا تخلوا.
[13] ع م + الأرض.
[14] ن: لأنهم.
[15] ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ (سورة البقرة، ٦٠/٢).
[16] ع: مشربة. وعبارة السمرقندي هكذا: «تعبّدهم الله تعالى بمعرفة كل منهم مَشْرَبه لئلا يتجاوز عنه إلى مشرب صاحبه، وكانوا مكلفين ذلك بطريق الابتلاء والامتحان» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٣و-ظ).
[17] جميع النسخ: ليقع.
[18] ن ع م: التقابل.

وقوله عز وجل: **وظلّلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنَ والسلوى**، فيه أن جميع مؤنتهم[١] كانت من السماء بلا مؤنة ولا تعب على أنفسهم.

وقوله عز وجل: **كلوا من طيبات ما رزقناكم**، ما ذكر من المنَ والسلوى وغيره. **وما ظلمونا**، لا أحد يقصد قَصْدَ ظلم الله، ولكن إذا تَعدَّوا حدود الله التي جعل لهم وجاوزوها فقد ظلموا أنفسهم لما رجع ضرر ذلك التعدي إليهم. وهذه النعم التي ذكر لهم جل وعلا إنما جعلها لهم في حال العقوبة والابتلاء من **المنَ والسلوى** والعيون والغمام. ويدل هذا على أن عقوبات الدنيا قد يشوبها لذة ونعمة. وكذلك لذات الدنيا قد يُمازِجها شدائد وهموم، فإنما تَخلُص وتصفو[٢] هذه النعم في الآخرة، وكذلك العقوبة هنالك تَخْلُص وتفارق اللّذّات.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيـَٓاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٦١]

وقوله عز وجل: **وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية**، قال عامة أهل التأويل: قوله: **اسكنوا هذه القرية**، بيت المقدس. وأمكن أن تكون **القرية** التي ذكر هاهنا هي الأرض التي ذكرت في سورة المائدة، وهو قوله: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ،[٣] أمرهم بالدخول فيها، ونهاهم عن الارتداد على أدبارهم.[٤] فأمرهم[٥] هاهنا[٦] بالسكون فيها وأباح لهم التناول منها مما[٧] شاءوا.[٨]

وقوله عز وجل: **وقولوا حِطّة**، أي ارجعوا إلى السبب الذي يحطّ الأوزار، لا قولهم: حُطَّ[٩] عنا كذا. وهو ما قال هود عليه السلام: وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ،[١٠] أي ائتوا بالسبب الذي به يغفر،[١١] وهو التوحيد.

---

[١] ك: مؤنهم.
[٢] ع: وتصفوا.
[٣] سورة المائدة، ٥/٢١.
[٤] ع م: عن أدبارهم.
[٥] ن: وأمرهم.
[٦] ك ن ع – هاهنا.
[٧] ن – مما.
[٨] م: مم شايوا.
[٩] ع: حط.
[١٠] سورة هود، ١١/٩٠.
[١١] ن: هو يغفر.

وادخلوا الباب سُجَّدا، الآية،[1] قد مضى ذكر هذا في السورة التي فيها ذكر[2] البقرة.[3]

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[١٦٢]

وقوله عز وجل: **فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون**، هذا أيضا ذكرنا فيها، سوى أنه ذكر هاهنا: **فأرسلنا عليهم**، وذكر في سورة البقرة: فَأَنْزَلْنَا،[4] والقصة واحدة، لِيُعلَم أن اختلاف الألفاظ لا يوجب اختلاف المعاني والأحكام ولا تغييرها. وذكر هاهنا:[5] **بما كانوا يظلمون**، وهنالك:[6] بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. والفسق / هو الخروج عن الأمر، والظلم هو وضع الشيء غير موضعه. وقد كان [٢٧٠و] منهم الأمران جميعا، الخروج عن أمر الله، ووضع الشيء[7] في غير موضعه. أكرم الله عز وجل هذه الأمة كرامات، من الطاعة[8] لرسولها[9] والخضوع له[10] والتعظيم له حتى لم يخطر ببال أحد الخلاف له بعدما اتبعه وآمن به، وما أكرمهم[11] أيضا من الفهم والحكمة والفقه حتى ذكر كأنهم من الفقه أنبياء،[12] وقوم موسى عليه السلام وغيره من الأمم لم يكونوا مثل ذلك. ألا ترى أن قوم موسى قد خالفوه في أشياء أمرهم موسى بها.

---

[1] ع – الآية.

[2] ن – ذكر.

[3] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٥٨/٢.

[4] ﴿فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ (سورة البقرة، ٥٩/٢).

[5] ن – وذكر هاهنا.

[6] ك: وذكر هنالك.

[7] ن ع م + أيضا.

[8] ك: من الطاعات.

[9] ن: لرسوله.

[10] ن – له.

[11] م: وأكرمهم.

[12] لعله يشير إلى ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «... وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارا ولا درهما، وَرَّثُوا العلم، فمن أخذه أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (سنن *أبي داود*، العلم ١؛ وسنن *الترمذي*، العلم ١٩؛ وصحيح *ابن حبان*، ٢٨٩/١). وللحديث طُرُق وشواهد؛ انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٨٣/٢. أما العبارة المشهورة: "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"، فهي من الأخبار الموضوعة، انظر: *المصنوع* لعلي القاري، ١٢٣؛ و*كشف الخفاء* للعجلوني، ٨٣/٢.

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[١٦٣]

وقوله عز وجل: **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر**، قال بعض أهل التأويل: **القرية التي كانت حاضرة البحر**، هي[١] أَيْلَة. وقال آخرون: أَرِيحَا. ولسنا ندري ما تلك القرية، وليس لنا إلى معرفة تلك القرية حاجة، إذ لا منفعة لنا في معرفتها، ولو كانت لنا[٢] حاجة إليها[٣] لبيّن لنا عز وجل. وقوله: **واسألهم عن القرية التي كانت** كذا، أمره بالسؤال عنها، ثم كان[٤] هو المبيّنَ لهم بقوله: **إذ يَعْدُون في السبت**. والسؤال هو الاستخبار، والإخبار أبدا إنما يلزم المسئول دون المستخبر؛ لكن الاستخبار يكون من وجهين. أحدهما ابتداء[٥] إخبار. والثاني طلب التصديق. فهاهنا لم يحتمل ابتداء الخبر، وهو على طلب التصديق. كأنه قال: ألم يكن كذا؟ فيقولون: نعم، يصدقونه بما يقول لهم. وقال قائلون: لم يأمره بالسؤال حقيقة، ولكنه على التمثيل، كأنه قال: لو سألتهم يقولون لك كذا، كقوله: سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ،[٦] ليس على الأمر أن يسألهم،[٧] ولكن لو سألتهم كان كذا وأجابوك بكذا، فعلى ذلك هذا.

وقوله عز وجل: **إذ يَعْدُون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال:[٨] ابتدعوا السبت فعظموه،[٩] فابتُلوا فيه، فحُرِمت عليهم فيه الحيتان.[١٠] وقال مجاهد: حُرِمت عليهم الحيتان يوم السبت، فكانت تأتيهم يوم السبت **شُرَّعًا** بلا مؤنة ولا تكلّف،[١١] ابتُلُوا به، ولا تأتيهم في غيره مثله.[١٢] وقال أبو عَوْسَجَة: قوله: **شُرَّعًا**، هي[١٣] التي قد دنت من الشَّطّ، والواحد[١٤] شارع.

---

[١] ن – هي.
[٢] ك + بها.
[٣] ك – إليها.
[٤] ن: ثم قال.
[٥] ن – ابتداء.
[٦] سورة البقرة، ٢/٢١١.
[٧] ن ع م: أن سألهم.
[٨] ك – قال.
[٩] ك ن ع: فعملوه.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٩/٩٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٥٨٨.
[١١] ن ع م: وتكلف.
[١٢] رواه مجاهد عن ابن عباس؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٩٥.
[١٣] ع م – هي.
[١٤] ن: الواحد.

وقوله: **لا يَسبِتون**، أي لا يدخلون في السبت، كما يقال: لا يُربِعون ولا يَخمِسون،[1] أي لا يدخلون فيه. و **يَسبِتون** أي يدخلون فيه، وكذلك يربعون ويخمسون. وقال القُتَبي: **شُرَّعًا**، أي شوارع.[2] **إذ يعدون**، أي يتعدّون الحق، ويقال: عدوت على فلان إذا ظلمته. وقال الكسائي: يُقرأ يُسبِتون بالرفع،[3] ويُقرأ بالفتح، فمن قرأها يَسبِتون بالفتح أراد سَبَتوا أي عَظَّموا، يقال: سَبَت يَسبِت سَبْتا وسُبُوتا، إذا عَظَّم. ومن قرأها برفع الياء أراد أنهم[4] دخلوا في السبت. وقال قائلون: قوله: **شُرَّعًا**، أي كثيرة، أي تكثر لهم الحيتان يوم السبت، وهو اليوم الذي حرّم عليهم الحيتان، وتَقِلّ[5] في غير ذلك. وقال بعضهم: ابتلاهم الله بتحريم السمك في السبت، ليرى الخَلْق المطيع منهم من العاصي. وقال قائلون: ابتلاهم بذلك لما كانوا يَفسُقون في السر، ليكون فسقهم وتَعَدّيهم ظاهرا عند الخلق، كما كان عند الله، لئلا يقولوا عند التعذيب: إنهم عُذِّبوا بلا ظلم ولا تَعَدٍّ.[6] ***والله أعلم***. وذلك قوله: **كذلك نبلوهم بما كانوا يَفسُقون**. وقال قائلون في قوله: **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر**، إنما أمره أن يسألهم أمَا عذّبهم الله بذنوبهم، ثم أخبر عن ذنوبهم، فقال: **إذ يعدون في السبت**، أي يعتدون[7] في السبت. وقوله: **شُرَّعًا**، أي شارعات مِن غَمْرَة[8] الماء، أي خارجات.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[١٦٤]

وقوله عز وجل: **وإذ قالت أُمّة منهم لِمَ تعظون قوما الله مهلكهم أو معذّبهم عذابا شديدا**، ذكر في الأول[9] أنهم كانوا ثلاث فِرَق، فريق عَدَوْا وتركوا أمر الله وارتكبوا ما نُهُوا[10] عنه،

---

[1] لم أجد هذا الاستعمال بمعنى الدخول في يوم الأربعاء أو الخميس. انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «ربع»؛ و*القاموس المحيط* للفيروزآبادي، «ربع».

[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٤.

[3] ذكرت هذه القراءة عن الحسن البصري، وهي شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٩٢.

[4] ع م – يسبتون بالفتح أراد سبتوا أي عظموا يقال سبت يسبت سبتا وسبوتا إذا عظم ومن قرأها برفع الياء أراد أنهم.

[5] جميع النسخ: وقل.

[6] ن: ولا تعدد.

[7] م: أي يتعدون.

[8] ك: من غمر.

[9] أي ذكر في ابتداء الآيات. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٤و.

[10] ع: عما نهوا.

وفريق نَهَوا أولئك الذين اعتدوا وانتهكوا حُرُم الله، وفريق قيل: لم يعتدوا ولم يرتكبوا نهيه ولا نَـهَوا أولئك الذين اعتدوا، وهم الذين قالوا: **لم تعظون قوما**، الآية. وكذلك روي عن ابن عباس رضى الله عنه قال: هم كانوا[1] ثلاث فرق، فرقة وَعَظَت، وفرقة مَوعُوظة،[2] وفرقة ثالثة، وهم الذين قالوا: **لم تعظون قوما الله مهلكهم**.[3] وهو ما ذكرنا أنه ذكرهم في الابتداء ثلاث فرق. وذكر في آخر[4] الحال فرقتين. فرقة هي التي هلكت بالاعتداء، وفرقة هي التي نَـهَت ونَجَت. ثم اختلف أهل التأويل في الفرقة الثالثة. قال بعضهم: كانوا في الفرقة التي هلكت لوجهين. أحدهما لما لم ينهوا أولئك الذين اعتدوا، وكان فُرِض عليهم[5] النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فإذا لم ينهوا أولئك هلكوا وشَرِكوا في العذاب، كقوله: لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ،[6] الآية. والثاني كانوا معهم لما نهوا الناهين بقوله: **وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم**. وقال قائلون: كانوا في الناجين. قال الحسن: لأنهم كانوا نهوا أولئك عن الاعتداء والظلم الذي كان[7] منهم، وكان قولهم: **لم تعظون قوما**، بعد ما نهوهم ووعظوهم[8] فلم يتعظوا، فإنما قالوا لأولئك: **لم تعظون قوما**، بعد ما نهوا ووعظوا، فقالوا: كيف تعظون قوما لا يتعظون ولا ينتهون، فإنما قالوا ذلك بعدما نهوا. وقال قائلون: هذا القول منهم نهي، لأنهم / أتوا بوعيد شديد بقولهم: **لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا**، [٢٧٠ظ] فنفس هذا القول منهم نهي وزجر عما ارتكبوا، حيث[9] أتوا بالنهاية من الوعيد، وهو الهلاك والعذاب الشديد. ولكنا لسنا نعلم أنهم كانوا في الهَلْكَى أو في الناجين، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، ولو كان لنا حاجة إلى ذلك لبين[10] لنا عز وجل و لم يترك[11] ذلك إلى رأينا،[12]

---

[1] ن – كانوا.
[2] ن ع م: موعظة.
[3] روي بمعنى ذلك؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٩٢–٩٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٥٩٠.
[4] جميع النسخ: الآخر.
[5] ك – عليهم.
[6] سورة المائدة، ٥/٦٣.
[7] ن م: كانوا.
[8] م: بعد ما نهوا هم وعظوهم.
[9] ن: وحيث.
[10] ع م: ليبين.
[11] ع م: ولم ينزل.
[12] ك ع م: لا رأينا؛ ن: إلا رأينا.

سوى أنه بيّن من نجّى[1] منهم بالنهي عن الظلم والعدوان، وبيّن من أهلك وعذّب بالظلم والعدوان، بقوله: أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.[2]

وقوله عز وجل: **قالوا مَعْذِرة إلى ربكم**، قرئ[3] بالرفع والنصب أيضا: **معذرةً**،[4] فمن قرأ بالرفع أضمر[5] فيه "هذه"، كأنهم قالوا: هذه[6] **معذرة إلى ربكم**، كقوله: سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا،[7] قيل: هذه سورة أنزلناها. ومن قرأ بالنصب قال: **معذرةً**، أي اعتذارا[8] منهم إلى ربهم، **لعلهم يتقون** عما نهوا.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[١٦٥]

وقوله عز وجل: **فلما نَسوا ما ذُكِّروا به**، أي تركوا وأعرضوا عن **ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيس**، قال القُتَبي: شديد.[9] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة. وقال غيره: أي مُوجِع. وهو واحد. وقال الحسن: **وأخذنا الذين ظلموا بعذاب**، على الوقف، ثم قال: بِئْسَ **بما كانوا يفسقون**.[10]

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[١٦٦]

وقوله عز وجل: **فلما عتوا عما نهُوا عنه**، قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **عتوا**، أي استكبروا،

---

[1] م: من ينجي.
[2] الآية التالية.
[3] ع: قرأ.
[4] هما قراءتان متواترتان؛ فروى حفص عن عاصم: معذرةً بالنصب؛ وقرأ الباقون جميعهم بالرفع: معذرةٌ؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٧٢.
[5] ك: أضمير.
[6] ك + هذه.
[7] سورة النور، ١/٢٤.
[8] م: أي اعتذار.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٤.
[10] رويت هذه القراءة عن الحسن. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٠٩/٧. وأما القراءات المتواترة فهي أربعة: بِيسٍ، وهي قراءة نافع وأبي جعفر؛ بِئْسٍ، وهي قراءة ابن عامر؛ بَيْئَسٍ، وهي رواية أبي بكر عن عاصم؛ بَئِيسٍ، وهي قراءة الباقين من الأئمة. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

يقال: عَتَا يَعْتُو[١] عُتُوًا، وكأن العتو هو النهاية في اليُبْس،[٢] فلذلك قيل[٣] في قوله: عِتِيًّا،[٤] يابسا، لكن سمي مرة قساوة ومرة استكبارا.[٥]

وقوله عز وجل: **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين**، قال بعضهم: حُوِّلت صورتهم وجسدهم صورة القردة،[٦] وكانت عقولهم على حالها عقول البشر لم تحوَّل، ليعلموا تعذيب الله إياهم[٧] وما أصابهم بهتكهم حُرُم الله. وقال قائلون: حَوَّل طباعهم طباع القردة،[٨] وأما الصورة والجسد على حاله. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. وقوله: **خاسئين**، قال بعضهم: هو من خسأ الكلب، صار قاصيا مُبْعَدا، يقال: خسأته. وقال أبو عوسجة: **خاسئين**، مبعدين. وكذلك قال في قوله: اخْسَئُوا فِيهَا،[٩] أي ابعُدُوا فيها وارجعوا فيها، يقال: أخسأت فلانا وخسأته،[١٠] أي باعدته، فخسأ، أي تباعد. وقيل: الخاسئ الذليل.[١١]

وفي قوله: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ...،[١٢] إلى آخر ما ذكر من القصة وجهان. أحدهما دليل إثبات الرسالة والنبوة له،[١٣] حيث أخبر على ما كان مِن غير نظر له في كتبهم ولا اختلاف[١٤] إلى أحد ممن له علم في ذلك، دل أنه إنما عرف بالله تعالى. والثاني إنباء عن عواقب الظَّلَمة والفَسَقة وما حلّ بهم بظلمهم وانتهاكهم حُرُم الله، ليكون ذلك به زجرا لنا عن ارتكاب مثله.

---

[١] ع: يعتوا.

[٢] ن ع م: في البئس.

[٣] ع: وقيل.

[٤] ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكِبَر عِتِيًا﴾ (سورة مريم، ٨/١٩)؛ ﴿ثم لَنَنْزِعَنّ من كل شِيعةٍ أيُّهم أشدّ على الرحمن عِتِيًا﴾ (سورة مريم، ٦٩/١٩).

[٥] عَتَا يَعْتُو عُتُوًا وعِتِيًا: استكبر وجاوز الحد... وعتا الشيخ عُتِيًا وعَتِيًا بفتح العين: أسَنّ وكبر... وقيل: كل شيء قد انتهى فقد عَتَا يَعْتُو عِتِيًا وعُتُوًا، وعَسَا يَعْسُو عُسُوًا وعُسِيًا (*لسان العرب* لابن منظور، «عتو، عسو»؛ و*القاموس المحيط* للفيروزآبادي، «عتو، عسو»). وفُسِّرت كلمة العُتُوّ في التفاسير مرة بمعنى القساوة ومرة بمعنى الاستكبار حسب السياق الذي يرد فيه. انظر: *تفسير القرطبي*، ٨٤/١١. وهناك تشابه في المعنى بين عتا وعسا، وعسا بمعنى يبس. انظر: المصادر السابقة. وروي عن ابن مسعود ومجاهد أنهما قرآ: عُسِيًا، بضم العين وبالسين مكسورة، وهو مِن عَسَا العُود يَعْسُو إذا يَبِس؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٦٧/١٦.

[٦] ك: القرد.

[٧] ن: عليهم.

[٨] ك ن ع: القرد.

[٩] ﴿قال اخسَئوا فيها ولا تُكلِّمونِ﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣). أي قال الله تعالى لأصحاب النار...

[١٠] ن ع م: خسأت فلانا وأخسأته.

[١١] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «خسأ».

[١٢] سورة الأعراف، ١٦٤/٧-١٦٦.

[١٣] ن - له.

[١٤] ع: ولا اختلافهم.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٦٧]

وقوله عز وجل: **وإذ تأذن ربك**، قيل:[١] **تأذن**، أي قال **ربك ليبعثن**. وقيل: أمر **ربك**.[٢] وقال أبو عَوْسَجَة: **وإذ تأذن**، هو من الأذان، أي أعلم **ربك**. وقوله: **وإذ تأذن ربك**، الآية، قال[٣] [بعضهم]:[٤] نزلت هذه الآية بمكة في شأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الكفار كانوا يمنعون من أراد[٥] الإسلام واتباع محمد عليه الصلوة والسلام، فوعدهم الله **ليبعثن عليهم** من يقاتلهم ويأخذ منهم الجزية **إلى يوم القيامة**، جزاءً ما كانوا[٦] يمنعون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإجابة له فيما يدعو[٧] إليه. وقال قائلون: هو في بني إسرائيل، وهو ما قال: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ -إلى قوله- عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا،[٨] أخبر إن عادوا عُدْنَا، و لم يبيّن إن عادوا عُدْنَا بماذا، ثم بيّن في هذه الآية بقوله: **لَيَبْعَثَنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**. وقال قائلون: هذا إنما كان في هؤلاء الذين سبق ذكرهم في قوله:[٩] أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ.[١٠] قال أبو بكر الأصم: الآية لا تحتمل[١١] في هؤلاء، لأن من آمن منهم لم يحتمل[١٢] ذلك،[١٣] ومن صار منهم قرودا[١٤] لم يحتمل[١٥] أيضا بعدما صاروا قرودا. فهو[١٦] -والله أعلم- على الوجهين اللذين ذكرناهما.

[١] ع م – قيل.
[٢] ع م – ليبعثن وقيل أمر ربك.
[٣] ن ع م: قالت.
[٤] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٤و.
[٥] ع: من دار.
[٦] ع: بما كانوا.
[٧] ع: فيما يدعون.
[٨] سورة الإسراء، ١٧/٤–٨.
[٩] ع م: في قولهم.
[١٠] سورة الأعراف، ٧/١٦٥.
[١١] ع م: لا يحتمل.
[١٢] ك: لا يحتمل.
[١٣] ن – ذلك.
[١٤] ك: قردا.
[١٥] ن – لم يحتمل.
[١٦] ن – فهو.

وقوله عز وجل: **إن ربك لَسريع العقاب**، يأخذهم في حال أمنهم، ليس كما يأخذ ملوك الأرض قومهم بعدما يتقدم[١] منهم إليهم[٢] تخويف، فعند ذلك يأخذهم بالعذاب.[٣] أو أن يقال: **لَسريع العقاب**، أي عن سريعٍ يأخذهم عقابُه. وقوله: **لسريع العقاب**، لمن كفر وكذّب، **لغفور رحيم**، لمن آمن وصدّق بالله ورسوله.

﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنهُمْ دُونَ ذٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[١٦٨]

وقوله عز وجل: **وقطعناهم في الأرض أمما**، يحتمل فرّقناهم في وقت بعدما كانوا مجموعين. ثم يحتمل الجمع وجوها.[٤] كانوا مجموعين ثم تفرّقوا فصار بعضهم كفارا وبعضهم مؤمنين. أو كانوا مجموعين في المكان والمعاش والماء والكلأ ثم تفرقوا فصاروا متفرقين في المكان والمعاش وغيره. أو كانوا في الدين واحدا [ثم] صاروا أصحاب أهواء. ويحتمل قوله عز وجل: **وقطعناهم في الأرض أمما**، أي أمة بعد أمة، وجماعة بعد جماعة، بعضهم[٥] خلفاء لبعض على ما ذكر: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ.[٦]

وقوله عز وجل: **منهم الصالحون ومنهم دون ذلك**، فإن كان قوله: **وقطعناهم في الأرض**، في الدين والمذهب، فيكون تأويله: **منهم الصالحون** المؤمنون، **ومنهم دون ذلك** الكفار، ويكون قوله: **دون ذلك**، أي غير ذلك، كقوله: تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ،[٧] أي غير الله. وإن كان في المعاش فبعضهم دون بعض / في المعاش. وسّع على بعض المعاش وشدّد على بعض وضيق، [٢٧١و] فيكون بعضهم دون بعض في المعاش[٨] والرزق. أو بعضهم دون بعض في الدين، بعضهم على الصلاح، وبعضهم أصحاب أهواء. *والله أعلم*.[٩]

---

[١] م: يقدم.
[٢] ك: إليهم منهم.
[٣] ك: العذاب.
[٤] جميع النسخ: وجهين؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٤ظ.
[٥] ن – بعضهم.
[٦] الآية التالية.
[٧] انظر مثلا: سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.
[٨] ع – وسع على بعض المعاش وشدد على بعض وضيق فيكون بعضهم دون بعض في المعاش.
[٩] ن – والله أعلم.

وقوله عز وجل: **وبلوناهم بالحسنات والسيئات**، ابتَلَى بعضهم بالخصب والسعة، وبعضَهم بالشدة والضيق، ليذكّرهم الموعود من الثواب والموعود من العقاب، [أو] ليرغّبهم الموعود من الثواب[1] في الحسنات،[2] ويزجرهم الموعود من العقاب عن السيئات. **لعلهم يرجعون**، يتوبون ويرجعون عن ذلك.

وقوله عز وجل: **وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**، فهو يخرج على وجوه. أحدها **بلوناهم** بالنعم والخصب والسعة، ليعرفوا فضل الله وإحسانه، فيرجعوا إليه بالشكر والثناء، **والسيئات**، أي بالبلايا في أنفسهم والمصائب والضيق، ليعرفوا قدرة الله وسلطانه، فيرجعوا[3] إليه بالشكر[4] والتضرع[5] والفزع والدعاء والتوبة.

والثاني معناه أي **بلوناهم بالحسنات والسيئات**، ليتقرّر عندهم أن غيرهم[6] أملك بهم من أنفسهم، فيرجعوا إليه بتسليم[7] النفس لأمره وحكمه.

والثالث **بلوناهم بالحسنات والسيئات**، المؤمنَ منهم والكافرَ، حتى إذا رأوا الاستواء في الدنيا -وفي الحكمة التفريق بينهم- فيضطر الجميع إلى الإيمان بالبعث، إذ خروجهم من الدنيا على سواء.

والرابع أنه إنما جعل النعيم في الدنيا ليعرفوا لذة الموعود في الآخرة، وكذلك الشدة، فابتلاهم بالأمرين جميعا ليستعدوا للرجوع[8] إلى الموعود لهم في الآخرة. *والله أعلم*.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٦٩] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[١٧٠]

[٢٧١و س٣٦ وقوله عز وجل: **فخلف من بعدهم خَلْف**؛* وقال القُتَبي: الخَلْف الرديء من الناس ومن الكلام، يقال: هذا **خَلْف** من القول.[9]* قال قائلون: هو صلة قوله: مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ ٢٧١و س٣٧]

[1] ك: في الثواب؛ ع م – والموعود من العقاب ليرغبهم الموعود في الثواب.
[2] ك: من الحسنات.
[3] ع م: فيرجعون.
[4] ك ع م – بالشكر.
[5] ك ع م: بالتضرع.
[6] ن: أن غيره.
[7] ع م – بتسليم.
[8] م: الرجوع.
[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٧٤.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧١و/سطر ٣٦-٣٧.

وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ،[١] والصالحون[٢] هم الذين آمنوا بالله، وحفظوا[٣] حدوده وحلاله وحرامه. **فخلف من بعدهم**، يعني الصالحين،[٤] **خَلْف**، من لم يحفظوا[٥] حدوده ومحارمه. وقال قائلون: هو صلة ما تقدم من ذكر الأنبياء والرسل، كأنه أخبر أنه **خَلَفَ من بعدهم خَلْف**، يعني خَلَف الرسل والأنبياء، **وَرِثوا الكتاب**. وهو كما ذكر في سورة مريم، وهو قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ،[٦] وإنما ذكر هذا من بعد ذكر الأنبياء والرسل.[٧] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ورثوا الكتاب**، وعلموا ما فيه، **يأخذون عَرَض هذا الأدنى**؛ إن أهل الكتاب كانوا يأخذون الدنيا على أحد وجوه ثلاثة. منهم من كان يأخذها مستحلّا لها، كقوله تعالى: أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، وكقوله: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ.[٨] ومنهم من كان يأخذها بالتبديل، أعني تبديل[٩] الكتاب، كقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ،[١٠] الآية، وقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.[١١] ومنهم من كان تناول على ما تناول أهل الإسلام على قدر الحاجة. وهاهنا لا يحتمل الأخذ إلا أخذ[١٢] الاستحلال أو التبديل. والأخذ بالاستحلال هاهنا أقرب. كانوا **يأخذون عَرَض هذا الأدنى**، مستحلين له.[١٣]* قال بعضهم: قوله: **يأخذون عرض هذا الأدنى**، قال: يأخذونه[١٤] إن كان حلالا أو حراما، **وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه**. وقال: قوله:[١٥] **فخلف من بعدهم خلف**، سوء، [٢٧١و س٣٣]

[١] الآية السابقة.
[٢] ع: الصالحون.
[٣] ع: وحفظو.
[٤] ع: الصالحون.
[٥] ك: ولم يحفظوا.
[٦] سورة مريم، ٥٩/١٩.
[٧] يقول الله تعالى قبل الآية المذكورة: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم...﴾ (سورة مريم، ٥٨/١٩).
[٨] سورة التوبة، ٣٤/٩.
[٩] ع م: بتبديل.
[١٠] سورة آل عمران، ٧٨/٣.
[١١] سورة البقرة، ٧٩/٢.
[١٢] ن - إلا أخذ، صح هـ.
[١٣] ن - له.
[١٤] ن: يأخذونها.
[١٥] ع: قومه.

ورثوا الكتاب، بعد أنبيائهم، وَرَّثهم الله الكتاب وعهد إليهم، [كما قال] في سورة مريم: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، **يأخذون عرض هذا الأدنى**.
[٢٧١و س٣٦] وهو ما ذكرنا.*

ويقولون سيغفر لنا، يحتمل هذا وجوها. يحتمل ما قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[1] فيغفر لنا. كانوا يستحلون[2] أموال الناس ويأخذونها، ثم **يقولون سيغفر لنا**، لأنّا من أبناء الله و أحبائه. والثاني يحتمل أنهم قالوا **سيغفر لنا** مع علمهم أنه لا يغفر لهم، لما كان في كتابهم أن لا يغفر لهم إذا تناولوا[3] مستحلين. أو أنهم إذا عوتبوا على ما فعلوا قالوا **سيغفر لنا**.

وقوله عز وجل: **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحقَّ ودرسوا ما فيه**، يحتمل قوله: **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب**، أنهم إذا استحلوا ذلك أضافوا ذلك إلى الله،[4] فقالوا: الله[5] أمرنا بذلك، فقال الله:[6] **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق**، أي لا يضيفون إلى الله ما استحلوا. أو أن يقال: أخذ عليهم أن لا يقولوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ. وقال بعضهم: قوله: **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق**، فيما يوجبون على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يزالون يعودون لها ولا يتوبون عنها.*

وقوله عز وجل: **ودرسوا ما فيه**، أي قرءوا ما فيه وعلموه. **والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا** يعقلون،[7] أي **يتقون** الشرك، أو **يتقون** مخالفة الله ومعاصيه، أفلا يعقلون ما في كتابهم
[٢٧١ظ] أن ترك مخالفة الله **خير** في الآخرة. ثم أخبر عن المؤمنين فقال: **والذين / يُمَسِّكون بالكتاب**، ما فيه من الحلال والحرام، **وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين**.

---

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧١و/سطر ٣٣-٣٦.

[1] سورة المائدة، ١٨/٥.

[2] ع: ويستحلون.

[3] م: إذا تناولو.

[4] ن - إلى الله.

[5] م - فقالوا الله.

[6] ع م - الله.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية متأخرين عن موضعهما، فقدمناهما إلى موضعهما؛ انظر: ورقة ٢٧١و/سطر ٣٣-٣٧.

[7] ع م: تعقلون. أفلا يَعقلون و أفلا تَعقلون، قراءتان متواترتان؛ فقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالخطاب مثل رواية حفص عن عاصم؛ وقرأ الباقون بالغيب؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٥٧.

*وقيل: **فخلف من بعد** بني إسرائيل **خَلف** السوء، وهم اليهود، **ورثوا الكتاب**، قيل: التوراة عن آبائهم وأوائلهم، **يأخذون عرض هذا الأدنى**، قالوا:[١] رشوة، **ويقولون سيغفر لنا**، وكانوا يرتشون ويقولون: يغفر لنا، لأنهم زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، **وإن يأتهم عرض مثله**، قيل: رشوة **مثله**، أخذوها. وقوله عز وجل: **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب**، قالوا: لقد أخذ عليهم في التوراة أن لا يستحلوا محرما و **لا يقولوا على الله إلا الحق**، في التوراة،[٢] **ودرسوا ما فيه**. وقوله: **والدار الآخرة خير للذين يتقون** استحلال المحارم وأكلهم الحرام. وقوله عز وجل: **يمسكون بالكتاب**، قيل: بالتوراة،[٣] ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يستحلون محرما، **وأقاموا الصلوة إنا لا نضيع أجر المصلحين**.* [٢٧١ظ س١١ ... ٢٧١ظ س١٧]

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٧١]

وقوله عز وجل: **وإذ نَتَقْنا الجبل فوقهم كأنه ظُلّة**، قيل: رفعنا **الجبل**، كقوله: **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ**.[٤] وقيل: نَتَق قَلَع.[٥] وقال بعضهم: حَرْف أُخِذ من كتبهم. فلا ندري كيف كان.[٦] وقيل: حرّكنا. وهو قول القُتَبي.[٧] وقال أبو عُبَيد:[٨] كل شيء قلعته من موضعه فرميت به.

ذكر هذا –والله أعلم– ليصبر[٩] رسول الله على سفه قومه، لأن قوم موسى مع كثرة ما عاينوا

---

[١] ع م: قال.

[٢] ن – في التوراة.

[٣] ك: التوراة.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧١ظ/سطر ١١-١٧.

[٤] سورة النساء، ٤/١٥٤.

[٥] ك ع: قطع وقطع؛ ن: قطع قطع؛ م: قطع. والتصحيح مستفاد من *لسان العرب* لابن منظور، «نتق»، ومن المعاجم ومصادر التفسير.

[٦] ك ن ع – كان.

[٧] يقول ابن قتيبة: «﴿وإذ نتقنا الجبل﴾ أي زعزعناه. ويقال نَتَقْتَ السِقاء إذا نفَضْته لتقتلع الزبدة منه. وكان نتْقُ الجبل أنه قُطع منه شيء على قدر عسكر موسى فأظل عليهم. وقال لهم موسى إما ان تقبلو التوراة وإما أن يسقط عليكم» (*تفسير غريب القرآن*، ١٧٤).

[٨] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٤٩٠-٥٠٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.

[٩] ك: يصبر.

من الآيات التي جرت على يدي موسى، وعظيم[1] ما كان لهم من موسى من النعم، من استنقاذه[2] إياهم من استرقاق فرعون وإخراجه [إياهم] من يده، وفَرْق البحر لهم[3] ومجاوزته بهم، وتفجير الأنهار من الحجر، وإنزال المن والسلوى لهم، فـ[مع] جميع ما كان لهم من موسى [على] ما ذكرنا لم يقبلوا التوراة و لم يُقرّوا[4] به إلا بعد رفع الجبل عليهم والإرسال،[5] فعند ذلك قبلوا. يُصبّر رسولَنا لئلا يضجر على مخالفة قومه إياه وكثرة سفههم.

ثم يحتمل أن يكون ما ذكر من رفع الجبل فوقهم وجهين.[6] أحدهما أنهم لما عاينوا ذلك آمنوا به[7] وقبلوا الكتاب. لكن ذلك منهم إيمان دفع، إذ ذلك قهر، ولا يكون في حال القهر إيمان. والثاني صيّر ذلك آية عظيمة وحجة واضحة معجزة، فقبلوها، وحققوا الإيمان به، ثم تركوا ذلك. يدل على ذلك[8] ما ذكر في السورة[9] الأولى حيث قال: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ.[10]*

وقوله: **وظنوا أنه واقع بهم**، أي أيقنوا أنهم إن لم يقبلوا **[أنه] واقع بهم**.

وقوله عز وجل: **خذوا ما آتيناكم بقوة**، قد[11] ذكرنا هذا فيما تقدم.[12] قوله: **خذوا ما آتيناكم بقوة**، يحتمل وجهين. أحدهما **خذوا**، أي اقبلوا ما فيه. والثاني اعملوا بما فيه. وفيه دلالة كون القوة[13] مع الفعل.[14]

وقوله: **واذكروا ما فيه**، قيل: اعملوا بما فيه من الحلال والحرام، **لعلكم تتقون**، العقوبة والمعصية.

---

[1] ن: وعظم.

[2] ن: واستنقاذه.

[3] ك – لهم.

[4] ع: ولم يقرءوا.

[5] أي والتهديد بإرسال الجبل عليهم.

[6] ك – وجهين.

[7] ع م – به.

[8] ك: يدل ذلك؛ ن ع: بدل ذلك.

[9] جميع النسخ: في سورة.

[10] سورة البقرة، ٢/٦٤.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧١ظ/سطر ١١-١٧.

[11] ن – قد.

[12] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٦٣؛ وسورة الأعراف، ٧/١٤٥.

[13] م: الفعل.

[14] وهي مسألة خلافية مع المعتزلة؛ انظر لإيضاح المسألة تفسير سورة الأعراف، ٧/١٤٥.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾[١٧٢] ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١٧٣]

تكلم الناس في تأويل قوله: **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم**، الآية. فمنهم من[١] يقول: ذلك عندما خلق آدم أخرج مَن يكون مِن ذريته مثل الذّرّ، فعرض عليهم قوله: **ألست بربكم، قالوا بلى.**[٢] لكنهم اختلفوا. فمنهم من يقول: جُعِلوا[٣] بالمبلغ[٤] الذي يجري على مثله القلم،[٥] وهو قول الحسن.[٦] ومنهم من يقول: عرض ذلك على الأرواح[٧] دون ذلك. ومنهم من يقول -بلا عَرْض- أنه خلق صنفين، فقال: «هؤلاء للجنة[٨] ولا أُبالي،[٩]

[١] ك: الآية فمن.

[٢] روي ذلك مرفوعا وموقوفا من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة. فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمَان -يعني عَرَفَة- فأخرج مِن صُلبِه كل ذريةٍ ذَرَأها، فنَثَرهم بين يديه كالذَّر، ثم كلّمهم قِبَلا، قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧٢/١؛ و*تفسير الطبري*، ١١١/٩) وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد*، ٢٥/٧). وانظر لمجموع الروايات: *تفسير الطبري*، ١١١/٩-١١٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٨/٣-٦٠٨. ولكن قال ابن كثير بعد استعراض الأحاديث والروايات: «فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صُلبِه، وميّز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث... ابن عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو، وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم. ومِن ثَمّ قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرهم على التوحيد... أي أوْجَدَهم شاهدين بذلك قائلين له حَالاً» (*تفسير ابن كثير*، ٢٦٥/٢). ووفق بعضهم بين القولين بأن الله أرسل الرسل ونصب الأدلة العقلية والنقلية لتذكير الناس بذلك العهد المأخوذ منهم؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٠٤/٩. وهناك نقاش طويل حول تفسير الآية؛ فانظر للتفصيل: *روح المعاني* للآلوسي، ٩٩/٩-١٠٩.

[٣] ع م: جعل.

[٤] ع: بالبلغ.

[٥] أي جعل ذرية آدم كلهم كأنهم وصلوا إلى سن البلوغ الذي يجري على من كان مثله الخطاب الإلهي.

[٦] لم أجده هكذا، لكن أخرج ابن أبي الدنيا في *الشُّكر* وأبو الشيخ والبيهقي في *الشُّعَب* عن الحسن قال: لما خلق الله آدم عليه السلام، وأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى، فدَبُّوا على وجه الأرض، منهم الأعمى والأصم والأبرص والمُقْعَد والمبتلَى بأنواع البلاء، فقال آدم: يا رب، ألا سوّيت بين ولدي؟ قال: يا آدم، إني أردت أن أُشكَر، ثم ردّهم في صُلبِه (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٣/٣).

[٧] م + دون الأجساد.

[٨] م: في الجنة.

[٩] ع م - ولا أبالي.

وهؤلاء للنار ولا أُبالي».[1] ومنهم من يقول: عرض الكل على ما عليه أحوالهم وآجالهم في الدنيا. والله[2] أعلم كيف كانت القصة، أو كيف يرى أحوال الفقر والغناء في الذَّرّ،[3] أو كيف قال:[4] هؤلاء في كذا ولا أُبالي. مع اجتماعهم على القول بِبَلى لما عرض عليهم في قوله: **ألست بربكم**. وقد رأينا في تلك الأخبار ما كان الحفظ -ولخاصّةٍ[5] حِفظُ العوام وأهل الضعف- عن تبليغها ألزمَ وأعظم في النفع، وأبعد عن الشُّبه من روايتها وتَكلُّف الكشف عنها. فنسأل الله العصمة عما به الهلاك، والتوفيقَ للنصح بما به نجاة[6] كل سامع، ودفع كل شبهة وحيرة. فإنه لا قوة إلا بالله.[7]

ومنهم من ذهب في تأويل الآية إلى المعروف مِن أمْر[8] ذرية آدم والأخذ عن الأصلاب والإنشاء في الأرحام على ما كان ويكون[9] إلى يوم القيامة، على ما قال الله سبحانه وتعالى: فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ -إلى قوله- يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ،[10] وقال: إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ،[11] الآية،

---

[1] عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله عز وجل خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: "هؤلاء في الجنة، ولا أُبالي، وهؤلاء في النار، ولا أبالي"» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٦/٤؛ وصحيح *ابن حبان*، ٥٠/٢). وعن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾، فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية، فقال: "خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون"، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: "خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون"»، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ -قال- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله الله النار» (*سنن أبي داود*، السنة ١٦؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٧)؛ وذكر الترمذي أن في هذا الإسناد رجلا مجهولا. وانظر ما نقلناه عن ابن كثير آنفا.

[2] ك: فالله.

[3] ك: في الذار.

[4] ع - قال.

[5] ك: والخاصة؛ م: ما كان الكف عما له المراد ومخاصة.

[6] ن: فيه نجاة؛ ع: به نجا.

[7] ك ن: إلا به.

[8] م - أمر.

[9] ن - ويكون.

[10] ﴿فلينظر الإنسان مِمّ خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب﴾ سورة الطارق، ٥/٨٦-٧.

[11] ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة لنبيّن لكم ونُقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يُتوفَّى ومنكم من يُرَدّ إلى أرْذَل العُمُر لكيلا يعلم مِن بعدِ علمٍ شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربَت وأنبتت من كل زوجٍ بَهيج﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

وقال: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ،[١] الآية، وقال: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا،[٢] الآية،[٣] وغير ذلك مما احتج الله به من أول ما جرى به تدبير البشر إلى آخر ما ينتهي به أمره، مما يعجز عن تقديره وُسْع الخَلْق ويستتر عن عقولهم كيفية بَدْء ذلك وما عليه تَنَقُّلُه من حال إلى حال في كل طَرْف عين ولَحْظ بصر.[٤] مع ما فيه من عجيب التدبير وحسن التقويم الذي لو تكلّف[٥] الخلق تصوير[٦] مثله بكل أنواع الحيل[٧] من الأصول الظاهرة بحيث يبصره كل بصر لكان يعجز عنه، فكيف في الظلمات الثلاث.[٨] مع ما ركّب[٩] فيه من العقل والسمع والبصر، وما جعل في كل ما أنشأ فيه ومنه مما لا يبلغه[١٠] الأوهام، فضلا عن الإحاطة[١١] بما في ذلك من الحكمة. ولذلك قال الله: وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.[١٢] فكان ذلك هو العهد إلى جميع الذرية، وإشهاد أنفسهم عليهم بِتَعالي مَن دبّرهم على ذلك وأنشأهم على ما فيهم عن أن يكون له كذا[١٣] أو يُقَدِّر / أحد قَدْره.[١٤] فذلك هو معنى إشهادهم **على أنفسهم**، أي جعلهم [٢٧٢و] **على أنفسهم**[١٥] شهودا، أن يعلموا أنَ مدبّرهم هو ربهم، لا رب لهم غيره، وأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[١٦] مع ما في جَعْل ذلك ذريةً يعرف كلٌ بما يرى مِن عَجْزه عن تدبير[١٧] ولده

[١] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٢-١٤).

[٢] ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارًا وقد خلقكم أطوارا﴾ (سورة نوح، ٧١/١٣-١٤).

[٣] ن: وقالوا.

[٤] ع: وبصر.

[٥] ك: الذي تكلف.

[٦] ك: تصويرا.

[٧] ن ع: الجبل.

[٨] أي في رحم الأم كما يقول الله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦).

[٩] ن: مع ركب.

[١٠] ع م: لا يبلغ.

[١١] ن ع م: من الإحاطة.

[١٢] سورة الذاريات، ٥١/٢١.

[١٣] أي شركاء أو أولاد أو بنات كما يقول المشركون.

[١٤] ع: على قدره.

[١٥] ن - أي جعلهم على أنفسهم.

[١٦] سورة الشورى، ٤٢/١١.

[١٧] م: عجزه تدبير.

وبجهله بأحواله في حال كونه في رَحِم أبويه[1] بيان على أنه لا كان[2] بآبائه وأمهاته علمٌ، ولكن برب العالمين. وذلك المعنى[3] هو الذي يمنعهم عن القول بالغفلة[4] عن ذلك، إذ قد علمه كل منهم، لا حال كونهم في الوقت الذي لا يذكره[5] أحد.

والذي يبين أن هذا التأويل أحق من الأول ما دل عليه سياق الآية. من ذلك قوله[6] عز وجل: **وإذ أخذ ربك من بني آدم**، وأقاويل من ذكرتُ على الأخذ من ظهر آدم. والثاني قوله: **من ظهورهم**، وفي قولهم: من ظهر آدم.[7] والثالث قوله: **أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**، وفي التأويل: أن لا تقولوا؛ فكيف يحذّرهم عن القول بذلك، وقد علم أنهم كذلك ليس أحد منهم يذكر ذلك، ولا مما يتقرّر عنده لو نُبِّه بكل أنواع التنبيه. والرابع قوله: **أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم**، ما في ذلك العرض مما يمنع عن هذا القول.[8] وأيضا أنه ذُكر في ذلك[9] القول بأن «هؤلاء[10] في النار ولا أُبالي»، وفي القرآن الجمع بينهم في القول بِبَلى،[11] وذلك عُدَّ توحيدا منهم. مع ما في القرآن: وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا،[12] الآية، و قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ،[13] الآية. وفي إثبات[14] ذلك

---

[1] الرحم للأم وليس للأب، لكن قد يكون سمى صُلْب الأب رحما تغليبا، كما يقال: القمران، للشمس والقمر تغليبا. والله أعلم.

[2] ن: إلا كان.

[3] ع م – المعنى.

[4] م: بالفضلة.

[5] ع – لا يذكره.

[6] ن ع م: وقوله.

[7] وعبارة السمرقندي هكذا: «والثاني قوله: ﴿من ظهورهم﴾، وعلى ما قالوا يكون: من ظهر آدم. وهو خلاف الظاهر أيضا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٥ظ).

[8] قال الشارح: «والرابع قوله: ﴿إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾، وفيه وجهان. أحدهما ليس في ذلك العرض ما يمنعهم عن هذا القول، إذ لم يكن عندهم بذلك [علم]. و[الثاني] لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا: كنا ذرية من بعدهم وقد أشرك آباؤنا من قبل، ولم يَرُدّ عليهم: إنكم كنتم ذرية من قبل أنْ أَشْرَكَ آباؤكم، فإنكم كنتم ذرية بعد وجود آدم عليه السلام. دل أن التأويل الثاني أحق (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٥ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٥١ظ)».

[9] م: في بعض ذلك.

[10] ك ن ع: القول بهؤلاء.

[11] ن – في القول ببلى.

[12] ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢٨/٢).

[13] ﴿قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروجٍ مِن سبيل﴾ (سورة المؤمن، ١١/٤٠).

[14] ك ن ع: وفي ثبات؛ م: وفي بيان.

إثبات الموت والحياة أكثر من العدد الذي[1] جاء به القرآن في الكل.[2] *ولا قوة إلا بالله*.

ثم قد يتوجه التأويل الثاني في قوله:[3] **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى،** إلى أوجه. فأما ابتداء الآية فهو ذلك عند التحقيق، لأنه ذكر الأخذ **من بني آدم**، ثم[4] **من ظهورهم**، والمأخوذ **من بني آدم ثم من ظهورهم**[5] هو النُّطَف، وهو الماء الدافق الذي يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ.[6] **وأشهدهم على أنفسهم**، أعلمهم ما منه أنشأهم وقَلَّبهم من حال إلى حال، إلى أن تمت النَّسَمة[7] وظهرت البشرية. على ما عَلِم[8] كلٌّ في[9] ذريته خروج بَدْئِه مِن تدبير والديه، وقيامه على ما عليه مداره وقراره بتدبير[10] من لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر؛ ليقولوا أن الذي ذكر هذا هو ربهم الذي ربّاهم على ذلك، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[11] فكان ذلك إعلاما[12] من الله إياهم على أنفسهم، وشهادةً منها بالخلقة أنه ربهم الذي ربّاهم[13] ومَلّكهم[14] على ما جرى فيهم من تدبير الله جل ثناؤه، ولئلا يقولوا غدا أنهم [كانوا] **عن هذا غافلين**؛ إذ قد عرف ذا كل ذي عقل، وعرف أنه كان بالله سبحانه وتعالى، لا بوالديه، ليجعلوا شرك الآباء والأمهات لأنفسهم حجة من حيث كانوا منهم. *والله أعلم*.

---

[1] ن – الذي.

[2] قال الشارح: «والخامس أنهم قالوا: إنه جعل الذَّر قسمين، فقال: "هؤلاء في النار ولا أُبالي، وهؤلاء في الجنة ولا أُبالي"، وفي القرآن الجمع بينهم جميعا في القول ببلى، حيث قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾، ليس فيه أنه أمر البعض دون البعض، وذلك عُدَّ توحيدا منهم، فكيف قال: "هؤلاء في النار ولا أُبالي". والسادس في القرآن: ﴿ربنا أَمَتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾، ذكر الموت والحياة مرتين، وعلى ما قال هؤلاء يكون إثبات الحياة والموت أكثر من العدد الذي جاء به القرآن في الكل (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١٥ظ)».

[3] م – في قوله.

[4] م – ثم.

[5] ن + والمأخوذ من بني آدم ثم من ظهورهم؛ ع – والمأخوذ من بني آدم ثم من ظهورهم.

[6] ﴿خُلِق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٦-٧).

[7] النسمة تأتي بمعنى الرُّوح والإنسان والنَّفَس (*لسان العرب* لابن منظور، «نسم»).

[8] جميع النسخ: ما اعلم.

[9] ع: في كل.

[10] ع م: وبتدبير.

[11] سورة الشورى، ٤٢/١١.

[12] ن ع: إعلام.

[13] ك – على ذلك ليس كمثله شيء فكان ذلك إعلاما من الله إياهم على أنفسهم وشهادة منها بالخلقة أنه ربهم الذي رباهم.

[14] ن + الذي.

والثاني أن يكون الله **أشهدهم على أنفسهم** بما أراهم من أحوال ذريتهم في الانتقال على أحوال، على أن أنفسهم كذلك كانت، [و]دَخَل كلُّ مَن بجوهرهم في ذلك[1] التدبير، ليعلموا أن الذي[2] دبّرهم[3] على ذلك دبّر[4] الكل،[5] فيزول عنهم شُبَه[6] الكون بغير الرب الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[7] فيزول عنهم به عذر الغفلة، وعلاقة الشبهة بكفر الوالدين[8] من حيث حق التبعيّة، أو سَفَه[9] التقليد، بما يُعلَم خروج الجميع من التدبير،[10] ورجوع التدبير إلى غير، ليكون موضع الاستدلال بما أراهم هو ودعاهم إليه، لا بما أمرهم به الآباء والأمهات.

ثم القول **بِبَلَى** يكون نُطْقا ويكون خِلْقَة، ويكون جواب الفطرة بحق التأمل. فالنطق[11] أنه لا يُسأل أحد قبل التلقين إلا وهو يقول بالرب والخالق. وعلى ذلك قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ.[12] والخِلْقة بما كان من حاجته إلى مُقيم وإلى مُدبِّر، على شركة كل [شيء] في ذلك إقرار له بالربوبية. وذلك معنى نَفْي التفاوت عن خَلْقِه[13] وفطرته، بما يُقلِّبه على أحوالٍ[14] لو تأمّل الخلائق إدراك كل حال منها ووجه التنقّل[15] وقَدْر التغيُّر في كل حالٍ لَمَا تهيأ لهم. لِيُعلَم[16] أن في الفطرة شهادة بالتوحيد. وهذا معنى ما روي عن رسول لله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة»،[17]

---

[1] ع: وذلك.
[2] ك ن ع: أن الله.
[3] م: ذكرهم.
[4] ع – على ذلك دبر.
[5] ع: لكل.
[6] ك + الكل.
[7] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[8] أي ويزول عنهم عذر التعلّق بشبهة كفر الوالدين...
[9] ن ع: أو سعة.
[10] ك: التدبير من الجميع.
[11] ن: وفالنطق.
[12] سورة لقمان، ٢٥/٣١؛ وسورة الزمر، ٣٨/٣٩.
[13] ع: عن خلقته. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما تَرَى في خَلْقِ الرحمن مِن تَفَاوُت﴾ (سورة الملك،٣/٦٧).
[14] م: عن أحوال.
[15] ن: التنقبل.
[16] م – ليعلم.
[17] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه» (صحيح *البخاري*، الجنائز ٩٣؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٢).

أي على حالٍ لو تُركت العقول والفِكَر فيها لشهدت بالتوحيد. وذلك معنى[١] قوله: **بَلَى**، لا أن ثمّة[٢] قولُ لسانٍ، بل نُطْق حالٍ، كما قال الحكيم: كل صامت ناطق؛ لأن صَمْته دليل تدبيرِ آخَر، فهو ناطق باللسان[٣] عن الواحد العزيز. *ولا قوة إلا بالله*.

وقد يحتمل الإشهاد أنْ جَعَلهم شهداء **على أنفسهم** بالعُبُودَة لله، وأنه ربهم والمالك عليهم، والقول بِـ**بَلَى** بما يُلزِم ذلك بالتأمل، فكأنه قال.[٤] *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة إثبات خلق الله فعل الخلق لما بهم الدَّفْق،[٥] وقد أخبر الله أنه أخذ ذلك. *والله أعلم*.

فإن قيل: على ماذا يخرج تأويل السلف؟

قيل: لعلهم وجدوا فيه خبرا ظنّوا أن الآية تخرج عليه، فأوّلوها على ذلك. فإذا أُرِيد تسويةُ ذلك[٦] بالآية لا بُدّ مِن زيادات تُلحَق بها أو تُخرَج عنها، وإلا لا يُخرَج[٧] من ذلك. مِن[٨] [ذلك] أنْ يقول: **وإذ أخذ ربك من بني آدم**، أن يجعل "مِن" صلة، كأنه قال: وإذ أخذ ربك[٩] بني آدم، وقد يكون[١٠] كقوله: وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ.[١١] وبنو[١٢] آدم[١٣] يُؤخذون[١٤] من ظهر آدم، كما يؤخذ ابنُ كلٍّ من ظهره،[١٥] أي أصل ابنِ كلٍّ من ظهره. وذَكَر **ظهورهم** لما كان منسوبا إليهم، وإن كان لو طرح حرف الصلة يزول الشُّبَه. فحفظ / في ذِكْرهم حقّ الوصل وإن كان حقُّه الإسقاط، [٢٧٢ظ]

---

[١] ن ع م – معنى.
[٢] ك م: لا أن ثم.
[٣] جميع النسخ: بالبيان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٥ظ. فهو ناطق باللسان: أي لسان الحال.
[٤] أي فكأنه قال: بلى، باللسان، وإن كان المقصود هو الإفادة بلسان الحال لا المقال.
[٥] م – لما بهم الدفق. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِق. خُلِق من ماء دافق. يخرج مِن بَيْن الصُّلْب والتَّرَائِب﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٧).
[٦] ك: ذاك.
[٧] م: وإلا يخرج.
[٨] ن ع – من.
[٩] ك ع م + من.
[١٠] ن م: وقد تكون.
[١١] سورة البقرة، ٢/٢٧١. وانظر تأويل هذه الآية.
[١٢] ن ع: وبنوا.
[١٣] ك ن ع – آدم.
[١٤] جميع النسخ: يؤخذ.
[١٥] م: من ظهورهم.

كقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ،[1] الآية، وغير ذلك، مما كني عن أهل القرية باسمها، وعلى ذلك أجرى ذِكْر الفعل وإن لم يكن[2] لها في[3] الحقيقة فعل. فعلى ذلك هذا. فيصير في التحصيل كأنه قال: وإذ أخذ ربك[4] بني آدم من ظهره. ثم يكون المأخوذ الذي عرض عليه مجعولا على حدٍّ يَعقِل الخطاب، ومعنى قوله: **ألست بربكم**، فأجاب بالذي ذكر. والخبر الذي فيه القسمة[5] إما أن كان لا في هذا، فوُصِل به؛ أو كان في الآية ذِكْر إجابةِ أحدِ الفريقين؛ أو كان بين الجميع اتفاق في هذا الحرف، واختلاف فيما جاوز هذا، فالقسمة لما عدا [ذلك]. وقد يوجد في هذا القدر أيضا اتفاق.[6]

ثم قوله: **أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين،** على إضمار بَعْث الرسل وإنزال الكتب[7] بالإخبار عن ذلك، لئلا يَدَّعُوا الغفلة بما قد كانت[8] منهم عن ذلك،[9] بما أُوقِظوا[10] ونُبِّهوا،[11] أو لا يحتجوا[12] بما اعترضهم من الغفلة، إذ قد قطع عذرهم بغير ذلك من الأدلة والرسل. ***والله أعلم.***

أو لا تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل، أي بَعَث الرسل وأنزل الكتب لقطع هذا النوع من الشُّبَه على الوجهين اللذَيْن ذكرت، كقوله:[13] وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ،[14] الآية،

---

[1] سورة الطلاق، ٦٥/٨.

[2] ع - يكن.

[3] ك + الفعل.

[4] ع + من.

[5] أي قسمة المأخوذين من ظهر آدم عليه السلام إلى قسمين، أهل الجنة وأهل النار.

[6] قال الشارح: «وأما الخبر الذي فيه القسمة: "هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي"، كأنه ورد لا في هذه الحادثة، لكن وصل تأخر حديث القدر، فيظن أنه قد ورد فيه. ولإن كان في حديث الذر فمحتمل أن يكون في الآية ذكر إجابة أحد الفريقين بقوله: ﴿قالوا بلى﴾، أريد به البعض الذي قال فيهم: "هؤلاء في الجنة ولا أبالي"، ويحتمل أن يكون بين الجميع اتفاق في هذا الحرف، وقالوا بأجمعهم: بلى، جوابا لقوله: ألست بربكم، لكن وقع الإختلاف بينهم فيما جاوز أصل الإقرار بالألوهية والربوبية، فالقسمة لما عدا الإقرار بالربوبية، وصاروا فريقين للإختلاف بينهم في أشياء أخر. وقد يوجد في هذا القدر اتفاق بين عامة الكفرة وأهل الإسلام وإن كان بينهم اختلاف فيما وراءه، ويثبت لهم... الكفر لما أنكروا دون ما أقروا (شرح التأويلات، ورقة ٣١٥ظ-٣١٦و)».

[7] ك ع م: الكتاب.

[8] م ع: بما كانت.

[9] م: منهم ذلك.

[10] ك: أوقضعا.

[11] ع: وتنهوا؛ م: أو انبهوا.

[12] ك ن ع: أو بما لا يحتجوا؛ م: أو بما لا يحتجون.

[13] ع م - كقوله.

[14] ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخزَى﴾ (سورة طه، ١٣٤/٢٠).

وقوله: وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ،[١] الآية، وقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ،[٢] الآية. ويكون في التأويل[٣] الأول ظهور أمر الذرية للأولاد في الخروج عن تدبير الآباء والأمهات بقطع[٤] الحجاج بهذين الحرفين. وفي الثاني نزول الكتب وإرسال الرسل مع ما أمكن جعل هذا في التأويلين[٥] جميعا. *والله أعلم*.

[٢٧٢ظ س ١٥] *وقوله: **أفتهلكنا بما فعل المبطلون**، يخرج على وجوه. أحدها أن يكون ذلك الإهلاك ليس هو التعذيب، لكنه[٦] الإماتة، كقوله تعالى: إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ.[٧] أي لك أن[٨] تميتنا، إذ فعل السفهاء ما فعل، وأن لا تُبقيهم[٩] لما يُرجَى من التوبة أو يُحْدِث مِن التوبة[١٠] منهم مَن لم يَسْفَه. والإضافة إلى الجملة بوجهين. أحدهما[١١] على إرادة من سَفِه منهم. والثاني على الكل، إذ الموت حق مكتوب على جميع البشر، لا على[١٢] التعذيب.

والثاني على التعذيب،[١٣] على معنى لا تفعل أنت لذلك، كما يقول الرجل: أنا أفعل هذا؟ أو أنت تفعل هذا؟ على التَّبَرِّي والتَّبرئَة. وقوله: إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ،[١٤] أي تفعله ابتلاء لا تعذيبا.

والثالث أن يكون على الإيجاب بجمعهم في ذلك –وإن كان الذي استحق بعضهم– بحق[١٥] المحنة،

---

[١] ﴿ولو لا أن تصيبهم مصيبة بما قدّمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٤٧).
[٢] ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٥).
[٣] م: في تأويل.
[٤] ك: لقطع.
[٥] ع م: في التأويل.
[٦] ن: ولكنه.
[٧] سورة النساء، ٤/١٧٦.
[٨] ع م – لك أن.
[٩] ك ن ع: لا تنقصهم؛ م: لا يبقيهم.
[١٠] ك ع م – من التوبة.
[١١] م – أحدهما.
[١٢] ع م: إلا على.
[١٣] ع م – والثاني على التعذيب.
[١٤] ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٥٥).
[١٥] ع م: في حق.

إذ له ذلك ابتداء، وذلك نحو أَمْر أُحُد،[1] بما ابتلاهم وإن لم يكن منهم جميعا المعصية. وعلى ذلك أمر جميع أنواع المصائب،[2] يجمع فيها بين أهل الخير والشر بحق المحنة لا العقوبة، وإن كان ذلك[3] في بعضهم عقوبة. *والله أعلم*.* [٢٧٢ظ س٢٣]

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١٧٤]

وقوله: **وكذلك نُفَصِّل الآيات**، على وجهين. أحدهما على البيان، أن نبيّن ما يكشف العَمَه[4] ويُزيل الشُّبَه.[5] والثاني أن نفرّقها[6] ونضع كل واحدة منها في أحقّ مواضعه وأولى ذلك، لقطع العذر ودفع العلل.

وقوله: **ولعلهم يرجعون**، أن تأمّلوا ما هم[7] عليه من الباطل. *والله أعلم*.*

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[١٧٥]

وقوله عز وجل: **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**، اختلف أهل التأويل في نبأ[8] هذا. قال بعضهم: كان هذا نبيا، **فانسلخ منها**، يعني من النبوة وكفر بها. لكن هذا بعيد محال: أن يجعل الله الرسالة فيمن يعلم أنه يكفر به، أو يختاره لوحيه وهو يعلم أنه ليس هو بأهل لها، بقوله:[9] اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.[10] وقال بعضهم: كان بَلْعَم بن[11] باعورا، أعطاه الله تعالى آيات، فكفر بها و **انسلخ منها**. وقيل: أُعطِي الاسم المخزون،

[1] لعل المقصود هو ما حصل من انهزام المسلمين يوم أحد بسبب ترك الرماة منازلهم التي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوها، وهم لم يكونوا جميع المحاربين، وإنما كانوا بعضهم.
[2] ن + بجمع أنواع المصائب.
[3] ع م – ذلك.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٢ظ/سطر ١٥-٢٣.
[4] ع م: النعمة.
[5] ع م: الشبهة.
[6] ع م: أن نفرق.
[7] ن م: عما هم؛ ع: أعمالهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٢ظ/سطر ١٥-٢٣.
[8] ع م – نبأ.
[9] م: بقول.
[10] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.
[11] ك ع: ابن.

كان يستجاب له به[1] جميع ما يسأل ربه.[2] وقال بعضهم: كان أميّة بن أبي الصَّلْت،[3] على ما قيل عنه[4] عليه السلام أنه[5] «آمن شِعْرُه وكفر قلبه».[6] وقال بعضهم: نزلت الآية في منافقي أهل الكتاب، قد كان أعطاهم الله الآيات، فكفروا بها وكذّبوها. ولكن لا ندري فيمن نزلت، وهو في جميع مكذِّبي الآيات، ليس يجب أن تَنُصّ واحدا، أو يُشار إلى واحد أنه[7] نزل فيه، ولكن نقول: إنها في جميع[8] مكذِّبي الآيات. وقوله: **فانسلخ منها**، قيل:[9] خرج منها، وقيل:[10] نزع منها، وقيل: تركها. وكله واحد. ثم يحتمل قوله: **فانسلخ منها**، أي كانوا قبلوها مرة، ثم ردّوها من بعد القبول. ويحتمل أن لم يقبلوها في الابتداء[11] فيخرجوا منها،[12] وكذّبوها.

---

[1] ك – به.

[2] أي أعطي الاسم الأعظم المخزون علمه عن الناس؛ وانظر لما روي في ذلك عن ابن مسعود وغيره من الصحابة والتابعين: *تفسير الطبري*، ٩/١١٩-١٢١.

[3] وهو مروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/١٢١-١٢٢. وهو أمية بن أبي الصَّلْت الثَّقَفي الشاعر المشهور. كان أمية في الجاهلية نظر الكتب وقرأها، وتَعَبّد بذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية، وحرّم الخمر وتجنّب الأوثان. وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث بالحجاز. ورثى أمية بن أبي الصلت قتلى بدر بقصيدته المشهورة، لأنه كان من رءوس من قُتِل بها عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وهما ابنا خاله. فلم يُسلِم حتى مات بالطائف سنة ٩هـ/٦٣٠م. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ١/٢٥٠.

[4] ك – عنه.

[5] ن – أنه.

[6] قال العَجْلوني: «رواه أبو بكر بن الأنباري في كتاب المصاحف والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس. قال المُناوي ما حاصله: وسند الحديث ضعيف. ورواه أيضا عن ابن عباس الفاكِهي وابن منده. وسبب ذِكْره أن الفارِعة بنت أبي الصَّلْت أخت أمية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشدته مِن شِعْر أمية أخيها، فذَكَره» (*كشف الخفاء*، ١/١٩). عن عمرو بن الشَّرِيد عن أبيه قال: رَدِفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم. قال: «هِيه»، فأنشدته بيتا، فقال: «هِيه»، ثم أنشدته بيتا، فقال: «هِيه»، حتى أنشدته مائة بيت؛ وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كاد ليُسلِم في شِعْره» (*صحيح مسلم*، الشعر ١؛ و*سنن ابن ماجة*، الأدب ٤١).

[7] ن م – أنه.

[8] ن – جميع.

[9] م – قيل.

[10] ع م – وقيل.

[11] م: في ابتداء.

[12] أي لم يخرجوا منها حقيقة، لأنهم لم يدخلوا فيها ابتداء، ولكن سمي ذلك انسلاخا وخروجا على سبيل المجاز؛ انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٦و.

[٢٧٣و س١٠ *وقال الحسن في قوله: **فأتبعه الشيطان**، الآية، قال: حال الشيطان بينه وبين أن يصحب الهدى
٢٧٣و س١١] بما مَنّاه وزيّن له.*

وقوله عز وجل: **فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**، فيه دلالة أن الله لا يُتبع[١] الشيطانَ أحدا ولا يُزيغه إلا بعد أن كان منه الاختيار للضلال والميل إليه، حيث قال: **فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**، إنما أتبع الشيطان بعد ما كان منه الانسلاخ والنَّزْع. وقوله: **فكان من الغاوين**، قيل: **كان** في علم الله أن يكون في ذلك الوقت **من الغاوين**.[٢] وقيل: **كان من الغاوين**، أي صار من الغاوين إذا انسلخ منها وخرج. والغاوي: الضالّ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٧٦]

[٢٧٣و س٦ وقوله: **ولو شئنا لرفعناه بها**؛* قال قتادة: قوله: **لو شئنا لرفعناه بها**، يقول: **لو شئنا لرفعناه**، بإيتائه[٣] الهدى، فلم يكن للشيطان عليه سبيل، ولكن يبتلي من عباده[٤]
٢٧٣و س٧] من يشاء.[٥]* يحتمل قوله: **لرفعناه بها**، عصمناه[٦] حتى لا ينسلخ منها ولا يُكذّب بها، أي **لو شئنا** لوفّقناه لها[٧] حتى يعمل بها. أو أن يقال: **لو شئنا** لعصمناه حتى لا يختار ما اختار، لكنه إذ علم[٨] منه أنه يختار ذلك ويميل إليه شاء أن لا يعصمه ولا يوفّقه. فكيف ما كان فهو على المعتزلة، لأنه أخبر أنه[٩] لو شاء لرفعه[١٠] بها، وكان له مشيئةُ الرفع،

---

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ١٠-١١.
[١] ع م: لا يتبعه.
[٢] ن + إنما اتبع الشيطان بعد ما كان منه الانسلاخ.
[٣] ك ن م: من إيتائه؛ ع: من إتيانه.
[٤] ع: من عبادة.
[٥] ك: من يشاء من عباده. أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦١٠/٣.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ٦-٧.
[٦] ع: أصمناه.
[٧] ن ع م: بها.
[٨] ع: إذا علم.
[٩] ع م - أنه.
[١٠] ع: لرفع.

ثم أخبر أنه[1] لم يرفع، ولو رفعه[2] بها كان أصلح له في الدين، دلّ أنه قد يفعل به ما ليس هو بأصلح في الدين. وهم يقولون: إن[3] المشيئة هاهنا مشيئة / القهر والقَسْر، لا مشيئة الاختيار. [٢٧٣و] لكن ما ذكرنا[4] أنّ الإيمان في حال الاضطرار والقهر لا يكون إيمانا، فلا معنى لذلك، ولا يكون ذلك رفعا، فيبطل قولهم.

وقوله عز وجل: **ولكنه أخلد إلى الأرض**، وهو ما ذكرنا، لمّا علم منه أنه يُخْلِد إلى الأرض ويميل إليها[5] لم يعصمه ولم يرفعه. والإخلاد **إلى الأرض**،[6] قال الحسن: سكن إلى الأرض. وكذلك قال الكسائي: إن[7] الإخلاد في كلامهم السكون إلى الشيء والركون إليه. وقال أبو عبيدة: هو اللزوم للشيء.[8] وفي قوله:[9] **ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه**، دلالة أن الإزاغة من الله وترك العصمة له، لما يكون من[10] العبد الميل والركون[11] إلى مخالفته[12] وترك الائتمار له واتباع الهوى.[13]*

وقوله: **أخلد إلى الأرض**، ذكر الأرض يحتمل أن يكون كناية عن الدنيا،[14] كقوله:[15] وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.[16] ويحتمل أن يكون كناية عن الذلّ والهوان، لأن كل خير وبركة إنما يُطلَب من السماء، وهم إذا اختاروا ذلك اختاروا الذلّ والهوان.*

---

[1] ن – أنه.
[2] ع: ولو رفع.
[3] ن ع م – إن.
[4] ن: ما ذكر.
[5] ن: إليه.
[6] جميع النسخ: في الأرض.
[7] ع م – إن.
[8] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٣٣/١.
[9] ع م: في قوله.
[10] ن + العصمة.
[11] ع: الركون.
[12] م: إلى مخافة.
[13] أي إذا كان من العبد الميل إلى مخالفة الله وترك الائتمار له واتباع الهوى فعند ذلك يكون من الله الإزاغة وترك العصمة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ٦-٧.
[14] ع م: من الدنيا.
[15] ك: كقولهم.
[16] سورة الأنعام، ٧٠/٦، ١٣٠؛ وسورة الأعراف، ٥١/٧.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ١٠-١١.

واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب، قال [الحسن]: هذا مَثَل الكافر أُمِيت فؤاده كما أُمِيت فؤادُ[1] الكلب، قال: سَاءَ مَثَلاً،[2] صَدَق الله،[3] ولبئس[4] المَثَل، **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**، فتدبّروا وتفكّروا[5] في أمثال الله التي ضَرَب واعقلوها، إلى هذا ذهب الحسن.* [٢٧٣و س٢١] وقال قتادة: هذا مَثَل الكافر، ميت الفؤاد كما أُمِيت فؤادُ الكلب.[6]* وقال غيره:[7] وَجْه ضَرْب مَثَل الذي كذّب بالآيات بالكلب[8] هو[9] أن الكلب[10] من عادته أن يَذِلّ ويخضع لكل أحد، لما يطمع أن ينال[11] منه أدنى شيء، ولا يُبالي ما يصيبه من الذلّ والهوان في ذلك بعد أن ينال منه بشيء. فعلى ذلك الكافر والمكذِّب بالآيات لا يُبالي ما يلحقه من الذلّ والهوان بعد أن يصيب من الدنيا شيئا.[12] ويشبه أن يكون وَجْه ضَرْب المَثَل بالكلب لما أنّ من عادة الكلاب أنها إذا ظفرت بالجِيَف تَنْكَبّ لها، حتى إذا يُنادَى لها وتُدعَى[13] لا تكترث[14] إليه ولا تلتفت. فعلى ذلك هذا الكافر، يَنْكَبّ لكل جيفة ويخضع، ولا يلتفت إلى ما نُودي ودُعي إليه.

وقوله عز وجل: **إن تحمل عليه يلهث**، أي يخرج لسانه ويتنفّس تنفّسا شديدا،[15] **أو تتركه يلهث**، ومعناه –والله أعلم– أن الكلب إذا أصابه العطش والجوع لَهَث وإذا لم يصبه لَهَث[16] أيضا.

---

[1] ك ن ع + هذا.
[2] الآية التالية.
[3] ن: والله؛ ع – الله.
[4] م: وبئس.
[5] م: فتفكروا.
[6] *تفسير الطبري*، ١٢٩/٩.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ٢١.
[7] ن – وقال غيره.
[8] ن – بالكلب.
[9] ك ن م: وهو.
[10] ع – هو أن الكلب.
[11] ك: أنه ينال.
[12] ك: شئ.
[13] ن: ويدعي.
[14] ع م: وتكثرت.
[15] ع م – شديدا.
[16] ع: لهثه.

فعلى ذلك الكافر يميل إلى ذلك ويختار، أصابه[١] شدة أو لم تُصِبْه،[٢] أو كلام[٣] نحو هذا.*

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، ضرب الله عز وجل[٤] مَثَل الكافر مرة بالكلب، ومرة[٥] بالميت، ومرة بالأعمى، ومرة بالتراب، ومرة بالأنعام،[٦] ونحو هذا، وذلك لما فيه من معاني ما ذكر.

وقوله: **فاقصص القصص لعلهم** كذا، وهو قوله: **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا**، أمر رسوله ليقصّ أنباء الأمم السالفة على هؤلاء، ليكون زجرا وتحذيرا للكفار، ليعلموا ما حلّ بأولئك بصنيعهم، ليحذروا عن مثل صنيعهم، ويكون عظة وتذكيرا للمؤمنين،[٧] كقوله: وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.[٨]

﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[١٧٧]

وقوله عز وجل: **ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا**، الآية، وقد ذكرنا في غير موضع[٩] أن آياته قيل:[١٠] دينه، وقيل: حججه[١١] وبراهينه. وقوله: **ساء مثلا، أي ساء مثل**[١٢] الأفعال التي ضرب الله مثلها بالذي[١٣] ذكر في القرآن.

﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١٧٨]

وقوله عز وجل: **من يهد لله فهو المهتدي**، شهد الله تعالى أن[١٤] من هداه **فهو المهتدي**،

---

[١] ن: اصابة.

[٢] ع: أو ألم تصبه؛ م: أو ألم تصيبه.

[٣] ع: وكلام.

* وقع هنا سطر من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٣و/سطر ٢١.

[٤] ن + مرة بالكلب.

[٥] ك – ومرة.

[٦] ﴿إنك لا تُسمِع الموتى ولا تُسمِع الصُمَّ الدعاء إذا وَلَّوْا مُدبِرين﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٠)؛ ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكّرون﴾ (سورة هود، ١١/٢٤)؛ ﴿والبلد الطيب يَخرُج نَبَاتُه بإذن ربه والذي خَبُثَ لا يَخرُج إلا نَكِدا كذلك نُصَرِّف الآيات لقوم يشكرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٨)؛ ﴿أولئك كالأنعام بل هم أَضَلّ أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٧٩).

[٧] م: وللمؤمنين.

[٨] ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيِّنات ومَثَلاً مِن الذين خَلَوْا مِن قَبْلكم وموعظةً للمتقين (سورة النور، ٢٤/٣٤).

[٩] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ٤/٥٦.

[١٠] ن – قيل.

[١١] ع م: حجته.

[١٢] ن: مثلا.

[١٣] ك: الذي.

[١٤] ع م – أن.

أي من هداه الله في الدنيا **فهو المهتدي**[1] في الآخرة، **ومن يضلل**، في الدنيا فهو الخاسر في الآخرة. فلو كانت[2] الهداية البيان والأمر والنهي على ما ذكره قوم لكان الكافر والمؤمن في ذلك سواءً، إذ كان البيان والأمر والنهي للكافر[3] على ما كان للمؤمن فلم يهتد. فدل أن في ذلك من الله زيادة معنى للمؤمن[4] لم يكن ذلك منه إلى الكافر، وهو التوفيق والعصمة والمعونة.[5] ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى[6] المؤمن. ولو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل وغيرهم[7] على قولهم. وكذلك قوله: **ومن يضلل**، الله، **فأولئك هم الخاسرون**، أخبر أن من أضله فقد خسر، دل أنه كان منه زيادة معنى، وهو الخذلان والترك، أو خلق فعل الضلال منه.[8] وليس على ما يقوله المعتزلة أنه قد هداهم جميعا لكن لم يهتدوا. فيقال لهم: أنتم أعلم أم الله، كما قال لليهود: قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ.[9] فظاهر الآية على خلاف ما يقولون ويذهبون.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١٧٩]

وقوله عز وجل: **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس**، قالت المعتزلة: لم يخلقهم الله تعالى **لجهنم**، ولكن خلقهم وذرأهم وأعطاهم من القوة ما يكسبون الجنة، غير أنهم عملوا أعمالا استوجبوا بها النار، فصاروا للنار بما عملوا من الأعمال، لا أن خلقهم **لجهنم**. ثم اختلفوا في تأويل[10] قوله: **ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس**، قال بعضهم:

---

[1] ع – أي من هداه الله في الدنيا فهو المهتدي.
[2] ك ع م: فلو كان.
[3] ك: وللكافر.
[4] ن: بمعنى المؤمن.
[5] ن: والمؤنة.
[6] م – كما اهتدى.
[7] جميع النسخ: وغيره. وعبارة السمرقندي هكذا: «ولو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل عليهم السلام وغيرهم من الخلفاء والعلماء رحمهم الله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٦ظ).
[8] ع م – منه.
[9] ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٠).
[10] ع م: في تأويله.

ذكر بما إليه آلَ عاقبةُ أمرهم، كقوله: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[١] هم[٢] / لم يلتقطوه [٢٧٣ظ] ليكون لهم عدوا،[٣] ولكن إنما التقطوه ليكون لهم ما ذكر، كقوله: عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا،[٤] لهذا التقطوه، لكنه صار لهم ما ذكر، أخبر عما إليه آلَ أمره، فعلى ذلك هذا. وكما يقال: لِدُوا للموت وابْنُوا للخراب،[٥] ولا أحد يَلِد[٦] للموت ولا يبني للخراب، ولكنه إنباء عما يؤول[٧] إليه عاقبة أمره من الموت والخراب، إلى هذا يذهب عامة المعتزلة. وقال أبو بكر الأصم: الآية على التقديم والتأخير، كأنه قال: **ولقد ذرأنا**[٨]... **كثيرا من الجن والإنس، هم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها**، أولئك **لجهنم**، و **أولئك كالأنعام**. لكن هذا بعيد، لأنه لو جاز هذا في هذا[٩] لجاز مثله في جميع القرآن، أن يُجعل أول الآية في آخرها وآخرها في أولها، فهذا محال فاسد.[١٠] وأما قولهم: إنه إخبار عما آل إليه[١١] عاقبة أمرهم، واستشهادهم بقوله: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ كذا، فهو يصلح[١٢] لمن يجهل عواقب الأمور، يخرج ذلك منه على التنبيه والإيقاظ لما لم يعرفوا عاقبة ما صار[١٣] إليه الأمر. فأما الله سبحانه عالم السر والعلانية، وما كان ويكون في الأوقات التي يكون، لا يحتمل ذلك. وقول الناس: لِدُوا للموت وابْنُوا للخراب، فهو: إنما يذكرون هذا عند التنبيه والإيقاظ لجهلهم بعواقب الأمور، وإن كانوا[١٤] لا يبنون ولا يَلِدون للموت والخراب، ولا قصدوا[١٥] له.

---

[١] سورة القصص، ٨/٢٨.
[٢] م – هم.
[٣] ك ع م: لهم ما ذكر.
[٤] سورة القصص، ٩/٢٨.
[٥] روي مرفوعا وموقوفا بسند ضعيف، وقال الشاعر: له مَلَك ينادي كل يوم: لِدُوا للموت وابنوا للخراب؛ انظر: كشف *الخفاء* للعجلوني، ١٨٣/٢-١٨٤.
[٦] ك: يبني.
[٧] ن: عما يؤل؛ ع م: ما يؤل.
[٨] ع + لجهنم.
[٩] ع + في هذا.
[١٠] ع م + فاسد.
[١١] ن ع م: إليه آل.
[١٢] جميع النسخ + هذا.
[١٣] ك ن ع: ما به صار.
[١٤] ك: وإن كان.
[١٥] ع: وأما قصدوا؛ م: وما قصدوا.

وأما التأويل عندنا على ما ذكر في ظاهر الآية، أنه خلق **لجهنم كثيرا من الجن والإنس،** لما علم[1] في الأزل أنهم يختارون فعل الكفر والأعمال الخبيثة التي يستوجبون بها النار، خلقهم **لجهنم** لما علم منهم ذلك في الأزل أنهم يختارون فعل الكفر[2] والأعمال[3] الخبيثة،[4] فذرأهم على ما علم[5] منهم أنهم يختارون ويكون منهم. وكذلك خلق المؤمنين للجنة، لما علم في الأزل أنهم يختارون فعل الهدى ويعملون أعمالا طيبة يستوجبون بها الجنة، خلقهم للجنة، لا أنْ خَلَقَهم للجنة مُرسَلاً[6] أو خلقهم لجهنم مرسلا،[7] ولكن[8] لما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وأما قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[9] إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبده ويطيعه، وأما من علم أنه يكفر به ويعصيه فهو إنما خلقه لما علم أنه[10] يكون منه. فمن كان علم منه في الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة،[11] ومن كان علم منه أنه يكون منه الكفر خلقه لذلك، لأنه لا يجوز أن يعلم منه المعصية وفعل الكفر فيخلقه على خلاف ذلك. دل أنه على ما ذكرنا.[12] ***والله أعلم.*** [وعلى هذا ينصرف][13] قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، [إلى] الفريق[14] الذي علم منهم[15] العبادة لا الكل، دليله قوله: **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس،** ولم يقل: ذرأنا[16] الكل، فهذه في فريق، وهذه في فريق آخر.

---

[1] ع م: لما أعلم.
[2] ع م – فعل الكفر.
[3] ع م: الأعمال.
[4] ن – التي يستوجبون بها النار خلقهم لجهنم لما علم منهم ذلك في الأزل أنهم يختارون فعل الكفر والأعمال الخبيثة.
[5] ع م: ما عمل.
[6] أي بلا سبب يوجب ذلك.
[7] ك – أو خلقهم لجهنم مرسلا.
[8] ع – ولكن.
[9] سورة الذاريات، ٥١/٥٦.
[10] ع م + خلقه.
[11] ع – خلقه للعبادة.
[12] ع م: على ما ذكرناه.
[13] جميع النسخ + أو أن يقال. والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٧و.
[14] ك: لفريق.
[15] ع م: منه.
[16] ن +لجهنم كثيرا.

وهذا التأويل يرجع إلى الخصوص؛ ألا ترى[١] أن الصبيان والمجانين لم يدخلوا فيه. أو أن يكون قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أي إلا لأكلّفهم العبادة وآمرهم بها، فإن كان هذا فهي على الكل، على الكافر والمؤمن جميعا. *والله أعلم*. ويحتمل: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أي ما خلقت الجن والإنس إلا لتشهد خلقتهم على وحدانية[٢] الله وصرف العبادة إليه، وقد شهد خلقة[٣] كل كافر ومؤمن على وحدانية الله وألوهيته.

وقوله عز وجل: **لهم قلوب لا يفقهون بها**، الفقه هو[٤] معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره، أو معرفة الشيء بمعناه الدال على مدبّره. فهؤلاء الكفرة لم يفقهوا لِمَا لم ينظروا إلى الأشياء لمعناها وحقائقها، إنما نظروا إلى الأشياء لظواهرها. وكذلك قوله: **ولهم أعين لا يبصرون بها**، لما نظروا[٥] إلى ظواهرها، لم ينظروا إلى معانيها وحقيقتها ليدلهم على تدبير منشئها وحكمته. وكذلك قوله: **ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام**، لما كانت للأنعام قلوب وأعين وآذان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وإن كانوا يسمعون النداء وينظرون ظواهر الأشياء، فعلى ذلك[٦] هؤلاء[٧] الكفار وإن كانوا يسمعون ويبصرون ما ذكرنا بعد أن لم يفقهوا معانيها وتدبير مدبرها، فهم **كالأنعام**. وأصله أنهم لَمَّا لم يستعملوا تلك الحواس فيما جعلت لهم – وإنما جعلت لهم[٨] لمعرفة حقائق الأشياء وما أدرج فيها من المعاني والحكمة– صاروا[٩] في الحقيقة كمن لا حواس له، إذ لم ينتفعوا[١٠] بها انتفاع من لهم تلك،[١١] لذلك[١٢] نَفى عنهم. *والله أعلم*. وقال قائلون: نفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بها[١٣] انتفاع من لهم تلك،

---

[١] ن: ألا ألا ترى.
[٢] ك: على واحدانية.
[٣] ن: خلقته.
[٤] ع: وهو.
[٥] ع: لما نظرا.
[٦] ع + ظواهر الأشياء فعلى ذلك.
[٧] ع – هؤلاء.
[٨] ع م – وإنما جعلت لهم.
[٩] جميع النسخ: فصاروا.
[١٠] ع م: أو لم ينتفعوا.
[١١] ع + بل كانوا كمن ليس لهم تلك لذهاب؛ م + بل كانوا كمن ليس لهم تلك.
[١٢] ن: ولذلك؛ ع – لذلك.
[١٣] ك – بها.

بل كانوا كمن ليس لهم تلك الحواس [لعدم استعمالهم لها] في المعنى الذي جعلت تلك الحواس [له].[1] فهم **كالأنعام بل هم أضل**، لأن هؤلاء[2] إذا ضلوا الطريق فهُدُوا وأُرشِدوا لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك، والدواب إذا ضلوا الطريق فهُدُوا[3] اهتدوا وعرفوا الحق[4] ومالوا إليه، فهم **أضل** من الأنعام لما ذكرنا.[5] ***والله أعلم***.

وقوله: **بل هم أضل**، لأن بنية الأنعام لا تحتمل[6] فهم[7] ذلك، وبنية هؤلاء تحتمل،[8] إذ جعل لهم عقولا تُميّز وتعرف حكمة مدبرها ومنشئها، لكنهم ضيعوها، و لم يكن من الأنعام تضييع،[9] لذلك كان أولئك أضل. قال ابن عباس / رضي الله عنه: قوله: **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها**، لِمَا ختم الله على قلوبهم كقوله: خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ،[10] فمن ثم[11] لم تفقه[12] قلوبهم و لم تبصر[13] أعينهم و لم تسمع آذانهم، وقال: ثم ضرب لهم مثلا فقال: **أولئك كالأنعام**، في الأكل، لأن همتهم ليست[14] إلا الأكل والشرب، كهمة الأنعام والبهائم ليست همتهم إلا الأكل والشرب وقضاء الشهوة، فهي تسمع النداء ولا تعقل، فعلى ذلك الكافر. [٢٧٤و]

وقوله: **أولئك كالأنعام**، في فهم[15] ما ألقي إليهم، **بل هم أضل**، لأنهم أُعطُوا سبب فَهم ذلك، والأنعام لا. وقوله عز وجل: **بل هم أضل**، لأن الأنعام تَعرف ربها وتوحّده وتَذكره،

---

[1] الزيادتان مستفادتان من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٧و. والعبارة فيها تكرار، لكن قد يكون ذلك لاختلاف القائلين والزيادة التي توجد في دوام القول الأخير.
[2] ع + هؤلاء.
[3] ك – وأرشدوا لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك والدواب إذا أضلوا الطريق فهدوا.
[4] ن ع م – الحق.
[5] م: لما ذكر.
[6] ن ع م: لا يحتمل.
[7] ك – فهم، صح هـ.
[8] ن ع م: يحتمل.
[9] ع: تضيع.
[10] سورة البقرة، ٢/٧.
[11] ن م: فمن ثمة.
[12] ن ع م: لم يفقه.
[13] ع م: و لم يبصر.
[14] م: ليس.
[15] ع: في فيهم.

لقول الله[1] تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ،[2] الآية، وكقوله: كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ،[3] وهؤلاء لا يعرفونه ولا يوحّدونه،[4] فهم **أضل**. أو أن يقال: **هم أضل**، لأنهم[5] لا يهتدون وإن هُدُوا ودُعُوا، والأنعام تهتدي. أو **هم**[6] **أضل**، لأنهم يَضلون ويُضلون غيرهم، والأنعام لا. أو **هم أضل**، لأنهم[7] لا يُنتفَع بهم، والأنعام يُنتفَع بها.

وقوله عز وجل: **أولئك هم الغافلون**، عن فهم ما أُلقي إليهم وأُمروا به. أو غافلون[8] عما أُوعدوا.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٨٠]

وقوله عز وجل: **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل أنهم قد ظنوا أن في إثبات عدد الأسماء إيجاب إثبات عدد من الذات، فأخبر أنْ ليس في إثبات عدد الأسماء إثبات أعداد من الذات، إذ قد يسمَّى الشيء الواحد بأسماء مختلفة، ثم لا يوجب ذلك إثبات عدد ذلك[9] ولا تجزئته، من نحو ما يسمَّى الحركةُ حركةً، عَرَضا، شيئا، خَلْقا، من غير أنْ أَوْجب ذلك إثبات عدد الحركة أو تجزئته. وكذلك في جميع الأشياء. فعلى ذلك يخبر أنه ليس في إثبات عدد الأسماء إثبات عدد من الذات على ما ذكرنا. ويحتمل أن يكون خرج هذا مقابل قولٍ كان منهم، وهو أنْ وصفوا الله بشيء لا يَحسُن أن يوصف به، وأضافوا إليه أشياء لا يصلح أن تضاف،[10] من نحو[11] قولهم: يا خالق الخنازير، ويا خالق الخبائث، ويا إله القِرْد، ونحوه.

---

[1] ن: لقوله.
[2] سورة الإسراء، ١٧/٤٤.
[3] سورة النور، ٢٤/٤١.
[4] ع: ولا يوجدونه.
[5] ع م - لأنهم.
[6] م: وهم.
[7] ن - لا يهتدون وإن هدوا ودعوا والأنعام تهتدي أو هم أضل لأنهم يضلون ويضلون غيرهم والأنعام لا أو هم أضل لأنهم.
[8] م: وغافلون.
[9] ن - عدد ذلك.
[10] ع: أن يضاف.
[11] ع م - نحو.

فأخبر أن ادعوه بالأسماء الحسنى مما ثبت عند الخلق[1] أنه مسمى بها،[2] من نحو ما أعطاهم، يقال: يا هادي، يا مرشد، ونحوه. ويقال بما[3] أعطاهم من النعم: يا كريم، يا جواد، يا لطيف، ونحوه. ويقال: يا خالق، يا رازق،[4] يا الله، يا رحمن، يا رحيم، لما ظهر[5] في أنفسهم من ألوهيته وربوبيته. فقال: لا تدعوا بكذا، ولكن ادعوا بالأسماء التي ثبت عند الخلق تحقيقها، وأنه مسمّى[6] بها،[7] وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*. وقد روي على المعنى [الأول][8] خبر.[9] روي أن رجلا دعا[10] في صلاته، فقال: يا الله، ويا رحمن، ويا رحيم. فقال رجل من المشركين: أليس يزعم **محمد** وأصحابه أنهم يعبدون إلها واحدا، فما بال هذا يدعو[11] ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالى: **ولله الأسماء الحسنى.**[12] ويحتمل قوله: **ولله الأسماء الحسنى**، أي له **الأسماء الحسنى**، لا للأصنام التي تعبدونها، من[13] نحو ما سموها آلهة وأربابا، فقال: هذه الأسماء التي تدعون[14] بها الأصنام لله، **فادعوه بها**، ولا تدعوا[15] الأصنام.

وقوله عز وجل: **وذروا الذين يلحدون في أسمائه**، يحتمل: أي لا تكافئهم بصنيعهم ولا تُجازِهم بأذاهم إياك، فإن الله هو المكافئ لهم والمجازي بصنيعهم. ألا ترى أنه قال في آخره: **سيجزون ما كانوا يعملون.** وقوله: **يلحدون في أسمائه**، قيل: الإلحاد هو الجور والميل عن الحق والوضعُ في غير موضعه. وهم سُمُّوا ملحدين لما سَمَّوا غيره بأسمائه، أو لإشراك غيره في أسمائه.

---

[1] م: عنه الخلق.

[2] جميع النسخ: به.

[3] ع – ويقال بما؛ م: ويقال ما.

[4] ن: ويا رازق.

[5] ع: لما أظهر.

[6] ع م: يسمى.

[7] جميع النسخ: به.

[8] جميع النسخ: على هذا المعنى؛ والتصحيح مع الزيادة من *شرح التأويلات*، ورقة ٣١٧ظ.

[9] ك ن: خبرا؛ ع م – خبر.

[10] م: دعى.

[11] ع: يدعوا.

[12] ذكره القرطبي وعزاه إلى مقاتل؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٧/٣٢٥.

[13] ع م – اثنين فأنزل الله تعالى ولله الأسماء الحسنى ويحتمل قوله ولله الأسماء الحسنى أي له الأسماء الحسنى لا للأصنام التي تعبدونها من.

[14] ك: يدعون.

[15] ن: ولا تدعوا بها.

أو سُمُّوا بذلك لما صرفوا شكر نعمه إلى غيرٍ، وعبدوا دونه مع علمهم أنه لم يكن منهم إليه[١] شيء من ذلك، إنما كان ذلك لهم[٢] من الله. قال ابن عباس: الإلحاد الميل في جميع القرآن. وقيل: الإلحاد[٣] التكذيب. قال القُتَبي: **يلحدون**، أي يجورون عن الحق ويَعدِلون،[٤] وأصله[٥] الجور والميل.

وقوله[٦] عز وجل: **سيجزون ما كانوا يعملون**، قيل:[٧] هذه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والظفر[٨] على أعدائه في الدنيا. وقال قائلون: هو حرف[٩] وعيد، أوعدهم عز وجل بأذاهم رسول الله.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[١٨١]

وقوله: **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق**، أي **يهدون** الخلق **بالحق** الذي عندهم، وهو القرآن والكتب التي عندهم. وأمكن أن يكون **الحق** هو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، به يهدون الناس وبه يعملون. وجائز أن يكون قوله: **يهدون**[١٠] **بالحق**، أي يدعون[١١] الخلق إلى سبيل الله، على ما ذكر في آية[١٢] أخرى حيث قال: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.[١٣] ويحتمل[١٤] **الحق** هاهنا هو الله، كقوله: [وَيَعْلَمُونَ] أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.[١٥] وقوله: **وبه يعدلون**، أي بالحق الذي يهدون يعملون، كقوله: وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ،[١٦] الآية.

---

[١] ن ع م: إليهم.
[٢] ك – ذلك لهم.
[٣] ك: إلحاد.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٥.
[٥] ع: وأصل.
[٦] م – وقوله.
[٧] جميع النسخ: قال.
[٨] ع: بالنصر والظفر.
[٩] ع: حروف.
[١٠] ن – قوله يهدون.
[١١] ن ع م: أي يهدون.
[١٢] ن: في سورة.
[١٣] سورة النحل، ١٦/١٢٥.
[١٤] ع: يحتمل.
[١٥] سورة النور، ٢٤/٢٥.
[١٦] سورة هود، ١١/٨٨.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٨٢]

وقوله: **والذين كذبوا بآياتنا**، قد ذكرنا هذا في غير موضع.[١] وقوله عز وجل: **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**، قال قائلون: هو[٢] صلة قوله: سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا،[٣] الآية. وقال بعضهم: فيه الوعد لرسول الله بالنصر له والظفر على أعدائه. والاستدراج هو الأخذ في حال الغفلة من حيث أَمْنُ الرجلِ بغتة، كقوله: فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.[٤] وقال قائلون: الاستدراج المكر، لكن معنى ما يضاف / [٢٧٤ظ] الاستدراج والمكر إلى الخلق غير المعنى الذي يضاف إلى الله، والجهةُ التي تضاف إلى الله[٥] غير الجهة التي تضاف إلى الخلق؛ والجهةُ التي تضاف إلى الخلق[٦] مذمومة،[٧] والجهة التي تضاف إلى الله محمودة.[٨] وكذلك ما أضيف إلى الله[٩] من المكر والخداع والاستهزاء ونحوه هو[١٠] ما ذكرنا على اختلاف[١١] الجهات. والمعنى في الجهة التي تضاف إلى الله غير الجهة التي تضاف إلى الخلق، لأن الله تعالى يأخذهم بما يستوجبون[١٢] ويستحقون[١٣] بحق الجزاء والمكافأة،[١٤] فلا يلحقه في ذلك ذم. وأما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون لا على الاستحقاق والجزاء. وعن الحسن في قوله: **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**، قال: كلما جدّدوا[١٥] لله[١٦] معصية[١٧] جدّد الله[١٨] لهم نعمة،[١٩]

---

[١] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ٥٦/٤.
[٢] ع م: هذا.
[٣] سورة الأعراف، ١٧٧/٧.
[٤] سورة الأعراف، ٩٥/٧.
[٥] ن – إلى الله.
[٦] ك ع – والجهة التي تضاف إلى الخلق.
[٧] جميع النسخ: مذموم.
[٨] جميع النسخ: محمود.
[٩] ع + محمود وكذلك ما أضيف إلى الله.
[١٠] ع م: وهو.
[١١] ع: عن اختلاف.
[١٢] ع م: مما يستوجبون.
[١٣] ن: ويستحقونه.
[١٤] ن ع م: والمكافات.
[١٥] م: جدوا.
[١٦] ع – لله.
[١٧] ع: المعصية.
[١٨] م – معصية جدد الله.
[١٩] ن – نعمة.

ليستهزئوا ويَأْشَروا ويَبْطَروا[١] ثم يهلكهم. وقال بعضهم: يُظهر لهم النعم ويُنسيهم الشكر. وجائز أن يكون ما ذكر من الاستدراج والمكر والكيد عبارة عن العذاب، أي إن أخذي إياهم وعذابي شديد، حيث قال: إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ،[٢] أي عقوبتي شديدة.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[١٨٣]

وقوله عز وجل: **وأملي لهم إن كيدي متين**، أي كِيدوه أنتم، وأُمهِلهم وأَكِيد لهم، كقوله:[٣] إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا،[٤] الآية. فيخرج قوله: أَكِيدُ لهم مخرج جزاء كيدهم. وكذلك قوله: وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا،[٥] أي جزيناهم جزاء مكرهم. وكذلك[٦] قوله: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ،[٧] أي نجزيهم جزاء استدراجهم وكيدهم. وأمكن أن يكون قوله: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ، وقوله: **وأملى لهم إن كيدي متين**، أي نفعل بهم ما هو عندهم[٨] استدراج وما هو عندهم كيد. وكذلك نفعل بهم ما هو عندهم مكر وخداع وإن لم يكن من الله مكرا وخداعا، كقوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[٩] أي إعادة الشيء عندكم أهون من الابتداء وإن كان الإعادة والابتداء على الله سواء.[١٠] فعلى ذلك قوله: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ، و**كيدي متين**، ونحوه، أي نفعل بكم ما هو استدراج وكيد[١١] عندكم. ***والله أعلم***.

ودل قوله: **وأملي لهم**، على أنه لم ينشئهم[١٢] لحاجة له إليهم أو لمنفعة له فيهم، ولكن أنشأهم لحوائج أنفسهم ولمنافع ترجع إليهم، حتى إن عملوا نفعوا[١٣] أنفسهم، وإن تركوا ضَرّوا أنفسهم. وقوله: **متين**، قيل: شديد، أي عقوبتي شديدة. والمتين هو[١٤] المحكم القوي.

---

[١] أَشِر يأشَر أشَرا بمعنى المرح، وبطِر يبطَر بطَرا بمعنى الطغيان عند النعمة (*لسان العرب* لابن منظور، «أشر، بطر»).

[٢] الآية التالية.

[٣] ك – كقوله.

[٤] سورة الطارق، ٨٦/١٥-١٦.

[٥] سورة النمل، ٢٧/٥٠.

[٦] م: ولذلك.

[٧] الآية السابقة.

[٨] ع م – استدراجهم وكيدهم وأمكن أن يكون قوله سنستدرجهم وقوله وأملى لهم إن كيدي متين أي نفعل بهم ما هو عندهم.

[٩] ﴿وهو الذي يَبدأ الخلق ثم يُعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٧).

[١٠] م: سواء على الله.

[١١] ن: وكيدي.

[١٢] ع: لم ينسيهم.

[١٣] ع: أنفعوا.

[١٤] ع م – هو.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[١٨٤]

وقوله عز وجل: **أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة**، إن الكفرة كانوا ينسبون رسول الله إلى الجنون أحيانا. والذي حملهم على ذلك -والله أعلم- لأنهم كانوا أهل العز والشرف في الدنيوية،[١] وكان لا يخالفهم أحد، ولا يستقبلهم بالمكروه إلا أحد رجلين:[٢] رجل ذو هيبة وقوة[٣] وله أعوان وأنصار، أو رجل به جنون، لأنهم كانوا يقتلون من يخالفهم في شيء من الأمر. فلما رأوا رسول الله خالفهم واستقبلهم بما كانوا يكرهون[٤] و لم يروا معه أنصارا ولا أعوانا ظنوا أنه لا يخالفهم[٥] إلا بجنون فيه، فنسبوه[٦] إلى الجنون لذلك. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون نسبتهم إياه إلى الجنون لما حرّم عليهم عبادة الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها، وهم قد رأوا العقلاء منهم قد عبدوا الأصنام[٧] و لم يحرّموا ذلك. فلما حرّم ذلك عليهم[٨] ظنوا أنه إنما حرّم ذلك لآفة فيه، فذلك[٩] حملهم على نسبته[١٠] إلى الجنون. *والله أعلم*.

ثم عاتبهم بتركهم التفكّر فيه بقوله: **أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جِنَّة**، ليتبين لهم أنه ليس به جنون. وذلك يحتمل وجهين. إنهم لو تفكّروا في رسول الله بما أخبر لهم من المرغوب والمرهوب والمحذور في كتابهم[١١] على لسانهم[١٢] و[من غير][١٣] اختلاف منه[١٤] إلى أحد منهم ولا تعلّم لعلموا[١٥] أنه رسول، وأن ما أخبر[١٦] إنما أخبر بالله.[١٧] أو أن يكون[١٨] قوله:

---

[١] ن ع م: في الدنياوية.
[٢] ع – رجلين.
[٣] ك: ذو قوة وهيبة.
[٤] ك م: بما يكرهون.
[٥] ع م: ولا أعوانا أنهم لا يخلفهم.
[٦] ع: فينسبون.
[٧] ن: الصنم.
[٨] ن: عليهم ذلك.
[٩] جميع النسخ: لذلك.
[١٠] جميع النسخ: بالنسبة.
[١١] أي الكتاب الذي أرسل إليهم، وهو القرآن
[١٢] جميع النسخ: على غير لسانهم.
[١٣] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٨و.
[١٤] ع: منهم.
[١٥] جميع النسخ: ليعلموا.
[١٦] م: وأنما ما أخبر.
[١٧] ع – إنما أخبر بالله.
[١٨] ع م: وأن يكون.

أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة، أي قد تفكّروا فيه وعرفوا أنْ ليس به[1] جنون. وكذلك في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾،[2] الآية، أي قد تفكّروا في ذلك[3] وعرفوا أن مثل هذا[4] لم يُخلَق عبثا باطلا، كما يقال: أولم تفعل كذا، أي قد فعلت، لكنهم عاندوا وكابروا آياته وحججه. وأمكن أن يكون قوله: **أولم يتفكروا**، أي[5] في أنفسهم وفي أولئك الذين عبدوا من الأصنام والأوثان لِيَظهر لهم أنهم على باطل وسفه، وليتبين لهم أن الحق هو ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، لا ما كانوا هم عليه. وفيه دلالة أن الحق يَلزم وإن كان لا يُعلَم[6] ذلك إلا بالتفكّر والتدبّر[7] لما لحق هؤلاء من الوعيد الشديد والعقاب العظيم لما تركوا هم التفكّر، وكان لهم سبيلُ الوصول إلى معرفة ذلك. وقوله: **أولم يتفكروا**، في صاحبهم أن[8] ليس له **جِنَة**، هذا جواب من الله. ويحتمل: لو تفكروا في صاحبهم لعرفوا أنه ليس به جنة. ثم أخبر أنه **نذير مبين**، ليس كما يقولون: إنه مجنون، إذ معه آيات وبراهين، فهو **نذير مبين**.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[١٨٥]

وقوله: **أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض**، الآية، يحتمل هذا على الابتداء. ويحتمل على الصلة بالأول،[9] وهو أنهم إذا تفكروا **في ملكوت السماوات والأرض** عرفوا ألوهية[10] الله وربوبيته، لما يرون من اتصال منافع بعض ببعض على بُعْد ما بينهما واتساق التدبير في ذلك، فعرفوا أن ذلك كله مسخّر لمن له التمييز، وأن المقصود في خلقه أهل التمييز. فإذا عرفوا ذلك عرفوا أنهم يحتاجون إلى من يُعَرِّفهم ذلك، ويُعَلِّمهم ما يحتاجون في ذلك.

---

[1] ك: فيه.
[2] الآية التالية.
[3] ن: تفكروا ذلك.
[4] ك: مثل ذلك.
[5] ع – أي.
[6] ع + لا يعلم.
[7] م: والتدبير.
[8] ع م: ما بصاحبهم أنه.
[9] ك: للأول.
[10] ع: ألوهيته.

[٢٧٥ر] ويحتمل على ابتداء الأمر بالتفكر **في ملكوت السماوات / والأرض وما خلق الله من شيء**، ليدلهم على وحدانية[1] الله[2] وربوبيته.

وقوله عز وجل: **وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**، كان هذا نزل[3] فيمن عَرف صِدقَه لكنه عاند في تكذيبه، فقال: **وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**، يحذّرهم ليرجعوا إلى تصديقه مخافة الخروج من الدنيا على ما هم عليه.

وقوله عز وجل: **فبأي حديث بعده يؤمنون**، هذا يتوجّه وجهين. أحدهما أنكم ممن تقبلون الأخبار[4] والحديث، فإذا لم تقبلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبره ولم تصدقوه **فبأي حديث بعده** تقبلون وتصدّقون، ومعه حجج وبراهين. ***والله أعلم***.

والثاني أن يكون قوله: **فبأي حديث بعده يؤمنون**، يعني[5] **بعد** القرآن **يؤمنون**، وهو كما وصفه: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[6] الآية، وقال: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[7] فإذا لم تقبلوا هذا ولم تصدقوه وهو بالوصف الذي ذكر وأنتم ممن يقبلون[8] الحديث **فبأي حديث**[9] تقبلون **بعده**. وجائز أن يكون قوله: **فبأي حديث بعده يؤمنون**، يريد به في الآخرة، يقول: إذا **اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون**، أي لا **حديث بعده يؤمنون**، والتأويل الآخر[10] في الدنيا.

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٨٦]

وقوله عز وجل: **من يضلل الله فلا هادي له**، وفي موضع آخر: وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ،[11] ولو كان الهداية الأمر والبيان على ما قاله قوم لكان ذلك من غير، وكذلك

[1] ع: وعلى وحدانية.
[2] م – الله.
[3] م: ترك.
[4] ك: بالأخبار.
[5] م – يعني.
[6] سورة فصلت، ٤١/٤٢.
[7] سورة الإسراء، ١٧/٨٨.
[8] ك ع م: تقبلون.
[9] م + بعده.
[10] ن – الآخر.
[11] سورة الزمر، ٣٩/٣٧.

لو كان الإضلال والإزاغة والنهي هو التخلية لكان ذلك يكون من غيره، وكل من أراد الله أن يهديه أضله غيره، وكل من أضلّه الله هداه غيره، فذلك محال. مع ما في كل ما أضاف الله الإضلال إلى الخلق ذمّه، وفيما أضاف الهداية إليه مدحه، ثم أضافهما جميعا[١] إلى نفسه، دل أن هنالك زيادة معنى ليس ذلك في الإضافة إلى الخلق، وهو ما ذكرنا[٢] في غير موضع،[٣] إما خلق فعل الضلال من الكافر وخلق فعل الاهتداء والإيمان من المؤمن، أو كان منه التوفيق والمعونة في الهدى والخذلان في الكفر. وهذان الوجهان اللذان ذكرناهما لا يكونان من الخلق إنما يكونان من الله، لذلك كان معنى الإضافة إليه. وإنما يكون[٤] من الخلق الدعاء وغيره، لا ما قاله[٥] المعتزلة من البيان والأمر والنهي والتخلية، إذ يكون ذلك من الخلق. ***وبالله العصمة.***

وقوله عز وجل: **من يضلل الله فلا هادي له،** أي من أهانه الله بالضلال[٦] فلا أحد يملك إكرامه بالهدى.

وقوله عز و جل: **و يذرهم في طغيانهم يعمهون،** ولا ضرر يلحقه في طغيانهم، لذلك تركهم فيه. ودل ذلك على أنه لم ينشئهم[٧] لحاجة نفسه ولا لدفع مضرة[٨] نفسه، ولكن لحاجة أنفسهم، كقوله. سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ،[٩] وكقوله: إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ،[١٠] وهو حرف الوعيد.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٨٧]

وقوله عز وجل: **يسألونك عن الساعة أيان مرساها،** قيل: **أيان،** متى قيامها. وقال القُتَبي:

---

[١] ن – ثم أضافهما جميعا، صح هـ.
[٢] ع م: ما ذكر.
[٣] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الفاتحة، ٦/١.
[٤] جميع النسخ: يكونان.
[٥] ع م: ما قالته.
[٦] ع م: بالضلالة.
[٧] ع: لم ينشهم.
[٨] ع م: ضرر.
[٩] سورة الأعراف، ١٨٢/٧.
[١٠] سورة الأعراف، ١٨٣/٧.

أيان مرساها، أي متى ثبوتها، يقال: رَسَا[1] في الأرض إذا ثبت، ورَسَا في الماء. ويقال للجبال رواسي[2] لثبوتها.[3] ثم اختلف في السؤال ممَّ[4] كان. قال بعضهم: كان السؤال عن الفناء، فناء الخلق وهلاكهم، لأنه قال في آخره: **لا تأتيكم إلا بغتة**، ونحوه، وكقوله: مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً،[5] الآية،[6] وذلك يكون في الدنيا. وقال قائلون: كان السؤال عن البعث[7] وقيام الساعة إنكارا منهم إياها[8] واستعجالا للعذاب، كقوله: وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا،[9] وقولهم: أَإِذَا مِتْنَا،[10] الآية، وغير ذلك من الآيات. يدل على أن السؤال كان عن الساعة.[11] وليس قوله: **لا تأتيكم إلا بغتة**، أنه كان عن الفناء،[12] إذ كانوا[13] يعاينون الفناء، فلا يحتمل[14] أن يكون السؤال عن ذلك. ثم يحتمل بعد[15] هذا وجهين. أحدهما أن كان السؤال من المكذب[16] لها، فهو سؤال استهزاء واستعجال لما ذكرنا. وإن كان من المصدّق[17] فهو سؤال[18] استعلام وإشفاق، ليتأهّبوا لها ويستعدّوا، كقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا.[19] لَمّا سمعوا من الآيات ما يُقَرِّب وقوعها،

---

[1] ك ن: رسى.

[2] ن ع م: رواس.

[3] م – لثبوتها. تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٥؛ وانظر: *لسان العرب* لابن منظور، «رسو».

[4] ك: عم.

[5] ﴿ويقولونَ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. ما ينظرون إلاّ صيحة واحدة تأخذهم وهم يَخِصِّمون﴾ (سورة يس، ٣٦/٤٨-٤٩).

[6] ك – الآية.

[7] ع: على البعث.

[8] ن – إياها.

[9] سورة الشورى، ٤٢/١٧-١٨.

[10] ﴿قالوا أإذا مِتنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٨٢).

[11] ن: من الساعة.

[12] ن: من الفناء.

[13] ن: إذ لو كانوا.

[14] ع م: ولا يحتمل.

[15] ع: بعده.

[16] جميع النسخ: عن المكذب.

[17] جميع النسخ: عن المصدق.

[18] ك – سؤال.

[19] ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب. يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ (سورة الشورى، ٤٢/١٧-١٨).

كقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[1] وقوله: اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ،[2] وقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ،[3] ونحوه من الآيات، وما سمعوا من رسول الله: «أنا والساعة كهاتين»،[4] وفي بعض الأخبار قال:[5] «كادت الساعة أن تَسبِقني»،[6] وغير ذلك من الأخبار، حملهم ذلك على السؤال عنها، ليتأهبوا لها ويستعدّوا.[7]

ثم أمره أن يقول: **إنما**[8] **علمها عند ربي لا يُجلِّيها لوقتها إلا هو**، أي لا يكشفها ولا يظهر[9] وقتها إلا هو، ليس كالأمور التي تجري على أيدي الخلق ويكون لغيره فيه[10] تدبير، من إخراج[11] الثمار والنبات والأمطار وغير ذلك من الأمور[12] التي تجري على أيدي الخلق ويكون لهم فيها تدبير، أعني الملائكة الذين سُلِّطوا على حفظ المطر والنبات؛ وأما الساعة[13] فإنها تقوم من غير أن كان لأحد من الخلائق تدبير فيها أو علم. وهو ما وصفها الله عز وجل: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ / إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[14] أخبر أن أمر الساعة خارج عن تدبير الخلق، بل تقوم [٢٧٥ظ] بتدبير الله من غير أن يُجريها على يدي[15] أحد من الخلق.[16] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثَقُلت في السماوات والأرض**، قيل: **ثقلت** على أهل **السماوات والأرض**. ثم اختلف فيه. قال قائلون: قوله: **ثقلت**، أي خفيت على أهل **السماوات والأرض**،

---

[1] ع + الآية. سورة القمر، ١/٥٤.
[2] سورة الأنبياء، ١/٢١.
[3] سورة النحل، ١/١٦.
[4] عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتَيْن»، قال: وضَمَّ السَّبَّابَة والوُسْطى (*صحيح البخاري*، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الفتن ١٣٣).
[5] ك – قال.
[6] عن بُرَيدة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «بُعثتُ أنا والساعة جميعا، إنْ كادت لتسبقني» (مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٤٨/٥). وقال الهيثمي: «رجال أحمد رجال الصحيح» (مجمع *الزوائد*، ٣١١/١٠).
[7] ع: ليتأهبوا ويستعدوا.
[8] جميع النسخ: ان.
[9] ك: ويظهر.
[10] ن – فيه.
[11] ع م: عن إخراج.
[12] ن: فمن الأمور.
[13] ن: فأما الساعة.
[14] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[15] ع م: على يد.
[16] ك ع م – من الخلق.

فذَكَر الثقل لأن كل من خفي عليه شيء ثقل عليه،[١] فذكر أنها ثقيلة عليهم لخفائها عليهم. وقال قائلون: ثقل وقوعها على أهل **السماوات والأرض**، لكثرة أهوالها وشدة وقوعها. وأمكن أن يكون[٢] قوله: **ثقلت في السماوات والأرض**، على نفس **السماوات والأرض**، على ما ذكر في قوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ،[٣] الآية، وذلك من شدة هولها. ولكن إن كان على نفس **السماوات والأرض**، أي لو كانت هي بحيث تعرف[٤] وتميّز وبِنيتها بنية من يعرف ثِقَل شيء لثَقُلَت. وهو ما قلنا في قوله: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[٥] والدنيا[٦] لا تغر أحدا،[٧] أي ما كان منها لو كان ممن يكون منه التغرير لكان تغريرا، فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **يسألونك كأنك حَفِيٌ عنها**، اختلف فيه. قال قائلون: قوله: **كأنك حَفِيٌ عنها**، أي مُكَرَّم مُشَرَّف عنده، ذو منزلة، فيُعلمك عنها. وكذلك قيل في قوله: إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا،[٨] قيل: بارّا رحيما. وقال قائلون: **كأنك حَفِيٌ عنها**، أي عالم بها.[٩] وقال قتادة: **كأنك حفي** بهم، كأنك تحب[١٠] أن يسألوك[١١] عنها.[١٢] وقال غيره: هو على التقديم والتأخير، يسألونك عنها كأنك حَفِيٌ، يعني كأنك[١٣] استَحْفَيت عنها[١٤] السؤال[١٥] حتى علمتها.

---

[١] ن – شيء ثقل عليه.
[٢] ع: أن يقول.
[٣] سورة مريم، ٩٠/١٩.
[٤] ك: بحيث لو تعرف.
[٥] سورة الأنعام، ٧٠/٦.
[٦] ك – والدنيا.
[٧] ع: أحد.
[٨] ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حَفِيا﴾ (سورة مريم، ٤٧/١٩).
[٩] ع – اختلف فيه قال قائلون قوله كأنك حفي عنها أي مكرم مشرف عنده ذو منزلة فيعلمك عنها وكذلك قيل في قوله إنه كان بي حفيا قيل بارا رحيما وقال قائلون كأنك حفي عنها أي عالم بها.
[١٠] ن ع: يجب؛ م: يحب.
[١١] ن ع م: أن يسألونك.
[١٢] عن قتادة: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾، أي حَفِيّ بهم، قال: قالت قريش: يا محمد، أَسِرّ إلينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٠/٩.
[١٣] ع م – حفي يعني كأنك.
[١٤] ن – عنها.
[١٥] م: استحفيت السؤال عنها. والمعنى أي أكثرت في السؤال عنها «*لسان العرب* لابن منظور، «حفو»).

ثم قال: **قل**، ما لي بها من علم، و **إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أنها كائن. ويحتمل **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أنك لا تعلم أنها متى تكون، أو **لا يعلمون** ما عليهم وما لهم.

وقال الحسن في قوله: **ثقلت في السماوات والأرض**، إذا جاءت **ثقلت** على أهل **السماوات والأرض**،[1] وكبرت عليهم.[2] وقال بعضهم: ثقل ذكرها على أهل **السماوات والأرض**. وقال قتادة: ثقل علمها على أهل **السماوات والأرض**.[3] وأصله ما ذكرنا، أي خفي علمها على أهل السماء والأرض،[4] وإذا خفي الشيء ثقل. وقوله: **كأنك حفي عنها**، ما ذكرنا من التأويل. ***والله أعلم***. وعلى قول بعضهم: الحَفِيّ الخبير العالم. وقالوا: هو المُشَرَّف[5] المُكَرَّم البارّ الذي لا يستخفي[6] منه شيء ولا يُلَبَّس عليه.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١٨٨]

وقوله عز وجل: **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**،[7] [أي] الهدى والضلالة. وقال قائلون من أهل التأويل: **لا أملك** جرّ النفع[8] إلى نفسي، ولا دفع الضرّ عنها، **إلا ما شاء الله**، أي إلا إن أقدرني الله على ذلك فأملك ذلك. ويشبه أن يكون قوله: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**، قال[9] ذلك لئلا يتخذوه معبودا، أولا ينسبوه[10] إلى الله بالذي لا يليق[11] النسبة به، نحو[12] ما قالت النصارى: المسيح ابن الله،

---

[1] ع – إذا جاءت ثقلت على أهل السماوات والأرض.
[2] *تفسير الطبري*، ١٣٩/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي ٦٢١/٣.
[3] أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي ٦٢٠/٣-٦٢١.
[4] ك – وقال قتادة ثقل علمها على أهل السماوات والأرض وأصله ما ذكرنا أي خفي علمها على أهل السماء والأرض.
[5] ع: هو الشرف.
[6] ك ن ع: لا يستحق.
[7] ن – قال بعض أهل التأويل قوله لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا.
[8] ن + جر النفع.
[9] م: أو قال.
[10] ع م: ولا ينسبوه.
[11] ك: لا تليق.
[12] ع م – نحو.

وقالت[1] اليهود: عُزَيْر ابن الله،[2] وقال[3] مشركو[4] العرب: الملائكة بنات الله،[5] لعظيم ما وقع عندهم[6] من محل هؤلاء وقدرهم، فقال: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضَرا**، لئلا ينسبوه إلى الله من الوجه الذي نسب أولئك. أظهر من نفسه العجز والعُبُودَة،[7] وهو ما قال عيسى حيث قال:[8] إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ،[9] الآية.[10] وقال ابن عباس في قوله: **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضَرا**، وذلك أن[11] أهل مكة قالوا: ألا يخبرك[12] ربك يا محمد[13] بالتجارة المُربِحة فنَتَّجِر فيها فنربح، أَوَلا يخبرك لسنة القحط والجُدُوبة، أو يخبرك بوقت السَّعة[14] والخِصْب، فقال عند ذلك: **ولو كنت أعلم الغيب**، من جُدُوبة الأرض والقحط،[15] **لاستكثرت من الخير**، يقول: لتهيّأت[16] لذلك،[17] **وما مسني السوء**، من الضر والشدة.[18] إلى هذا ذهب عامة أهل التأويل، وقالوا في قوله: **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**. وقال بعضهم: **لو كنت أعلم الغيب**، متى أموت، **لاستكثرت من الخير**، يعني[19] من العمل الصالح.

---

[1] ع: وقال.

[2] ﴿وقالت اليهود عُزَيْر ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (سورروة التوبة، ٩/٣٠).

[3] ن ع م: وقالت.

[4] جميع النسخ: مشركوا.

[5] ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥٧).

[6] ع: عنهم.

[7] ع م: والعبادة.

[8] ع م – حيث قال.

[9] سورة مريم، ١٩/٣٠.

[10] ن – الآية.

[11] ن – أن.

[12] ع م: لا يخبرك.

[13] ن – يا محمد.

[14] ن – السعة.

[15] ك ن ع: وقحط.

[16] ن م: لهيأت.

[17] ع: لهيأت لك.

[18] أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾، قال: لعلمت إذا اشتريت شيئا ما أربح فيه، فلا أبيع شيئا إلا ربحت فيه، ﴿وما مسني السوء﴾، قال: ولا يصيبني الفقر. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٢٢. وروي عن الكَلْبي أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا تخبرنا بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فنشتري فنربح، وبالأرض التي تريد أن تُجْدِب، فنرتحل منها إلى ما قد أخصب، فنزلت. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٩/١٣٦.

[19] ك – يعني.

ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا إليه، لأنه إن كان لا يعلم متى يموت لا يستكثر من الخير ومن العمل[1] الصالح.[2] أو لو كان يعلم الغيب لاستكثر المال، على ما قال بعضهم. هذا بعيد. ولكن التأويل -والله أعلم- أن يجعل قوله: **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**، أي لا أعلم لكم **نفعا ولا ضرا**،[3] **ولو كنت أعلم**، لكم، **الغيب لاستكثرت من الخير**، عند الله، أي **لو كنت أعلم** لكم ذلك لصدّقتموني وآمنتم بي، **لاستكثرت من الخير** عند الله بإيمانكم بالله وتصديقكم إياي. أو أن يقال: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت**، أملك لكم ذلك، **لاستكثرت من الخير**، لأنكم إذا رأيتموني أملك لكم نَفْع ما غاب عنكم ودَفْع ضرّ ما غاب[4] لآمنتم بي وصدقتموني، فأنا بذلك أستوجب[5] عند الله خيرا كثيرا، يجعل قوله: **لو كنت أعلم الغيب**، جواب ما تقدم من الكلام. *والله أعلم*. وقال[6] بعضهم: قوله: **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**، أي لا أعلم[7] الغيب إلا قدر ما أوحي[8] إليّ، **ولو كنت أعلم** أكثر مما أوحي إليّ[9] **لاستكثرت من الخير**. وقال بعضهم: لا أعلم الغيب قبل أن أوحي إليّ، **ولو كنت أعلم**[10] ذلك **لاستكثرت من الخير** بذلك.

وحاصل التأويل في قوله: **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**، ما ذكرنا، بتصديقكم إياي وإيمانكم بي. أو ما ذكرنا / من السَّعة والخِصْب في الدنيا لأهله ولأصحابه. أو ما ذكرنا، [٢٧٦و] أي **لو كنت** أملك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضرر ما غاب أيضا لآمنتم بي وصدقتموني، فأنا بذلك أستوجب[11] عند الله خيرا كثيرا. وجائز أن يكون قوله: **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**، أي **لو كنت أعلم**، مَن المصدّق ومن المكذّب **لاستكثرت من الخير**، لأنه لا يشتغل بمن يعلم أنه يَرُدّ ولا يجيب، وإنما يشتغل بمن يعلم منه أنه يجيب[12] ولا يكذّب، فيستكثر أتْباعَه والمطيعين لله.

---

[1] م: من العمل.
[2] ك – ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا إليه لأنه إن كان لا يعلم متى يموت لا يستكثر من الخير ومن العمل الصالح.
[3] ع – أي لا أعلم لكم نفعا ولا ضرا.
[4] ك – ودفع ضر ما غاب.
[5] ك ن ع: استوجبت؛ ن + بذلك.
[6] ع: قال.
[7] ن ع م: أو لا أعلم.
[8] ك: ما يوحى.
[9] ع م – ولو كنت أعلم أكثر مما أوحى إلى.
[10] ك – أكثر مما أوحى إلى لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لا أعلم الغيب قبل أن أوحي إلي ولو كنت أعلم.
[11] ك ن ع: استوجبت.
[12] ع – وإنما يشتغل بمن يعلم منه أنه يجيب.

وقال بعضهم: قوله:[1] **وما مَسَّنِيَ السوء**، هو صلة قوله:[2] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾،[3] كانوا يقولون: إن به جنونا،[4] فقال: **وما مسني السوء**، من النسبة إلى الجنون. أو يقول:[5] **ما مسني السوء** منكم، سوء ردّ وتكذيب، لأنه لو علم الذي يجيبه ويصدّقه[6] مِن الذي لا يجيبه ولا يصدّقه لم يمسّه منه سوء[7] الرد والأذى، لأنه لا يشتغل به بعد ما أقام عليه الحجة مَن المجيب منكم ومَن الرادّ.[8]

وقوله[9] عز وجل: **إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون.**[10]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[١٨٩] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١٩٠]

وقوله: **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا**، الآية، قال عامة أهل التأويل: إن آدم وحوى لما أُهبِطا **تَغشّاها** آدم فحملت. فأتاها إبليس، فقال: يا حوى، ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: لا أدري. قال: لعله بهيمة من هذه البهائم، ناقة أو شاة أو بقرة. قالت: لا أدري. فأعرض عنها. **فلما أثقلت** أتاها، فقال:[11] كيف تَجِدِينَكِ؟ قالت: إني لأخاف[12] أن يكون الذي ذكرت، ما أستطيع القيام[13] إذا قعدت إلا بجهد. قال: أفرأيت[14] إن دعوت الله [أن] يجعله إنسانا مثلكِ ومثل آدم أتُسمّينه بي؟

[1] ع م – قوله.
[2] ن – قوله.
[3] سورة الأعراف، ١٨٤/٧.
[4] جميع النسخ: جنون.
[5] م: ويقول.
[6] م: ويصدق.
[7] جميع النسخ: سوء منه.
[8] ع م: ومن الرد.
[9] ن: قوله.
[10] لا يوجد تفسير لهذه الجملة من الآية في جميع النسخ ولا في شرح *التأويلات*.
[11] ك: قال.
[12] ن ع م: لا أخاف.
[13] ن: القيا.
[14] ك: أرأيت.

قالت: نعم. فانصرف عنها. وقالت لآدم: لقد أتاني آتٍ فخوّفني بكذا، وإني لأخاف[١] مما ذكر. فدعوا الله في ذلك. فذلك قوله: **دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا**، يقول:[٢] جعلتَه إنسانا، **لنكونن من الشاكرين**، فكان هذا دعاءهما[٣] قبل أن تلد. فلما ولدت أتاها إبليس، وقال: ألا تسمّينه بي[٤] كما وعدتِني؟ قالت: نعم، ما اسمك؟ قال: اسمي الحارث. فسمّته عبد الحارث.[٥] فذلك قوله: **فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما**.[٦] على هذا حمل أهل التأويل الآية، وإلى آدم[٧] وحوى صرفوها. وذلك وَحْش من القول، قبيح في آدم وحوى ذلك. ولو ثبت ما قالوا: إنهما سمّيا ولدهما[٨] باسمه ونسبا إليه، لم يكن في ذلك إشراك، إذ لو كان في مثله إشراك لكان فيما أضاف العبيد والمماليك إلى الخلق إشراك في ألوهيته.

ثم التأويل عندنا على غير ما ذهبوا إليه –والله أعلم– وهو أن قوله: **هو الذي خلقكم من نفس واحدة**، يعني من آدم، **وجعل منها زوجها**، حوى، أنْ خَلَق الذكور كلهم من آدم، وخلق الإناث كلهن من حوى، كقوله: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا،[٩] أخبر أن الأزواج خلقهن من أنفس[١٠] الأزواج، فلما أضاف الزوجات إلى أنفس[١١] الأزواج[١٢] وأنهن[١٣] من أنفسهم[١٤] خُلِقن كان قوله: **خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**،

---

[١] ع م: لا أخاف.
[٢] م: بقوله.
[٣] م: دعاؤهما.
[٤] ع: في.
[٥] ع – فسمته عبد الحارث.
[٦] أخرج نحوه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٤/٣. وقد روي عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما وَلدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سَمِّيه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسَمَّته عبد الحارث، فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١١/٥؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٧). والحديث ضعيف كما بين ذلك الحافظ ابن كثير. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٧٥/٢-٢٧٦.
[٧] م: إلى آدم.
[٨] م – ولدهما.
[٩] سورة الروم، ٢١/٣٠.
[١٠] ع م: من نفس.
[١١] ع م: إلى نفس.
[١٢] جميع النسخ: الزوج.
[١٣] ك: والتي.
[١٤] ع م: من أنفسهن.

[أنّ] كل زوجة وزوج إذا **تغشاها** وحملت [يكون كأنه] دَعَا[1] آدم وحوى: **لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين**، إذ جميع الأولاد أولادهما، [فهما] يدعوان[2] الله في ذلك ليكون **صالحا**، فمن كان مسلما منهم[3] كان بدعائهما.[4] فعلى هذا التأويل يحصل[5] دعاؤهما لأولادهما الذين يولدون إلى يوم القيامة، لأنهما أب وأم، وقد يدعو[6] الوالدان لأولادهما بالصلاح والخير.[7] على هذا يجوز أن يخرج تأويل الآية. وأما ما قاله أولئك فهو بعيد محال. **والله أعلم**.

وقال بعضهم: إن العرب كان إذا وُلد لهم أولاد ذكور ينسبون إلى الأصنام التي يعبدونها ويضيفون إليها، تعظيما لها، يقولون: ابن اللّات وابن العُزّى وابن المَنَاة ونحو ذلك. وكانوا يقتلون البنات. وكان إذا أصابتهم الشدة يفزعون إلى الله ويتضرعون إليه،[8] كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[9] وكقوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ،[10] الآية،

---

[1] ن: دعاء.
[2] ع م: يدعون.
[3] جميع النسخ: منهما.
[4] ك: يدعا بهما.
[5] ن – يحصل.
[6] ع: وقد يدعوا.
[7] لكن الشارح يقول: «وهو أن قوله: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾، يعني آدم عليه السلام، ﴿وجعل منها زوجها﴾، أي حواء وغيرها من أزواج أولاده إلى يوم القيامة، أخبر أنه خلق بني آدم وبناته من نفس آدم عليه السلام، كأنه في كل نفس جزء منه، قد اجتمعت الأجزاء كلها في آدم عليه السلام، فيكون الجملة نفسا واحدة. ثم جعل من تلك النفس زوجها، وزوجة كل واحد من بنيه إلى قيام الساعة، إذ الكل أجزاؤه منه، فيصير في التقدير كأنه خلق الزوجات كلها من أنفس الأزواج. وهو كقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾، الآية، أخبر أن الأزواج خلقهن من أنفس الأزواج، فإنهن من أنفسهم خُلقن. فينصرف قوله: ﴿خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾، إلى كل زوج وزوجة. وإذا ثبت [هذا] كان قوله: ﴿فلما تغشاها حملت حملا خفيفا﴾، ينصرف إلى كل زوجة حملت من زوج من أولاد آدم وحواء عليهما السلام. ﴿فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾، يمكن أن يصرف إلى كل زوج وزوجة يدعون عند ظهور الحمل بالمرأة بالصلاح والخير لأولادهما الذين يولدون إلى يوم القيامة، فمن كان مسلما من أولادهما كان بدعائهما، إذهما أب وأم، ويدعو الوالدان للأولاد بالصلاح والخير (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١٩و–ظ).
[8] ن – إليه.
[9] ﴿فإذا ركبوا في الفُلْك دَعَوا الله مُخلِصين له الدين فلما نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[10] ﴿وإذا مسّ الإنسان ضُرٌّ دعا ربّه مُنيبًا إليه ثم إذا خَوَّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا لِيُضِلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار﴾ (سورة الزمر، ٨/٣٩).

[وكقوله:] وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ،[1] الآية.[2] فلما ذهب ذلك عنهم وانجلى عادوا إلى ما كانوا من قبل، كقوله: فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ، وقوله: ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ، الآية. فإذا كان من عادة العرب ما ذكرنا كان إذا حملت زوجة أحد[3] منهم وثَقُل ما في بطنها جعلا يدعوان **الله ربهما لئن آتيتنا صالحا**، ذَكَرًا وسَلِمَت من الولادة، **لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا**، يعني ذَكَرا، **جعلا له شركاء فيما آتاهما**، أي **جعلا** لله[4] **شركاء** في الولد الذي وُلد لهما، وينسبونه إلى الأصنام التي كانوا يعبدونها، فذلك قوله: **جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون**. *والله أعلم بذلك*.

وقال الحسن: الآية في مشركي العرب، إلا قوله: **خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها**، فإن ذلك في آدم وحوى؛ ألا ترى أنه قال: أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ،[5] دل[6] أنه ما ذكرنا.[7] وقال أبو بكر الأصم: قوله: **هو الذي خلقكم من نفس واحدة**، وهو نفس آدم، **وجعل منها زوجها**، أي خلق كل نفس منكم من تلك النفس، وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك / النفس، **ليسكن إليها**. فعلى هذا التأويل يصرف آخر الآية إلى غير آدم وحوى. [٢٧٦ظ]

وقال القُتَبي: قوله: **فمرت به**، أي[8] استمرت بالحمل.[9]

وقوله: **هو الذي خلقكم من نفس واحدة**، إن العرب كانت تعبد الأصنام تقليدا لآبائهم وسلفهم؛ فيذكر سفههم أن النفس التي خُلِقتم[10] منها لم تقلّد[11] أحدا ولم تشرك أحدا،

---

[1] ﴿وإذا غَشِيَهُمْ موج كالظُّلَل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البرّ فمنهم مُقتصِد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختّارٍ كفور﴾ (سورة لقمان، ٣٢/٣١).

[2] ن - الآية.

[3] ع م - أحد.

[4] م: الله.

[5] سورة الأعراف، ١٩١/٧.

[6] ن - دل.

[7] لم أجده بهذا اللفظ، لكن روي عن الحسن أنه قال: عُنِي بهذا ذرية آدم مَن أشرك منهم بعده. وفي رواية أخرى أنه قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم. وفي رواية أخرى: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادا، فهوّدوا ونصّروا. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٨/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٦/٣.

[8] ع م - أي.

[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٥.

[10] ع م - خلقتم.

[11] ك: لم تقلدا.

إنما اتبعت ما في العقل حُسْنُه أو ما في السمع من الأمر. فكيف لا اتبعتم[١] أنتم النفس التي خُلِقتم منها وهي لم تتبع إلا ما ذكرنا دون ما اتبعتم في الإشراك له آباءكم؟ ولو كانت القصة في آدم على ما يقوله[٢] أهل التأويل لكان[٣] للعرب تعلق واقتداء به،[٤] فيقولون: إنه أشرك، ونحن نشرك.[٥] فدل أنه ليس على ما قالوا، ولكن على الوجوه التي ذكرنا.

وفي قوله: **خلقكم من نفس واحدة**، دلالة أنْ ليس لأحد من البشر على آخر فضل[٦] من جهة الخلقة والنسبة، إذ كلهم إنما خلقوا **من نفس واحدة**، وهم إخوة وأخوات. وإن كان لأحد فضل على آخر فإنما يكون لأعمال يكتسبها وأخلاق محمودة ومحاسن يختارها، وأما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض على بعض، كقوله: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ.[٧]

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[١٩١]

وقوله عز وجل: **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون**، يذكر سفههم أنهم يشركون في عبادته وألوهيته من يعلمون أنه لم يخلقهم، وإنما خلقهم الله سبحانه، وهم مخلوقون، فصرف العبادة إلى غير الذي خلقهم سفه وجور.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[١٩٢]

وقوله عز وجل: **ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون**، يُسَفِّههم أيضا أن في الشاهد لا يخضع أحد لأحد[٨] ولا يشكر له إلا مجازاة[٩] لما سبق منه إليه[١٠] من النعمة، أو لما يأمل في العاقبة من المنفعة. وأنتم تعبدون هذه الأصنام ولم يسبق منها إليكم شيء[١١] ولا لكم رجاء يقع في العاقبة، فكيف تعبدون؟ أو **لا يستطيعون** لكم **نصرا**، يدفعون عنكم الضر،

---

[١] م: فكيف اتبعتم.
[٢] م: على ما يقول.
[٣] ع م – لكان.
[٤] ع م – به.
[٥] ك + به.
[٦] م – فضل.
[٧] سورة الحجرات، ١٣/٤٩.
[٨] جميع النسخ: أحدا.
[٩] ع: إلا مجازات.
[١٠] ن –إليه.
[١١] ع: شيئا.

ولا أنفسهم ينصرون، أي ولا مَن قصد قصدهم بالكسر والإتلاف يملكون دفعه عن أنفسهم.[1] *والله أعلم.*

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾[١٩٣]

وقوله عز وجل: **وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتّبعوكم**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل **وإن تدعوهم**، يعني الأصنام، **إلى الهدى**، ليهتدوا، **لا يتبعوكم**، أي لا يجيبوكم ولا هم يهتدون. والثاني **وإن تدعوهم إلى** ما لكم إليه من حاجة، **لا يتبعوكم**، لا يقضون ولا يملكون ذلك. [و]يحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين، يقول: **وإن تدعوهم**، أهل مكة، **إلى الهدى لا يتبعوكم**، أي لا يجيبوكم. وجائز أن يكون يخاطب به أهل مكة، يقول: وإن تدعوا[2] الأصنام التي تعبدونها، **إلى الهدى**، لا يملكون إجابتكم. يُسَفِّههم في عبادتهم مَن حاله[3] ما وصف.

وقوله عز وجل: **سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون**، أمكن أن[4] تكون الآية في قومٍ علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا، كقوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[5] وقال بعضهم:[6] قوله: **وإن تدعوهم**، يعني المشركين، **إلى الهدى لا يتبعوكم**، فعلى ذلك يخرج قوله: **سواء عليكم أدعوتموهم**. وأمكن أن يكون قوله: **سواء عليكم أدعوتموهم**، في الأصنام. *والله أعلم.*

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٩٤]

وقوله عز وجل: **إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم**، يحتمل قوله: **تدعون**، أي تعبدون **من دون الله**، وقد كانوا يعبدون من دون الله أصناما وأوثانا. ويحتمل **تدعون**، أي تسمونهم **من دون الله** آلهة. وقوله: **عباد أمثالكم**، في الخلقة والدلالة على وحدانية[7] الله، وفي التدبير[8] دونهم،

---

[1] ع م: من أنفسكم.
[2] ن: وإن تدعو.
[3] ك ن ع: من حال.
[4] م: أم أن.
[5] سورة البقرة، ٦/٢.
[6] ن – بعضهم.
[7] م: على حدانية.
[8] ع م: في التدبير.

لِما قال: أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا،[1] إلى آخر ما ذكر، أي ليس لهم ما ذكر، فهم[2] دونهم في التدبير والمعونة. ويحتمل قوله: [إن الذين] **تدعون من دون الله عباد أمثالكم**، الملائكة[3] الذين عبدتموهم،[4] **عباد أمثالكم**، فلا تسمّوهم[5] آلهة، أي لا تعبدوا عبادا **أمثالكم**،[6] ولكن اعبدوا من لا مثل له ولا نظير له. وإن كان[7] قوله: **عباد أمثالكم**، الملائكة، فقوله: أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا، الآية، هو منه مقطوع منصرف إلى الأصنام.[8]

وقوله عز وجل: **فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين**، ذكر الدعاء والاستجابة ولم يبين فيما ذا يستجيبونهم، ولا يجب[9] أن تُفسَّر[10] الاستجابة في الشفاعة أو في التقريب[11] إلى الله أو في غيره، إلا أن يُعلَم أنهم كانوا يدعونهم بكذا ويطلبون منهم كذا. وقوله: **إن كنتم صادقين**، أنهم آلهة على ما تزعمون. أو **إن كنتم صادقين**، فيما تزعمون أن عبادتكم إياها تقرّبكم إلى الله زُلْفَى.[12]

---

[1] الآية التالية.

[2] م: ما ذكرتم.

[3] ك: الملئكة.

[4] ك ن: عبدوهم هم؛ ع م: عبدوهم.

[5] جميع النسخ: فلا تسمونهم.

[6] ن ع: مثالكم.

[7] جميع النسخ: أو إن كان.

[8] قال الشارح رحمه الله تعالى: «وعلى هذين التأويلين جواب إشكال أورده الملحدة في هذه الآية. فقالت: فيها تناقض، لأنه قال: ﴿عباد أمثالكم﴾، ثم قال في آخرها: ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾، الآية، فإذا لم يكن لِما تعبدون هذه الأشياء فكيف تكون أمثالا لهم؟ فعلى التأويل الأول المراد هو المماثلة في أصل الخلقة والحديثة والحاجة إلى الخالق والمُحْدِث وإن كان بينهم تفاوت في الصورة والتدبير والمعونة ونحوها. وعلى الثاني المراد بهم الملائكة، وبينهم تماثل فيما ذكر من الأيدي والأرجل والآذان والأعين ونحوها. وإن كان المراد هو التأويل الأول فقوله: ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾، مبني على قوله: ﴿عباد أمثالكم﴾. وإن كان المراد هو الملائكة فقوله: ﴿ألهم رجل يمشون بها﴾، الآية، مقطوع عن الأول مُنصرِف إلى الأصنام. والله أعلم. وبعضهم أجابوا عن هذا لإشكال وقالوا: إن قوله: ﴿عباد أمثالكم﴾، ذكر على الاستفهام، أي أعباد أمثالكم؟ على حذف حرف الاستفهام، أي ليسوا عبادا أمثالكم. لذلك قال: ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾، الآية، أي ليس لهم ذلك، حَقَّق نَفْيَ المماثلة وسَفَّهَهم بعبادة من ليس بمثل لهم. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٠و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٥٦ظ).

[9] ع: ولا يجيب.

[10] ن ع م: أن يفسر.

[11] م: إلى التقريب.

[12] ع م- وقوله إن كنتم صادقين أنهم آلهة على ما تزعمون أو إن كنتم صادقين فيما تزعمون أن عبادتكم إياها تقربكم إلى الله زلفى. ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقَرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾[١٩٥]

وقوله: **ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها**، يُسفِّه عقولهم بعبادتهم الأصنام التي لا **أرجل** لهم **يمشون بها**، يهربون [مِن] مَن يقصدهم بالسوء، أو يقصدون هُم[١] قَصْد مَن أراد[٢] الضر بهم والسوء. وكذلك يعبدون[٣] ما لا أيدي لهم **يبطشون [بها]**، يدفعون عن أنفسهم من أراد السوء بهم،[٤] أو يأخذون من يقصدهم. وكذلك قوله: **أم لهم أعين يبصرون بها**، يبصرون[٥] من يقصدهم بالسوء. **أم لهم آذان يسمعون [بها]** من يشتمهم ويَذكرهم بالسوء. يُسَفِّههم في عبادتهم من لا يملك دفع من يقصده بالسوء، إما هربا منه، وإما قصدا منه إليه بالسوء، فإذا كانوا لا يملكون ذلك كيف تعبدونه؟[٦] وهو كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[٧] فإذا كانوا لا يملكون[٨] / دفع ما يحل بهم كيف يملكون جر النفع إليكم أو دفع الضر عنكم؟ [٢٧٧و]

وقوله عز وجل: **قل ادعوا شركاءكم**، قال بعض أهل التأويل: خاطب به كفار مكة بقوله: **قل ادعوا شركاءكم**، الذين[٩] تزعمون أنهم آلهة دون الله. ويحتمل قوله: **شركاءكم**، أي ادعوا من شاركوكم في عبادة من دونه، **ثم كِيدونِ**. ويحتمل أن يكون الخطاب لجميع الكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، قال ذلك لهم رسول الله بين ظهرانيهم: **ثم كيدون فلا تنظرون**، فلم يقدر[١٠] أحد [على] الكيد به والضرر[١١] مع قوتهم وعُدّتهم بالكثرة والأعوان،

---

[١] ك ن م: يقصدون بهم؛ ع: يقصدوهم.
[٢] ع: من إرادة.
[٣] ك +بها.
[٤] ع م – بهم.
[٥] م: يبصر.
[٦] ك ع م: تعبدون.
[٧] سورة مريم، ٤٢/١٩.
[٨] ن – ذلك كيف تعبدون وهو قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فإذا كانوا لا يملكون.
[٩] ك: التي.
[١٠] ن: ثم لا يقدر؛ ع م: ثم لم يقدر.
[١١] ك: والقهر.

وضَعْف رسول الله وقلة أعوانه. دل عجزهم عن ذلك أنه كان آية في نفسه، وأنه بالله تعالى ينتصر، وبه قَوِي[1] على أعدائه. وذلك من عظيم[2] آياته،[3] لأنه قال ذلك لمن كانت همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم فيما هم فيه، ثم لم يقدر أحد[4] منهم [على] الضرر به، دل أنه كان بالله حِفْظُه. وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم، حيث قالوا بين ظهراني قومهم من نحو هود ونوح وهؤلاء، [حيث قال هود عليه السلام:] فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ،[5] وقول[6] نوح: قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ،[7] الآية.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[١٩٦]

وقوله عز وجل: **إن وليي الله الذي نزل الكتاب**، الآية، ذكر هذا على إثر قوله: ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ،[8] كما ذكر هود:[9] إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ،[10] وكما قال نوح: إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ،[11] فزِعوا إلى الله عز وجل عند وعيد قومهم بالإهلاك، وعليه اعتمدوا، وبه وَثِقوا، فعلى ذلك رسول الله قال: **إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين**، أي هو **وليي**[12] يحفظني، **وهو يتولى** حفظ **الصالحين**، أي بِتَوَلِّيه صَلَحُوا. أو **يتولى**[13] ويحفظ **الصالحين**، مقابل قول[14] من ذكرنا من الرسل لقومهم.[15]

---

[1] ك: وإنه قوي.
[2] ن: من عظم.
[3] ع: آية.
[4] ع: أحدا.
[5] سورة هود، ٥٥/١١.
[6] م: وقال.
[7] سورة هود، ٣٨/١١.
[8] الآية السابقة.
[9] ن ع: هودا.
[10] سورة هود، ٥٤/١١-٥٦.
[11] سورة يونس، ٧١/١٠.
[12] ع: ولي.
[13] ك: ويتولى.
[14] ع م: قوله.
[15] جميع النسخ: قومهم.

ثم قوله: **وليي الله**، يحتمل حافظي وناصري، أو ولي[١] تدبيري **الله الذي نزل الكتاب**، أو ولي أمري، أو أولى بي، **الله الذي نزل الكتاب**، الذي عجزت الخلائق عن إتيان مثله، **وهو يتولى الصالحين**.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[١٩٧]

وقوله عز وجل: **والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون**، يذكر[٢] سفههم بعبادتهم مَن عَجَز عن دفع الضرر عن نفسه، فضلا أنْ يَدفع ذلك عنهم، أو يجروا إلى أنفسهم منفعة.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[١٩٨]

وأخبر عن جهلهم أنهم يعبدون من لا يملك دفع ضرّ ولا جرّ نفع، بقوله: **وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**، الهدى. هذا يخرج على وجهين. أحدهما يخاطب به المؤمنين بقوله: **وإن تدعوهم**،[٣] [أي] وإن تدعوا أهل مكة،[٤] **إلى الهدى لا يسمعوا**، أي لا يجيبوا.[٥] **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**، أي لا ينتفعون[٦] به، أو لشدة تَعنُّتهم **لا يبصرون**. وجائز أن يكون يقول: وإن تدعوا[٧] الأصنام التي تعبدون[٨] **إلى الهدى لا يسمعوا**، أي لا يجيبوا، ولا يملكون الإجابة. ويحتمل **لا يسمعوا**، حقيقة السمع. **وتراهم ينظرون إليك**، على التمثيل، أي كأنهم **ينظرون إليك وهم لا يبصرون**، حقيقة.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[١٩٩]

وقوله: **خذ العفو**، يتوجه وجهين. أحدهما على حقيقة الأخذ. والثاني على العمل بالعفو. فإن كان على الأخذ فهو على وجهين. يحتمل أنْ **خذ**، الفضل الذي لا حق فيه، وهو القليل من ذلك واليسير. والثاني أنْ **خذ**، ما يفضل من أنفسهم وحوائجهم من غير مسألة،

---

[١] ن: وولي؛ ع: أو وليي.
[٢] ع م: ويذكر.
[٣] ن ع م – وإن تدعوهم.
[٤] ك – وإن تدعوا أهل مكة.
[٥] ع م: أي يجيبوا.
[٦] ع: أي ينتفعون.
[٧] م: وإن تدعو.
[٨] ن: التي تعبدونها.

أي اقبل منهم ما أعطوك، ولا تُلِحّ في المسألة، كقوله: وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا،[1] الآية، أخبر إنْ يَسْأَلْهم أموالهم حملهم ذلك على البخل. وإن كان على العمل فهو على وجوه. أي اعف عن الظلمة[2] عن ظلمهم، وأعرض عن السفهاء، واحْلُم معهم. أُمِر رسول الله[3] أن يعامل الخلق بأشياء ثلاثة. أُمِر أن يعفو عن الظلمة عن ظلمهم [وأن] لا يُكافِئهم[4] بظلمهم، وأُمِر أن يعرض عن السفهاء و الجهّال ويَحْلُم معهم،[5] وأُمِر أن يعامل المؤمنين باللين والرفق. وكذلك[6] وصفه بالرحمة والرأفة، بقوله: بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.[7] وروي عن عبد الله بن الزبير قال: **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**، قال:[8] ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس.[9] وعن قتادة قال:[10] **خذ العفو وأمر بالعرف**، قال: خُلُق حسن أمر الله به نبيه، ودعاه إليه.[11] إلى هذا ذهب بعض أهل التأويل، وإلى ذلك[12] صَرَف تأويل الآية. وقال بعضهم: هو أخذ الفَضْل من المال على ما ذكرنا؛ فهو منسوخ بآية الزكاة. وروي في حرف ابن مسعود وأُبَيّ: **خذ العفو وأمر** بالمعروف[13] وانه عن المنكر **وأعرض عن الجاهلين**، وفيه دلالة أنه[14] أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمعروف هو اسم كل خير. وأمره بأن يأخذ بالعفو عن الظلمة على ما ذكرنا، وعلى ذلك روي عن عائشة قالت: كان رجل يشتم رسول الله ويؤذيه، فدخل على رسول الله، فأوسع له وأدناه ورحّب به. قالت: فقلت: يا رسول الله، أليس هذا كان يشتمك؟

---

[1] سورة محمد، ٣٦/٤٧-٣٧.

[2] ك: اعف الظلمة.

[3] ن: رسوله.

[4] جميع النسخ: لا تكافهم.

[5] ن + معهم.

[6] ك: ولذلك.

[7] ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (سورة التوبة، ١٢٨/٩).

[8] ع م + خلق حسن.

[9] *صحيح البخاري*، التفسير ٥/٧؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ٤؛ و*تفسير الطبري*، ١٥٤/٩. ورواه غيرهم؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٨/٣.

[10] ك م – قال.

[11] *تفسير الطبري*، ١٥٦/٩. وأخرجه كذلك عبد بن حميد؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٩/٣.

[12] ن: وإلى هذا.

[13] ن ع م: بالعرف.

[14] ك – أنه.

/ قال: «بلى يا عائشة، إن من شرار الناس الذين يُكرَمون اتّقاءَ شرورهم[1] وألسنتهم».[2] إلى مثل[3] [٢٧٧ظ] هذا دُعِي رسول الله بالعفو والصفح عن الظَّلَمة وترك المكافأة.

وقوله: **وأمر بالعرف**، أي مُر الناس **بالعرف**، وهو ما تَشهَد[4] [به] خِلقتُك وتأمرك به. [وهي] أشياءُ ثلاثةٌ؛ اثنان منها[5] فيما بينه وبين ربه، والواحد فيما بينه وبين الناس.[6] أما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه[7] أحدهما تَأْمُر خِلقَتُه وتشهد على وحدانية الله والدلالة على ألوهيته. والثاني تشهد على نعم الله إليه، فتدعوه[8] إلى الشكر له فيما أنعم[9] عليه. وأما الوجه الذي تدعو[10] [إليه] خِلقتُه فيما بينه وبين الناس هو[11] ما تَرغَب[12] نفسُه في كل المَحَاسِن[13] و[كل] مَرغُوبٍ فيه، وتَنفِر[14] نفسُه عن كل أذى وسوء. فأُمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعامل الخلق بما تَرغَب[15] نفسُه وتطمع[16] في المحاسن، وتَنفِر عنه وتكره، [أي] يفعل[17] إليهم كل[18] ما تَرغَب نفسه فيه وتطمع،[19] ويمتنع عن كل أذى وسوء. ***والله أعلم.***

---

[1] ع م: شرهم.

[2] لم أجده بهذا اللفظ، لكن روي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس أخو العشيرة»، فلما دخل انبسط إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه، فلما خرج قلت: يا رسول الله، لما استأذن قلت: «بئس أخو العشيرة»، فلما دخل انبسطت إليه، فقال: «يا عائشة، إن الله لا يحب الفاحش المتفحّش» وفي رواية أخرى زاد: «يا عائشة، إن مِن شِرار الناس الذين يُكرَمون اتقاء ألسنتهم» (*صحيح البخاري*، الأدب ٨٢؛ و*صحيح مسلم*، البر ٧٣؛ و*سنن أبي داود*، الأدب ٥). واللفظ لأبي داود.

[3] ع: على مثل.

[4] ن ع م: ما يشهد.

[5] ن ع م − منها.

[6] ع − الناس.

[7] ن − والواحد فيما بينه وبين الناس أما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه، صح، هـ.

[8] جميع النسخ: فيدعوه.

[9] م + الله.

[10] جميع النسخ: يدعو.

[11] ك: وهو.

[12] جميع النسخ: ما يرغب.

[13] جميع النسخ: محاسن.

[14] جميع النسخ: وينفر.

[15] ن ع م: بما يرغب.

[16] ع م: وطمع.

[17] ن ع م: تفعل.

[18] جميع النسخ: إليهم في كل.

[19] ع م: وطمع.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٠٠]

وقوله عز وجل: **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ**، قال بعضهم: النزغة هي أدنى أفعال المعصية. وكذلك فسره ابن عباس رضي الله عنه. يقول: إذا أذنبت[1] ذنبا فاستعذ بالله.* فإن كان[2] على هذا فهو يخرج على النهي عن ذلك، فهو كالمخاطبات التي خاطب بها رسول الله، كقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[3] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ،[4] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[5] وإن كان يعلم أنه لا يشك ولا يجهل ولا يُشرِك غيرَه في أمره. فعلى ذلك هذا الخطاب الذي خاطبه بقوله: **ينزغنك من الشيطان**. وإن كان ما ذكر هو من أدنى ذنب يرتكبه فهو يخرج[6] ذلك على تعليمه أمّته أن كيف يفعلون إذا اعترض لهم ذلك.[7] *والله أعلم*.* وقال القُتَبي: **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ**، أي يستخفنّك، ويقال: نزغ شيئا، إذا أفسد.[8] وقال أبو عَوْسَجَة: النزغ التحريك للفساد.[9] وقال بعضهم: قوله: **ينزغنك من الشيطان نزغ**، أي يوسوسك الشيطان وسوسة، **فاستعذ بالله**.

[٢٧٧ظ س٢٦] [٢٧٧ظ س٣٠]

ثم في الاستعاذة[10] وجهان. أحدهما أمره بالفزع إلى الله عندما يوسوسه الشيطان، والالتجاءِ[11] إليه لما رأى نفسه عاجزة عن دفع ما يوسوس إليه وردِّه، ليكون[12] هو الدافع عنه ذلك وهو الرادّ. وقال[13] الخليل: أعوذ بالله، أي ألجأ إلى الله تعالى، وكذلك قوله: أستعيذ[14] بالله، ومعاذ الله، معناه أعوذ بالله، ومنه الإعاذة والتعوّذ والتعويذ.[15] وقال غيره: أعوذ بالله، أي أمتنع بالله.

---

[1] ع: يقول أذنبت.
[2] ع م: وإن كان.
[3] سورة الأنعام، ١٤/٦؛ وسورة يونس، ١٠٥/١٠؛ وسورة القصص، ٨٧/٢٨.
[4] سورة الأنعام، ٣٥/٦.
[5] سورة البقرة، ١٤٧/٢؛ وسورة يونس، ٩٤/١٠.
[6] ن: ويخرج.
[7] ن + على تعليمه أن كيف.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٧٧ظ/سطر ٢٦-٣٠.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٦.
[9] ن: بالتحريك الفساد.
[10] ع: ثم الاستعاذة.
[11] ك ن ع: والتجا؛ م: والتجاء.
[12] ع م: ورد ما يكون.
[13] ع: قال.
[14] ن ع م: استعذ.
[15] قال الخليل: «أعوذ بالله، أي ألجأ إلى الله، عَوْذا وعِياذا. ومَعَاذ الله معناه أعوذ بالله، ومنه العَوْذة والتعويذ» (*كتاب العين*، ٢٢٩/٢).

وقيل: أعوذ بالله، أي أتحصّن بالله. و[الثاني] قيل: الاستعاذة هو الاستغاثة بالله تعالى لدفع ما اعترض له من الشيطان. وكلّه قريب بعضه من بعض.

ثم الحكمة فيما جعل عدوهم من غير جنسهم من حيث لا يرونه ويراهم وجهان. أحدهما ليكونوا أبدا على التيقّظ والانتباه، غير غافلين عنه. والثاني ليكونوا أبدا فَزِعين[1] إلى الله تعالى متضرّعين إليه مبتهلين، ليكون هو الحافظ لهم والدافع عنهم شرّه ووسواسه.

وفيما أمر بالفزع إلى الله والاستعاذة به عند نزغ الشيطان نَقْض على المعتزلة، لأنهم يقولون: قد أعطاهم جميع ما يدفعون به وساوسه ونَزَغاتِه حتى لم يَبق عنده شيء يُعِيذه. فعلى قولهم يخرج طلب الإعاذة مخرج كتمان النعمة، أو مخرج الهُزْء به. [أما كتمان النعمة فلأنه إذا كان ذلك عنده فيكون السؤال كتمانا، وفي ذلك كفراتها]،[2] وأما الهُزْء[3] به لأنه يسأله ما يعلم أنه ليس ذلك عنده.[4]

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[٢٠١]

وقوله عز وجل: **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان**، وقيل: طَيْفٌ[5] **من الشيطان**، فمن قرأ طَيْف قال: اللَّمة.[6] [وقيل:][7] الخَطْرة، [و]الشيء يَغشاك؛ وقال: وأما الطائف فهو من الطواف. وقيل: الطيف الوسوسة. وقيل: الطيف ما يأتيك من الشيطان. وقيل: الطائف والطيف سواء. وعن ابن عباس **إذا مسهم** طيف **من الشيطان**، قال: إذا أذنبوا ذنبا، **تذكّروا فإذا هم مبصرون**، يقول: **تذكّروا** ذنوبهم فتابوا منها.[8] وكذلك قال في قوله: يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ،[9] هو أدنى ذنب يرتكبه.*

---

[1] ع: افزعين.

[2] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٠ظ.

[3] ك ن م: أما الهزء.

[4] أي عند الله على قول المعتزلة.

[5] قراءة متواترة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٥.

[6] اللَّمَة واللَّمَم كلاهما الطائف من الجنّ، وكذلك اللَّمَة: الهَمّة والخَطْرة تقع في القلب (*لسان العرب* لابن منظور، «لمم»).

[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٠ظ.

[8] روي بمعناه، وفسر على قراءة "طائف". انظر: *تفسير الطبري*، ٩/١٥٨، ١٥٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٣٣.

[9] الآية السابقة.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٧٧ظ/سطر ٢٦-٣٠.

وقوله: **إن الذين اتقوا إذا مسهم** كذا، يحتمل أن يكون[1] قوله: **اتقوا** مكايد الشيطان، إذا أصابهم شيء من ذلك **تذكروا** ذلك، فعرفوا أنه من الشيطان، **فإذا هم مبصرون**، أي أبصروا أنه من الشيطان. أو أن يقال: أي هم من أهل البصر، يبصرون عما **اتقوا** به أنه من الشيطان. ويحتمل قوله:[2] **إن الذين اتقوا**، المعاصي إذا أصابهم وسوسة من الشيطان، **تذكروا** ذلك. وقال بعض أهل التأويل: قوله: **إن الذين اتقوا**، أي **اتقوا** الشرك. لكن لا كل من اتقى الشرك يكون كما ذكر.

وقوله: **إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا**، الآية، يحتمل وجوها. أحدها **إذا مسهم** بذلك فأَبَوْا عما كان منهم، كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً،[3] الآية. والثاني **تذكروا**، وجوه حيل[4] دفع وساوسه. والثالث **تذكروا**، استعاذوا به حيث[5] أمرهم بالاستعاذة[6] عند النزغة.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[٢٠٢]

وقوله عز وجل: **وإخوانهم يَمُدُّونهم في الغي ثم لا يُقصِرون**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **وإخوانهم**، يعني إخوان الكفار الشياطين، **يَمُدُّونهم في الغي**، قالوا: في الشرك والمعصية، **ثم لا يُقْصِرون** عنها، أي لا ينتهون عنها ولا يبصرونها[7] كما أبصر الذين اتقوا عنها حين / أبصروها. ويحتمل أن يكون [٢٧٨و] قوله: **وإخوانهم**، يعني أصحاب الذين اتقوا وهم شياطينهم من الإنس، يدعونهم إلى دينهم، لكنْ هم[8] لا يجيبونهم ولا يطيعونهم فيما يدعون إليه. إذ يجوز أن يكون لكل مؤمن شيطان من الإنس[9] وشيطان من الجن، كقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،[10] فقد دعا أولئك شياطينُ الجن فتذكروا فلم يجيبوهم،[11] ثم دعاهم شياطين[12] الإنس أيضا فلا يجيبونهم. *والله أعلم*.

---

[1] ك – أن يكون.

[2] ن – قوله.

[3] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٣٥).

[4] ن ع: جبل.

[5] جميع النسخ: حين.

[6] ع م: بالاستعانة به.

[7] ك: ولا يبصرون.

[8] ع – هم.

[9] ن – يدعونهم إلى دينهم لكن هم لا يجيبونهم ولا يطيعونهم فيما يدعون إليه إذ يجوز أن يكون لكل مؤمن شيطان من الإنس.

[10] سورة الأنعام، ٦/١١٢.

[11] ن ع: ولم يجيبوهم.

[12] ع: ثم دعا سيلطين.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢٠٣]

وقوله عز وجل: **وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها**، ظاهر الآية في سؤال أهل الكفر رسول الله الآية. فإنهم[١] كانوا إذا أتى بهم آية[٢] استهزءوا بها وتعنّتوا، وإذا لم يأتهم بها سألوه الآية سؤال المستهزئين المتعنّتين. وإذا لم يأتهم بها **قالوا لولا اجتبيتها**، لولا ابتدعتها وأحدثتها وأنشأتها، وهلاّ أنبأتها مِن قِبَل نفسك؟ فقال: **قل إنما أتَّبع ما يوحى إليّ من ربي**، أي لا أفتعلها ولا أنشئها من نفسي، **إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي**. وأمكن أن يكون سؤال الآية من المؤمنين، فإن كان منهم فهو سؤال الاسترشاد لما يزداد لهم بكل آية تنزل عليهم يقينا وقوة في دينهم، كقوله: وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا،[٣] الآية، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا،[٤] الآية، وكقوله:[٥] فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ،[٦] الآية. فإذا كان السؤال من المؤمنين فهو سؤال الاسترشاد وطلب زيادة الهدى، وإن كان من الكفار فهو سؤال الاستهزاء والتعنُّت. ثم أخبر أنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه. ثم أخبر أنه **بصائر من ربكم**، قيل: بيان، أي هذا القرآن[٧] بيان[٨] **من ربكم**، يُبصِر به من لم يعاند ولم يكابِر عقلَه كل ما له وكل ما عليه،[٩] وإنه البيان من الحق والباطل، **وهدى**، من الضلالة، **ورحمة لقوم يؤمنون**، أي **ورحمة** من العذاب.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢٠٤]

وقوله: **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**، الآية، أمر الله تعالى بالاستماع إلى هذا القرآن

---

[١] جميع النسخ: إنهم.

[٢] ن – آية.

[٣] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩).

[٤] ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رِجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٥/٩).

[٥] ع م: كقوله.

[٦] ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نُزِّلت سورة فإذا أُنزِلت سورة مُحْكَمَة وذُكِر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المَغْشِيّ عليه من الموت﴾ (سورة محمد، ٢٠/٤٧).

[٧] ن – أي هذا القرآن.

[٨] ك ن – بيان.

[٩] ن ع م: وما عليه.

والإنصات له[1] إذا قرئ.[2] وإن كان في العقل أن من خاطب آخر بمخاطبات[3] يلزمه الاستماع إلى ما يخاطبه ويشافهه، فالله سبحانه إذا خاطب بخطابٍ أولى أن يستمع له. مع ما ذكر في غير موضع من القرآن آيات ما يوجب في العقل الاستماع إليه، كقوله: هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ،[4] وقوله: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[5] وغير ذلك من الآيات. ولا سبيل إلى أن يعرف أنه بصائر وأنه هدى وما ذكر إلا بالاستماع[6] إليه والتفكر فيه. فدل أن الاستماع لازمٌ في العقل مَن له أدنى عقلٍ على ما ذكرنا من المخاطبات. لكنه ذكر هاهنا الاستماع إليه -والله أعلم- لوجهين. أحدهما مقابل ما كانوا يقولون: لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ،[7] أمر عز وجل المؤمنين بالاستماع إليه مكان قولهم: لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ، وأمر بالإنصات مكان ما يقولون: وَالْغَوْا فِيهِ.

والثاني يجوز أن يكون أمر بالاستماع إليه في الصلاة على ما قاله[8] بعض أهل التأويل: إنه في الصلاة. وقال بعضهم: في حال الخطبة. لِما يسبق إلى أوهامهم أنه لما اشتغلوا بغيرها من العبادات ولزمهم أنواع القُرَب أن يسقط عنهم حق الاستماع، فأمر بالاستماع إليه والإنصات له ليعلموا أن حق الاستماع لازم في كل حال. ثم الاستماع إليه يكون لتفهُّم ما أودع فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد وغيره، والإنصاتُ للتعظيم له والتبجيل. ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة، ولكن إنما يلزم لما أودع فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد وغيره، ليفهموا ما فيه ويقبلوا ويقوموا بوفاء ذلك. وأما سائر الأذكار إنما صار عبادة لنفسها، لذلك لم يلزم الاستماع إلى سائر الأذكار، ولزم لتلاوة القرآن. ولأن القرآن[9] كلام الله وكتابه، ومن الجفاء[10] والاستخفاف أن يكتب إنسان إلى أخيه كتابا لا ينظر فيه ولا يستمع له،

---

[1] ك: إليه.
[2] ن: وإذا قرئ.
[3] ك: بخطابات.
[4] الآية السابقة.
[5] سورة الأعراف، ٧/٣.
[6] ع م: ذكر بالاستماع.
[7] سورة فصلت، ٤١/٢٦.
[8] ن ع: على ما قالوا؛ م: على ما قال.
[9] ع: ولزم التلاوة والقرآن ولا القرآن.
[10] ع: من الجفاء.

فترك الاستماع إلى كتاب الله أعظم في الجفاء والاستخفاف. ولأن القرآن يُجهَر [به]، وسائر الأذكار لا تُجهَر [بها]، فإن كانت تُجهَر فيستمع لها[١] كما يستمع إلى القرآن.[٢] *والله أعلم*.

وذكر[٣] في بعض القصة أن الآية نزلت في الصلاة، لأن رسول الله إذا قرأ في صلاته كانوا يقولون مثل ما قال،[٤] فنزلت الآية بالنهي عن ذلك والأمر بالاستماع إليه والإنصات له.[٥] وذكر أنهم كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار، فنزلت الآية لذلك.[٦] فلا ندري كيف كانت القصة وفيم كانت، وقد يحتمل ما ذكرنا آنفا. ثم إن كانت الآية في الصلاة ففيه دلالة النهي عن القراءة خلف الإمام، لأنه أمر بالاستماع إليه والإنصات له. وعلى ذلك جاءت[٧] الأخبار. روي عن أبي العالية قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قرأ أصحابه أجمعون خلفه حتى نزل:[٨] **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**، فسكتوا.[٩] وعن علي بن[١٠] أحمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة الفجر الواقعة، وقرأها رجل خلفه، فلما فرغ من الصلاة قال: «من الذي ينازعني في هذه السورة؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، فأنزل الله: **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**. وغير ذلك من الأخبار. / [٢٧٨ظ] فقال قوم: إن الإنصات الذي أمر به المُؤتَمّ معناه أن لا يجهر بقراءته، وليس فيه نهي عن أن[١١] يقرأ في نفسه. وزعم بعضهم أن القارئ خَفِيّا يسمى نَاصِتا مُنْصِتا.[١٢] واستدل بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان[١٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كبّر سكت بين التكبير والقراءة، قلت له:[١٤]

---

[١] ع م: بها.
[٢] ك: للقرآن.
[٣] ن: أو ذكر.
[٤] ع م: مثل ذلك.
[٥] روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/١٦٣، ١٦٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٣٤.
[٦] أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر عن الكلبي؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٣٧.
[٧] ن - جاءت.
[٨] م - نزل.
[٩] أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٦٣٥.
[١٠] ع: علي ابن.
[١١] م: نهي أن.
[١٢] ك - منصتا؛ م: ومنصتا. قارن: *لسان العرب* لابن منظور، «نصت».
[١٣] ع م - كان.
[١٤] ع م - له.

بأبي أنت، أرأيتَ إسكاتَك[1] بين التكبير والقراءة، أخبرني ما تقول؟ قال:«أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي[2] كما باعدت بين المشرق والمغرب»،[3] وغير ذلك من الدعوات. فقال هذا القائل: قد سمى النبي القارئ مخفيا ساكتا، والصامت مثل الساكت، فيجوز أن يسمى صامتا، وهو أن يقرأ مخفيا كما يسمى ساكتا. قال القُمِّي:[4] غلط هذا القائل في تشبيه الصامت بالساكت، لأن الأسماء لا تقاس، وإنما يطلق في كل واحد منهما ما أطلقته اللغة فيه. ومما يبين غلطه أن الله يقول: **فاستمعوا له وأنصتوا**، فلو كان القارئ مخفيا يسمى صامتا ناصتا ما كان مستمعا، وإنما يكون مستمعا صامتا إذا صمت فلم يقرأ، فمن أطلق له أن يقرأ والإمام يقرأ[5] فلم يستمع ولا أنصت. ومما يدل على غلطه أيضا أن العلماء جميعا[6] ينهون المؤتم عن القراءة وإمامه يجهر بالقراءة. وإنما يأمره[7] من يأمره بالقراءة خلف الإمام أن يقرأ إذا سكت إمامه، ويأمر هؤلاء الإمام أن يقف ساعة إذا فرغ من قراءته[8] حتى يقرأ المؤتَمُّون. فلو كانوا يجعلون القارئ في نفسه –والإمام يقرأ جهرا– صامتا ما أمروه[9] بتأخير القراءة حتى يفرغ إمامه من القراءة. فهذا يبين غلط المستدل بحديث أبي هريرة في استدلاله. ومما يدل أن المؤتم[10] منهي عن أن يقرأ والإمام يجهر ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة، –نظنّ[11] أنها الصبح–[12] فلما سلم أقبل على الناس وقال:[13] هل يقرأ منكم أحد؟[14] فقال رجل: أنا، فقال النبي:

---

[1] جميع النسخ: سكاتك.

[2] ك: خطاي.

[3] ع م: بين المغرب والمشرق. *صحيح البخاري*، الأذان ٨٩؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ١٤٧.

[4] لعله علي بن موسى بن يَزداد –وقيل: يزيد– القُمّي، صاحب *أحكام القرآن*، إمام الحنفية في عصره، سمع محمد بن حُمَيد الرازي وغيره، روى عنه أبو الفضل أحمد بن أحمد الكاغدي وغيره، وتوفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م. انظر: *الجواهر المضية في طبقات الحنفية* للقرشي، ٣٨٠/١؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٢٣٦/١٤.

[5] ع – والإمام يقرأ.

[6] ن – جميعا.

[7] م: يأمر.

[8] ك: من القراءة.

[9] جميع النسخ: ما أمره.

[10] م: وما يدل على أن المؤتم منهم.

[11] جميع النسخ: فظن.

[12] هذا من كلام الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[13] ع م: قال.

[14] م: أحد منكم.

«إني أقول: ما لي أُنازَع القرآنَ»، قال أبو هريرة: فانتهى الناس عن القراءة فيما يجهر فيه النبي.[١] فقال قوم: إن أبا هريرة قال: انتهى الناس عن القراءة خلف النبي فيما جهر فيه. فيقال: إن أبا هريرة لم يرو ذلك عن النبي. ثم مما يدل على أن[٢] المؤتم لا يقرأ[٣] -جهر الإمام أو خافت- قول النبي: «ما لي أُنازَع القرآن»، وقد علمنا أن المؤتم لم يجهر بقراءته فيتأولَ متأولٌ منازعته النبي[٤] عليه السلام على أنه شُغِل، فلا وجه لقوله: «ما لي أنازع القرآن»، إلا بنهيه[٥] المؤتم عن أن يقرأ، جهَرَ إمامه أو خافت. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين النهي عن القراءة خلف الإمام فيما جهر[٦] فيه أو خافت. [من ذلك] ما روي عن عِمْران أن النبي[٧] صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه الظهر، فلما قضى صلاته قال: «أيكم قرأ[٨] بسَبِّحِ[٩] اسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى؟»،[١٠] فقال بعض الناس: أنا يا رسول الله، فقال: «قد عرفت أن بعضكم خالَجَنِيها»،[١١] فبيّن عِمْران بن حُصَين أن الرجل خافت بقراءته، ودل أن النهي الذي رواه أبو هريرة لم يكن في حال جهر الإمام دون مخافتته، وأن المؤتم منهي عن القراءة خلف الإمام في كل الصلوات.[١٢] وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن القراءة خلف الإمام أحاديث كثيرة. [منها] ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمران بن حصين عنه،[١٣] وما روي عن عبد الله قال:[١٤] كنا نقرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله[١٥] صلى الله عليه وسلم: «خَلَطتم عليّ القرآن».[١٦]

---

[١] سنن *أبي داود*، الصلاة ١٣٢-١٣٣؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١١٦ وحسّنه الترمذي.
[٢] م: مما يدل أن.
[٣] م: لا يجهر يقرأ.
[٤] ن: النهي.
[٥] ن ع: إلا بنهية.
[٦] م: فيما يجهر.
[٧] ن – ما يبين النهي عن القراءة خلف الإمام فيما جهر فيه أو خافت ما روي عن عمران أن النبي.
[٨] ع – قرأ
[٩] ك: سبح.
[١٠] سورة الأعلى، ١/٨٧.
[١١] صحيح *مسلم*، الصلاة ٤٧؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٣٣-١٣٤ وخالج أي نازع (*لسان العرب* لابن منظور، «خلج»).
[١٢] ع: الصلوة.
[١٣] ع – عنه.
[١٤] ع م – قال.
[١٥] ك ن: النبي.
[١٦] مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٤٥١؛ إلا أنه قال: كانوا يقرءون... وقال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد*، ٢/١١٠).

فإن قيل: لعلهم كانوا يجهرون بالقرآن،[1] فنهي عن الجهر؟

قيل له: لم يُنقَل لنا[2] في شيء من الأخبار أن المؤتمين كانوا يقرءون جهرا، ولو كانوا[3] يقرءون جاهرين لأُدِيَ ذلك إلينا كما أُدِيَ أنهم كانوا يقرءون.[4] وفي ذلك وجه آخر، أنه لم يكن النهي عن الجهر خاصة، ولكن عن القراءة نفسها.[5] روي[6] عن أبي وائل قال: سألت عبد الله بن مسعود[7] عن القراءة خلف الإمام، فقال: أنصت، فإن في الصلاة شغلا، وسيكفيك ذلك الإمام.[8] وعن عبد الله بن[9] شدّاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة».[10] وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى[11] ورجل خلفه يقرأ، فنهاه رجل من أصحاب النبي عن القراءة في الصلاة، فتنازعا فيه حتى ذكر للنبي عليه السلام، فقال:[12] «من صلى خلف إمام فقراءة الإمام له قراءة».[13] وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وإذا قرأ الإمام فأنصتوا».[14] وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[15] «إنما جعل الإمام ليؤتم به،[16] فإذا كبر فكبروا،

---

[1] ك: القرآن.

[2] جميع النسخ: لم ينقلنا.

[3] ع: ولو كان.

[4] ن – في شيء من الأخبار أن المؤتمين كانوا يقرءون جهرا ولو كانوا يقرءون جاهرين لأدي ذلك إلينا كما أدي أنهم كانوا يقرءون.

[5] جميع النسخ: للقراءة نفسه.

[6] جميع النسخ: ما روي.

[7] ع: عبد الله مسعود.

[8] *المصنف* لعبد الرزاق، ٢/١٣٨؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٣٠؛ و*المعجم الكبير* للطبراني، ٩/٢٦٤؛ وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله مُوَثَّقون» (*مجمع الزوائد*، ٢/١١١).

[9] ك م: عبد الله ابن.

[10] روي مرسلا عن عبد الله بن شداد، وروي عن عبد الله بن شداد عن جابر رضي الله عنه موصولا؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٣٠، ٣٣١؛ و*سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٣؛ و*سنن الدارقطني*، ١/٣٢٣. والحديث فيه كلام طويل، وله طرق يشد بعضها بعضا؛ انظر للتفصيل: *نصب الراية* للزيلعي، ٢/٦-١١.

[11] م – صلى.

[12] ن ع – فقال.

[13] أخرجه ابن عدي؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٢/١٠٩.

[14] *سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٣؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ١٧٧-١٧٨.

[15] ن ع + قال.

[16] ن – به.

وإذا قرأ فأنصتوا»،[1] وغير ذلك من الأحاديث. وأكثر ما يحتج به المخالف لعلمائنا رحمهم الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن»،[2] يرويه عبادة بن الصامت. قال سفيان: هذا عندنا فيمن يصلي وحده.[3] فذلك[4] محتمل. والأحاديثُ التي جاءت مفسّرةً في النهي عن القراءة خلف الإمام.

فإن قال: يترك المؤتم القراءة فيما يجهر فيه إمامه بحديث أبي هريرة، ويقرأ فيما يُخافِت بحديث عبادة بن الصامت، ليصلح حديث أبي هريرة وحديث عبادة جميعا.

قيل له: فهلّا جعلته في المصلي وحده ليصح حديث عبادة وحديث / عمران بن حصين، [٢٧٩و] لأن حديث عمران بن حصين[5] ينهى عن القراءة[6] خلف الإمام[7] فيما خافت، وحديث أبي هريرة عن القراءة فيما جهر به.[8] فإن جعلت حديث[9] أبي هريرة خارجا عن عموم[10] حديث عبادة فذلك يوجب أن لا يقرأ المؤتم فيما جهر[11] فيه إمامه أو خافت.[12] ويقال له: هل رأيت فرضا من فرائض الصلاة بمسقَط عن المؤتم في حال، ويجب عليه في حال؟ فإن قال: لا، قيل: ففي إسقاطك تلك القراءة عنه في حال الجهر ما أوجب عليك أن تسقطها عنه في حال المخافتة.[13]

---

[1] *سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٣؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ٦٨.

[2] *صحيح البخاري*، الأذان ٩٥؛ و*صحيح مسلم*، الصلاة ٣٦.

[3] انظر: *سنن أبي داود*، الصلاة ١٣١-١٣٢. والقائل هو سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي مولاهم، الكوفي، أحد الأعلام، من حفاظ الحديث المشهورين، وهو من فقهاء المحدثين. قال سفيان: دخلت الكوفة و لم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظُ عِلمِ عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألونني عن عمرو بن دينار، فأول من صيّرني محدثا أبو حنيفة. مات سنة ١٩٨هـ/٨١٣م. انظر: *الجواهر المضية في طبقات الحنفية* للقرشي، ١/٢٥٠؛ و*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٨/٤٥٤-٤٧٥؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٢٤٥.

[4] ن + فذلك.

[5] ع م - بن حصين.

[6] ع: عن القرآن.

[7] ع م - خلف الإمام.

[8] ن: جهر فيه؛ ع م: يجهر فيه.

[9] ن: جعلت.

[10] ك: من عموم.

[11] ك + به؛ ع م: فيما يجهر.

[12] ع: إمامة وخافت؛ م: وخافت.

[13] ع م: المخافة.

وقد احتج بعض أصحابنا في ذلك بأن قالوا: وجدنا الرجل إذا جاء إلى الإمام وهو راكع فكبر ودخل في صلاته ولم يقرأ فكلٌ يُجمِع أن صلاته تجزئه، فدل ذلك على أن[1] القراءة غير فرض عليه. فإن قال: إنما أطلق له ذلك للضرورة، قيل: لو جاء إلى الإمام وهو ساجد لم يعتدّ بتلك الركعة، والضرورة قائمة، فلو كانت الضرورة تزيل فرضا لأزالت الركوع عمّن لحق إمامه وهو ساجد، فهي لا تزيل فرض القراءة عمن لحق إمامه راكعا،[2] ولكن لا يلزمه[3] القراءة خلف الإمام، فلذلك أَجْزَتْه صلاتُه،[4] لا للضرورة[5] التي ذكرت. **والله أعلم**.

وقد روي عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم قالوا: لا قراءة على من تَخلْفَ الإمام، منهم علي وابن مسعود وجابر وسعد[6] وأبو سعيد وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت[7] رضي الله عنهم. أما عن علي رضي الله عنه قال: من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة. وعن عبد الله قال:[8] من قرأ خلف الإمام مُلِئَ فُوه ترابا. وعن زيد بن[9] ثابت قال: من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له. وعن سعد قال: وَدِدت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فمه جمرةٌ. وعن ابن عمر [أنه] كان إذا سئل[10] هل يقرأ أحد خلف الإمام قال: لا، فإذا صلى أحدكم وحده فليقرأ. وكان ابن عمر لا يقرأ خلف الإمام.[11] وعن أبي سعيد أنه سئل عن القراءة خلف الإمام، قال: يكفيك ذلك الإمام. وعن ابن عباس أن رجلا سأله: أقرأ خلف الإمام؟ قال: لا.[12] إلى مثل هذه الأحاديث ذهب أصحابنا، وعلى ذلك دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة.[13] **وبالله التوفيق**.

---

[1] ع م: ذلك أن.
[2] ع م – راكعا.
[3] ع: لا يلزم.
[4] ن – وهو ساجد فهي لا تزيل فرض القراءة عمن لحق إمامه راكعا ولكن لا يلزمه القراءة خلف الإمام فلذلك أجزته صلاته.
[5] م: صلاته للضرورة.
[6] ع م – وسعد.
[7] ع – وزيد بن ثابت.
[8] ك – قال.
[9] م: زيد ابن.
[10] ن + عن ابن عمر.
[11] *الموطأ* للإمام مالك، الصلاة ٤٣.
[12] انظر للآثار المذكورة مجموعة: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٣٠-٣٣١؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١/٢١٩-٢٢٠؛ ونصب *الراية* للزيلعي، ٢/١٢-١٣.
[13] روي عن عدد من الصحابة خلاف ذلك، فقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وإنما يثبت ذلك [أي عدم القراءة] عن ابن عمر وجابر وزيد بن ثابت وابن مسعود، وجاء عن سعد وعمر وابن عباس وعلي... وقد أثبت البخاري عن عمر وأبي بن كعب وحذيفة وأبي هريرة وعائشة وعبادة وأبي سعيد في آخرين القراءة خلف الإمام» (*الدراية في تخريج أحاديث الهداية* لابن حجر، ١/١٦٤).

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٢٠٥]

وقوله عز وجل: **واذكر ربك في نفسك تضرُّعا وخِيفة ودون الجهر من القول بالغُدُوّ والآصال**، اختلف أهل التأويل في الذكر الذي ذكر في الآية. منهم من صرف التأويل إلى كل ذكر. ومنهم من صرف إلى التلاوة. فإن كان ذكر **الغدو والآصال** كناية عن الليل والنهار[١] فهو ذكر أحواله.[٢] يَذكُر اللهَ عز وجل بنعمه[٣] وإحسانه، وذِكْرُه بنِعَمِه شُكْرُه. أو يَذكُره[٤] بقدرته وسلطانه، وذلك يحمله[٥] على الخضوع له والتواضع. أو يَذكُر أمره ونهيه ووعده ووعيده، وذلك يوجب الإقرار بالتقصير والخوف لعقوبته والرغبةَ في وعده. كأنه قال: **واذكر ربك** في كل[٦] حال من الليل والنهار، [فهو] إما شكر نعمته[٧] وإحسانِه، وإما الإقرار بالتقصير في أمره ونهيه، وإما الخوف لوعيده، والرغبة[٨] لوعده. فكأنه قال: اذكر ربك **تضرُّعا**، متواضعا،[٩] **وخِيفة**، مع الخوف. وإن كان تأويل **الغدو والآصال** كناية عن الغداة والعشي، فهو كناية عن التلاوة. وهو ما سبق من ذكر التلاوة من قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ،[١٠] وقوله: هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ.[١١] وهو كقوله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا.[١٢] وتأويله -والله أعلم- وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ، في بعض صلاتك، وَلَا تُخَافِتْ في بعضها. أو أن يقال: لا تجهر جهر العالي، ولا تخافت غاية المخافتة، ولكن بين ذلك. أو أن يقول: لا تشتغل بالجهر ولا بالمخافتة، ولكن اقرأ لما فيه. فعلى ذلك قوله:[١٣] **واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال**.

---

[١] ع: والنها.

[٢] وعبارة الشارح هكذا: «فإن كان ذكر الغدو والآصال كناية عن الليل والنهار فهو أمر بأن يذكر الله تعالى في جميع أحواله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢١ظ).

[٣] ن: وبنعمه.

[٤] جميع النسخ: أو يذكر.

[٥] ع م: يحتمله.

[٦] ك - كل.

[٧] جميع النسخ: النعمة.

[٨] جميع النسخ: وإما الرغبة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٢و.

[٩] ع م: وتواضعا.

[١٠] الآية السابقة.

[١١] سورة الأعراف، ٧/٢٠٣.

[١٢] ﴿ولا تَجْهَرْ بصلاتك ولا تُخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١١٠).

[١٣] ك - قوله.

وقرأ بعضهم: وخُفْيَة،[1] وهو من الإخفاء، حيث قال: **واذكر ربك في نفسك**. وأما ظاهر القراءة فهو: **خِيفة**،[2] وهو من الخوف. وقال مجاهد: رخّص الله أن تذكره **في نفسك تضرعا وخيفة** وأنت خلف الإمام تسمع قراءته. **والآصالِ**، قال أبو عَوْسَجَة: العَشِيّات، الواحد أُصُل وأَصِيل.[3]

وقوله عز وجل: **ولاتكن من الغافلين**، معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من الغافلين في حال، ولكن على النهي لأمته، كقوله: فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[4] وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[5] ونحوه. نهاه أن لا يكوننّ[6] ما ذكر لما ذكرنا نَهْيًا لغيره. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[٢٠٦]

وقوله عز وجل: **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**، قالت المشبهة: لو لم يكن بين الله وبين الملائكة قُرب الذات لكانوا هم والبشر بقوله: **عند ربك**، سواء، [و]لكان[7] لا معنى لتخصيص الملائكة بذلك. لكن التأويل عندنا في قوله: **عند ربك**، في الطاعة له[8] والخضوع، أو في الكرامة والمنزلة. ليس على قرب الذات، ولكن على ما وصف عز وجل: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[9] وقوله: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ،[10] وصفهم بالطاعة له والخضوع. فعلى ذلك الأول، ليس على قرب الذات، ولكن على ما ذكر من الطاعة والخضوع. ألا ترى أنه / قال: وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ،[11] ليس على أنه في الأرض يقترب[12] منه إذا سجد. وأصل ما يضاف إلى الله من جزئية[13] الأشياء يخرج مخرج تعظيم تلك الجزئيات،[14] [٢٧٩ظ]

---

[1] ن ع م: وخيفة. وهي قراءة شاذة.

[2] أي القراءة المعروفة المتواترة هي: خِيفَة.

[3] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «أصل».

[4] سورة البقرة، ١٤٧/٢؛ وسورة يونس، ٩٤/١٠.

[5] سورة الأنعام، ١٤/٦؛ وسورة يونس، ١٠٥/١٠؛ وسورة القصص، ٨٧/٢٨.

[6] ع م: أن يكونن.

[7] م: لكن.

[8] ن ع م – له.

[9] سورة التحريم، ٦/٦٦.

[10] سورة الأنبياء، ١٩/٢١–٢٠.

[11] سورة العلق، ١٩/٩٦.

[12] ك: يقرب.

[13] ك: من جروية؛ ن: من جزوية.

[14] ن: الجزوية؛ ع: الجزويات.

كقوله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[١] خصّ المساجد بالإضافة إليه وإن كانت[٢] البقاع كلها له تعظيما لها. وكذلك قولهم:[٣] الكعبة بيت الله، وإن كانت البيوت كلها له، ونحو ذلك مما أضاف ذلك إلى نفسه من جزئيات[٤] الأشياء تعظيما لذلك وإجلالا. فعلى ذلك الأول، أضافهم إلى نفسه إما لطاعتهم إياه وخضوعهم له،[٥] وإما للكرامة[٦] لهم والمنزلة. وإضافة كلية الأشياء إلى الله تخرج[٧] مخرج تعظيم الرب. من ذلك قوله: لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ،[٨] وقوله: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[٩] وقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[١٠]

ومن الناس من استدل بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية. لكنا[١١] نقول: إن الأفضل عند الله الأطوعُ له[١٢] والأخضع والأتقى والأقوم لأمره ونهيه على ما ذكر:[١٣] إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ،[١٤] [و]لا تشير [الآية] إلى أن هؤلاء أفضل من هؤلاء. وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم.[١٥]

وتأويل الآية –والله أعلم– في قوله: **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**، الآية، أي إنهم وإن لم يكن لهم حاجة إلى المأكل والمشرب وأنواع الحاجات **لا يستكبرون عن عبادته**، فأنتم مع حاجتكم إلى الأكل والشرب وأنواع الحوائج أحرى وأولى أن لا تستكبروا[١٦] عن عبادته. أو أن يقول: إن الذين تعبدون[١٧] من الملائكة **لا يستكبرون عن عبادته**، فأنتم أحق[١٨] أن لا تستكبروا عن عبادته، لأن من الناس من يعبد الملائكة، فخرج هذا[١٩] جواب ذلك. ***والله أعلم.***

---

[١] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[٢] م: وإن وإن كانت.
[٣] جميع النسخ: قوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٤] ن ع: من جزويات.
[٥] ك ن م: لطاعة لهم إياه والخضوع؛ ع: الطاعة لهم إياه والخضوع.
[٦] ع: الكرامة؛ م: لكرامة.
[٧] م: يخرج.
[٨] سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[٩] سورة المائدة، ١٢٠/٥؛ وغيرها.
[١٠] سورة الأنعام، ١٠٢/٦؛ وغيرها.
[١١] م: لكن.
[١٢] ن – له.
[١٣] ع م: ما ذكرنا.
[١٤] سورة الحجرات، ١٣/٤٩.
[١٥] انظر تفسير الآية من سورة النساء ١٧٢/٤.
[١٦] ع: لا تستكبرون.
[١٧] ع م: يعبدون.
[١٨] م – أحق.
[١٩] ن + ذلك.

وقوله عز وجل: **ويسبحونه**، التسبيح هو وصف الرب عز وجل بالرفعة والعظمة والجلال والتعالي عن الأشباه والأمثال وعما وصفه الملحدون. والتسبيح هو تنزيه الرب وتبرئته عن جميع معاني الخلق.

وقوله عز وجل: **وله يسجدون**، السجود[1] هو الخضوع في الغاية.

وليس في الآية دليل وجوب السجدة على من تلاها أو سمعها، إنما فيها الإخبار عن الساجدين أنهم سجدوا غير مستكبرين، وفي ذلك ترغيب في السجود. إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم رُوي عنه[2] أنه سجد، وسجد من معه. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد، ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضعا يسجد فيه.[3] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:[4] رأيت النبي[5] صلى الله عليه وسلم سجد في ص.[6] وفي بعض الأخبار عن ابن عمر قال: كان رسول الله يقرأ القرآن في غير صلاة فيسجد، ونسجد معه.[7] وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فسجد فيها، ولم يبق معه أحد إلا سجد، إلا شيخ كبير من قريش، أَخذ كفّا من حَصىً[8] فرفع إلى جبهته، فلقد رأيته قُتِل كافرا.[9] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه ذكر سجود القرآن أو عَدّ فقال: الأعراف والرعد والنحل وبنو إسرائيل[10] ومريم والحج سجدة واحدةً، والفرقان وطس[11] والم تنزيل[12] وص وحم تنزيل،[13]

---

[1] ن ع م – السجود.

[2] م – عنه.

[3] صحيح *البخاري*، سجود القرآن ٩؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٣.

[4] ع م – قال.

[5] ن – يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضعا يسجد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال رأيت النبي.

[6] صحيح *البخاري*، الأنبياء ٣٩؛ وسنن *أبي داود*، سجود القرآن ٥؛ وسنن *الترمذي*، الجمعة ٥٣.

[7] انظر مصادر الحديث المروي عن ابن عمر قبل قليل.

[8] ك ع م: من جص؛ ن: من حص.

[9] صحيح *البخاري*، سجود القرآن ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٠٥.

[10] جميع النسخ: وبني إسرائيل. أي سورة الإسراء.

[11] أي سورة النمل.

[12] ك – تنزيل. أي سورة السجدة.

[13] ع م – تنزيل. أي سورة فصّلت.

وقال: وليس في المُفَصَّل[1] سجود.[2] وعن ابن مسعود قال في السورة يكون في آخرها السجدة نحو الأعراف والنجم: إن شئت فاسجد ثم قم فاقرأ، وإن شئت فاركع.[3] وعن ابن مسعود [أنه] كان يسجد في الأعراف وفي بني إسرائيل والنجم و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[4] و اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ.[5] واحتج بعض مشايخنا [على] أن السجود على من تلا آية السجدة واجب بما أجمع[6] أهل العلم أن على المصلي إذا تلا الآية فيها السجدة أن يسجد في صلاته، فلو كان السجود تطوعا ما كان لأحد أن يزيد في صلاته ما ليس منها، فدل ذلك على أن السجود واجب في الصلاة، وإذا كان في الصلاة واجبا[7] فهو على كل حال واجب. ومن الحجة لنا أيضا ما روي[8] أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ آيات فسجد فيها، فكان السجود بها واجبا، كما أنه لمآ صلى صلاة العيدين كانت واجبة.[9]

---

[1] المُفَصَّل قصار السور، سمي مفصلا لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقلة المنسوخ فيه. وآخره سورة الناس، وفي أوله اثنا عشر قولا، أشهرها أنه سورة ق (٥٠)، أو سورة الحجرات (٤٩)، وقيل غير ذلك. انظر: *البرهان في علوم القرآن* للزركشي، ١/٢٤٥؛ *والإتقان في علوم القرآن* للسيوطي، ١/١٣٩.

[2] *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٧٧. وروي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحوّل إلى المدينة. انظر: *سنن أبي داود*، سجود القرآن ٢.

[3] روي بمعناه؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٨٠.

[4] سورة الانشقاق، ٨٤/١.

[5] سورة العلق، ٩٦/١. وانظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/٣٧٧.

[6] جميع النسخ: ما أجمع.

[7] م: واجبا في الصلاة.

[8] ع: أيضا روي.

[9] «إذ مواظبته على الشيء دليل الوجوب» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٢٢و).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١]

قوله عز وجل: **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول**، اختلف فيه. قال بعضهم: **الأنفال** هي المغانم التي يغنمها المسلمون من أهل الحرب. وقال بعضهم: **الأنفال** هي الفُضُول عن حقوق أصحاب الغنائم.[١] فإن كانت **الأنفال** الغنائم فالسؤال يحتمل وجهين. يحتمل[٢] أنهم سألوا عن حِلّها وحرمتها، لأن الغنائم كانت لا تحلّ في الابتداء. قيل: إنهم كانوا يغنمونها ويجمعون في موضع فتجيء[٣] نار فتحرقها.[٤] سألوا[٥] عن حِلّها وحرمتها، فقال: **الأنفال لله والرسول**، أي الحكم فيها لله، يجعلها لمن يشاء. ويحتمل السؤال عنها عن قسمتها. وهو ما روي في بعض القصة أن الناس كانوا يوم بدر ثلاثةَ أَثْـلَاث، ثُلث في نَحْر العدو، وثُلث[٦] خَلْفهم رِدْء لهم، وثُلث مع رسول الله يحرسونه. فلما فتح الله عليهم اختلفوا في الغنائم. فقال الذين كانوا في نحر العدو: نحن[٧] أحق بالغنائم، نحن وَلِينا القتال. وقال الذين كانوا رِدْءً لهم: لستم بأولى بها[٨] منا، وكنا لكم رِدْءً. وقال الذين أقاموا مع رسول الله:

---

[١] نَفَّلْت فلانا تنفيلا: أعطيته نَفَلا وغُنْما... و نَفَّل الإمام الجند: جعل لهم ما غَنِموا... والنَّفَل: الغنيمة والهبة والزيادة التي يجعلها الإمام للجنود تشجيعا لهم... والجمع أَنْفَال (*لسان العرب* لابن منظور، «نفل»).

[٢] ك: ويحتمل.

[٣] جميع النسخ: فجاءت.

[٤] كان ذلك في الأمم الماضية قبل أمتنا؛ انظر: صحيح *البخاري*، فرض الخمس ٨؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٣٢.

[٥] ك:فسألوا.

[٦] ك: وثلثهم.

[٧] ع: ونحن.

[٨] ع م – بها.

[٢٨٠و] لستم بأحق[1] بها منا، كنا نحن حَرَسا لرسول الله. فتنازعوا / فيها إلى رسول الله. فنزل: **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول.**[2] وقال أبو أُمامة الباهلي: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، قال:[3] فينا نزلت[4] معشرَ أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله، فقسمه على السواء.[5] ومجاهد وعكرمة قالا: كانت **الأنفال لله والرسول**، فنسخها: وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ.[6] وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **الأنفال** المغانم، كانت لرسول الله خالصة، ليس لأحد فيها شيء، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أَتَوْه به، فمن حبس منه إبرة أو سِلْكا فهو غُلُول، فسألوا[7] رسول[8] الله صلى الله عليه وسلم أن[9] يعطيهم منها، فقال: **قل الأنفال لله والرسول**، ليس لكم فيها شيء.[10] ويحتمل أن يكون **الأنفال** هي فضول المغانم على ما قال بعضهم. نحو ما روي في الأخبار أن منهم من أخذ[11] كُبَّة[12] فقال: اجعلها لي يا رسول الله، وأخذ الآخر سيفا وقال: اجعلها لي، ونحو ذلك، كانوا يسألون رسول الله ذلك،

---

[1] ع: بحق.

[2] روي نحو ذلك عن عبادة بن الصامت، وابن عباس، وابن جريج؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٢٣/٥؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١٤٤-١٤٥؛ و*تفسير الطبري*، ١٧٢/٩، ١٧٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٤، ٦؛ وذكر الهيثمي أن رواة أحمد ثقات؛ انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٦/٧.

[3] ع - قال.

[4] م: زلت.

[5] ع م: على السؤال. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٢٢/٥؛ و*تفسير الطبري*، ١٧٢/٩-١٧٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٤؛ وذكر الهيثمي أن رواة أحمد ثقات؛ انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٦/٧.

[6] سورة الأنفال، ٤١/٨. انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٥/٩، ١٧٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٩/٤.

[7] م - فسألوا.

[8] م: ولرسول.

[9] ع: وسلم عليهم.

[10] انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٣/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٤.

[11] ع - أخذ.

[12] جميع النسخ هكذا. والكُبَّة تأتي بمعنى الإبل العظيمة؛ وليس لها معنى آخر يناسب هذا السياق؛ انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «كب». و لم أجد ذلك في الروايات. وقد وردت لفظة "ذا الكتيفة" في رواية لحديث سعد رضي الله عنه. فلعلها هي. عن سعد بن أبي وقاص قال: «لما كان يوم بدر قُتِل أخي عُمَير، وقَتلتُ سعيد بن العاص وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكَتِيفَة، فأتيت به نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: «اذهب فاطرحه في القَبَض»، قال: فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قَتْل أخي وأخذ سَلَبي، قال: فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذهب فخذ سيفك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٠/١). والله أعلم. والسيف الكَتِيف أي العَرِيض (*لسان العرب* لابن منظور، «كتف»).

فقال: **قل الأنفال لله والرسول.**[١] ويحتمل[٢] أن يكون سؤالهم عن التنفيل، أن يُنَـفِّلَهم الرسول بعد ما وقع في أيديهم، أو بعد ما انهزم الكفار وأدبر العدو، وإنما يجوز للإمام التنفيل في حال إقبال الحرب. وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: النَّـفَل ما لم يلتق الزحفان أو الصفان، فإذا التقيا فهو مَغْنَم.[٣] وروي عن مصعب بن سعد [عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه] قال: نزلت فيَّ أربعُ آيات -يُرَى[٤] أنه يوم بدر- أَصَبْتُ سيفا، فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: نَـفِّلْنِيه، فقال: «ضعه»، ثم قام، فقلت: يا نبي الله، نَـفِّلْنِيه، أُجْعَل كمَن لا عمل له؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ضعه من حيث أخذته»، فنزلت هذه الآية: **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول،** ثم قال سعد: دعاني رسول الله، فقال: «اذهب فخذ سيفك».[٥] فدل حديث سعد أن النبي لم يُنَفِّل قبل الحرب أحدا[٦] منهم مالاً[٧] يأخذه، لأنه لو كان نَـفَّلهم لم يمنع سعدا[٨] رضي الله عنه السيف الذي جاء به. ويدل على أن النبي لم يأمر في الغنيمة بشيء حتى نزلت آية النَّـفَل، فرد الله الأمر في الغنيمة إلى رسوله، فأطلق له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رُدَّ الأمر [إليه]. ويجوز أن يكون النبي لم يُنَفِّل أحدا قبل الحرب شيئا، ولكنه كان يُنفِّل مما يؤتَى به من شاء[٩] ممن قَتَل، بغير إيجاب متقدم، بيّن ذلك[١٠] قول سعد: أُجْعَل كمن لا عمل[١١] له؟ وحديث[١٢] عبادة يخبر أن النبي نَفَّل ما يأخذون من أهل الحرب قبل أن يأخذوه. فهذا[١٣] موضع الاختلاف بين الحديثين.

---

[١] روي نحو ذلك عن سعيد بن أبي وقاص؛ انظر: *صحيح مسلم*، الجهاد ٣٣؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٨؛ وتفسير *الطبري*، ١٧٣/٩.

[٢] ع: يحتمل.

[٣] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٩٩/٦.

[٤] أي يظن ذلك. والله أعلم. ولا توجد كلمة "يرى" في مصادر الرواية.

[٥] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٨٠/١؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٣٤.

[٦] جميع النسخ + شيئا.

[٧] جميع النسخ: منه مما لا يأخذه.

[٨] ن: سعد.

[٩] ع: من يشأ؛ م: من يشاء.

[١٠] م: يبين ذلك.

[١١] م: لا عمله.

[١٢] ن: ووحديث.

[١٣] م: وهذا.

والظاهر من ذلك أن النَّفَل[1] قد كان وقع في الغنائم، لأن الله قد سماها أنفالا قبل أن يُحِلّها، فلو لا أن النبي كان[2] نَفَّلهم إياها قبل الحرب أو بعدها لم يسم الله أنفالا. **والله أعلم**. وفي حديث[3] عُبادة أن قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ،[4] نزل[5] بعد ذكر النَّفَل، وأنه الحكم[6] الناسخ الثابت.[7] وكذلك قول ابن عباس يدل على ذلك.[8] وقد أجمع أهل العلم على ما ذكره عبادة في آخر حديثه، فقالوا جميعا: إن الغنيمة يُخرَج خُمسها[9] للأصناف الذين ذكرهم الله،[10] إلا ما اختلفوا فيه من سهم ذوي القربى،[11] ثم تُقسَم[12] الأربعة الأخماس[13] بين أهل القسمة. وجَعَلوا للإمام أن يُنَفِّل السَّلَب[14] وغيره، فيقولَ: «مَن قَتَل قَتِيلا فله سَلَبُه»،[15] يُحرِّض بذلك المُقاتِلة، ويُنَفِّلَ السَّرِيَّة تخرج[16] من العسكر[17] شيئا بعد الخُمس. ومما أجمعوا عليه قسمة[18] الغنيمة أخماسا لنزول[19] القرآن [بذلك]. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الغنيمة لم تَحِلّ[20] لأحد قبلنا، وقد أُحِلَّت لنا».[21]

---

[1] جميع النسخ: الفعل.
[2] ن – كان.
[3] ع: وفي الحديث.
[4] سورة الأنفال، ٨/٤١.
[5] ع م: ذكر.
[6] ع م: وأنه حكم.
[7] أخرجه ابن مَرْدَوَيْه عن عبادة بن الصامت؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧١.
[8] *تفسير الطبري*، ٩/١٧٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٨.
[9] ن: خمسه.
[10] أي الذين ذكروا في الآية: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٤).
[11] م: ذو القربى.
[12] ن – يقسم، صح، ه؛ ن + يقيم؛ ع م: ثم يقسم.
[13] ك: أخماس.
[14] السَّلَب: هو ما يأخذه المُقاتِل من عدوّه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب وغيرها (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «سلب»).
[15] وهو لفظ حديث نبوي؛ انظر: *صحيح البخاري* فرض الخمس ١٨؛ و*صحيح مسلم*، الجهاد ٤١.
[16] ن ع م: يخرج.
[17] ن: عن العسكر.
[18] جميع النسخ: عليه من قسمة.
[19] جميع النسخ: نزول.
[20] ع: لم تحمل.
[21] روي بمعناه؛ انظر: *صحيح البخاري*، فرض الخمس ٨؛ و*صحيح مسلم*، الجهاد ٣٢.

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تَحِلّ الغنيمة لقومٍ سُودِ الرءوس[١] قبلكم، كانت[٢] تنزل نار[٣] من السماء فتأكلها»، فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم، فأنزل الله تعالى: لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا،[٤] ونحو ذلك. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **يسألونك عن الأنفال**، يحتمل وجوها. أحدها **يسألونك** عمن له **الأنفال**، فقال: **قل الأنفال لله والرسول**. والثاني **يسألونك**[٥] **الأنفال**، على إسقاط "عَنْ"، وقد كانوا يسألون[٦] **الأنفال** والمغانم. والثالث يسأل كلٌّ عن نَفَله[٧] الذي جُعِل له. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فاتقوا الله وأصلحوا**، قال أهل التأويل: **اتقوا الله** في أخذ **الأنفال**، ولكن في **الأنفال** وفي غيرها **اتقوا**[٨] معصية الله ومخالفته في أمره ونهيه. **وأصلحوا ذات بينكم**، أمر بإصلاح ذات البين، لما ذكر من عظيم[٩] مِنَته ونِعَمه التي أنعم عليهم، بقوله: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[١٠] أخبر أنهم كانوا أعداء فألّف بين قلوبهم،[١١] وذلك من[١٢] عظيم نعمه عليهم. فأمر هاهنا بإصلاح ذات البين ليكونوا على النعمة التي أنعمها عليهم مجتمعين غير متفرِّقين.

وقوله عز وجل: **وأطيعوا الله ورسوله**، أي **أطيعوا الله**،[١٣] في أمره ونهيه، **ورسوله**، / في آدابه [٢٨٠ظ] وسننه، **إن كنتم مؤمنين**. أو يقول: **أطيعوا الله**، فيما دعاكم إليه ورغّبكم فيه، **ورسوله**، فيما بين لكم، **إن كنتم مؤمنين**، يعني مصدّقين به.

---

[١] م: الرأس. «والمراد بسود الرءوس بنو آدم، لأن رءوسهم سود» (*تحفة الأحوذي* للمباركفوري، ٣٧٧/٨).
[٢] ن + تترك.
[٣] م: نار تنزل.
[٤] سورة الأنفال، ٦٨/٨-٦٩. وانظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٥٢/٢؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٨. وصححه الترمذي.
[٥] م + عن.
[٦] ن ع م: يسألونك.
[٧] جميع النسخ: عن نفل له.
[٨] ن: واتقوا.
[٩] ن: من عظم.
[١٠] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[١١] ن - قلوبهم؛ ع م: قلوبكم.
[١٢] ع + أمر.
[١٣] ن + ورسوله.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وَجِلت قلوبهم**، إلى آخر ما ذكر، يحتمل وجوها. [الأول] يحتمل قوله: **إنما المؤمنون الذين** حققوا إيمانهم بما ذكر من الأفعال. والثاني[١] **إنما المؤمنون الذين** ظهر صدقهم عندكم بما ذكر من الأفعال مِن وَجَل القلب والخشية والثبات واليقين على ما كان عليه. ليس[٢] كالمنافقين الذين كانوا مرتابين في إيمانهم،[٣] كما وصفهم في آية أخرى، حيث قال: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى،[٤] وكانوا إذا أنفقوا أنفقوا كارهين،[٥] وكانوا لا يذكرون الله إلا قليلا مراءاة للناس.[٦] وأما المؤمنون فهم الذين يقومون بوفاء ذلك كله حقيقة، فيظهر صدقهم بذلك. وهو ما وصفهم في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ.[٧] و[الثالث] يحتمل[٨] أن يكون على الاعتقاد خاصة، ليس على نفس العمل، كأنه قال: **إنما المؤمنون الذين** اعتقدوا في إيمانهم ما ذكر مِن وَجَل القلوب، والخشية عند ارتكاب المعصية والتقصير عن القيام بما عليه. وما يرتكب المؤمن من المعاصي إنما يرتكب عن جهالة، ثم يتوب عن قريب، كقوله: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ،[٩] يرتكب ذلك إما لغلبة[١٠] شهوة، أو يعتقد التوبة من بعده، أو يرجو[١١] رحمة الله وفضله[١٢] في العفو عن ذلك.

---

[١] ع – قوله إنما المؤمنون الذين حققوا إيمانهم بما ذكر من الأفعال والثاني؛ م – إنما المؤمنون الذين حققوا إيمانهم بما ذكر من الأفعال والثاني.

[٢] ن – ليس، صح ه.

[٣] م: في إيمانكم نهم.

[٤] سورة النساء، ١٤٢/٤.

[٥] ﴿وما مَنَعهم أنْ تُقْبَل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسَالَى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ (سورة التوبة، ٥٤/٩).

[٦] ﴿إن المنافقين يُخَادِعون الله وهو خَادِعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسَالَى يُرَاءُون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ (سورة النساء، ١٤٢/٤).

[٧] سورة الحجرات، ١٥/٤٩.

[٨] ع: يحتمل.

[٩] سورة النساء، ١٧/٤.

[١٠] ن: إما الغلبة.

[١١] ع: أو يرجوا.

[١٢] ع م: من فضله.

فيكون قوله: **إنما المؤمنون** [هم] الذين اعتقدوا[1] ما ذكر من الأفعال. وهو كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[2] هو على[3] الاعتقاد والقبول له، أنهم إذا اعتقدوا ذلك وقبلوا يخلّي سبيلهم وإن لم يقيموا الصلاة وما ذكر، فعلى ذلك الأول[4] يحتمل ذلك. والرابع يحتمل قوله: **إنما المؤمنون** هم الذين فعلوا هذا وأتوا بذلك كله. لكنهم أجمعوا أنّ مَن آمن بقلبه وصدّق كان مؤمنا وإن لم يأت بغيره من الأفعال، نحو أن يؤمن ثم يُخْتَرَم[5] ويموت من ساعته، [فإنه] يموت[6] مؤمنا. فدل أنه لم يخرج ذلك على الشرط لما ذكرنا، ولكن على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا.[7] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**، يخرج على وجوه. أحدها يخبر أن المؤمن[8] هو على وصف ما ذكر. أو يقول:[9] إن المؤمنين [هم] الذين ينبغي أن يكونوا ما ذكر.[10] أو يقول:[11] **إنما المؤمنون** [هم] المختارون ما ذكر. جَعَل الله تعالى ما ذكر مِن وَجَل القلب[12] وغيره عَلَما بين الذين حقّقوا[13] الإيمان في الظاهر والباطن وبين الذين أظهروا الإيمان وأضمروا[14] الكفر والخلاف. وكذلك ما ذكر في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا.[15]

---

[1] جميع النسخ + إيمانهم.
[2] سورة التوبة، ٩/٥.
[3] م – على.
[4] ع م: الأفعال.
[5] م: ثم يخرم. أُخْتُرِم فلان عنا: مات وذهب، واخْتَرَمَته المَنِيّة مِن بين أصحابه: أخذته من بينهم، واخْتَرَمَهم الدهر وتَخَرَّمَهم أي اقتطعهم واستأصلهم (*لسان العرب* لابن منظور، «خرم»).
[6] ن ع م: مات.
[7] لعله يقصد الوجه الثاني واللذين بعده.
[8] م: أن المؤمنين.
[9] ع م: أو نقول.
[10] ن: أما ذكر.
[11] ك: أو يقولون.
[12] ع: القلوب.
[13] ك: تحققوا.
[14] ك: وأظهر ضمروا.
[15] ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ (سورة النور، ٢٤/٦٢).

وقوله عز وجل: **وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**، يحتمل قوله: **آياته**، حججه وبراهينه، **إذا تُليت عليهم** تلك[1] يزداد لهم ثباتا وقوة على ما كانوا. وأما المنافقون فإن الآيات التي تنزل[2] كانت تزداد لهم بها[3] رجسا وبُعدا؛ وأما المؤمنون[4] يزيد لهم ذلك[5] ثباتا وقوة. أو ذكر الزيادة[6] لأن للإيمان حكم التجدّد والحدوث في كل وقت وكل ساعة،[7] فإذا كان له حكم الحدوث والتجدّد فهو زيادة على ما كان، فإن شئت سميتها زيادة، وإن شئت سميتها[8] ثباتا. وقال أبو حنيفة رحمه الله: يزيد الإيمان، بالتفسير على الإيمان بالجملة، فإذا فسّروا لهم وقالوا: فلان رسول ونبي، ازداد بذلك له إيمانا، وإن كان قد آمن به بالجملة. وكذلك الإيمان بجميع الكتب والأَمْر، وإنْ كُنّا نؤمن في الجملة أن له الخَلْق والأَمْر، فإذا عرف ذلك الأَمْر ازداد له إيمانا في ذلك. *والله أعلم*. لأنّ[9] مَن آمن بالله وأنّ له الخلق والأمر فقد أتى بِعُقْدة الإيمان، فإذا جاء بالتفسير واحدا بعد واحد ازداد له إيمانه بالتفسير على إيمانه بالجملة.

وقوله عز وجل: **وعلى ربهم يتوكلون**، أي **على ربهم** يَثِقون ويعتمدون في كل أمورهم، لا يَتّكِلون[10] على غيره، إنما **يتوكلون** على الله. وليس كالمنافقين، هم إنما **يتوكلون** على النعم التي أُعطُوا، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ،[11] ونحو ذلك. وأما المؤمن فإنه في جميع أحواله يتوكّل على الله ومنه يخاف، وإن كان يصل ذلك إليه ويجري على يدي غيره فهو في الحقيقة من الله.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**، بحق الله الذي عليهم.

---

[1] جميع النسخ: ذلك.
[2] م: التي نزلت.
[3] م – بها.
[4] ع: وبعد فإن المؤمنون؛ م: فإن المؤمنون.
[5] ع – ذلك.
[6] ك: للزيادة.
[7] م: وساعة.
[8] ك ن ع: سميته.
[9] م + كل.
[10] ع: لا يكلمون.
[11] سورة الحج، ١١/٢٢.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **أولئك هم المؤمنون حقا**، يحتمل وجهين. يحتمل **أولئك** الذين حقّقوا إيمانهم. والثاني **أولئك** [هم] **المؤمنون** الذين وعد لهم وعدا **حقا**، وهو ما وعد[١] لهم من الدرجات والمغفرة، حقّ لهم ذلك الوعد. *والله أعلم*.

لهم درجات عند ربهم، قيل: فضائل **عند ربهم ومغفرة**، أي يستر عليهم ذنوبهم -التي كانت لهم في الدنيا- في الجنة وينسونها، لأنّ ذِكر ذلك يُنَغِّص[٢] عليهم نعمهم[٣] التي أنعم عليهم، **ورزق كريم**، قال[٤] الحسن: **ورزق** يُكرَم أهلُه به.[٥]

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **كما أخرجك ربك / من بيتك بالحق**، لم يخرج لهذا الحرف جواب في الظاهر، [٢٨١و] لأن جوابه أن يقول: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** يفعل بك كذا. ثم أهل التأويل اختلفوا في جوابه. قال بعضهم: هو صلة قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ،[٦] يقول: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون** يُجَادِلُونَكَ،[٧] [أي] كما كرهوا الخروج وجادلوك في قسمة الأنفال جادلوك في أمر السَّيْر.[٨] ومنهم من يقول: جوابه في أمره بالقتال، يقول: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** وهم كارهون لذلك كذلك يُكلّفك القتال وهم كارهون لذلك. ومنهم من يقول: جوابه في قوله: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ،[٩]

---

[١] ن - ما وعد.

[٢] م: ينقص. نَغَّص عليه عَيْشه تَنغِيصا، أي كَدّره... نَغَّص علينا أي قَطَع علينا ما كان نُحبّ الاستكثار منه (*لسان العرب* لابن منظور، «نغص»).

[٣] ن ع م: نعمتهم.

[٤] جميع النسخ: قيل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٣و.

[٥] م: به أهله.

[٦] سورة الأنفال، ٨/١.

[٧] الآية التالية.

[٨] ن ع م: الغير. أي السَّير إلى القتال. وعبارة الشارح كما يلي: «يقول: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين﴾ لهم كذلك يجادلونك في قسمة الأنفال ويسألونك عنها» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٢٣و).

[٩] سورة الأنفال، ٨/١١.

يقول: كما أجبتم الله في الخروج[١] للقتال على غير تدبير منكم في ذلك ولا نظر[٢] فعلى ذلك يجيبكم في النعاس أَمَنَةً منه وإنزال الماء من السماء والتطهير به وتثبيت الأقدام على غير علم[٣] منكم ولا تدبير. ومنهم من يقول: قوله: **كما أخرجك ربك من بيتك**، غير مُتَأَهِّبين للقتال ولا مُستعدّين له كذلك يَعِدكم النصر والظفر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بالحق**، يحتمل وجوها. يحتمل **بالحق** الذي لله عليهم من الأمر بالخروج والقتال. ويحتمل **بالحق**، بالوعد الذي وعد، إذ وعد[٤] لهم النصر والظفر. وقال بعض أهل التأويل: **بالحق**، أي بالقرآن. ولكن إن كان[٥] فهو ما ذكرنا بالأمر الذي[٦] يأمر القرآن.

وقوله عز وجل: **وإن فريقا من المؤمنين لكارهون**، يحتمل وجهين. يحتمل **فريقا من المؤمنين** في الظاهر، وهم المنافقون، كرهوا الخروج للقتال. ويحتمل أن يكون المؤمنون في الحقيقة كرهوا الخروج للقتال كراهة الطبع لا كراهة الاختيار، لما أُمِروا بالخروج للقتال وهم غير مُتأهِّبين للقتال[٧] ولا مُستعدِّين له،[٨] فكرهت أنفسهم ذلك كراهة الطبع لما لم يكن معهم أسباب القتال، لا أنهم[٩] كرهوا أمر الله كراهة الاختيار. وفي هذه الآية دلالة أنّ الأمر قد يكون في الشيء وإن لم يُعلَم وقتَ الأمر فيما يؤمر. وفيه دليل جواز تأخر[١٠] البيان، لأنهم أُمِروا بالخروج للقتال وهم لم يعلموا[١١] وقت الخروج على ماذا يؤمرون.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يجادلونك في الحق**، قيل: في القتال. وقيل: قوله: **في الحق**، الذي أُمِرت به أن تسير إلى القتال. ويحتمل أن يكون قوله: **في الحق**، الوعد الذي وعد لهم بالنصر والظفر **بعد ما تبيّن** لهم.

---

[١] ك: بالخروج.
[٢] ع: وعلى نظر.
[٣] ن - علم، صح هـ.
[٤] ع م - إذ وعد.
[٥] ع م: ولكن كان.
[٦] ك: بالذي.
[٧] ع م - وهم غير متأهبين للقتال.
[٨] ع م - له.
[٩] ع: لأنهم.
[١٠] ع + جواز تأخر.
[١١] م: و لم يعلموا.

يحتمل[1] قوله: **بعد ما تبيّن** لهم الوعد الذي[2] وعد لهم الله[3] عز وجل بالنصر.

وقوله عز وجل: **كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون**، فإن كانت الآية في المنافقين فهو ظاهر، وهم كذلك وُصِفوا بالكسل في جميع الخيرات والطاعات، كقوله: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً.[4] وإن كان في المؤمنين الذين حققوا الإيمان فهو لما كانوا غير مستعدين للقتال ولا متأهِّبين له، كانوا كارهين لذلك[5] كراهة الطبع لا كراهة الاختيار.

وقال قائلون: قوله: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون**، أي[6] **وإن فريقا من المؤمنين** أجابوا ربهم وإن كانوا كارهين للخروج من شدة الخوف، وإن كانوا من الخوف **كأنما**[7] **يساقون إلى الموت**، فأجاب الله تعالى لهم بالنصر والظفر وآمَنَهم من ذلك الخوف. ***والله أعلم.***

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم**، ذكر في بعض القصة أنّ عِير[8] قريش حين أقبلت من الشام خرج أصحاب رسول الله نحوهم على ما يُخرَج إلى العِير غير مُتأهِّبين[9] للحرب. وخرجت قريش من مكة تُغيث عِيرها، فهي الطائفة الأخرى. وعد لهم أن **إحدى الطائفتين** لهم، إما العِير وإما العسكر أنهم يُنصَرون عليهم. **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**، أي التي ليس فيها حرب، ثم يكون لكم العِير، وهي أهون شوكة وأعظم غنيمة، كانوا يَودّون ذلك. وقوله عز وجل: **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**، لما لم تكونوا مُعدّين للقتال[10] والحرب، وكان بهم ضَعْف، وفي أولئك قوة وعُدّة. ***والله أعلم.***

---

[1] م: ويحتمل.
[2] ن: والذي.
[3] ك ن - الله.
[4] سورة النساء، ١٤٢/٤.
[5] ع م: كذلك.
[6] ع: وأي.
[7] ن: كأنهم.
[8] العِير القافلة (*لسان العرب* لابن منظور، «عير»).
[9] ع م + إنها لكم ذكر في بعض القصة.
[10] ك: القتال.

قال الله تعالى: **ويريد الله أن يُحِقّ الحقّ بكلماته**، يحتمل[1] -والله أعلم- يريد أن يُظهِر الحق بآية[2] منه[3] من غير وجود الأسباب منهم. وهو كما ذكر في قوله: قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ،[4] أخبر أن في غلبة أولئك مع ضعف أبدانهم وقلة عددهم وقصور أسباب الحرب من السلاح والعُدة وغير ذلك، وقوة أبدان أولئك وكثرة عددهم وعدتهم وتأهبهم واستعدادهم لذلك، آيةً عظيمة. فأراد أن يُظهِر الحق بالآية، ليعلم كل منهم أنه إنما كان ذلك بالله لا بهم. وهو ما قال: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَى،[5] أخبر أنه كان بالله ذلك لا بهم. ويحتمل قوله: **بكلماته**، بالوعد الذي وعد رسول الله عليه السلام بالنصر والظفر لهم، فأراد أن يُظهِر / ذلك ويحقِّقه. ويحتمل **بكلماته**، بعلمه وأمره. ويحتمل [٢٨١ظ] **بكلماته**، بحججه،[6] أي يوجب الحق ويُظهِره[7] بحججه وبراهينه. ويحتمل **بكلماته**، البِشارات التي بَشّر بها المؤمنين[8] بالنصر لهم والظفر والعِدَات[9] التي كانت[10] منه[11] [لهم]. ويحتمل **بكلماته**،[12] ملائكته الذين بعثهم مَددا لهم[13] يوم بدر على ما ذكر، فأضافهم إليه تعظيما لهم وإجلالا[14] على ما سمّى عيسى روح الله وكلمته، وموسى كليمَ الله، تعظيما لهم وإجلالا، فعلى ذلك هذا.[15] *والله أعلم*.

ويقطع دابر الكافرين، يحتمل يقطع[16] آثار الكافرين، يُقتَلون جميعا ويستأصلون حتى لا يبقى لهم أثر. ويحتمل يقطع ما أدبرهم حتى لا يأتيهم مَدد.

---

[1] ع: ويحتمل.
[2] م: بأنه.
[3] ع - منه.
[4] سورة آل عمران، ٣/١٣.
[5] سورة الأنفال، ٨/١٧.
[6] ن: حججه.
[7] جميع النسخ: ويظهر.
[8] ن + لهم.
[9] ك ن: والعداة؛ ع م: والعداوة. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٢٣ظ.
[10] ن ع: كان.
[11] جميع النسخ: منهم.
[12] ك ن ع + كلماته.
[13] ك: لهم مددا.
[14] ك + لهم.
[15] م - هذا.
[16] ع م - يقطع.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ليُحِق الحقّ**، أي ليُظهِر الحق ويوجب، يقال: حَقَّ كذا، أي وجب. ويحتمل ليُظهِر حقّ الحقّ، ويُظهِر بطلان الباطل. أو أن يقال: قوله: **ليحق الحق ويبطل الباطل**، ما ذكرنا، يجب الحق ويجيء،[1] ويذهبَ[2] الباطل، كقوله: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ،[3] أي ذهب. فعلى ذلك[4] هذا، يجيء الحق ويجب، ويذهب الباطل، وإن كره المشركون.*

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٩] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٠]

ثم اختلف في قوله: **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي مُمِدُّكم**، الآية. قال[5] بعضهم: هو صلة قوله: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ،[6] قالوا: قوله: **بألف من الملائكة مُرْدِفين**، ألفان، وقوله: بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ، فيكون خمسة آلاف مُسَوِّمِين. ومنهم من يقول: ثلاثة [آلاف] كان في أُحُد، إذ ذكر على أثر قصة أُحُد. فإن كان ما ذكروا فكان قوله:[7] **بألف من الملائكة مُرْدِفين**، إما في إرداف الكفرة، وهو التَتابُع،[8] [أي يتابعون المشركين يوم بدر في حال ما][9] تَابَع أهلُ بدر المشركين وهم منهزمون. أو أن يكون الإرداف الإمداد، فيكون ألفان. وقال بعض أهل التأويل: إن قوله: **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**، هو رسول الله. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم [لمّا] رأى كثرة المشركين ببدر[10] علم أنه لا قوة لهم إلا بالله،

---

[1] ن: وتجيء؛ م – ويجيء.

[2] م: يذهب.

[3] سورة الإسراء، ٨١/١٧.

[4] ن – ذلك.

* وقع هنا مقطع من التفسير متعلق بمجموع هذه الآيات، فأخرناه إلى تفسير الآية التالية؛ انظر: ورقة ٢٨١ظ/سطر ٩-٢٣.

[5] ع م: وقال.

[6] ﴿ولقد نصركم الله بِبَدْرٍ وأنتم أذلّة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقول للمؤمنين أَلَنْ يكفيَكم أن يُمِدَّكم ربّكم بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين. بلى إنْ تصبروا وتتقوا ويأتوكم مِن فَوْرِهم هذا يُمْدِدْكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمِين (سورة آل عمران، ١٢٣/٣-١٢٥).

[7] ع + ما ذكروا فكان قوله.

[8] جميع النسخ: المتتابع.

[9] والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٤و.

[10] ن – ببدر.

فدعا ربه وتضرّع إليه.[1] ولكن ذلك قولهم عندنا -والله أعلم- أعني قول المؤمنين. ألا ترى أنه قال: إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بكذا. ***والله أعلم بذلك***. وليس لنا[2] إلى معرفة ذلك حاجة، سوى أن فيه البِشارة لهم بالنصر والطُمَأْنِينَة لقلوبهم، وإنباء أنّ حقيقة النصر إنما يكون بالله، لا بأحد سواه. وذلك قوله: **وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز**، لا يُذِلّه شيء ولا يُعْجِزه، **حكيم**، في أمره ونهيه، لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شئ إلا وفيه حكمة. وفائدة ما ذكر مِن بَعْث مَدَدِ ألف ملك وثلاثة آلاف وما ذكر،[3] لطمأنينة قلوب أولئك المؤمنين، وإلا مَلَك واحد كافٍ لهم وإن كَثُروا، لأنه يراهم ولا يرونه،[4] وإهلاك مثله سهل.

[٢٨١و س٩] *فإن قيل: في قوله: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ،[5] وقوله: **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**، كيف خافوا كل هذا الخوف حتى وصفهم بشدة الخوف، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ، وقد وعد لهم النصر والظفر بقوله: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ،[6] وكيف[7] استغاثوا ربهم في ذلك وقد سبق منه لهم الوعد بالظفر والنصر؟[8]

قيل:[9] يمكن أن تُصرَف[10] الآية إلى المنافقين، وهو قوله: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ،[11] غير أنه ذكر في بعض القصة أنه لم يكن ببدر منافق،[12] بل كانوا كلهم مؤمنين، حتى افتخر بذلك مَن شَهِد بدرا. وإن كان[13] في المؤمنين فهو ما ذكرنا لقلة عددهم وضعفهم

---

[1] ع م – إليه. وللحديث انظر: صحيح *مسلم*، الجهاد ٥٨؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٨؛ و*تفسير الطبري*، ١٨٩/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨/٤.

[2] ع م – لنا.

[3] ع: وذكر.

[4] ع: ولا يرون.

[5] سورة الأنفال، ٦/٨.

[6] سورة الأنفال، ٧/٨.

[7] م: كيف.

[8] ك: بالنصر والظفر.

[9] جميع النسخ: وقد.

[10] م: يمكن تصرف.

[11] سورة الأنفال، ٦/٨.

[12] ورد معناه في حديث طويل قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «... وما يُدريك لعلّ الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدر فقال: "اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم"» (صحيح *البخاري*، الجهاد ١٤١؛ وصحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ١٦١».

[13] ك: البدر أو إن كان.

وكثرة أولئك وعُدّتهم كانوا كما وصف. *والله أعلم*. لكن الآية تحتمل[١] وجوها. أحدها أمكن أن يكون الوعد لهم بالنصر بُيّن لرسوله ولم يُبَيَّن لهم، فأُلقِي في قلوبهم الرعبُ والخوفُ لما لم يُبَيَّن لهم الوعد بالنصر. أو بُيّن[٢] لهم وبلغهم الوعد بذلك، لكن لم يُبَيَّن لهم الوقت متى يكون ذلك؛ ألا ترى أنهم أُمِروا بالخروج ولا يدرون إلى ماذا يؤمرون. والثالث يجوز[٣] أيضا أنْ بيّن لهم الوعد بالنصر وبلغهم ذلك،[٤] غير أنهم خافوا ذلك وكرهوا خوف طَبْع وكراهة النفس، لا كراهة الاختيار. وجائز[٥] الخوف في مثل هذا وكراهة الطبع، وإن كانوا على يقين بالنصر والظفر وتحقيق ذلك لهم. والرابع يجوز أن يكون الوعد لهم بالنصر والظفر بالتضرّع إليه والاستغاثة منه، على ما يكون في الدعوات،[٦] يكون شقاوة بعض ودخوله النار بمعاصٍ[٧] يرتكبها، وسعادة آخر ودخوله الجنة بخيرات يأتي بها، فيصير من أهلها. والخامس جائز أن يكون ذلك من الله تعالى لهم محنة يمتحنهم بها، كقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[٨] الآية. يحتمل[٩] معنى الآية الوجوه التي ذكرنا.[١٠] *والله أعلم*.* [٢٨١ظ س٢٣]

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **إذ يُغَشِّيكم النعاس أَمَنَةً منه وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به**، ذكر **النعاس** بعد شدة خوفهم، و **النعاس** لا يكون ممن اشتدّ به الخوف، ولا يغشاه إلا بعد الأمن، فذكر[١١] لطفه ومنّته،

---

[١] ن: يحتمل.
[٢] ن ع: أو يبين.
[٣] ع: ويجوز.
[٤] ع + ذلك.
[٥] ن + أن يكون.
[٦] ع: في الدعواة.
[٧] ك: بمعاصي.
[٨] سورة البقرة، ١٥٥/٢.
[٩] ن + أن يكون.
[١٠] ع: ذكر.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية السابقة، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٨١ظ/سطر ٩-٢٣.
[١١] ك: وذكر.

[وهو] الأمن بعد شدة الخوف. ذَكَر عظيم ما منّ عليهم من الأمن، لما ذكر من إلقاء **النعاس** عليهم، و **النعاس** إنما يكون بعد الأمن، بعد ما كان من حالهم ما ذكر حيث قال: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.[1]

وقوله عز وجل: **وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به،** ذكر في بعض[2] القصة [٢٨٢و] / أن المشركين سبقوا فأخذوا الماء، فبقي المسلمون في رَمْل لا يثبت أقدامهم عَطْشَى، فوسوس إليهم الشيطان أنهم لو كانوا على حقٍ ما بُلُوا بمثل ذلك في رَمْل لا تثبت أقدامهم عَطْشَى، فأبدل الله تعالى لهم[3] مكان الخوف أَمْنًا يأمَنون به، وأنزل عليهم **من السماء ماء** ليطهّرهم به، ويشربون ويَشُدّ[4] به الرَّمْل، وتثبت[5] أقدامهم، فذلك قوله: **إذ يُغَشِّيكم النعاسَ أَمَنَةً منه وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به ويُذهِب عنكم رِجز الشيطان وليَربِط على قلوبكم ويثبّت به الأقدام.** قال أهل التأويل: **[رجز الشيطان]** وسوسة الشيطان التي وسوس إليهم. وقيل: الرجز الإثم، ذَهَب ذلك عنهم، كقوله: فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا.[6] وقوله عز وجل: **وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به،** ذكر هذا –والله أعلم– على المبالغة في المنة،[7] أنه[8] أخبر أنه أنزل **من السماء** ما فَضَل[9] عن حوائجهم حتى وجدوا ما يطهّر[10] أنفسهم وأبدانهم. وذَهَب عنهم[11] **رجز الشيطان،** ذكر السبب الذي به يذهب الرجز، لأن الرجز[12] هو العذاب، فذكر الرجز والمراد منه[13] سبب الرجز.

---

[1] سورة الأنفال، ٨/٦.
[2] ن – بعض.
[3] ع م – لهم.
[4] جميع النسخ: ويشدد.
[5] ن ع م: فثبت.
[6] ﴿قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرّما على طاعم يَطْعَمُه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فِسْقًا أُهِلَّ لغير الله به﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤٥).
[7] ع – في المنة.
[8] م – في المنة أنه.
[9] ن: ماء فضل.
[10] ك ن: وجدوا لتطهير؛ ع: وجدوا ليطهر.
[11] ك: عنه.
[12] ع – لأن الرجز.
[13] ك ن ع: منهم.

*وقوله: **ويذهب عنكم رجز الشيطان**، قيل: وسوسة الشيطان. وهو ما ذكر في بعض [٢٨٢و س١٣ القصة أن المسلمين أصابهم ضَعْف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم القُنُوط[١] و[هو] يوسوسهم ويقول لهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تُصلّون مُجْنِبين،[٢] فأمطر الله عليهم مطرا شديدا، فشرب المسلمون وتطهروا وذهب[٣] عنهم **رجز الشيطان**، ونَشِف الرَّمْل حين أصابه المطر، [و]مشى الناس عليه والدوابّ، فساروا إلى القوم، وأمدّ الله عز وجل نبيّه والمؤمنين بألف من الملائكة، فذلك قوله: بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ.[٤]* ٢٨٢و س١٨]

وقوله عز وجل: **وليَرْبِط على قلوبكم ويُثَبِّت به الأقدام**، يحتمل حقيقة تثبيت **الأقدام**. ويحتمل الثبات على[٥] ما هم عليه. والربط هو الشدّ لشيء. فيحتمل قوله: **وليَربِط على قلوبكم**، أي شدّها حتى لا يزول[٦] أحد عما هو[٧] فيه ولا يزيغ عن ذلك، وإن ابتلاه الله تعالى بأنواع الشدائد والبلايا. ذكر في التوحيد والإيمان الربط والتثبيت،[٨] بقوله:[٩] كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ،[١٠] وقوله: **وليَرْبِط على قلوبكم**، وقوله: وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.[١١] وذكر في الشرك والكفر الطبع والختم والقُفْل،[١٢] ونحوه. فهو -والله أعلم- عقوبة لهم لما اختاروا[١٣] ذلك.[١٤]

---

[١] ك ن ع: القنط.
[٢] ع: بجنبين. أي تصلون في حال الجنابة غير طاهرين.
[٣] م: وأذهب.
[٤] سورة الأنفال، ٩/٨.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٨٢و/سطر ١٣-١٨.
[٥] ع + هؤلاء.
[٦] ع م: لا يزال.
[٧] ن - هو.
[٨] ع: والتثبت.
[٩] ك: فقوله.
[١٠] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.
[١١] سورة الكهف، ١٤/١٨.
[١٢] ع: والفعل. ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ١٠١/٧)؛ ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ (سورة البقرة، ٧/٢)؛ ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد، ٢٤/٤٧).
[١٣] ع: ما اختاروا.
[١٤] ك: لذلك.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[١٢]

ثم قال: **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الذين آمنوا**، الوحي كأنه[١] يسمّى وحيًا لسرعة قَذْفه في القلوب ووقوعه[٢] فيها. ولذلك سمّى -والله أعلم- وساوس الشيطان وحيا بقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ،[٣] أي يقذفون في قلوبهم ويَدْعون إلى أشياء من غير أنْ عَلِموا بذلك أنه ممن جاء ذلك. وما سبب ذلك [إلا] لسرعة قَذْفه ووقوعه في القلوب. وكذلك سمّى الإلهام وحيًا لسرعة وقوعه في القلب.[٤] قال الله[٥] تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ،[٦] قيل:[٧] هو الإلهام، أي ألهم النحل لتتخذ[٨] من الجبال بيوتا. وقال عز وعلا: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ،[٩] أخبر أنْ ليس له أن يُكلّمه إلا وحيا، وهو ما ألهمه. سمّي وحيا لسرعة وقوعه في القلب وقذفه فيه[١٠] على غير علم منهم أنه من[١١] أين كان وممّ كان. وفيه دلالة أنّ غيره هو الذي أَخْطَر ذلك في القلوب وقذفه[١٢] فيها، لا أنه يَحدُث ذلك بنفسه[١٣] على غير إخطار أحد ولا قذفه. فإن كان ما قذف فيه خيرا فهو من المَلَك، وإن كان شرا فهو من قذف الشيطان ووسوسته. ففيه دليل ثبوت المَلَك والشيطان. ***والله أعلم***.

وقوله: **أنيّ معكم**، قيل: **أنيّ معكم** في النصر والمعونة ودفع العدو عنكم. أو يقول: **أنيّ معكم** في التوفيق. ويحتمل أن يكون قوله: **إذ يوحي ربك إلى الملائكة**، أي أخبر[١٤] المؤمنين **أني معكم**، لما ذكرنا من النصر والمعونة والدفع.

[١] ك: وكأنه؛ ع م: كان.
[٢] ع: وقوعه.
[٣] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٤] م: في القلوب.
[٥] ك م – الله.
[٦] سورة النحل، ٦٨/١٦.
[٧] جميع النسخ: وقيل.
[٨] ع: تتخذ.
[٩] سورة الشورى، ٥١/٤٢.
[١٠] م – فيه.
[١١] ع + كان.
[١٢] جميع النسخ: وقذف.
[١٣] ن ع: سفه.
[١٤] ك ن ع: أي أخبروا.

وقوله عز وجل: **فثبتوا الذين آمنوا**، أمر ملائكته أن يثبّتوا الذين آمنوا بالنصر لهم والأمن بعد ما كانوا خائفين فَشِلين[١] جَبِينين[٢] لما أجابوا ربهم مع ضعف أبدانهم وقلة عددهم. فأبدلهم الله مكان الخوف لهم أَمْنا، ومكان الضَّعْف القوة والنصر، ومكان الذُّلّ العِزّ، وأبدل[٣] المشركين مكان الأمن لهم خوفا، ومكان العِزّ الذُّلّ، ومكان الكثرة الضَّعْف والفَشَل. فذلك[٤] –والله أعلم– قوله: **سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**. وقوله: **فثبتوا الذين آمنوا**، جائز أن يكون نفسُ نزول الملائكة تثبيتَهم، لأنهم[٥] سبب تثبيتهم.[٦] أو يثبّتهم[٧] من غير أنْ عَلِم[٨] المؤمنون بهم.

وقوله: **فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بَنَان**، قال قائلون: قوله: **فاضربوا فوق الأعناق**،[٩] إذا ظفروا بهم ووقعوا في أيديهم، فعند ذلك يضرب **فوق الأعناق**، وهو المَفْصِل الذي يَبِين[١٠] الرأس [منه] بالضرب، لما نهي عن المُثْلة،[١١] وفي الضرب في غير ذلك مُثْلَة. ويحتمل قوله: **فاضربوا فوق الأعناق**، أي اضربوا الأعناق وما فوق الأعناق. **واضربوا منهم كل بَنَان**، معناه –والله أعلم– أي اضربوا على ما تهيّأ لكم من الأطراف وغيرها. وأما قوله: **واضربوا منهم كل بَنَان**، في الحرب، لأنه لا سبيل في الحرب إلى أن يضرب ضربا لا يكون مُثْلة، فكأنه قال: **فاضربوا فوق الأعناق**، إذا قدرتم عليهم ووقعوا[١٢] في أيديكم، **واضربوا منهم** / **كل بنان**، بحيث[١٣] ما تقدرون. ***والله أعلم***. [٢٨٢ظ]

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٣]

وقوله: **ذلك**، يعني –والله أعلم– **ذلك** الضرب والقتل، **بأنهم شاقوا الله**، أي حاربوا **الله ورسوله**، والمُشَاقَّة الخلاف، خالفوا الله ورسوله. **ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب**، له[١٤] في الآخرة.

---

[١] الفَشِل: الرجل الضعيف الجبان (*لسان العرب* لابن منظور، «فشل»).
[٢] جميع النسخ: جبنين. وجَبِين بمعنى جبان (*لسان العرب* لابن منظور، «جبن»).
[٣] م: وإبدال.
[٤] ن – فذلك.
[٥] ن: لأنه.
[٦] ك: تثبتهم؛ م – لأنهم سبب تثبيتهم.
[٧] ع: أو تثبيتهم.
[٨] ن: أن علموا؛ ع: غير علم.
[٩] ع + أي اضربوا الأعناق.
[١٠] ك ن ع: بيان.
[١١] انظر: صحيح *البخاري*، المظالم ٣٠؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٣.
[١٢] ع: وقعوا.
[١٣] م: كيف.
[١٤] ن م – له.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾[١٤]

وقوله: **ذلكم**، أي **ذلكم**[1] العقاب والعذاب، **فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار**، بالخلاف لله ورسوله والمحاربة معهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾[١٥] ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٦]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا إذا لَقِيتم الذين كفروا زَحْفًا فلا تُوَلُّوهم الأدبار**، كأنّ أولَ الأمرِ بالقتال وفرضِه كان لبذل الأنفس للهلاك،[2] لأنه ذكر الزَّحْف، والزَّحْف هو الجماعة والعَدد[3] الذي لا يُعَدّ،[4] وليس للواحد[5] القيام[6] للجماعة، فكان فرض القتال لبذل الأنفس للقتل. وعلى ذلك يخرج قوله: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ،[7] وليس[8] في وسع الواحد القيام لعشرة إذا أحيط به. ويجوز أن يُفرَض بذل الأنفس للقتال، كقوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ،[9] أخبر أنه لو أمر بذلك لم يفعل إلا القليل منهم، فجائز الأمر بذلك امتحانا منه لهم. فإن احتمل ما ذكرنا كان قوله: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ،[10] هو على التحقيق، إذ إلى ذلك يُساقُون. ويحتمل وجها آخر، وهو أن الله عز وجل أمر بذلك ليكون آيةً ويَعرفَ كلُّ أحدٍ أنه إنما قام بالله، لا بقوة نفسه، إذ ليس في وُسْعِ أحدٍ القيامُ لعشرةٍ أو لجماعةٍ بقوّته إذا أحيط[11] به، فهو على الآية[12] إن كان فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[1] ك + أي.
[2] ن – للهلاك، + للقتل وعلى ذلك يخرج قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين.
[3] م: والعدو.
[4] ن: لا يحد؛ ع م: لا يجد.
[5] م + للواحد.
[6] ك: للقيام.
[7] سورة الأنفال، ٨/٦٥.
[8] ن – وليس.
[9] سورة النساء، ٤/٦٦.
[10] سورة الأنفال، ٨/٦.
[11] ك: إذ أحيط.
[12] أي على وجه المعجزة.

وقوله:[1] **فلا تُوَلُّوهم الأَدْبَار ومن يُوَلِّهم يومئذ دُبُرَه إلا مُتَحَرِّفًا لِقتالٍ أو مُتَحَيِّزًا إلى فئة،** والمُتَحَرِّف للقتال هو المتنقِّل من مكان إلى مكان للحرب، والمتحيِّز إلى فئة هو الملتجئ إلى فئة على جهة العَوْد إليهم والحرب. يُقال: تحوَّزت وتحيَّزت بالواو والياء[2] جميعا، [إذا توجّه][3] نحو الحرب. وفيه النهي عن الانهزام والتولّي عن العدو إلا ما ذكر من التحرُّف للقتال أو التحيُّز إلى الفئة على جهة العَوْد إليهم. ثم أخبر أن من ولَّى دُبُرَه بسوى ما ذكر، **فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.**

قالت المعتزلة: دل ما أوعد المتحرّف بغير قتال والمتحيّز إلى غير الفئة بقوله: **فقد باء بغضب من الله،** أن مرتكب الكبيرة يخلد في النار، لأنه ذكر في أول الآية المؤمنين، ولهم خرج الخطاب بقوله: **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا،** ثم أوعد لهم الوعيد الشديد ما يوعد أهل النار غير أهل الإيمان. دلّ أنه يخرج عن الإيمان بارتكاب الكبيرة ويخلد في النار. وقالوا: لا يجوز صرف الآية إلى أهل النفاق، لما ذكر في القصة أنه لم يكن يوم بدر منافق.

لكن هذا غلط، قال الله تعالى: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ،[4] وإنما قالوا ذلك يوم بدر، كذلك ذكر. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إلا متحرّفا لقتال أو متحيّزا إلى فئة،** فإن كان مستثنى من قوله: **فقد باء بغضب من الله،** لم يكن فيه رخصة التولّي، ولكن فيه دفع الوعيد الذي ذكر. وإن كان مستثنى من قوله: **ومن يولهم يومئذ دبره،** ففيه رخصة التولّي إلى ما ذكر. ثم الدلالة على أنه مستثنى من هذا دون الأول ما جاء عن غير واحد من الصحابة تَوْلِيَة الدبر إلى ما ذكر، وكذلك ما روي[5] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنا فئة لكل مسلم».[6] وبَعد، فإنه لم يكن لأهل الإسلام فئة يوم بدر يتحيّزون إليها، فدل أنها في المنافقين وأهل[7] الكفر. ***والله أعلم.***

---

[1] ك: ثم قوله.

[2] ك ن ع: بالياء والواو.

[3] جميع النسخ + وهما. والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٥و.

[4] سورة الأنفال، ٨/٤٩.

[5] ك: وكذلك روي.

[6] عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سَرِيَّة، فحاص الناس حَيْصَة، فقَدِمْنا المدينة، فاختَبَيْنا بها، وقلنا: هَلَكْنا، ثم أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: يا رسول الله، نحن الفَرَّارُون، قال: «بل أنتم العَكَّارُون، وأنا فِئَتُكم» (*سنن أبي داود*، الجهاد ٩٦؛ و*سنن الترمذي*، الجهاد ٣٧). وفي رواية: «وأنا فئة كل مسلم» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/١١٠). قال الترمذي: «هذا حديث حسن... ومعنى قوله: فحاص الناس حَيْصَة، يعني أنهم فَرُّوا من القتال، ومعنى قوله: "بل أنتم العَكَّارُون"، والعَكَّار الذي يفِرّ إلى إمامه لينصره، ليس يريد الفرار من الزحف» (المصدر السابق).

[7] ن: أهل.

ثم يُقال: يجوز أن يكون ما ذكر من الوعيد لمعنىً في التولية عن الدبر والإعراض، لا لنفس التولية عن الدبر، إذ قد ذكر التولية عن الدبر في آية أخرى والعفو عن ذلك، وهو قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا،[1] الآية.[2] فإن قيل: لعل التوبة مضمرة فيه، تابوا فعفا عنهم، قيل: إن جاز أن يجعل التوبة مضمرة فيها جاز أن يضمر في التولية عن الدبر الردّةُ، فليس تلك أولى بإضمار التوبة من هذه بإضمار الردة. وفي الآية مَعانٍ تدلّ على الإضمارِ، إضمارِ[3] ما يوجب الوعيد الذي ذكر. *والله أعلم*. أحدها ذكر[4] التحيُّز إلى فئة، وإذا لم يكن للمسلم فئة يتحيّز إليها فإذا تحيّز إنما يتحيّز ليصير إلى العدو، فهو الردة التي ذكرنا. والثاني ما ذكر في بعض القصة أنه لما اصطفّ القوم[5] رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: «يا رب، إنْ تَهْلِكْ هذه العصابةُ[6] فلن تُعبَدَ في الأرض أبدا».[7] ومن هرب أو ولّى الدبر عن مثل تلك الحال لم يولِّ إلا لِقَصْد أن لا يعبد، فهو كُفْر. والثالث قد وعد لهم النصر والظفر على العدو، فمن ولّى عن الدبر لم يولِّ إلا لتكذيبٍ بالوعد الذي وعد لهم.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فلم تقتلوهم ولكنَّ اللهَ قتلهم وما رميتَ إذْ رميتَ ولكنَّ اللهَ رمى**، قيل فيه بوجوه. يحتمل قوله: **فلم تقتلوهم**، أي لم تكن جِراحاتكم التي أصابتهم مصيبةً[8] المَقْتَلَ، ولا عاملةً في استخراج الروح، ولا كانت قاتلةً، ولكن الله تعالى صيَّرها قاتلةً[9] مصيبةً المَقْتَلَ[10] عاملةً في استخراج الروح،

---

[1] ﴿إن الذين تولَّوا منكم يوم التقَى الجمعان إنما استزلَّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عَفَا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٥).

[2] ن– الآية.

[3] بدل من "الإضمار".

[4] ن: ما ذكر.

[5] ن – القوم.

[6] رويت أيضا على وجه آخر: "إن تُهلِكْ هذه العصابةَ".

[7] روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ انظر: صحيح *مسلم*، الجهاد ٥٨؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٨.

[8] ع: مصيبته؛ م: بمصيبة.

[9] ن + المقتل.

[10] م: القتل.

لأن[١] من الجراحات ما إذا[٢] أصابت لم تصب المَقْتَل، ولا عملت في استخراج / الروح. وقوله: [٢٨٣و] **فلم تقتلوهم**، الآية، تخرج[٣] على وجوه. أحدها أن العبد لا صُنع له في القتل واستخراج الروح منه، إنما ذلك فِعل الله، وإليه ذلك، وهو المالك لذلك، لأن الضربة والجَرح قد يكون ولا موت هنالك. وكذلك الرمي،[٤] ليس كل من أرسل شيئا من يده هو[٥] رَمَى، إنما يصير رَمْيًا بالله، [لأنه هو الذي][٦] أنشأ السهم حتى يَصِل[٧] بطبعه المَبْلَغَ الذي بَلَغ، فكأنه لا صنع له في الرمي؛ ألا ترى أنه لا يملك[٨] ردّ السهم[٩] إذا أرسله، ولو كان فعله لَمَلَكَ[١٠] ردّه. ولهذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه: إن الاستئجار على القتل باطل.[١١] والثاني[١٢] قتلوا بمعونة الله ونصره، كما يقول الرجل لآخر: إنك لم تقتله، وإنما قتله فلان، أي بمعونة فلان[١٣] قَتَلْتَه،[١٤] فعلى ذلك الأول. وقوله:[١٥] **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**، أي ما أصاب رميُك المقصدَ الذي قصدت، ولكن الله بالغٌ[١٦] ذلك المقصدَ الذي قَصدتم. والثالث[١٧] **فلم تقتلوهم**، أي لم تطمعوا بخروجكم إليهم قتلهم، لأنهم كانوا بالمحلّ الذي وصفهم من الضَّعْف وشدة الخوف والذلّة،

---

[١] ع – لأن.

[٢] ك: من إذا.

[٣] ك: يخرج.

[٤] ن: المرمى.

[٥] م: وهو.

[٦] من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٢٥و؛ حيث قال الشارح: «لأنه هو الذي أنشأ فِعْلَ المُضِيِّ في السهم وفِعْلَ الإصابةِ والانجراحِ».

[٧] ع: حتى يصلي.

[٨] ن – لا يملك.

[٩] ع + حتى يصلي بطبعه المبلغ الذي بلغ فكأنه لا صنع له في الرمي ألا ترى أنه لا يملك رد السهم.

[١٠] ع: الملك.

[١١] «ولو قال الأمير لمسلم حر أو عبد: إن قتلت ذلك الفارس من المشركين فلك عليّ أجر مائة دينار، فقَتَلَه، لم يكن له أجر؛ لأنه لما صرّح بالأجر لا يمكن حَمْلُ كلامِه على التَّنفِيل، والاستئجارُ على الجهاد لا يجوز... وأصلُ جوازِ الاستئجار على القتل عنده [أي الإمام محمد] لا عندهما [أي الإمامين أبي حنيفة وأبي يوسف] لأنه إزهاق الروح، وليس مِن عملِه» (*رد المحتار على الدر المختار* لابن عابدين، ٤/١٥٤–١٥٥).

[١٢] ع: والثالث.

[١٣] ع – أي بمعونة فلان.

[١٤] ك ن ع: قتله.

[١٥] ن: قوله.

[١٦] ن + ولكن الله بالغ.

[١٧] جميع النسخ: والثاني؛ ك هـ: لعله الثالث.

كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ،[1] فإذا كانوا بالمحلّ الذي ذكر فيقول -والله أعلم- لم تطمعوا[2] بخروجكم[3] إليهم وقصدِكم[4] إياهم قتلَهم لما كان فيكم من الضَّعْف وقوةِ أولئك، ولكن الله أذلّهم وألقى في قلوبهم الرعب والخوف[5] حتى قتلتموهم. وكذلك قوله: **وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى،** لا يطمع الإنسان برمي كفٍّ مِن ترابٍ النكبةَ بأعدائه، **ولكن الله رمى،** حيث بلَّغ ذلك وغطَّى أبصارَهم وأعينَهم بذلك الكفِّ من التراب على ما ذكر في القصة أنه[6] رمى كفًّا من تراب، فغَشِيَ أبصارَ[7] المشركين، فانهزموا لذلك.[8] ويحتمل أن يكون نسبةُ هذه الأفعال إلى نفسه وإضافتُها إليه لما نَسب وأضاف كلَّ خير ومعروف إلى نفسه. من ذلك قوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا،[9] الآية، وقولُه: وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[10] وقولُه: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ،[11] الآية، وغير ذلك من الآيات التي فيها إضافة الأفعال التي خَلُصَت لله وصَفَت[12] له،[13] فعلى ذلك نَسب[14] فعلهم إلى نفسه لخُلُوصه وصَفائه له. *والله أعلم*.

وقوله: **وليُبلي المؤمنينَ منه بلاءً حَسَنًا،** أي نعمة عظيمة، حيث[15] نصرهم على عدوهم مع ضَعْف أبدانهم وقلّة عددهم وكثرة أعدائهم وقوة أبدانهم وعُدّتهم، وهو ما ذكر في هلاك فرعون وقومه أنه بلاء من ربكم عظيم، بقوله: وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ،[16] فعلى ذلك[17] هذا. *والله أعلم*.

---

[1] سورة الأنفال، ٦/٨.
[2] ن ع م: لم يطمعوا.
[3] م: بخرجكم.
[4] ن: ولا قصدكم.
[5] ن - والخوف.
[6] أي النبي عليه السلام.
[7] ع: أبصارهم.
[8] *تفسير الطبري*، ٢٠٥/٩.
[9] ﴿يمنُّون عليك أن أسلَموا قُل لا تَمُنُّوا عليَّ إسلامَكم بل الله يَمُنُّ عليكم أنْ هَدَاكُم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (سورة الحجرات، ١٧/٤٩).
[10] سورة البقرة، ٢٧٢/٢.
[11] سورة الفاتحة، ٦/١.
[12] من الصَّفَاء.
[13] ع م - له.
[14] ن: وصف.
[15] ن - حيث.
[16] سورة البقرة، ٤٩/٢.
[17] ن - ذلك.

وقوله عز وجل: **إن الله سميع**، أي سميع لدعائكم الذي دعوتم وتضرُّعِكم الذي تضرّعتم إليه. أو أن يقول:[1] **سميع**، أي مجيب لدعائكم، **عليم** بأقوالكم وأفعالكم التي[2] تُسِرّون وتُعلِنون. *والله أعلم*.

﴿ذٰلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[١٨]

وقوله: **ذلكم وأنّ الله مُوهِنُ كيدِ الكافرين**، قوله: **ذلكم**، أي ذلك الذي[3] كان بهم من القتل والأسر والهزيمة لِما أَوْهَن وأَضْعَف كيدَهم تعالى. ويحتمل أن يكون صلة قوله: وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا،[4] أي ذلك الإنعام والإبلاء الذي مَنَّ الله إليكم لما أوهن كيدهم، وذلك يكون في جملة المؤمنين، ما من مؤمن إلا وله من الله إليه إبلاءٌ[5] وإنعامٌ[6] في كل حالٍ لإيهانه كيدَ الكافرين.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٩]

وقوله: **إن تَستفتِحوا فقد جاءكم الفتح**، الاستفتاح يحتمل وجوها ثلاثة. يحتمل الاستكشاف وطلب البيان. ويكون طلب النصر والمعونة، كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا،[7] أي يستنصرون. ويكون طلب الحكم والقضاء بين الحق والباطل، يقال: فتح بكذا، أي حكم به وقضى. فهو يخرج على وجهين. على طلب بيان المُحِق من المُبْطِل[8] وطلبِ بيانِ أحقِ الدينين بالنصر والحكم. فقد بين الله لهم أَحَقَّ الدينين [على] ما ذكر في القصة أن أبا جهل قال: اللهم اقض بيننا وبين محمد، فقال: اللهم أيّنا كان أَوْصَل للرحم[9] وأَرْضَى عندك[10] فانصره؛ ففعل الله ذلك ونصر المؤمنين وهزم المشركين، فنزلت هذه الآية.

---

[1] ن: أو أن يكون.
[2] ع م – التي.
[3] ع م – الذي.
[4] الآية السابقة.
[5] ك: بلاء.
[6] ن – وإنعام.
[7] ﴿ولَمّا جاءهم كتابٌ مِن عندِ الله مُصَدِّقٌ لِمَا معهم وكانوا مِن قبلُ يَستفتحون على الذين كفروا فلَمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنةُ اللهِ على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٨٩/٢).
[8] ع: والمبطل.
[9] ع م: الرحم.
[10] جميع النسخ: عنك.

وقيل: إنه دعا: اللهم انصر أَعَزَّ الجُندين وأَكْرَمَ الفئتين وخيرَ القبيلتين، فكان ما ذكرنا.[1] **فقد** بيّن الله عز وجل أحقّ الدينين وأعزّ الجندين لما هزم المشركين مع قوتهم وعُدّتهم وكثرة عددهم بفئة ضعيفة ذليلة قليلة العدد وضعيفة الأبدان والأسباب، دلّ أنه قد بيّن لهم الأحق من غيره. وقيل: إنهم استفتحوا بالعذاب، وكان استفتاحهم ما قالوا: اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[2] فجاءهم العذاب يوم بدر،[3] وأخبرهم [عن] يوم أحد: **وإن تعودوا نَعُدْ ولن تُغنيَ عنكم فئتُكم شيئا**، الآية. والاستفتاح هو ما ذكرنا. قال الحسن: الفتح القضاء. وكذلك[4] قال قتادة. قالوا: إن تستقضوا فقد[5] جاءكم القضاء في يوم بدر،[6] كقوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ،[7] الآية. وقال القُتَبي: قوله: **إن تستفتحوا**، تسألوا[8] الفتح وهو النصر،[9] **فقد جاءكم**، وهو ما ذكرنا.

وقوله: **وإن تنتهوا فهو خير لكم**، يحتمل قوله: **وإن تنتهوا**، عما كنتم [فيه]، **فهو خير لكم**، يغفر لكم، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[10] وقيل: **وإن تنتهوا**، عن قتال محمد، **فهو خير لكم**، من أن ينتهي محمد عن قتالكم.

وقوله: **وإن تعودوا نَعُدْ**، يحتمل **وإن تعودوا**، إلى قتال محمد، **نَعُدْ**، إليكم من القتل والقتال والأسر والقهر. ويحتمل **وإن تعودوا**، بعد البيان[11] والكشف إلى ما كنتم من قبل[12] / [٢٨٣ظ] البيان من التكذيب والكفر لمحمد، **نَعُدْ**، إلى الانتقام والتعذيب، كقوله: وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ.

وقوله تعالى: **ولن تُغْنِيَ عنكم فئتُكم شيئا ولو كَثُرَتْ وأنَ الله مع المؤمنين**، بالنصر والمعونة.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٩/٢٠٧-٢٠٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٢.
[2] سورة الأنفال، ٨/٣٢.
[3] م: البدر.
[4] ك ن م: ولذلك.
[5] ع: وفقد.
[6] لم أجده عن الحسن وقتادة، لكن روي ذلك عن ابن عباس والضحاك وعكرمة؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٢٠٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٢.
[7] سورة الأعراف، ٧/٨٩.
[8] ن ع م: فسألوا.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٨.
[10] ﴿قُل لِلَّذين كفروا إن يَنتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف وإن يَعودوا فقد مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٨).
[11] جميع النسخ: نعد إلى البيان. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٢٥ظ.
[12] ك: كنتم قبل.

فإن قيل: ذكر أنه **لن تغني عنكم فئتكم**[1] وكَثْرَتُكم[2] وقد أغناهم كَثْرَتُهم وفئتُهم يوم أُحُد حيث ذكر[3] أن الهزيمة كانت على المؤمنين.

قيل: هذا لوجهين. أحدهما أنَّ عاقبةَ الأمر كانت للمؤمنين، وإن كان في الابتداء كان عليهم، فلن يغني عنهم ذلك على ما ذكر، لأنه لو أغناهم ذلك لكان لهم الابتداء والعاقبة. والثاني أنه لم تكن[4] النَّكْبَةُ والهزيمةُ على المؤمنين إلا لعصيانٍ كان[5] منهم، كقوله: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ،[6] الآية، فما أصاب المؤمنين من النَّكَبَات إنما كان بسببٍ كان منهم، لا بالعدو، لذلك كان الجواب ما ذكر.[7] *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله**، أي **أطيعوا الله** في أمره ونهيه، **ورسولَه** في بيانه وفيما دعا إليه. وقيل: **أطيعوا الله** في فرائضه، **ورسوله**[8] في سننه وآدابه. **ولا تَوَلَّوْا عنه وأنتم تسمعون**، آياته وحُجَجَه.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٢١]

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، أي لا تكونوا[9] في الإيمان والتوحيد والآيات **كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون**، ولا يجيبون ولا يؤمنون.[10] ويحتمل أن يكون قوله:[11] **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا**،[12] الآيات والحجج، **وهم لا يسمعون**، أي لا ينتفعون بسماعهم،

---

[1] ع + شيئا.
[2] ك: وكثرتم.
[3] ن – أنه لن تغني عنكم فئتكم وكثرتهم وقد أغناهم كثرتهم وفئتهم يوم أحد حيث ذكر.
[4] م: لم يكن.
[5] ن ع م – كان.
[6] ﴿ولقد صَدَقَكم الله وعده إذ تَحُسُّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ (سورة آل عمران، ١٥٢/٣).
[7] ع: ما ذكروا.
[8] ن + أي أطيعوا الله في أمره ونهيه ورسوله في بيانه وفيما دعا إليه وقيل أطيعوا الله في فرائضه ورسوله.
[9] ع م: أي لا يكونوا.
[10] ع: كالذين قالوا سمعنا ذلك وهم لا يسمعون أي لا يجيبون ولا يسمعون ولا يؤمنون؛ م: كالذين قالوا سمعنا بذلك وهم لا يسمعون أي لا يجيبون ولا يسمعون ولا يؤمنون.
[11] ع م – قوله.
[12] ك – وهم لا يسمعون ولا يجيبون ولا يؤمنون ويحتمل أن يكون قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا.

أو لا يعقلون، كالدوابّ وغيرها. قال أبو بكر الأصمّ: قوله: **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا**[١] **وهم لا يسمعون**، استثقالا وبُغْضا، أي لا يستمعون إليه، لأنّ مَن استثقل شيئا وأبغض لم يستمع إليه، كقوله: لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ.[٢]

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **إنّ شرّ الدوابِ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون**، تأويله -والله أعلم- أن الذين[٣] هم[٤] من **شر الدواب عند الله** هم **الصُّمُّ** الذين[٥] لا ينتفعون بسمعهم، **والبُكْمُ الذين** لا ينتفعون بألسنتهم ونطقهم،[٦] لأنهم لم ينتفعوا بسمعهم لِما جعل لهم[٧] السمع، ولم ينتفعوا بنطقهم لِما جعل لهم[٨] النطق، ولم ينتفعوا بعقلهم لِما جعل لهم[٩] العقل. فهم **شرّ الدوابّ**، كقوله: أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ.[١٠] كانوا أضلّ[١١] وأشرّ، لأن الدوابّ والأنعام انتفعت بهذه الحواسّ لِما جُعلت لها هذه الحواسّ، عَرفت بهذه الحواسّ المَهالِكَ والمَضارّ، فتَوَقَّتْ عنها وعَرفت المَلَاذَّ والمنافعَ بها فتَرغب فيها وتَقَع. فانتفعت الدوابّ بالحواسّ التي جُعلت[١٢] لها لِما جُعلت، ولم يُجعَل لها هذه الحواسُّ إلا للمقدار الذي عَرفت وفَهمت وانتفعت بها.[١٣] وهؤلاء الكَفَرة لم ينتفعوا بالحواسّ التي جُعلت لهم لِما جُعلت، وإنما جُعلت[١٤] لهم ذلك ليعرفوا المنافع لهم والملاذّ في العاقبة فيعملوا لذلك، ويعرفوا الضارّ لهم في العاقبة والمُهلِكَ فيَتوقَّوْا عنه،

---

[١] ع - الآيات والحجج وهم لا يسمعون أي لا ينتفعون بسماعهم أو لا يعقلون كالدواب وغيرها قال أبو بكر الأصم قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا.
[٢] ﴿وقال الذين كفروا لا تَسمعوا لهذا القرآن والْغَوْا فيه لعلكم تَغلِبون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٦).
[٣] ك ع م: ان الذي.
[٤] جميع النسخ: هو.
[٥] ك ن: الذي؛ ع م: البكم.
[٦] جميع النسخ: لا ينتفع بسمعه والبكم الذي لا ينتفع بلسانه ونطقه.
[٧] ع م: له.
[٨] م: له.
[٩] م: له.
[١٠] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[١١] ع م - كانوا أضل.
[١٢] ع م: التي جعل.
[١٣] ع م - بها.
[١٤] ع - وإنما جعلت.

فلم ينتفعوا بحواسّهم لِما جُعلت الحواسُّ، فالدوابُّ انتفعت بها، لذلك كانوا أَضَلَّ وأَشَرَّ منها.[١]

[ويحتمل][٢] **إنّ شرّ الدوابِّ** [هم] الذين اكتسبوا الصَّمَمَ الدائم والعَمَى الدائم، وذلك في الآخرة، كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[٣] وقوله: اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ،[٤] أي تَركوا اكتساب البصر الدائم والسمع الدائم والحياة الدائمة. والثاني[٥] سَمّاهم صُمًّا وبُكْمًا وعُمْيًا[٦] لِما لم يكتسبوا بصر القلب ونُطق القلب وسمع القلب، فهذه هي الحواسّ[٧] التي تكون بالاكتساب، ولم يكتسبوها، إنما لهم الحواسّ الظاهرة. أو يقول:[٨] **إنّ شرّ الدوابّ،** [هم] الذين[٩] لم ينتفعوا بالذي ذكر من الحواسّ وتركوا استعمالها. ***والله أعلم.***

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ولو عَلِمَ الله فيهم خيرًا لأَسْمَعَهم،** قيل: نزلت الآية في المَرَدَة من الكفرة. وقال ابن عباس: هم نفر من بني[١٠] [عبد] الدار،[١١] كانوا يسألون رسول الله آيةً بعد آية، وقد أعطاهم آياتٍ[١٢] قَبْل ذلك لم يقبلوها، فقال: **لو علم الله فيهم خيرا،** أنهم يقبلون جواب المسائل التي سألوا لأَوْحَى إليهم ولأَسْمَعَهم، ولكن عَلِم أنه وإن أسمعهم جواب مسائلهم لا يقبلون. وقالت المعتزلة: دلت[١٣] الآية أنه قد كان أعطاهم[١٤] جميع ما كان عنده، لكنهم لم يقبلوا، لأنه قال: **لو علم... فيهم خيرا لأسمعهم،** فدلّ أنه لم يكن عنده ما يعطي، وإلا لو كان[١٥] عنده ما يقبلون لأسمعهم.

---

[١] م – منها.
[٢] جميع النسخ + وقوله عز وجل. والتصحيح مع الزيادة من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٢٦و.
[٣] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[٤] سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣.
[٥] ع م: والباقي.
[٦] م: بكما وعميا وصما.
[٧] ك ن: فهي هذه الحواس هي.
[٨] ك – أو يقول.
[٩] جميع النسخ: التي.
[١٠] ن – بني.
[١١] *تفسير الطبري*، ٢١٢/٩. وبنو عبد الدار من قبائل قريش المشهورة. فهم بطن من قصي بن كلاب من القبائل العدنانية. وكانوا يسكنون في شعب مكة. انظر: معجم *قبائل العرب* لعمر رضا كحالة، ٧٢٣/٢، ٩٤٨/٣.
[١٢] ع م: وقد أعطاهم آية بعد آية.
[١٣] ن – دلت.
[١٤] ك: كان قد أعطاهم.
[١٥] جميع النسخ + ذلك.

لكن هذا بعيد، لأنه لم يقل: لو علم الله عنده خيرا لأسمعهم، ولكن قال: **لو علم الله فيهم خيرا،** فإنما نفى أنه ليس عندهم خير، والوجه فيه ما ذكرنا: أنه لو علم فيهم خيرا يعملون به لأَوْحَى إليهم وأسمعهم، لكنه علم أنهم[1] لا يقبلون، بقوله:[2] **ولو أسمعهم لَتَوَلَّوْا وهم معرضون،** أي مكذِّبون جوابَ ما سألوا تَعَنُّتا وتمرُّدا منهم، وأخبر أنهم يسألون سؤالَ تعنُّتٍ وتمرُّدٍ لا سؤالَ استرشاد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢٤]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لِما يُحْيِيكم،** قال بعضهم: هذه الآية صلة قوله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ،[3] يقول -والله أعلم- أجيبوا لله وللرسول[4] إلى ما يدعوكم وإن كانت أنفسكم تكره الخروج لذلك لقلة عددكم وضعف أبدانكم وكثرة عدد العدو وقوتهم. وقوله عز وجل: **إذا دعاكم لما يحييكم،** أي دعاكم لما يحييكم[5] بالذكر / والشرف والثناء الحسن في الدنيا والحياةِ في الآخرة اللذيذة الدائمة، [٢٨٤و] وإن متُّم وهلكتم فيما يدعوكم إليه يكون لكم في الآخرة حياةُ الأبد. ويحتمل أن تكون[6] الآية في جملة المؤمنين، أي **استجيبوا لله،** في أوامره[7] ونواهيه، **وللرسول،** فيما يدعوكم إليه. وإنما كان يدعو[8] إلى دار الآخرة، كقوله تعالى: وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ.[9] ودار الآخرة هي دار الحياة، كقوله: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.[10] كأنه قال -والله أعلم- أجيبوا لله وللرسول، فإنه إنما دعاكم إلى ما تَحْيَوْن فيها، ليس كالكافر الذي لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا،[11] بتركه الإجابة.

---

[1] ع - أنهم.
[2] ك: فقوله.
[3] سورة الأنفال، ٨/٥.
[4] ك: والرسول.
[5] ن ع م - أي دعاكم لما يحييكم.
[6] ن م: أن يكون؛ ع + ويحتمل أن يكون.
[7] جميع النسخ: في أموره.
[8] ع: يدعوا.
[9] سورة يونس، ١٠/٢٥.
[10] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٤.
[11] ﴿إنه مَنْ يأتِ ربَّه مُجرِما فإنّ له جهنّم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ (سورة طه، ٢٠/٧٤)؛ ويقول تعالى: ﴿الذي يَصْلَى النارَ الكبرى. ثم لا يموت فيها ولا يَحْيا﴾ (سورة الأعلى، ٨٧/١٢-١٣).

وقوله: **واعلموا أن الله يَحُول بين المرء وقلبه**، أمكن أن يخرج هذا على الأول، أي **اعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**، يجعل القويَّ ضعيفا والعزيزَ ذليلا، والضعيفَ قويا والذليلَ عزيزا، والشُّجاعَ جَبانا، والخائفَ آمِنا[1] والآمِنَ خائفا، فأجيبوا للرسول بالخروج للجهاد وإن كنتم تخافون لضَعْفكم وقوتهم. ويحتمل في جملة المؤمنين أنّ مَن أجاب لله[2] وللرسول[3] إذا دعاه يجعل قلبه هو الغالبَ على نفسه والحائلَ بينه وبين ما يدعو إليه النفس، وإذا ترك الإجابة يجعل نفسه هي الحائلةَ بينه وبين ما يدعو إليه قلبه والداعيةَ[4] إلى ذلك؛ **وأنه إليه تحشرون**.

وقيل: **استجيبوا لله وللرسول**، بالطاعة في أمر القتال، **إذا دعاكم**، إلى الحرب، **لما يحييكم**، يعني بالحرب التي أعزكم الله [بها]، يقول: أحياكم الله بعد الذلّ وقوّاكم بعد الضَّعْف، فكان[5] ذلك حياةً. **واعلموا أن الله يَحُول بين المرء وقلبه**، يقول:[6] يحول بين قلبِ المؤمن وبين الكُفْر، ويحول بين الكافر وبين الإيمان.

وقوله: **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**، يخرج على وجهين. أحدهما يستعجل[7] التوبة قبل أن ينزل به الموت، يقول: أجيبوا لله وللرسول قبل أن يُحال بين المرء وبين التوبة بالموت. والثاني **يحول بين المرء وقلبه** بالأعمال التي يكتسبها، يُنشئ الفعلُ[8] الذي يفعله طَبْعَ قلبِه وخَتْمَه، ويُنشئ ظُلْمَةً تحول بينه وبين ما يقصِده ويُدْعَى إليه. *والله أعلم*.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢٥]

وقوله: **واتقوا فتنةً لا تُصِيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصَّةً**، قال بعضهم: "لا" هاهنا صلة زائدة، كأنه قال: واتقوا فتنة تصيبن[9] الذين ظلموا منكم خاصة، أي اتقوا فتنة[10] تُصيب الظَّلَمَةَ منكم خاصّة بظلمهم،

[1] ن ع م: أمينا.
[2] ع: الله.
[3] ك: والرسول.
[4] معطوفة على "الحائلة".
[5] ع م: وكان.
[6] م: وقلبه يخرج على وجهين.
[7] ك: يستعمل.
[8] ك: بفعل.
[9] ع: لا تصيبن.
[10] جميع النسخ + التي.

وهو العذاب، كقوله: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[1] فعلى ذلك قوله [هذا، أي] واتقوا فتنة تصيبنّ الذين ظلموا في الآخرة، وهو العذاب. وذلك جائز في الكلام، نحو ما قرأ بعضهم قوله: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ،[2] بفتح[3] الألف وطَرْح "لا": أنها إذا جاءت يؤمنون، أي إنها[4] وإن جاءت لا يؤمنون.[5] وأما على إثبات "لا" فإنه يحتمل وجوها. قيل: **اتقوا فتنة لا تُصِيبَنّ الذين ظلموا،** أي اتقوا أن لا تكونوا[6] فتنة للذين ظلموا، كقوله: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا،[7] رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[8] ووجهُ جعلِه إياهم فتنةً للذين كفروا هو أن يجعل العدو غالبا عليهم ناصرين وهم المغلوبون، فيظنّون أنهم على حق والمؤمنين[9] على باطل، فذلك معنى دعائهم رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ،[10] لئلا يقولوا: لو كانوا على حق ما غُلِبوا ولا قُهِروا ولا انتصروا منهم.

وقيل: قوله: **واتقوا فتنة لا تُصِيبَنَّ الذين ظلموا،**[11] نهى[12] الأتباعَ منهم أن لا يَسْعَوْا[13] فيما بين الظَّلَمَة بالفساد ولا يُغْروا[14] بعضَهم على بعض فيقعَ فيما بينهم الفساد فيكونَ هؤلاء الأتباعُ فتنةً لأولئك الظَّلَمَة[15] بإغراء[16] بعضهم على بعض. وذلك معروف فيما بين الخَلْق في الظَّلَمَة، يُغري الأتباعُ بعضَهم على بعض، فذلك فتنة.

---

[1] سورة آل عمران، ١٣١/٣.

[2] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.

[3] جميع النسخ: بكسر.

[4] ن – أي إنها.

[5] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٠٩/٦. والآية فيها قراءتان متواترتان بفتح همزة أنّ، وكسرها. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٥.

[6] ك: أن لا تكون؛ ع م: أن تكونوا.

[7] سورة الممتحنة، ٥/٦٠.

[8] سورة يونس، ٨٥/١٠.

[9] جميع النسخ: والمؤمنون.

[10] ك – ووجه جعله إياهم فتنة للذين كفروا هو أن يجعل العدو غالبا عليهم ناصرين وهم المغلوبون فيظنون أنهم على حق والمؤمنون على باطل فذلك معنى دعائهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين.

[11] ن + أنه.

[12] ن – نهى، صح، هـ.

[13] ن: لا يسعون؛ ع م: لا يسمعون.

[14] جميع النسخ: ولا يغري.

[15] ع م: للذين ظلموا.

[16] ع: أبا غراء.

ويحتمل وجها آخر، وهو أن الله تعالى[١] يغير[٢] الأحوال في الخلق مرةً سَعَةً وخِصْبًا، ومرةً قَحْطا وضِيقا، ومرةً غلبةَ العدو[٣] على الأولياء، ونحوه، ويدفع العذاب عن الظَّلَمَةِ بمن لم يظلم ما لم يشاركوا الظَّلَمَة، فإذا شاركوا أولئك يحلّ بأولئك بظلمهم وأهلِ الصلاح والعدلِ بتركِهم الظَّلَمَةَ وأهلَ الفساد عن الظلم والفساد[٤] ولهم قوة المنع لهم عن ذلك، فيقول: **لا تُصِيبَنَ الذين ظلموا منكم خاصّة**، ولكن تصيبهم وتصيبكم، فقال:[٥] **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم**،[٦] أخذَ الظَّلَمَةَ العذابُ لمشاركةِ أهلِ العدل أولئك، فيكونون فتنة لهم، كقوله: وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ.[٧] أو أن يدفع عن الظَّلَمَة البلاء والعذاب ما دام أهلُ العدل يأمرونهم بالمعروف ويُغَيِّرون[٨] عليهم المنكر، فإذا تركوا ذلك [و]لا يغيّرون[٩] عليهم المنكر نزل[١٠] بهم البلاء، فيَعُمُّهم البلاءُ: الظالمَ وغيرَه. والفتنة على وجهين. فتنة الجزاء، جزاءِ أعمالهم، وذلك يأخذ أهله خاصّة؛ وفتنةُ المحنة، وذلك يعمّ الخلق. *والله أعلم*.[١١]

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **واذكروا إذ أنتم قليلٌ مُستضعَفون في الأرض تخافون أن يَتَخَطَّفَكم الناسُ**، الآية. إن أهل الإسلام في ابتداء الأمر كانوا قليل العدد مستضعَفين عند الكفرة،[١٢] حتى كانوا يخافون أن يَسلُب الكفرةُ أرواحَهم، وكانوا لا يأمنون على أنفسهم بالمُقام في البُلدان لقلة عددهم وضَعْفِهم خوفا على أنفسهم وإشفاقا، فتركوا المَقام بالبُلدان، / وخرجوا إلى الجبال والغِيران،[١٣] [٢٨٤ظ]

---

[١] ك: أنه تعالى.
[٢] ع م: تغير.
[٣] ع: غلبت العدوة.
[٤] ن - عن الظلم والفساد.
[٥] ن: فقالوا.
[٦] ك + خاصة.
[٧] سورة البقرة، ٢/٢٥١.
[٨] ع: ويغيرن.
[٩] ع م: فإذا تركوا ولا يغيرون.
[١٠] ن ع م: ترك.
[١١] ع - والله أعلم.
[١٢] ع: عند الكفر.
[١٣] الغيران جمع غار.

فأقاموا فيها، وأكلوا الحشيش والكلأ طعامَ الأنعام خوفا على أبدانهم، وإشفاقا على دينهم.[1] ثم إن الله عز وجل آواهم وأنزلهم في البُلدان والأمصار، وأيّدهم ونصرهم على عدوهم، ورزقهم الطيباتِ طعامَ البشر بعدما أكلوا الحشيشَ طعامَ البهائم لعلهم يشكرون، ليلزمهم الشكر على ذلك، ولا يجوز لهم أن لا يشكروا بعدما أصابوا ما أصابوا.[2] ذكر[3] هذا -والله أعلم- لنا لنكون[4] نحن من الإشفاق في الدين مثل أولئك حين هربوا منهم، واتخذوا الجبال والغِيرانَ بيوتا، والحشيش طعاما، وتركوا أموالهم ونِعمَهم، ورَضُوا بذلك إشفاقا على دينهم. وقال عامة أهل التأويل: نزلت الآية في أهل بدر، وكانوا قليلَ[5] العدد والعُدَّةِ ضعيفَ الأبدان، والعدوُّ كثيرَ العدد وقويَّ الأبدان، فاشتدّ عليهم الخروج لذلك، كقوله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ،[6] الآية. فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **واذكروا إذ أنتم قليل مُستضعَفون**، أي إذ كنتم قليلا. وفيه دلالة لقول أبي حنيفة رحمه الله فيمن قال: هذا الشيء لفلان، اشتريته منه، صُدِّق، ويصير كأنه قال: هذا الشيء كان لفلان، اشتريته منه.[7] دليله قوله: **واذكروا إذ أنتم قليل مُستضعَفون في الأرض**، أي إذ كنتم قليلا.

وقوله: **وأيّدكم بنصره**، على هذا التأويل، أي[8] بالملائكة، **ورزقكم من الطيبات**، المغانم التي رزقهم وأحلّ لهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم**، جعل الله[9] عز وجل هذه الأمة وَسَطا عَدْلا بقوله: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،[10]

---

[1] لعله يشير إلى ما حدث من حصار مشركي قريش للمسلمين في شِعب أبي طالب في مكة ثلاث سنين حتى جاعوا وأصابهم الضُرُّ الشديد؛ انظر لتفاصيل القصة: *البداية والنهاية* لابن كثير، ٣/٨٤-٨٨.
[2] م - ما أصابوا.
[3] ن - ذكر.
[4] ن: ليكون.
[5] ك: قليلين.
[6] ﴿وإنّ فريقا من المؤمنين لَكارهون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٥).
[7] انظر: *المبسوط* للسرخسي، ١٨/١٨٠.
[8] ع م - أي.
[9] م - الله.
[10] سورة البقرة، ٢/١٤٣.

فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا قد جعلكم الله أُمَنَاءَ عَدْلاً وَسَطًا، فلا تخونوا الله فيه، كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[١] الآية، وقال: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى،[٢] وقال: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٣] أخبر أنه ألزمهم الأمانة، أعني البشر دون ما ذكر من الخلائق. ثم منهم من ضَيَّع تلك الأمانة من نحو المنافقين والمشركين، وخانوا فيها، فلحقهم الوعيد بالتضييع، وهو قوله: لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، الآية. فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا قد قبلتم أمانة الله، فلا تضيّعوها، ولا تخونوا فيها، كما قال: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ،[٤] وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ،[٥] وغيرها من الآيات التي فيها ذكر[٦] الأمانات؛ نهاهم أن يخونوا فيها، فيكونون كأنهم خانوا[٧] أماناتهم. ويحتمل قوله [وجها آخر، كأنه قال:][٨] يا أيها الذين آمنوا إن أنفسكم وأموالكم لله، وهي عندكم أمانةٌ استَحْفَظَكم فيها، فلا تستعملوها في غير ما أَذِن لكم، لأن من استَحْفَظ أحدا في شيء ووضع عنده آمانة فاستعملها في غير ما أَذِن له صار خائنا فيها ضامنا لها،[٩] فعلى ذلك أنفسكم وأموالكم لله[١٠] عندكم أمانةٌ استَحْفَظَكم فيها، فإن استعملتم[١١] في غير ما أَذِن لكم فيها خُنْتُم الله والرسول فيها، فتخونوا أماناتكم التي لكم عند الله؛ وإذا حفظتم[١٢] الأمانة [كان] كقوله: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ.[١٣] وقال بعضهم: قوله: **وتخونوا أماناتِكم**، أي **لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم**، التي فيما بينكم.

---

[١] سورة النساء، ٤/١٣٥.

[٢] سورة المائدة، ٥/٨.

[٣] ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبالِ فأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ منها وحَمَلها الإنسان إنه كان ظَلوما جَهولا. ليعذِّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٧٢-٧٣).

[٤] سورة النحل، ١٦/٩١.

[٥] سورة البقرة، ٢/٤٠.

[٦] م: التي ذكر فيها.

[٧] ن: خافوا.

[٨] من *الشرح* ورقة ٣٢٧و.

[٩] ع م – لها.

[١٠] ن: الله؛ م – لله.

[١١] م: فإذا استعملتم.

[١٢] م: إذا ضيعتم.

[١٣] أي وإذا حفظتم الأمانة وأوفيتم بعهد الله أوفى الله بعهده تجاهكم وكافأكم.

وأصله أن الله عز وجل امتحنهم فيما امتحنهم لمنافعِ أنفسهم ولحاجتهم، فيصيرون فيما خانوا فيما امتحنهم كأنهم[1] خانوا أنفسهم وخانوا[2] أماناتهم، كقوله: وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ،[3] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[4] وقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ،[5] الآية. ثم خيانة المنافقين والمشركين في الدين، وخيانة المؤمنين في أفعالهم، فوعد لهم التوبة عن خيانتهم، ووعد أولئك على ما خانوا بقوله: لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.[6]

وقوله عز وجل: **وأنتم تعلمون**، أن أنفسكم وأموالكم ليست لكم، إنما هي لله عندكم أمانة، فلا تخونوا فيها. وعن ابن عباس قال: الأمانة الأعمال التي ائتَمَن اللهُ عليها العبادَ، يعني الفريضة، يقول: **لا تخونوا الله**، أي لا تَنْقُصُوا.[7]

ثم اختلف أهل التأويل في نزول الآية. قال بعضهم: نزلت في أبي لُبَابَة. وذلك ما قيل في بعض القصة: إن النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قُرَيْظَة،[8] فسألوا الصلح على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أَذْرِعَات،[9] فأبى النبي إلا أن ينزلوا على الحكم، فأَبَوْا، فقالوا:[10] فأَرْسِلْ إلينا أبا لُبَابَة، وكان مُناصِحَهم. فبعثه النبي إليهم، فلما أتاهم قالوا: يا أبا لُبَابَة،[11] أَتَنْزِلُ على حكم محمد؟ فأشار أبو لُبَابَة[12] بيده أنْ لا تَنْزِلوا على الحكم، فأطاعوه. وكان أبو لُبَابَة[13] مالُه وولدُه معهم،

---

[1] ك ع م: كانوا؛ ن: كان.
[2] ع – أنفسهم وخانوا.
[3] سورة البقرة، ٢/٥٧؛ وسورة الأعراف، ٧/١٦٠.
[4] سورة الإسراء، ١٧/٧.
[5] سورة فصلت، ٤١/٤٦؛ وسورة الجاثية، ٤٥/١٥.
[6] سورة الأحزاب، ٣٣/٧٣.
[7] *تفسير الطبري*، ٩/٢٢٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٩. ويقول الطبري عقيب ذلك: «... لا تَنْقُصُوا الله حقوقَه عليكم من فرائضه، ولا رسولَه من واجبِ طاعتِه عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه، لا تَنْقُصُوهما وتخونوا أماناتكم وتَنْقُصُوا أديانكم وواجبَ أعمالِكم ولازِمَها لكم، وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحُجَج التي قد ثبتت لله عليكم» (المصدر السابق).
[8] ع م: وقريظة.
[9] موضع بالشام، كان يُنسَب إليها الخمر (*لسان العرب* لابن منظور، «ذرع»).
[10] ع م: قالوا.
[11] م: يا با لبابة.
[12] ع م: أبو لبانة.
[13] ع: أبو لبانة.

فخان المسلمين، فنزلت الآية في شأنه.[1] وقال بعضهم: نزلت[2] في شأن حاطب[3] بن [أبي] بَلْتَعَة،[4] ففعل ما فعل أبو لُبَابَة.[5] وقيل: نزلت في شأن قومٍ بينهم وبين رسول الله عهدٌ،[6] كانوا يعبدون الأوثان والأصنام. لٰكِنَّا لا ندري[7] في شأن من نزلت، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سِوَى أنَّ فيه ما ذكرنا من النهي في الخيانة في أمانة الله، والأمرِ بحفظها. ***والله أعلم.***

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة**، أي لم يعطهم الأولاد والأموال[8] لعبا وباطلا، أو ليكون لهم الأموال والأولاد، ولكن أعطاهم محنةً وابتلاءً. وكذلك/ جميع ما أنشأ في الدنيا من [٢٨٥و] الأشياء إنما أنشأ لنا فتنةً ومحنةً، كقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[9] الآية، وقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ،[10] وقال: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ،[11] الآية، وغيره[12] من الآيات. يدلّ أن جميع ما أنشأ في الدنيا إنما أنشأ[13] فتنةً ومحنةً يمتحن به[14] البشر، كقوله:[15] **أنما أموالكم وأولادكم فتنة**، أي محنة وابتلاء امتحنَنَا[16] به في أنواع التأديب والتعليم والحفظ والحقوق التي جعلها لهم علينا.

---

[1] رويت القصة بمعناها. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٢٢١-٢٢٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٨-٤٩. ولم يكن أبو لبابة رضي الله عنه من المنافقين، وقد تاب بعد ذلك. وهو أبو لُبَابة الأنصاري، اسمه بَشِير، وقيل: رِفَاعة بن عبد المنذر، صحابي مشهور، وكان أحد النُّقَبَاء، وشهد بدرا، وعاش إلى خلافة علي رضي الله عنه. انظر: *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* لابن عبد البر، ٤/١٧٤٠-١٧٤٢؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٦٦٩.

[2] ع م - في شأنه وقال بعضهم نزلت.

[3] م: خاطب.

[4] ك ن ع: بن فلان.

[5] ع: أبو لبانة. لم أجد هذه الرواية، لكن الصحيح المشهور أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب إلى قريش قبل فتح مكة يخبرهم بذلك، فنزل فيه أول سورة الممتحنة، ٦٠/١.

[6] جميع النسخ + الذين.

[7] م: لكنا ندري.

[8] ع - والأموال.

[9] سورة البقرة، ٢/١٥٥.

[10] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.

[11] ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٨).

[12] ع م: أو غيره.

[13] ع م - في الدنيا إنما أنشأ.

[14] ك: بها.

[15] ن ع م: بقوله.

[16] ن م: امتحنا.

وهو[1] كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ،[2] الآية. وأوجب في الأموال حقوقا امتحنَنَا بأداء تلك الحقوق التي فيها. وكذلك في جميع ما أمر الله[3] الخلائق بأمورٍ ونهاهم، إنما أمر ونهى لمنفعة الخلائق ودَفْعِ الضرر عنهم، لا لمنفعةِ نفسِه أو ضَرَرٍ أو حاجةٍ[4] يدفع به عن نفسه، إذ له ملك ما في السماوات والأرض، وهو العزيز بذاته، لا يمسّه حاجةٌ، يتعالى عن ذلك.

وقوله عز وجل: **وأن الله عنده أجر عظيم**، لمن لم يخن الله[5] والرسول. وَعَد لهم الأجر العظيم إذا قاموا[6] بوفاء ما امتحنهم الله[7] وابتلاهم به من الأموال والأولاد، حيث قال: **وأن الله عنده أجر عظيم**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا**، قال بعض أهل التأويل: إن هذه الآية صلة لما سبق[8] من الأمر بالجهاد بِبَدْر والخروج إليه، كأنه قال: **إن تتقوا الله**، أطعتم[9] الله وأجبتم له فيما دعاكم إليه، **يجعل لكم فرقانا**. يحتمل قوله: **يجعل لكم فرقانا**،[10] أي يجعل[11] خروجكم إليه وجهادكم آية عظيمة يُظهر بها المُحِقّ من المُبْطِل،[12] كقوله: وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ،[13] وقال: لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ،[14] أي لِيُظْهِر الحقَ من الباطل،

[1] م: جعلها لها عليهم هو.
[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكُمْ نارا وَقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غِلاظ شِداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦).
[3] م + به.
[4] ك ن ع: أو حاجته.
[5] م – الله.
[6] ن: إذ قاموا.
[7] ك + به.
[8] ن ع م: ما سبق.
[9] م: وأطعتم.
[10] م – يحتمل قوله يجعل لكم فرقانا.
[11] م + لكم.
[12] ع: والمبطل.
[13] سورة الأنفال، ٧/٨.
[14] سورة الأنفال، ٨/٨.

وقد كان بحمد الله[1] ذلك، وبان الحقُّ من الباطل والمُحِقُّ من المُبْطِل. وقيل: قوله: **فرقانا**، أي مُخْرِجا في الدين من الشُّبُهات. وقيل: مَخْرَجا في الدنيا والآخرة. و يحتمل **فرقانا**، أي بيانا لما ذكرنا. جعل الله تعالى التقوى مشتملا على كل خير، وأصلا لكل برّ، وصيَّره مُخْرِجا من كل شبهة ومن كل ضِيق وشدة، وجعله سبيلا[2] يُوصَل به إلى كل لذّة وسرور، ويُنال به كل خير وبركة، على ما ذكر في غير آي من القرآن.

وقوله عز وجل: **ويُكَفِّرْ عنكم سيئاتِكم**، التي سبقت، **ويَغفرْ لكم**، أي يستر عليكم ذنوبكم، لا يُطْلِعُ[3] أحدا عليها، وذلك من أعظم النعم. وأصل المغفرة السَّتْر.[4] وقوله عز وجل: **والله ذو الفضل العظيم**، أي عند الله فضل، يعطيكم خيرا مما تطمعون[5] بالتقوى[6] الذي ذكر.[7]

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وإذ يَمْكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخْرِجُوك**، من الناس من يقول بأن هذه الآية هي[8] صلة قوله تعالى: إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ،[9] كانوا ضُعفاءَ أَذِلَّاءَ فيما بين الكفرة، خائفين فيما بينهم؛ فهَمُّوا[10] أن يَمْكُروا برسول الله. والمكر به ما ذكر من القتل والإثبات، وهو الحبس، أو الإخراج، كأنهم تشاوروا فيما بينهم، واستأمروا ما يفعلون به.[11] فذكر في القصة أنّ بعضَهم أشاروا إلى القتل، وبعضَهم إلى الحبس، وبعضَهم إلى الإخراج.[12] فكان مشاورتهُم وأَمْرُهم رجعت إلى أحد هذه الوجوه،

[1] ع: لله.
[2] ع م + ثم.
[3] ن: ولا يطلع.
[4] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «غفر».
[5] ن ع: مما تطعمون.
[6] ع – بالتقوى.
[7] م – بالتقوى الذي ذكر.
[8] م – هي.
[9] سورة الأنفال، ٢٦/٨.
[10] أي الكافرون.
[11] جميع النسخ: ما يفعل بهم.
[12] ن ع م: بالإخراج.

إما القتل، وإما الحبس، وإما الإخراج.[1] ثم أخرج الله رسوله من بين أظهرهم على الوجه الذي يكون مطيعا لله متعبِّدا له، فيما كان خروجه بأمره، ليكون خروجُه على غير الجهة التي أرادوا هم[2] به، وسمَّى خروجَه هجرة، وليَعلموا أنه إنما علم بكيدهم[3] ومكرهم به بالله، ليكون آيةً من آيات نبوتِه ورسالتِه بعد خروجه من بين أظهرهم ومُفارقتِه إياهم، كما كان له من الآيات وقتَ مُقامه بين أظهرهم. وهو كما كان لعيسى آياتٌ وقتَ مقامِه بين أظهرهم،[4] وآيةٌ كانت له بالرفع بعد مفارقته قومه.[5] فعلى ذلك الأول. ولو كانوا لم يَتوافَقُوا بما ذكرنا من القتل أو الحبس[6] دون الإخراج لم يكن ليخرج رسوله من بين أظهرهم وهم قد هَمُّوا بإخراجه. *والله أعلم*.

وفي قوله: **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك**، إلى آخر ما ذكر، تذكيرُ ما أنعم على رسوله وأصحابه، لأنه آواهم إلى الأمن بعدما كانوا خائفين فيهم،[7] وأنزلهم المدينة بعدما كانوا في الغِيران في الجبال هاربين منهم، ورزقهم[8] الطيباتِ طعامَ البشر بعدما كانوا يتناولون من طعام البهائم والسباع.

يَذكر نعمه عليهم باستنقاذه إياهم من بين ظَهْرَانَيْهم، والحيلولةَ بينه وبين ما قصدوا وهَمُّوا بالمكر به والهلاك، بقوله: **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**. فيه [أنواعٌ] من الوجوه احتجاجا عليهم. أحدها[9] ما ذكرنا أنهم تشاوروا فيما بينهم بالمكر له، لم يُطْلِعُوا أحدا، ثم علم ذلك هو فخَرَج، ليعلموا أن الله هو الذي أَطْلَعَه على ذلك. والثاني كان يخوِّفهم الهلاك بمكرهم برسوله، فخَرَج من بينهم من غير أن أصابه ما هَمُّوا به، وقد أصابهم من الهلاك الذي كان يخوِّفهم، وحَلَّ بهم ما كانوا هَمُّوا[10] به وقصدوه، وذلك ما ذكر مِن مَكْرِ الله بهم.

---

[1] ع م – وإما الإخراج.
[2] م: أرادوهم.
[3] ك: مكيدهم.
[4] ع – أظهرهم.
[5] ن ع: قومهم؛ م: مفارقة قومهم.
[6] ك: والحبس.
[7] ن – فيهم.
[8] ع م + من.
[9] م: أحدهما.
[10] ع م – هموا.

وقوله عز وجل: **و يمكر الله والله خير الماكرين،** قال بعضهم: أرادوا هم[١] بمكرهم به شرا، وهو أن يطفئوا هذا النور ليَذهَب هذا الدين ويَدرُس آثارُه، وأراد الله أن يُسلِم منهم نفر / ليكونوا أعوانا ونُصَراءَ له ليأخذوا حظّهم بذلك، فهو **خير الماكرين.** وقيل: **ويمكرون ويمكر الله،** أي أرادوا قتله، **ويمكر الله،** أراد قتلهم، فقتلهم ببدر. **والله خير الماكرين،** أي أفضل مكرا منهم، غلب مكرُه مكرَهم. وقال بعضهم: قوله: **ويمكرون ويمكر الله،** أي يجزيهم جزاء مكرهم. [٢٨٥ظ]

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٣١]

وقوله: **وإذا تُتلَى عليهم آياتنا،** يحتمل قوله: **آياتنا،** آيات القرآن التي كان يتلو[٢] رسول الله.[٣] ويحتمل آياتُه حُجَجَه وبراهينَه التي توجب التوحيد وتصديق الرسل.

وقوله: **قالوا قد سمعنا لو نشاء لَقُلْنَا مِثلَ هذا،** قالوا ذلك مُتَعَنِّتِين، إذ كان يَقْرَعُ أسماعَهم قولُه: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[٤] وقولُه: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[٥] الآية، ثم لم يكن يطمع أحد منهم أن يأتي بمثله، وتَكلَّفوا[٦] في ذلك، دلّ أنّ قولهم **لو نشاء لَقُلْنَا مِثلَ هذا،** تعنُّتٌ وعناد. **إن هذا إلا أساطير الأولين،** كذلك كان يقول العرب: إنه **أساطير الأولين.**

﴿وَإِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣٢]

وقوله: **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأَمطِرْ علينا حجارةً من السماء،** الآية، يذكر نهايةَ سَفَهِهم، وغايةَ جَرَاءَتِهم على الله، وبُغْضَهم الحقَّ، مع علمهم أن الله هو الإله، وأنه قادر على إنزال العذاب، وله السلطان على إمطار الحجارة، بقولهم: **اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأَمطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم،**

---

[١] م: أرادوهم.
[٢] ع: يتلوا.
[٣] ع م – الله.
[٤] سورة الإسراء، ٨٨/١٧.
[٥] سورة البقرة، ٢٣/٢.
[٦] ن ع م: أو تكلفوا.

فلم يُبالوا[1] إهلاكَ[2] أنفسهم لشدةِ سَفَهِهم وجُرْأَتِهم على الله وبُغضِهم الحق. وهذا ذُكِر -والله أعلم- لِيَعلم الناسُ ما لَحِق رسولَ الله بدعائه هؤلاء السفهاء إلى دين الله الذين لم يُبالوا[3] إهلاكَ أنفسهم لشدة بُغضِهم الحقَّ وجُرْأَتِهم على الله، وما يَتحمَّل منهم من المُؤَن[4] العظيمة.[5]

[٢٨٥ظ س٣٦ * وفي إثبات قول السفهاء ودعائِهم بإمطار الحجارة عليهم، وجَعلِ ذلك كتابا يُتلَى في الصلوات أوجه ثلاثة من الحكمة. أحدها[6] تعريفٌ لهذه الأمة المعاملةَ مع السفهاء عند ارتكاب المناكير، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنهم إذا تَمَادَوْا[7] في غَيِّهم واستقبلوا بالمكروه والأذى أنْ لا يُترَك الأمرُ لهم بالمعروف،[8] ولا يُؤْيَس[9] مِن خيرهم، اقتداءً بالنبي، [٢٨٦و] أنه لم يَترك[10] دعاءهم وأَمْرَهم بالمعروف مع شدة / سَفَهِهم وتمرُّدِهم. والثاني لِيَعلم الخلقُ أن حجة الله تلزم العباد[11] وإن كانوا قد جهلوه إذا كان التضييع جاء مِن قِبَلهم في ترك النظر والتفكُّر، إذ لو عَلِموا حقيقة العلم أنه الحق لم يكونوا لِيَدْعُوا على أنفسهم بالهلاك. ٢٨٦و س٣] والثالث يكون فيه بيان [ما لَحِق النبيَّ صلى الله عليه وسلم منهم].[12]*

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣٣]

وقوله: **وما كان الله لِيعذِّبَهم وأنت فيهم**، يحتمل قوله: **وأنت فيهم**، أي في جملة المؤمنين، أنه لا يعذب أحدا في الدنيا ما دام هو فيهم، وما دام مؤمنٌ فيهم، بقوله: **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**، أي يؤمنون. وهو كما ذكر أنه أرسله رحمةً، بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[13]

---

[1] ن ع: فلم ينالوا.
[2] ع: إهلاكهم.
[3] ع: لم ينالوا.
[4] ع: من المؤمن؛ م - المؤن.
[5] ن ع م: العظيم.
[6] ع: أحدهما.
[7] ع م: إنما تمادوا.
[8] ن - والنهي عن المنكر أنهم إذا تمادوا في غيهم واستقبلوا بالمكروه والأذى أن لا يترك الأمر لهم بالمعروف.
[9] ن: ولا يوئس؛ ع: ولا يونس.
[10] ن: لم ينزل.
[11] ن: العبادة.
[12] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢٧ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٨٥ظ/سطر ٣٦ - ٢٨٦و/سطر ٣.
[13] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.

ومن رحمته أن لا يعذِّب أحدا من أمّته في الدنيا، إنما يؤخِّر ذلك إلى يوم التَّنَاد،[1] بقوله: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ كذا،[2] وقوله: وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[3] ويحتمل أن يكون قوله: **وأنت فيهم**، في أهل مكة خاصة، أنه لا يعذبهم ما دام هو فيهم، وما دام[4] فيهم أحد[5] من المسلمين، من نحو النساء والذراري، كقوله: وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ،[6] الآية. أي لا نعذبهم **وأنت** يا محمد **فيهم**، أي بين أظهرهم، حتى نخرجك[7] من بينهم، **وما كان الله معذِّبَهم وهم يستغفرون**، أي يُصَلُّون، وقيل: يؤمنون، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه.[8] ولكن يعذبهم تعذيبَ القتال والجهاد، ولا يعذبهم تعذيبَ استئصالٍ وإهلاكٍ جملةً، أي تعذيبَ استئصالٍ[9] على ما هلك سائر الأمم.

ثم إن المعتزلة[10] تعلّقت بظاهر قوله تعالى: **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**، أي سيؤمنون، أي لا يعذبهم ما دام يعلم أن فيهم أحدا يؤمن في آخر عمره؛ إذ من[11] قولهم أنْ لا يجوزُ لله أن يهلك أحدا إذا كان في علمه أنه سيؤمن في آخر عمره، لقولهم في الأصلح: إن الله لا يفعل بخلقه إلا ما هو أصلح لهم في الدين. فعلى ذلك تأوّلوا ظاهر هذه الآية، أنه لا يعذبهم **وهم يستغفرون**، أي سيؤمنون. لكن لو كان كما قالوا لكان لا يجوز الجهاد معهم أبدا، ويسقط الأمر بالقتال، إذ لعل فيهم من يُسلِم. فإذا أمره بالجهاد والقتال معهم دلّ أن ذلك ليس ما توهموا. ***والله أعلم***.

---

[1] ﴿ويا قومِ إني أخاف عليكم يوم التَّنَاد﴾ (سورة المؤمن، ٣٢/٤٠). ويوم التناد يوم القيامة. والتناد من النداء، أي يوم ينادي الناس بعضهم بعضا. وقيل: من نَدَّ البعير إذا شَرَد وهرب، أي يجتمع الناس ويركضون إلى المحشر. وقيل غير ذلك (*لسان العرب* لابن منظور، «ندد، ندى»).

[2] ﴿ولا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخِّرهم ليومٍ تَشْخَصُ فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).

[3] ﴿بل الساعةُ مَوْعِدُهم والساعةُ أدْهَى وأَمَرُّ﴾ (سورة القمر، ٤٦/٥٤).

[4] ع – هو فيهم وما دام.

[5] ن – والساعة أدهى وأمر ويحتمل أن يكون قوله وأنت فيهم في أهل مكة خاصة أنه لا يعذبهم ما دام هو فيهم وما دام فيهم أحد.

[6] سورة الفتح، ٢٥/٤٨.

[7] ك ن: حتى يخرجك.

[8] *تفسير الطبري*، ٢٣٥/٩.

[9] ع م – وإهلاك جملة أي تعذيب استئصال.

[10] م: ثم المعتزلة.

[11] م: أو من.

وقال بعضهم في قوله: **وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون**، أي وهم يدخلون في الإسلام.[١] وقيل: يُسلِمون. وقال بعضهم: **وهم يستغفرون**،[٢] بقيةُ مَن بَقي في مكة من المسلمين، فلما خرجوا منها قال: وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ[٣] الآية. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان[٤] فيكم أَمَانَان.[٥] أحدهما رسول الله، لقول الله:[٦] **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**. والآخر[٧] الاستغفار، لقول الله:[٨] **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**. قال: فذهب أَمَانٌ، وهو رسول الله، و بقي أَمَانٌ، وهو الاستغفار.[٩] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الله[١٠] جعل في هذه الأمة أَمَانَين، لا يزالون معصومين من قوارع العذاب ما دام بين أظهُرهم؛ فأمانٌ قَبَضَه الله إليه، وأمانٌ بَقي فيكم، وهو الاستغفار الذي ذكر.[١١] وروي عن عبد الله بن عمرو[١٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساجدا في آخِر سجودِه في صلاة الآيات،[١٣] فقال: «أُفٍ، أُفٍ»، فقال: «ربِّ، ألم تَعِدْني[١٤] أن لا تعذبهم وأنا فيهم، ربِّ، ألم تَعِدْني[١٥] أن لا تعذبهم وهم يستغفرون».[١٦] وعن بعضهم: أَمَانَان أنزلهما الله؛ أمّا أحدهما فمضى، وهو نبي الله، وأما الآخر فأبقاه الله تعالى بين أظهُركم، وهو الاستغفار والتوبة.*

---

[١] ع: في السلام.

[٢] ن – وهم يستغفرون.

[٣] الآية التالية.

[٤] ع م – كان.

[٥] ن: أمانا.

[٦] ن: لقوله.

[٧] ع: وآخر.

[٨] ن: لقوله.

[٩] أخرجه أبو الشيخ والحاكم –وصححه– والبيهقي في *شُعَب الإيمان*؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧.

[١٠] ك – الله.

[١١] *تفسير الطبري*، ٩/٢٣٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧.

[١٢] جميع النسخ: عبد الله بن عمر.

[١٣] أي الحوادث الطبيعية العظيمة مثل الكسوف والزلازل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الكسوف.

[١٤] ع م: ألم تعد.

[١٥] م: ألم تعد.

[١٦] ع: وهم يستغفر. وذلك حين انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: *سنن أبي داود*، صلاة الاستسقاء ٩؛ و*سنن النسائي*، الكسوف ٢٠.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هناك؛ انظر: ورقة ٢٨٥ظ/سطر ٣٦ – ٢٨٦و/سطر ٣.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وما لهم أنْ لا يعذِّبَهم الله وهم يَصدُّون عن المسجد الحرام**، أي ما لهم مِن عُذر في صَرْف العذاب عن أنفسهم، إذ قد كان منهم مِن أنواعٍ ما كان لو كان واحدٌ مِن ذلك لكانوا يستوجبون العذاب، مِن تكذيبِهم الرسولَ والآياتِ التي أرسلها إليهم، وصَدِّهم[١] الناسَ عن المسجد الحرام وهو مكان العبادة، وسؤالِهم بقولهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.[٢] أي ليس لهم عُذر في صَرْف العذاب عن أنفسهم، والاحتجاجِ على الله أنه لم يرسل رسولا بقولهم:[٣] لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا،[٤] الآية. بل أرسل إليهم الرسول فكذّبوه، وبعث إليهم الآيات فكذّبوها، وصَدُّوا الناس عن المسجد الحرام، فلا عذر لهم في وجه من الوجوه أن يَصرف[٥] العذاب عنهم،[٦] إلّا أن الله بفضله ورحمته يَصرف العذاب عنهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم واستغفار المؤمنين، وإلا[٧] قد كان منهم جميع أسباب العذاب التي يستوجبون بها.

وقوله: **وهم يَصدُّون عن المسجد الحرام**، أي عن الصلاة فيها. ويحتمل أن يكون صَدُّوا الناس عن رسول الله، لكنه ذكر المسجد لِما كان[٨] رسول الله فيه، لئلا لا يَروا رسول الله فيتبعوه.[٩]

وقوله عز وجل: **وما كانوا أولياءَه**، أي لم[١٠] يكونوا أولياءه ليصرفوا العذاب عن أنفسهم بالولاية، وهو صلة قوله: **وما لهم أن لا يعذبهم الله**، وهم ليسوا بأوليائه. ويحتمل قوله:[١١] **وما كانوا أولياءه**، أنهم كانوا يصدُّون الناس عن المسجد الحرام لِما ادَّعَوْا[١٢] أنهم أولياؤه،

---

[١] م + وصدهم.
[٢] سورة الأنفال، ٣٢/٨.
[٣] ك ن: لقولهم.
[٤] سورة طه، ١٣٤/٢٠؛ وسورة القصص، ٤٧/٢٨.
[٥] ن – من الوجوه أن يصرف، صح هـ؛ ن + من.
[٦] م – عنهم.
[٧] ع: إلا.
[٨] ن: لمكان.
[٩] ك ن: فيتبعونه؛ ع م: فيتبعوا.
[١٠] ك: إذ لم؛ ن ع: ان لم.
[١١] ع – وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم ليسوا بأوليائه ويحتمل قوله.
[١٢] ن: لما اعوا.

وأنهم أولى بالمسجد الحرام منهم،[1] ثم أخبر أنهم ليسوا أولياءه،[2] إنما أولياؤه **المتقون**، الذين اتَّقَوْا ما أَتَوْا هم،[3] أو أولياؤه[4] الموحِّدون، لا الذين أشركوا غيرَه في عبادته وألوهيّته.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **وما كان صلاتُهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة**، قال بعضهم: كان أحسنَ حالِهم التي هُم عليها هي حالُ الصلاة، فإذا كان صلاتهم **مكاء وتصدية**[5] فكيف حالهم في غير الصلاة؟ وقال بعضهم: قوله: **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة**، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابَه إذا صَلَّوْا في المسجد الحرام قام[6] طائفة من المشركين عن يمين النبي وأصحابِه، فيُصَفِّرُون كما يُصَفِّر المُكَّاءُ،[7] وطائفة تقوم عن يسارهم، فيُصَفِّقُون بأيديهم لِيَخْلِطوا على النبي وأصحابِه صلاتَهم، فنزل قوله تعالى: **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة**.[8] ثم[9] اختلف في المُكَاء والتَّصْدِيَة. قال بعضهم: المُكَاء هو مثل نَفْخ البُوق، والتَّصْدِيَة هو طوافهم[10] على الشمال. وقال القُتَبي: المُكَاء الصَّفِير، يقال: مَكَا يَمْكُو، وهو مثل ما قيل للطائر: مُكَّاء، لأنه يَمْكُو، أي يُصَفِّر،[11] يعني يُصَوِّت؛ والتَّصْدِيَة هو التصفيق، يقال: صَدَّى،[12] إذا صَفَّق بيديه.[13] وقال أبو عَوْسَجَة: المُكَاء شِبْه[14] الصَّفِير؛ والتَّصْدِيَة ضَرْبٌ باليدين، وهو من الصَّدَى مِن الصوت. وقِيل: المُكَاء صَفِير كان أهل الجاهلية يلعبون به، والتَّصْدِيَة الصدّ عن سبيل الله ودينه.

---

[1] م – منهم.
[2] ع – أنهم كانوا يصدون الناس عن المسجد الحرام لما ادعوا أنهم أولياؤه وأنهم أولى بالمسجد الحرام منهم ثم أخبر أنهم ليسوا أولياءه.
[3] ن ع: ما أتوهم؛ م: لما أتوهم. أي الذين اتقوا أفعال المشركين واجتنبوها.
[4] ع م: وأولياؤه.
[5] ك – قال بعضهم كان أحسن حالهم التي هم عليها هي حال الصلاة فإذا كان صلاتهم مكاء وتصدية.
[6] ع: قال.
[7] المُكَّاء نوع من الطير، سمي بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيرا حسنا. ومَكَا الإنسان يَمْكُو مَكْوا ومُكَاء: صفر بفَمِه. وقال بعضهم: هو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يُدخلها في فيه ثم يصفر فيها (*لسان العرب* لابن منظور، «مكو»).
[8] روي بمعناه عن ابن عباس وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٢٤٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦١.
[9] ع – ثم.
[10] ع: في طوافهم.
[11] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٩.
[12] ع م: صدا.
[13] ع: بيده.
[14] ع: يشبه.

وقوله: **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**، قال بعض أهل التأويل: ذوقوا العذاب يوم بدر، وهو الهزيمة والقتل الذي كان عليهم يوم بدر. ويحتمل قوله: **فذوقوا العذاب**، في الآخرة بكفرهم في الدنيا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله**، الآية، يُذكّرهم -والله أعلم- النعم التي أنعمها عليهم من أنواع النعم. أحدها[١] ما أنزلهم في بُقْعَة خُصَّت تلك البُقْعَة وفُضِّلت على غيرها من البقاع، وهي[٢] مكان العبادة، ثم صدّوا الناس عن الدخول فيها والعبادة فيها. ومِن ذلك بَعْثُ الرسول منهم فيهم، فكذّبوه؛ وما أعطاهم من الأموال، فأنفقوها في الصدِّ، صدِّ الناس[٣] عن مكان العبادة وإقامة العبادة فيه. ثم اختلف في معنى الصّدّ. قال بعضهم: إن كفار قريش استأجروا لقتال بدر رجالا من قبائل العرب عَوْنا لهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فذلك نفقتهم التي أنفقوا، فصار ذلك حسرةً عليهم لما كانت الهزيمة عليهم. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية، فقال: تلك قد خَلَتْ، إن ناسا في الجاهلية كانوا يعطون أموالهم ناسا،[٤] فيقاتلون نبي الله، فأسلموا[٥] عليها، فغُلِبُوا،[٦] فكانت عليهم حسرة.[٧] وعن سعيد بن جُبير قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أُحُد أُجَرَاء من الأَحَابِيش من كِنَانَة،[٨] فقاتلهم النبي.[٩]

---

[١] ع م: أحد.
[٢] ع م: وهو.
[٣] ع م: الإنسان.
[٤] ن: كان يعطون الناس أموالهم؛ ع م: يعطون ناسا أموالهم.
[٥] أي الذين أخذوا الأموال.
[٦] جميع النسخ: فطلبوا.
[٧] ع م - حسرة. روي بمعناه. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٤٥/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٣/٤.
[٨] والأَحَابِيش أحياءٌ من القَارَة من كِنَانة. سُمُّوا بذلك لاسوِدَادِهم. وقيل: الأَحَابِيش مأخوذ من حَبْش الشيء بمعنى جَمْعه، لأنهم ناس ليسوا من قبيلة واحدة. وكِنَانة قبيلة من مُضَر. والقَارَة قبيلة من كِنَانة سُمُّوا قَارَة لاجتماعِهم والتِفافِهم لَمّا أراد ابن الشَّدَّاخ أن يُفرِّقهم في بني كِنانة، وهم مشهورون بالرَّمْي (*لسان العرب* لابن منظور، «قور، حبش، كنن»).
[٩] *تفسير الطبري*، ٢٤٤/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٣/٤.

ويحتمل أن يكون قوله:[1] **ثم تكون عليهم حسرة**، يوم القيامة، أي النفقة التي أنفقوها تصير[2] عليهم حسرة في الآخرة لما أنفقوها في غير حِلّ[3] لصد الناس عن سبيل الله. وقوله: **والذين كفروا إلى جهنم يُحشَرون**، أي يُجمَعون، وهو ظاهر، يُجمَعون إلى جهنم بكفرهم بالله.

﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣٧]

وقوله: **لِيَمِيزَ اللهُ الخبيثَ من الطيب**، جعل الله تعالى الخبيث مختلطا بالطيب في الدنيا، في سمعهم[4] وبصرهم ونطقهم وجميع / جوارحهم، ولباسهم وطعامهم وشرابهم، وجميع منافعهم من الغنى والفقر [٢٨٦ظ] وأنواع المنافع. جعل بعضهم ببعض مختلطين في الدنيا على ما ذكرنا، لكنه ميّز بين الطيب والخبيث[5] في الآخرة بأعلام يُعرَف بتلك الأعلام[6] الخبيث من الطيب، من نحو ما ذكر في الطيب قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ،[7] و وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ،[8] وقال في الكافر: وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ،[9] وقال: وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا،[10] وقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[11] وقال: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا،[12] الآية، وغير ذلك من الآيات. ميّز الله تعالى بين الخبيث والطيب بالأعلام[13] التي ذكرنا في سمعهم وبصرهم ووجوههم ولباسهم ومَأْكَلِهم ومَشْرَبِهم حتى يُعرَفوا جميعا بالأعلام. ويحتمل ما ذكر من التمييز بين الخبيث والطيب بالمُبَاهَلَة[14] التي جرَت بين أبي جهل وبين النبي صلى الله عليه وسلم،

---

[1] ع م – قوله.
[2] ع م – تصير.
[3] م – في غير حل.
[4] ن: بسمعهم.
[5] ك: بين الخبيث والطيب.
[6] ك: العلامات.
[7] سورة القيامة، ٧٥/٢٢-٢٣.
[8] سورة عبس، ٨٠/٣٨-٣٩.
[9] سورة عبس، ٨٠/٤٠-٤١.
[10] سورة طه، ٢٠/١٠٢.
[11] سورة الإسراء، ١٧/٩٧.
[12] ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٢٤).
[13] جميع النسخ: بأعلام.
[14] بَاهَلَ القومُ بعضُهم بعضا وتَبَاهَلُوا وابْتَهَلُوا: تَلَاعَنُوا. والمُبَاهَلَة: المُلَاعَنَة. ويقال: بَاهَلْتُ فلانا، أي لَاعَنْتُه، ومعنى المُبَاهَلَة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا (*لسان العرب* لابن منظور، «بهل»).

حيث قال أبو جهل: اللهم[1] انصر أَهْدَانا[2] سبيلا وأبرّنا قَسَما[3] وأَوْصَلنَا[4] رَحِما، فأُجيب، فنصر رسولَه وأصحابَه، فميّز بين المُحِق والمُبْطِل. ويحتمل ما ذكر من التمييز في الآخرة، كقوله: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.[5]

وقوله عز وجل: **ويجعلَ الخبيث بعضه على بعض فيَرْكُمَه جميعا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن يجعلهم دَرَكاتٍ بعضُها أسفلُ من بعض، كقوله تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.[6] ويحتمل أن يجعل بعضهم على بعض مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ،[7] **فيَرْكُمَه جميعا**، قيل: يجمعه جميعا،[8] بعضهم على بعض. ويحتمل قوله:[9] **فيَرْكُمَه جميعا**، إخبارا عن الضِّيق،[10] كقوله: وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا.[11] وقال القُتَبي: **فيَرْكُمَه جميعا**، أي يجعله رُكاما بعضه[12] فوق بعض.[13] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: يُقال: رَكَمْت المتاع، إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقوله: **فيجعَله في جهنم**، جهنم[14] هو[15] المكان الذي يجمع أهل النار في التعذيب.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **قل للذين كفرو إن يَنتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف**، ذكر عز وجل غاية كَرَمِه وجُودِه بما وعد لهم من المغفرة والتجاوز عما كان منهم من الإشراك في ألوهيته،

---

[1] ع م – اللهم.

[2] جميع النسخ: انصر من أهدانا.

[3] أَبَرَّ فُلانٌ قَسَم فُلان: أجابه إلى ما أَقْسَم عليه (*لسان العرب* لابن منظور، «برّ»).

[4] جميع النسخ: وأوصل.

[5] سورة الشورى، ٧/٤٢.

[6] سورة النساء، ١٤٥/٤.

[7] هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وترى المجرمين يومئذٍ مُقَرَّنِين في الأَصْفَاد﴾ (سورة إبراهيم، ٤٩/١٤). مُقَرَّنين أي مربوطين بعضهم مع بعض (*لسان العرب* لابن منظور، «قرن»). الأصفاد جمع الصِّفاد، وهو حبل يُوثق به أو غُلّ (*لسان العرب* لابن منظور، «صفد»).

[8] ن – قيل يجمعه جميعا.

[9] ع م – قوله.

[10] ن + كذا.

[11] سورة الفرقان، ١٣/٢٥.

[12] ع م: بعضها.

[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٩.

[14] جميع النسخ: الجهنم.

[15] ن – هو.

وصرفِ العبادة إلى غيره، وصدِّ الناس عن عبادته وطاعته، ونَصْبِ الحروب التي نَصَبوا بينهم وبين المؤمنين، وغيرِ ذلك من أنواع الهلاك. فمع ما كان منهم وَعَد لهم المغفرة بالانتهاء من ذلك، لِيُعلَم غايةُ كَرَمِه وجُودِه. والمغفرة تحتمل[1] التجاوز، أي يتجاوز[2] عنهم ما كان منهم، لا يؤاخذهم[3] بذلك. ويحتمل: يستر عليهم معاصيَهم التي كانت[4] منهم، ولا يَذكُرون ذلك، لأنهم لو ذَكَرُوا ذلك يُنَغِّص[5] عليهم[6] النعم.

وفيه دلالةُ نقضِ قولِ المعتزلة، لأنه أخبر أنهم إن انتهوا وتابوا غفر لهم ما قد كان منهم، وإنما كانوا مُنتهين بالإيمان، ولم يجعل بين الإيمان والكفر منزلة ثالثة، وهم يجعلون بينهما منزلة ثالثة، ويقولون: إذا ارتكب كبيرة خرج من الإيمان، ويخلد في النار أبدا، ولم يكن داخلا في الكفر. وفيه دليلُ نقضِ قولِ مَن يقول بأن على الكافر فعلَ العبادات من نحو الصلاة والزكاة والصيام، لأنه ذكر الانتهاء، والانتهاءُ عما كان منهم[7] مِن ترك العبادات القيامُ بقضائها وأداءِ[8] ما تَركوا. فلمّا لم يجب عليهم أداءُ شيءٍ من ذلك دلّ أنه لم يكن عليهم في حال كفرهم فعلُ تلك العبادات. إنما عليهم اعتقاد تلك العبادات،[9] إذ لو كانت عليهم لكان الانتهاءُ عنها بقضاء[10] ذلك، كقوله صلى الله عليه وسلم: «من نام عن صلاة أو نسيها فعليه أن يصليها[11] إذا ذكرها [و]إذا استيقظ،[12] وذلك[13] كفارته».[14]

---

[1] ع م: يحتمل.
[2] ع م – أي يتجاوز.
[3] ع م: لا يؤخذهم.
[4] ن ع م: كان.
[5] نَغَّص عليه عَيْشه تَنْغِيصا، أي كَدَّره... نَغَّص علينا أي قَطَع علينا ما كان نُحب الاستكثار منه (*لسان العرب* لابن منظور، «نغص»).
[6] ع: وعليهم.
[7] م – منهم.
[8] ع م: وإذا.
[9] ع: العبادة.
[10] ك ن ع: قضاء.
[11] ع: أن يصلها.
[12] ك: أو استيقظ.
[13] ن: وكذلك.
[14] ذكر المؤلف الحديث بمعناه. وقد روي الحديث بألفاظ متقاربة، منها: «مَن نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصلِّيها إذا ذكرها» (*صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ٣٧؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٣١٥). واللفظ لمسلم. وزيادة الواو في الحديث من *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤١٢/١.

وكذلك تأويل[١] قوله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[٢] ليس على الفعل، ولكن في حق الاعتقاد؛ إذ لا سبيل[٣] إلى القيام بفعل ما ذكر إلا بعد حَوْل[٤] ووقت طويل. وفي هذه الآية دلالةٌ على أنْ ليس بين الشرك والإيمان منزلة ثالثة، على ما يقوله المعتزلة في صاحب الكبيرة، لأنه لو كان بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة لكانوا إذا انتهَوْا عن الكفر و لم ينتهوا عن تلك المنزلة لا يغفر لهم على قولهم، فدلّ ما ذكر من المغفرة على أنْ ليس بينهما منزلة، ولكن إذا انتهَوا عن الكفر دخلوا في الإيمان.

وقوله عز وجل: **وإن يعودوا فقد مَضَتْ سُنة الأولين**، قال بعضهم: **وإن يعودوا**، إلى الكفر وقتال محمد بعدما انتهوا عنه فقد مضى كذا، يعني القتال. ويحتمل أن يكون قوله: **يعودوا**، أي داموا فيه،[٥] لا أنْ كانوا خرجوا منه، نحو قوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[٦] كانوا فيه، لا أنْ كانوا خرجوا منه ثم دخلوا في غير ذلك. ثم يحتمل وجهين بعد هذا. أحدهما أنّ للكفر[٧] حكمَ التجدُّد في كل وقت. والثاني ما ذكرنا أنّ ذِكرَ[٨] العَوْدِ فيه لدوامهم فيه[٩] وإن لم يخرجوا منه، وذلك جائز في اللسان، كقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، ابتداءَ إخراجٍ من غير أنْ كانوا فيه،[١٠] وكقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[١١] ابتداءَ رَفْعٍ، لا أنْ كانت موضوعة فرفعها مِن بَعْد. فعلى ذلك قوله: **وإن يعودوا**، يحتمل أي داموا فيه. وقوله: **فقد مَضَتْ سُنة الأولين**، **مَضَت**، يحتمل ما ذكرنا من القتال. والثاني **سنة الأولين**، الهلاك الذي كان.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣٩]

وقوله: **وقاتلوهم / حتى لا تكون فتنة**، قيل: الفتنة الشرك، أي قاتلوهم حتى لا يكون الشرك، [٢٨٧و]

---

[١] م – تأويل.
[٢] سورة التوبة، ٩/٥.
[٣] ن: أنه لا سبيل؛ ع: لأنه لا سبيل.
[٤] حَوْل أي قوة لأداء العبادة، أو حولان الحول أي السنة لأداء الزكاة وغيرها (*لسان العرب* لابن منظور، «حول»).
[٥] ك: فيها؛ ن – فيه.
[٦] ﴿الله وَلِيُّ الذين آمنوا...﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٧).
[٧] ع: أن الكفر.
[٨] ك: إنه ذكر.
[٩] م – لدوامهم فيه.
[١٠] ن – فيه.
[١١] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عَمَدٍ تَرونها﴾ (سورة الرعد، ١٣/٢).

ويكون الدين كله لله. ويحتمل قوله: **حتى لا تكون فتنة**، أي محنة القتال، كأنه قال: قاتلوهم إلى الوقت الذي يرتفع المحنة،[1] وهو يوم القيامة. وفيه دلالة لزوم الجهاد إلى يوم[2] الدين. والفتنة هي المحنة التي فيها الشدة. **ويكون الدين كله لله**.

وقوله[3] عز وجل: **ويكون الدين كله لله**، هو يخرج على وجهين. أحدهما **ويكون** من **الدين** الذي هو الدين **كله لله**، لا نصيب لأحد فيه، وهو السبيل التي كانت للشيطان، كأنه قال: ويكون الأديان التي يُدان بها دينا واحدا، وهو دين الله الذي يُدعَى الخلق إليه، وبذلك بُعث الرسل[4] والكتب. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون[5] الحكم **كله لله**، كقوله: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ،[6] أي في حكم الملك.

وقوله:[7] **فإن انتهَوْا فإن الله بما يعملون بصير**.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٤٠]

وقوله: **وإن تَوَلَّوْا فاعلموا أن الله مولاكم**، قيل: ناصركم. وقيل: المولى المليك. **نعم المولى ونعم النصير**، أي نعم الناصر والمعين، **ونعم النصير**، لأنه لا يُعجزه شيء. وقيل: **مولاكم**، أي أولى بكم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **واعلموا أنّ ما غَنِمتم من شيء فأنّ لله خُمُسَه وللرسول ولذي القربى**، قال عامة أهل التأويل: إن الغنيمة هي التي أصاب المسلمون من أموال المشركين بالقتال عَنْوَةً،[8]

---

[1] ك: ترتفع الفتنة.

[2] ع: إلى يو.

[3] ن: قوله.

[4] ن: الرسول.

[5] ك: ويكون.

[6] ﴿فبَدَأ بأَوْعِيَتِهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كِدْنَا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ (سورة يوسف، ١٢/٧٦).

[7] ن – وقوله.

[8] مِن عَنَا يَعْنُو إذا ذلّ وخضع، وفُتحت هذه البلدة عَنوة، أي فُتحت بالقتال، قُوتل أهلُها حتى غُلبوا عليها، وفُتحت البلدة الأخرى صُلحا، أي لم يُغلَبوا، ولكن صُولحوا على خَرْج يؤدّونه، وفي حديث الفتح أنه دخل مكة عَنْوَة، أي قَهرا وغَلَبة (*لسان العرب* لابن منظور، «عنو»).

والفيء ما يعطون بأيديهم صُلحا. والغنيمة يأخذ الإمام الخمس منها، والباقي يقسم بينهم، والفيء يأخذه الإمام فيضعه في مصلحة المسلمين، وليس فيه الخمس. وقال بعضهم: الغنيمة والفيء واحد.

ثم قوله: **واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه**، إلى آخر ما ذكر، ذكر الخمس ولم يذكر الأربعة الأخماس[1] أنها لِمَن. لكنها للمُقاتِلة، بقوله:[2] فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا.[3] فكانت الغنيمة كلها لمن غنمها بظاهر هذه الآية، إلا ما استثنى الله منها[4] بالآية الأولى، وهو الخمس. وهذا مما أجمع عليه أهل العلم، وعلى ذلك تواترت الأخبار[5] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته موقوفةً مِن بَعده. رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المال، يعني الغنيمة، قال: «لي خمسه، وأربعة أخماسه[6] لهؤلاء»، يعني المسلمين.[7] وروي أنه قسمها بين المُقاتِلة، يعني الأربعة الأخماس.[8] وفي بعض الأخبار أن أبا الدرداء وعُبادة بن[9] الصامت[10] والحارث بن معاوية كانوا جلوسا، فقال أبو الدرداء:[11] أيكم يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى إلى بعير من المَغْنَم،[12] فلما انصرف تناول[13] من وَبَر البعير فقال: «ما يحل لي من غنائمكم ما يَزِن هذه إلا الخمس، ثم هو مَردُود فيكم».[14] وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كانت الغنائم تُجَزَّأ[15] خمسة أجزاء، ثم يُسهَم عليها، فما صار لرسول الله فهو له.[16]

---

[1] ك: أخماس.
[2] ك: لقوله.
[3] سورة الأنفال، ٦٩/٨.
[4] ع م: عنها.
[5] ك – الأخبار.
[6] م: أخما.
[7] أخرجه ابن أبي شيبة والبغوي وابن مردويه والبيهقي في شعب *الإيمان*؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٩/٤.
[8] ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة؛ انظر مثلا: *صحيح مسلم*، الجهاد ٤٧–٥٠؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ٢٣–٢٤. وانظر للمزيد من الروايات: *نصب الراية* للزيلعي، ٤١٢/٣.
[9] ك: ابن.
[10] ع: وعباد بن صامت.
[11] ع: أبوا الدرداء.
[12] ع: من الغنم.
[13] ك ن: فناول؛ ع م: فتناول.
[14] روي بمعناه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣١٦/٥، ٣١٩، ٣٢٦؛ و*سنن النسائي*، قسم الفيء ١.
[15] ك: تجزئ.
[16] روي عن ابن عمر بلفظ: ... فما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له يَتَخَيَّر. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٧١/٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت الغنيمة تُقسَم على خمسة أخماس، فأربعة منها لمن قاتل عليها،[1] وغير ذلك من الأخبار. وعلى ذلك اتفاق الأمة.[2] ومنهم من يقول: يُقسَم [الخُمس] على ستة، سَهمٌ لله يُجعَل في ستر الكعبة، وسهمٌ لرسوله ينتفع به. ومنهم من قال: يُقسَم[3] على خمسة، سهمٌ لرسول الله،[4] وأربعة أخماس[5] لمن غنم. ومنهم من يقول: يُقسَم[6] على أربعة، سهمٌ لرسوله، وثلاثة أرباعه لمن غنم.

ثم قوله: **فأن لله خمسه وللرسول**، يحتمل إضافة ذلك إلى نفسه وجهين. أحدهما لِما جعل ذلك لإقامة العبادات وأنواع البر والخير والقُرَب التي هي لله، فأضيف إليه على ما أضيف المساجد إليه، بقوله:[7] وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[8] وإن كانت البقاع كلها لله. وكذلك ما سمى الكعبة بيت الله –وإن كانت البيوت كلها لله– لِما جعلها[9] موضعا[10] لإقامة العبادات وأنواع القُرَب، فأضيف إلى الله لذلك.[11] فعلى ذلك يحتمل إضافة ذلك السهم إلى الله لما جعله لإقامة العبادات والقُرَب وأنواع البر. *والله أعلم*.

والثاني أضاف ذلك إلى نفسه خصوصية لرسول الله، إذ كان[12] ذلك لرسوله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله وأموره لله خالصا، لم يكن لنفسه ولا لأحد من الخلق، فعلى ذلك جميع ماله وما كان تَحْوِيه يدُه لم يكن له، إنما كان ذلك[13] لله خالصا يصرف ذلك في أنواع القُرَب والبر في القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل، الأحياء منهم والأموات جميعا، والقريب منهم والبعيد جميعا. ألا ترى أنه قال: «إنّا معشرَ الأنبياء لا نُورَث، ما تَرَكْنا صدقةٌ».[14]

---

[1] *تفسير الطبري*، ١٠/٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٦.
[2] ك: الأئمة.
[3] ك: تقسم.
[4] ع – الله؛ م: لرسوله.
[5] ك: أخماسه.
[6] ك: تقسم.
[7] ك: لقوله.
[8] سورة الجن، ٧٢/١٨.
[9] ع: ما جعلها.
[10] ع م – موضعا.
[11] ع م: ذلك.
[12] ن: إذا كان.
[13] ك – ذلك.
[14] روي قريبا منه. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٦٣؛ و*صحيح البخاري*، فرض الخمس ١؛ و*صحيح مسلم*، الجهاد ٥١.

هذا يدل أن ما يترك[١] صدقة[٢] لا يُورَث منه، ولو كان له لَوَرِث[٣] ورثتُه ما يُورَث مِن غيرِه. دلّ أن نفسه وماله كان لله خالصا. وكذلك جميع أموره لله خالصا.[٤] ألا ترى أنه رُوي في الخبر أنه كان يجوع يوما ويشبع يوما، ويشبع يوما[٥] ويجوع ثلاثا،[٦] وكان يربط الحجر على بطنه للجوع.[٧] فإذا كان كذلك كان[٨] إضافة ذلك الخمس[٩] إلى الله لخصوصيته[١٠] له، وخُلوصِ نفسِه ومالِه له.[١١] وإن كان جميع الخلائق[١٢] وما تَحْوِيه أيديهم لله حقيقة، لٰكِنْ لهم فيها الانتفاعُ وقضاءُ الحوائج والتدبيرُ لأنواع التصرّف في ذلك ومشاركةُ غيرٍ في ذلك، لم يُخَصّ بالإضافة إليه، وإن كان ذلك كله[١٣] لله حقيقة. ولَمَّا كان نفسُ رسولِ الله وما تَحْوِيه[١٤] يدُه لله، لا تدبيرَ له في ذلك، ولا شِركَ لأحدٍ فيه، خُصّ بإضافة[١٥] ذلك إليه.[١٦] وهذا / كما قال -والله أعلم- ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ،[١٧] وقال: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ،[١٨] وقال: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،[١٩] وقال: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[٢٠] [٢٨٧ظ]

[١] ن ع: ما ينزل.
[٢] ع + هذا يدل أن ما ينزل صدقة.
[٣] ك ن ع: ليورث؛ م: ليوارث.
[٤] ع م - خالصا.
[٥] ع م - ويشبع يوما.
[٦] عن أبي أُمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَرَض عليّ ربّي لِيجعل لي بَطْحاء مكّة ذَهَبا، قلت: لا يا ربّ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما -أو قال- ثلاثا -أو نحو هذا- فإذا جُعْتُ تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٥٤/٥؛ و*سنن الترمذي*، الزهد ٣٥). وحسّنه الترمذي.
[٧] وذلك في غزوة الخندق. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠٠/٣؛ و*صحيح البخاري*، المغازي ٢٩. وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يربط حَجَرَيْن. انظر: *سنن الترمذي*، الزهد ٣٨.
[٨] ع م - كذلك كان.
[٩] م: الجنس.
[١٠] م: لخصوصية.
[١١] ن - له.
[١٢] م: الخلق.
[١٣] ن - كله.
[١٤] ك: وما يحويه.
[١٥] جميع النسخ: بالإضافة.
[١٦] م + كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول الله.
[١٧] سورة الحج، ٥٦/٢٢.
[١٨] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
[١٩] سورة الفاتحة، ٤/١.
[٢٠] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

خصّ[1] بالذكر مُلْكَ ذلك اليوم له[2] والبُروزَ له لما ينقطع يومئذٍ تدبيرُ جميعِ ملوكِ الأرض ويذهب سلطانهم عنهم ويصفو[3] البروزُ له، وإن كان المُلك له[4] في الأحوال كلها والأوقات جميعا، وكذلك البروزُ له والمصيرُ إليه، وإن كان ذلك راجعا إليه في كل الأحوال. فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

ثم ليس في ظاهر الآية دليل أن المراد[5] بقوله: **وَلِذِي الْقُرْبَى**، قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل في ظاهره دلالة أنه أراد به قرابة أهل السهام في ذلك؛ لأنه خاطب به الكل، بقوله: **واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى**، وظاهره أنه أراد به قُرْبَى مَن خاطب، وكان الخطاب لهم جميعا. ألا ترى أنه لم يفهم من قوله: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ،[6] قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن قرابة المخاطبين جميعا.[7] وكذلك لم يرجع قوله: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ،[8] إلى قرابة رسول الله، بل إلى قرابة المخاطبين به.[9] فعلى ذلك الظاهر من قوله: **ولذي القربى**. إلّا أن يقال: أراد قرابة[10] رسول الله بدلالة أخرى سوى ظاهر الآية، وهو ما رُوي أنه[11] قسم الخمس بين بني هاشم،[12] وما رُوي أنه قال: «ما لي من هذا المال إلا الخمس، والخمس مردود فيكم»،[13] وما رُوي أن نَجْدَة[14] كتب إلى ابن عباس[15] يسأله عن سهم ذي القربى،

---

[1] ع - بإضافة ذلك إليه وهذا كما قال والله أعلم الملك يومئذ لله وقال لمن الملك اليوم لله وقال مالك يوم الدين وقال وبرزوا لله جميعا خص.

[2] ع م - له.

[3] ك: عنه ويصفوا؛ ع م: ويصفوا.

[4] ع م - له.

[5] م: دليل المراد.

[6] سورة النساء، ٧/٤.

[7] ع م - جميعا.

[8] سورة البقرة، ١٨٠/٢.

[9] ن - به.

[10] ع: بالقرابة.

[11] ع م - أنه.

[12] روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى بني هاشم وبني المطلب من الخمس. انظر: *صحيح البخاري*، المغازي ٣٨؛ وسنن *أبي داود*، الخراج ١٩-٢٠.

[13] روي نحوه عن طريق عدد من الصحابة. انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ١٨٤/٢، ٣١٦/٥، ٣١٩، ٣٢٦؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١٢١، ١٤٩؛ وسنن *النسائي*، قسم الفيء ١.

[14] نَجْدَة بن عامر بن عمير اليَمَامِي، من رءوس الخوارج. خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية. وله مقالات معروفة، وأتباع انقرضوا. مات مقتولا في سنة ٧٠هـ/٦٩٠م. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر، ١٤٨/٦.

[15] م: كتب إلى إلى.

فكتب إليه: كتبتَ[1] تسألني عن سهم ذي القربى[2] لمن هو، وهو لنا أهلَ البيت، وقد كان عُمَر دعانا إلى أن يُنكِح منه أَيِّمَنا ويقضي[3] عنه[4] مَغْرَمنا، فأَبَيْنا إلّا أن يُسَلِّمَه إلينا، فأبى ذلك علينا.[5] فدل فِعل عُمَر هذا على أن التأويل في الخمس كان عنده أن رسول الله كان يَصِل[6] به قرابته، ويَسُدّ بالخمس حاجتهم، إذ كان[7] سبيل الخمس ما ذكرنا أنه لله،[8] بمعنى أنه يصرف في وجوه القُرَب إليه، فلو كان الخمس حقًا لجميع[9] القرابة أعطى من ذلك غنيّهم وفقيرَهم. وما يأخذه الأغنياء من الخمس فإنه لا يجري مجرى الصدقة ولا مجرى القُربة، فبان بذلك أنه [كان] لا يُعطِي منه أغنياءهم بل يَصرف[10] إلى فقرائهم على قدر حاجتهم، إذ لم يكن له مَكاسِب سواه يَصِل بها كما يكون لغيره من الناس من المكاسب وأنواع الحِرَف. ومما يدل على أن رسول الله أعطى بعض القرابة دون بعض ما رُوي عن جُبَير بن[11] مُطعِم قال: لما قسم رسول الله سهم ذوي القربى[12] بين[13] بني هاشم وبني المُطَّلِب أتيت أنا وعثمان، فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء بنو هاشم[14] لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله فيهم، أرأيت بني المُطَّلِب، أَعطيتهم ومَنعتَنا، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال:[15] «إنهم لم يفارقوني[16] في جاهلية ولا إسلام، وإنما بنو هاشم وبنو المُطَّلِب شيء واحد»، وشَبَّك بين أصابعه.[17]

---

[1] ك ن ع: كنت.
[2] م – فكتب إليه كتبت تسألني عن سهم ذي القربى.
[3] ن ع م: ونقضي.
[4] ع – عنه.
[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٢٠؛ و*سنن النسائي*، قسم الفيء ١. وروي مختصرا؛ انظر: *صحيح مسلم*، الجهاد ١٣٧؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ١٩-٢٠.
[6] ع: يصلى.
[7] ع م + جعل.
[8] ن: أن لله.
[9] ن ع م: بجميع.
[10] ن: بل يعطى؛ م – يصرف.
[11] ن ع: ابن.
[12] م: وذي القربى.
[13] ك: بني.
[14] ك: بني هاشم.
[15] ع م: يقال.
[16] ع م: لا يفارقوني.
[17] *صحيح البخاري*، المغازي ٣٨؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ١٩-٢٠؛ و*سنن النسائي*، قسم الفيء ١؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٩.

وقوله: **فأن لله خمسه وللرسول**، إلى آخر ما ذكر، بَيَّن أنّ خُمُس الغنيمة يُصرَف في وجوه البر والقُرَب إلى الله، ثم فسّر تلك الوجوه، فقال: **وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**، فكانت تسمية هذه الأصناف -والله أعلم- تعليما لنا أن الخمس يُصرَف فيمن ذكر من أهلها دون غيرهم. وليس ذلك إيجابا منه لكل صنف منها شيئا[1] معلوما، ولكن على بيان الأهل والموضع. وهو كقوله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،[2] الآية. حمل أصحابنا ذلك على أن الصدقة لا تجوز[3] إلا لمن كان من أهل هذه الأصناف[4] دون غيرهم، ولم يحملوا الأمر على أن لكل صنف منهم شيئا معلوما محدودا، ولكن على بيان أهلها. وعلى ذلك رُوي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم عمر وعلي وحذيفة وابن عباس وجماعة من السلف ما يَكثُر عددهم، قالوا: إذا وَضعتَ الصدقة في صنف واحد أَجزأَك،[5] فلو كان لأهل كل صنف الثُّمُن[6] منها كان المُعطِي بها صنفا واحدا مخالفا لما أمر به. فعلى ذلك قوله: **فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى**، الآية، معناه -والله أعلم- أن الخمس الذي يُتَقَرَّب به من الغنيمة إلى الله لا يستحقه إلا الرسول، ومن كان من الأصناف التي ذكرها[7] فإلى أيهم[8] دفع ذلك الخمس أجزأه. وإذا كان التأويل ما وصفنا لم يكن لأحد من أهل هذه الأصناف أن يدّعي منه خمسا ولا ربعا، ولكن يُعطَى كلُّ مَن حضر منهم بقدر فَاقَتِه وحاجته وعلى قدر ما يراه الإمام، فإذا جاء فريق آخرون أُعطُوا مما يُدفَع إلى الإمام من ذلك الخمس من المال كفايتَهم. وكذلك رُوي عن ابن عمر أن ابن[9] عباس قال: كان عمر يعطينا من الخمس نحوا[10] مما كان يرى أنه لنا، فرَغِبنا عن ذلك وقلنا: حق[11] ذي القربى خمس الخمس، فقال عمر:

---

[1] ك: شيئا منها.

[2] ﴿إنما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلَّفَة قلوبهُم وفي الرّقاب والغارِمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠).

[3] ك ع م: لا يجوز.

[4] ك: الأصنام.

[5] انظر لمجموع الروايات: *تفسير الطبري*، ١٠/١٦٦-١٦٧.

[6] أي لو أعطى لكل صنف من الأصناف الثمانية المذكورين في آية الصدقة الثُمُن...

[7] ن: أذكرها.

[8] م: فإلى رأيهم.

[9] ع م – ابن.

[10] ع: نحو.

[11] ن + حق.

إنما جعل الله الخمس لأصنافٍ سمّاها، فأسْعَدُهم بها أكثرُهم عددا وأشدُّهم فاقة، فأخذ ذلك ناس وتركه ناس.[١] وكذلك فَعل عمر لَمّا وَلِيَ الأمرَ، كما روي[٢] عن ابن عباس قال: عَرَض علينا عمر أن يُزَوِّج من الخمس أَيِّمَنا ويقضي[٣] منه مَغْرَمنا، فأبينا[٤] عليه إلا أن يُسلِّمه إلينا، فأبى ذلك علينا. فدل فِعل عمر على أن القرابة يُعطَون من الخمس قدر حاجتهم وما يسدّ به فاقتهم، إذ لو كان الخمس حقا لجميع[٥] القرابة أعطى من ذلك غنيَّهم وفقيرَهم. ومما يدل أيضا على أن الخمس لو كان حقا لجميع[٦] القرابة غنيِّهم / وفقيرِهم[٧] لَقَسمه[٨] رسول الله [٢٨٨و] صلى الله عليه وسلم فيهم كما قسم الأربعة الأخماس بين المُقاتِلة، بل أَعطى منه بعض القرابة وحَرَم بعضا، لما ذكرنا في [حديث] جُبَير بن مُطعِم. ومما يدل أيضا أن ذلك لأهل الحاجة منهم[٩] دون الكل ما روي أن الفضل بن[١٠] عباس وفلانا[١١] دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يومئذ عند زينب بنت جحش، فقالا:[١٢] يا رسول الله، أنت أبرّ الناس وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح، فجئناك لِتُؤَمِّرَنا على هذه الصدقات، فنؤدي إليك ما يؤدي العُمّال، ونُصيبُ منها ما يُصيبون. فسكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه[١٣] ثانيا، حتى جعلت زينب تَلْمَع[١٤] إلينا من وراء الحجاب أنْ لا تُكلّماه. ثم قال: «أَلَا إن الصدقة لا تنبغي[١٥] لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس، ادعوا[١٦] لي مَحْمِيَة[١٧] –وكان على الخمس–

[١] روي قريبا منه؛ انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٦/٣٤٤.
[٢] جميع النسخ: ما روي.
[٣] ن ع م: ونقضي.
[٤] ع م: بينا.
[٥] ن ع م: بجميع.
[٦] ن ع م: بجميع.
[٧] م – ومما يدل أيضا على أن الخمس لو كان حقا لجميع القرابة غنيهم وفقيرهم.
[٨] ع: لقسمة؛ ن: بقسمة.
[٩] ن – منهم، صح هـ.
[١٠] ن: ابن.
[١١] جميع النسخ: وفلان. وهو عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.
[١٢] م: فقال.
[١٣] ع م – أن نكلمه.
[١٤] لمع يلْمَع وألمع يُلمِع أي أشار بيده (*لسان العرب* لابن منظور، «لمع»).
[١٥] ع م: لا ينبغي.
[١٦] ع – ادعوا.
[١٧] ع: إلى محية.

ونوفل[1] بن الحارث بن عبد المطلب»،[2] فجاءاه.[3] فقال لمَحْمِيَة:[4] «أَنْكِحْ هذا الغلامَ ابنتَك»، للفَضْل، فأَنْكَحَه؛ وقال لنوفل:[5] «أَنْكِحْ هذا الغلامَ ابنتَك»، فأَنْكَحَني،[6] ثم قال لمَحْمِيَة:[7] «أَصْدِقْهما[8] من الخمس كذا وكذا».[9] دل هذا على أن[10] الحق لهم فيه لأهل الحاجة منهم.
ومما يدل أيضا على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما لي من هذا[11] المال إلا الخمس، والخمس مردود فيكم».[12] لم يخص القرابة بشيء منه. كان سبيلُهم سبيلَ أمر المسلمين، يعطي من يحتاج منهم كفايته. وعلى هذا [كان] أمر[13] الأئمة الراشدين، ولم يغيره علي رضي الله عنه لَمّا وَلِيَ الأمر، وكان ذلك عندنا مما لا يجوز مخالفتهم عليه.

فإن قيل: لو كان قرابة النبي إنما يُعطَوْن من الخمس على سبيل الفقر والحاجة فهم على هذا يدخلون في عموم المساكين، فما وجه ذِكره إياهم إذًا؟

قيل: إن الله تبارك وتعالى قال في الصدقات: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،[14] الآية،[15] ثم رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحل الصدقة لمحمد، ولا لآل محمد»،[16] فلو لم يُسهِم الله في الخمس جاز أن يقول قائل: لا يجوز أن يُعطَوْا من الخمس وإن كانوا[17] فقراء، كما لا يجوز أن يُعطَوْا من الصدقة إذ كانوا[18] فقراء، فكان[19] سبب ذِكر الله إياهم في الخمس لذلك. *والله أعلم*.

---

[1] م: ونوافل.
[2] ع: ونوافل ابن الحارث ابن عبد المطلب.
[3] م: فجاؤه.
[4] ع: لمحية.
[5] ع م: النوفل.
[6] م: فأنكحه.
[7] ع: لمحية.
[8] م: اصدقها. أي أعطهما الصَّدَاق وهو المهر.
[9] *صحيح مسلم*، الزكاة ١٦٧؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ١٩-٢٠.
[10] ن: هذا أن.
[11] ع م: من هذه.
[12] تقدم تخريجه قريبا.
[13] جميع النسخ: مما أمر.
[14] سورة التوبة، ٩/٦٠.
[15] ع م - الآية.
[16] *سنن أبي داود*، الخراج ١٩-٢٠؛ و*سنن النسائي*، الزكاة ٩٥.
[17] ك: وإن كان؛ ع م: وإن يكونوا.
[18] ع م: أو كانوا.
[19] ع م: فكانوا.

ثم اختلف أهل العلم بعد وفاة رسول الله في سهم الرسول وسهم ذي القربى. فقال طائفة منهم:[1] سهم الرسول للخليفة من بعده، وسهم ذي القربى لقرابة الخليفة. وقال طائفة: سهم القربى لقرابة الرسول.[2] وقال الحسن [بن محمد]: سهم القرابة لقرابة الخلفاء.[3] وقال غيره: القرابة قرابة رسول الله. وقد ذكرنا أنه يحتمل أنه كان[4] له، يَصِل به قرابتَه بحق الصلة، أو يعطيهم بحق القرابة ما دام حيا. ثم قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا نُورَث، ما تَرَكْنا صدقةٌ»،[5] فإذا لم يُورَث عنه ما قد حازه من سهامه فكيف يُورَث عنه ما غُنِم بعد وفاته. ولو كان سهمه الذي لم يَلْحَقْه موروثا عنه كان سهمه الذي قد حازه أَحْرَى أن يُورَث عنه، فإذا لم يُورَث الذي قد حازه ومَلَكَه عنه لا يُورَث الآخر. **والله أعلم**.

وعن عائشة أن فاطمة والعباس[6] أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله، وهما حينئذ[7] يطلبان أرضه مِن فَدَك وسهمَه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا نُورَث، ما تَرَكْنا صدقةٌ»، إنما يأكل آل محمد في هذا المال -أي من[8] الغنائم- واللهِ لا أدع أمرًا رأيت رسول الله يصنعه فيه إلّا أصنعه.[9] وفي بعض الأخبار قال: «لا يَقسِم ورثتي دينارا ولا درهما، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومَئُونة عاملي[10] فهو[11] صدقة».[12] وعن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق مما أفاء الله عليه سنة، ويجعل ما بقي [يَجْعَلَ] مال الله. وروي أيضا عنه[13] قال: كانت أموال بني النَّضير[14] مما أفاء الله على رسوله،

---

[1] ك ع م - منهم.
[2] ن: رسول الله.
[3] تفسير *الطبري*، ١٠/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٥. والقائل هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب؛ وليس الحسن البصري كما يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق.
[4] ع: أن يحتمل كان.
[5] تقدم تخريجه قريبا.
[6] ن: وعباس.
[7] ك: ح.
[8] ع م: أي حق.
[9] صحيح *البخاري*، فرض الخمس ١؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٥٢.
[10] جميع النسخ: نفقة عاملي ومئونة نسائي.
[11] م + فهو.
[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٤٦٤؛ وصحيح *البخاري*، الوصايا ٣٢؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٥٥. ولفظ الصحيحين: «لا يَقْتَسِم...».
[13] ع: عنه أيضا.
[14] م: بني النضر.

وكانت له خالصا، وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جَعَلَه في الكُرَاع[1] والسلاح.[2] فهذه الأخبار تبين أنه لم يُورَّث سهمُ النبي بعد وفاته، فهي تدل على أن لا نُقَدِّر[3] بعد موت النبي من خمس الغنائم للخليفة شيئا، وأن ذلك إنما[4] كان خصوصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كالصَّفِيّ الذي كان له خاصة دون غيره،[5] وكما لم يُوجِف[6] عليه المسلمون بِخَيْل ولا رِكَاب فكان له ذلك خاصة، فليس لأحد لغير النبي صلى الله عليه وسلم خصوص من الخمس كما[7] ليس له خصوص من الصَّفِيّ وغيره،[8] فكان ذلك له خاصة.[9] وإذا كان الأمر في سهم الرسول كما وصفنا ولم يَنقص من الخمس الذي هو لله شيءٌ بعد موت النبي ويخرج ذلك الخمس كله من الغنيمة، فذلك يدل على أن الخمس ليس لأهل هذه السهام حقا مقسوما، ولكن يُعطَوْن منه بقدر فاقتهم. ويدل ذلك أيضا على أنه لا يجب لكل صنف من هذه الأصناف سهم معلوم، لأنا قد رددنا سهم النبي من الخمس على سائر السهام، فكما جاز أن يُرَدّ عليهم سهمُ النبي فكذلك يجوز أن يُجعَل سهمُ اليتامى أو بعضُه للمساكين إذا حضروا وطلبوا و لم يحضر اليتامى؛ لأن المعنى في الآية –والله أعلم– أن لا يُعطىَ إلا من كان من أهل هذه الأصناف، وإذا أُعطِيَ واحدٌ من أهل هذه الأصناف[10] فقد وُضِع الحقُّ في موضعه و لم يُتَعَدَّ به إلى غيره.

---

[1] الكُراع: اسم يجمع الخيل. والكُراع: السلاح. وقيل: هو اسم يجمع الخيل والسلاح (*لسان العرب* لابن منظور، «كرع»).

[2] *صحيح البخاري*، الجهاد ٨٠، فرض الخمس ١؛ و*صحيح مسلم*، الجهاد ٤٨.

[3] ن: أن نقدر؛ ع م: أن لا نقد.

[4] م – إنما.

[5] *سنن أبي داود*، الخراج ١٨-١٩؛ و*سنن النسائي*، قسم الفيء ١. والصَّفِيّ من الغنيمة ما اختاره الرئيس من المَغْنَم واصطفاه لنفسه قبل القسمة من فرس أو سيف أو غيره. وهو الصَّفِيّة أيضا. وجمعه صَفَايَا (*لسان العرب* لابن منظور، «صفو»).

[6] الوَجْف: سرعة السير. وَجَف البعيرُ والفرسُ يَجِف وَجْفا و وَجِيفا: أسرع. والوَجيف: ضَرْب من سير الإبل والخيل. وأَوْجَف دابته: إذا حَثَّها. وقوله تعالى: ﴿فما أَوْجَفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ (سورة الحشر، ٦/٥٩)، أي ما أَعْمَلْتم، يعني ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير مما لم يُوجِف المسلمون عليه خيلا ولا ركابا، والركاب: الإبل. وفي الحديث: لم يُوجِفوا عليه بخيل ولا ركاب، الإيجاف: سرعة السير (*لسان العرب* لابن منظور، «وجف»).

[7] ع – كما.

[8] ع: وغير.

[9] ن ع م – فكان ذلك له خاصة.

[10] ع م – وإذا أعطى واحد من أهل هذه الأصناف.

ثم الخطاب في قوله: **واعلموا أن ما غنمتم من شيء**، لا يحتمل كُلًّا في نفسه كالخطاب بأداء الزكاة وغيرها من الحقوق، بل الخطاب راجع إلى الجماعة الذين غنموا؛ ألا ترى أن العسكر أو السرايا إذا دخلوا دار الحرب فتفرّقوا فيها فغنم واحد منهم يجب ضمُّ ذلك / إلى جميع العسكر والسرايا، فعند ذلك يخرج الخمس منه. دلّ أن الخطاب بذلك راجع [٢٨٨ظ] إلى جماعة، وهي الجماعة التي لهم مَنَعَة يقومون للعدو، لا أنه خاطب كلَّ أحد في نفسه. فهذا يدل على أن الواحد أو الاثنين إذا دخلوا دار الحرب بغير إذن الإمام فغَنِموا[١] غنائمَ لا تُخَمَّس، ولكن يُسَلَّم الكلّ له.[٢] وأمّا الغنيمة نفسها لا يحتمل[٣] أن ترجع إلى حدّ[٤] معلوم أو مقدار محدود كالزكاة وسائر الحقوق، لأن الغنيمة شيء يؤخذ من أيدي الكفرة، وإنما يؤخذ قَدْرُ ما يُظْفَر به ويوجد، فلا يحتمل أن يرجع الخطاب به إلى قَدْر دون قَدْر، بل القليل[٥] من ذلك والكثير سواء، لا حدَّ في ذلك ولا مقدار، ليس كالزكاة وغيرها من الحقوق التي جَعل [الشارع] فيها حدّا ومقدارا للوجه الذي ذكرنا. وأما المصيبون لها والآخذون فلهم في ذلك مقدار، وهم الذين لهم مَنَعَة.

ثم نذكر[٦] مسألة في قسمة السهام بين الرَّجّالة[٧] والفُرْسان وإن لم يكن في الآية ذِكرُ ذلك. رُوي عن ابن عمر قال: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر الرجل سهما والفرس سهمين، ثلاثة أسهم له ولفرسه.[٨] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للراجل سهما، وللفارس ثلاثة أسهم، سهما له وسهمين للفرس.[٩]

---

[١] جميع النسخ: فغنم.
[٢] م – له.
[٣] ن: لا تحتمل.
[٤] ع م: إلى أحد.
[٥] ع: قدر القليل.
[٦] ن ع: ثم تذكر.
[٧] رَجِل الرَّجُل رَجَلا، فهو راجِل ورَجِل، إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه، والجمع رِجَال ورَجّالة... (*لسان العرب* لابن منظور، «رجل»).
[٨] روي الحديث بألفاظ مختلفة، فلفظ البخاري هكذا: عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للفرس سهمين، وللراجل سهما. قال: فسّره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم. انظر: *صحيح البخاري*، المغازي ٣٨. ولفظ مسلم: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النَّفَل للفرس سهمين وللرجل سهما. وفي رواية أخرى لم يذكر: "في النَّفَل". انظر: *صحيح مسلم*، الجهاد ٥٧.
[٩] رواه إسحاق بن راهويه وغيره؛ ولم يذكر: "يوم خيبر". انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٣/٤١٢، ٤١٤.

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر أربعة أسهم، سهمَ ذي القربى، وسهما[1] له مع المسلمين، وسهمين للفرس.[2] ثم رُوي أيضا عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم للفارس سهمين وللراجل سهما.[3] وعن المقداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] أسهم له يوم بدر سهما، ولفرسه سهما.[5] وعن علي قال: للفارس سهمان.[6] وعن المنذر قال: بعثه عمر في جيش إلى حِمْص،[7] فأصابه غنائم، فقسم للفارس سهمين وللراجل سهما،[8] فرضي بذلك عمر.[9] فجعل بعض أهل العلم ما ذكره في هذه الأحاديث من الإسهام للخيل، وقولِ بعضِ الرواة: ثلاثة أسهم، للفرس سهمين،[10] وقولِ بعضِهم: أَسْهَم للفارس سهمين، اختلافا وتضادّا، فحملوا على التناسخ. وقد يجوز أن لا يكون ذلك كذلك. وقد تكون زيادته التي زاد[11] النبي للفرس على سهم -إن كان محفوظا ثابتا- لِنَفَلٍ نَفَّلَه الأَفْرَاسَ حينئذ[12] ترغيبا منه للمقاتِلة في اتخاذها، وتحريضا، كما يجوز أن يقول الإمام: من قتل قتيلا فله سَلَبُه، ومن جاء برأس كذا فله كذا،[13] يحرِّض بذلك المقاتلة في القتال. فعلى ذلك زيادة سهم لمكان الأَفْرَاس ترغيبا منه وتحريضا على اتخاذها. فأما إن كَثُرت الأَفْرَاس فإن سُهْمانَها لا تكون أكثر من سُهْمَانِ أصحابها، لأن الفارس أكثر غَنَاءً من فرسه، فإن لم يزد عليه لم ينقص عما يُسهَم [له]. وكان أبو حنيفة رحمه الله يُسهِم للفارس بسهمين،

---

[1] ك ن: وسهم.

[2] ع م - وعن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر أربعة أسهم سهم ذي القربى وسهما له مع المسلمين وسهمين للفرس. وانظر للحديث: *مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٦٦؛ و*سنن النسائي*، الخيل ١٧.

[3] جميع النسخ: سهم. والحديث رواه ابن أبي شيبة والدارقطني؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٣/٤١٧.

[4] ك - كان يقسم للفارس سهمين وللراجل سهما وعن المقداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[5] رواه الطبراني؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٣/٤١٧.

[6] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٦/٤٨٩.

[7] جميع النسخ: إلى مصر.

[8] جميع النسخ: سهم.

[9] *كتاب الآثار* لأبي يوسف، ١٧١.

[10] ع م - وللراجل سهم فرضي بذلك عمر فجعل بعض أهل العلم ما ذكره في هذه الأحاديث من الإسهام للخيل وقول بعض الرواة ثلاثة أسهم للفرس سهمين.

[11] ع + به؛ م: التي زادته.

[12] ك: ح.

[13] ع - كذا.

وأبو يوسف[١] يرى أن يُسهم للفرس سهمين، ولصاحبه بسهم. والحجة في ذلك قوله[٢] تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ،[٣] فكانت النضير خالصة لرسول الله، ولم يكن لمن حضرها من المسلمين شيء، إذ لم يُوجِفوا عليها[٤] بِخَيْل ولا رِكاب، وقد أَتَوْها مُشَاةً، فلما منع الرَّجَّالة من السُّهْمَان لاستغنائهم في فتحها عن الخيل جاز أن يُزاد الخيل في السُّهْمان على سُهْمان الرَّجَّالة إذا كان الرجال يُمنَعون السهام وإن حضروا إذا لم يُلْجَئُوا إلى ركوب الخيل. لكن الحجة على هذا ما ذُكِر أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحاربوا على النضير فُرسانا ولا رَجّالة، ولو احتاجوا إلى الحرب لاحتاجوا إلى الخيل، فمن حيث لم يحاربوا[٥] عليها لم يستحقوا منها شيئا. وإنما ذَكَّرنا الله تعالى على سهولة أمرها وأنهم لم يحاربوا عليها خيلا ولا رِكَابا. وإذا لم يُحَارَبْ على مدينة فغَنِموا بمال فهو مصروف في مصالح المسلمين، لا يجري فيه السهام. فكانت النضير على ما ذُكِر خالصةً للنبي، يأخذ منها نفقة نسائه، ويصرف سائرها إلى مصالح المسلمين. ومن الدليل على أن النضير لو احتيج منها[٦] إلى حربٍ حَارَبهَم [فيه] النبيُ وأصحابُه رَجَّالةً لجَرَتْ[٧] في غنائمهم القسمةُ أنّ قوما من المسلمين لو حاربوا اليوم على مدينة من مدائن الشرك رَجّالة قُسِم ما يُغنَم منها كما يُقسَم لو كان معهم فُرسان. ومن الدليل على ذلك أيضا أن الرَّجّالة إذا كانوا مع الفُرسان في الحرب قُسم لهم[٨] كما يُقسم للفارس خاصة، فلو كانت الغنيمة إنما تُقسم لسبب الخيل ما أُعطي الرَّجّالة منها شيئا، إذ لا أَفْراس لهم، وذلك يفسد ما ذكرنا لأبي يوسف.

وقوله عز وجل: **إن كنتم آمنتم بالله**، قال بعضهم: هو صلة قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ،[٩] ثم قال: وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ،[١٠] أي وَإِنْ تَوَلَّوْا هُمْ[١١]

---

[١] م: فأبو يوسف.

[٢] جميع النسخ: بقوله، + قال الله.

[٣] ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجَفْتُم عليه من خيل ولا ركاب ولكنّ الله يُسَلِّط رُسُلَه على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ (سورة الحشر، ٦/٥٩).

[٤] ك: عليه.

[٥] ع م: حيث يحاربوا.

[٦] ن – منها.

[٧] جميع النسخ: جرت.

[٨] ن – لهم.

[٩] سورة الأنفال، ٣٩/٨.

[١٠] الآية السابقة.

[١١] م: وإن تولوهم.

وقد آمنتم أنتم فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ، ليس بمولى لهم. وقالت طائفة: قوله: **إن كنتم آمنتم بالله**، ليس على الشرط على أن لا يكون غنيمة إذا لم يكونوا مؤمنين، ولا يجب[1] العدل في القسمة إذا كانوا غير مؤمنين، ولكن على التنبيه والإيقاظ، كقوله: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[2] وكقوله: وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[3] ليس على أنه لا يجب أن يذروا إذا لم يكونوا مؤمنين، ولا يجب أن يطيعوا إذا لم يكونوا مؤمنين، ولكن على ما ذكرنا، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

وقوله: **وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان**، قيل: قوله:[4] **ما أنزلنا على عبدنا**، الملائكة الذين أرسلهم يوم بدر لنصرة[5] المؤمنين،[6] وأنزل عليهم المطر حتى شدّ الأرض بذلك، فاستقرت أقدامهم وثبتت بعد ما لا تقرّ[7] الأقدام فيها ولا تثبت، وشربوا منه ورَوَوْا بعدما أصابهم العطش، إذ كان[8] المشركون أخذوا الماء. وقوله: **وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان**، يوم بدر. وقوله: **يوم الفرقان**، قيل: يومَ فَرْقٍ بين الحق والباطل، لأنه عز وجل جعل يوم / بدر آية، [٢٨٩و] حيث غَلَب المؤمنون المشركين[9] مع قلة عددهم وضَعْف أبدانهم وفَقْد الأسباب التي بها يحارَب ويقاتَل، وكثرةِ العدو وقوتهم ووجودِ أسباب الحرب والقتال، ليعلموا أنهم غَلبوا أولئك وهزموهم بنصر الله إياهم، فكان آيةَ فَرْقِ المُحِقّ منهم والمُبْطِل. وقيل: هو **يوم الفرقان**، ويومُ الجَمْعِ، جَمْعِ النبي والمؤمنين وجَمْعِ المشركين، ويومُ الافتراقِ افتراقِ[10] المشركين من المؤمنين وانهزامِهم،[11] وهو كما سمي يوم القيامة يوم الجمع ويوم الفراق بقوله:[12] يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ،[13]

---

[1] ع م + في.
[2] سورة البقرة، ٢٧٨/٢.
[3] م – وكقوله وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين. وانظر للآية: سورة الأنفال، ١/٨.
[4] ن – قوله.
[5] ع: النضرة.
[6] ك: المسلمين.
[7] ن م: لا يقر؛ ع: لا يقرأ.
[8] ع: إذ كانوا.
[9] م: حيث غلب المشركون.
[10] ع: افتران.
[11] م: انهزامهم.
[12] ك: لقوله.
[13] سورة التغابن، ٩/٦٤.

وقال في آية أخرى: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ،[١] فهو يوم الجمع[٢] في حال، ويوم الافتراق في حال أخرى. *والله أعلم*.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **إذ أنتم بالعُدْوَة الدُّنْيا وهم بالعُدْوَة القُصْوَى**، قال بعضهم: العُدْوَة القُصْوَى شَفِير الوادي الأقصى،[٣] والعُدْوَة الدُّنْيا شَفِير الوادي الأدنى. وكذلك قال القُتَبي: العُدْوَة الشَّفِير، شَفِير الوادي.[٤] وقال أبو عَوْسَجَة: العُدْوَة ناحية الوادي التي تَلِيهم. وقال: إنما سميت "الدُّنْيا" لأنها دَنَتْ منك، و"الآخرة" لأنها استأخرت. وقيل: في حرف ابن مسعود "إذ أنتم بالعُدْوَة العُلْيَا وهم بالعُدْوَة السُّفْلَى." وقال[٥] أبو معاذ:[٦] العُدْوَة والعِدْوَة لغتان.[٧] **والرَّكْب** والرُّكْبَان والرِّكَاب والراكبون كله[٨] لغة. وقال في حرف حفصة: "إذ أنتم بالعُدْوَة القُصْيَا."[٩] وقال بعضهم: **إذ أنتم**، معشر المؤمنين، **بالعُدْوَة الدُّنْيا**، من دون الوادي على الشَّطّ مما يلي المدينة، **وهم بالعُدْوَة القُصْوَى**، من الجانب الآخر مما يلي مكة، يعني مشركي مكة.

وقوله: **والرَّكْب أسفلَ منكم**، يعني أصحاب العِير على ساحل البحر، أو على الماء. وقال قتادة: جمع الله المشركين والمسلمين ببدر على غير ميعاد، وهما شَفِيرا[١٠] الوادي، كان المسلمون بأعلاه،[١١]

---

[١] سورة الروم، ١٤/٣٠.

[٢] ع م - ويوم الفراق بقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقال في آية أخرى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فهو يوم الجمع.

[٣] ع م: والأقصى.

[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٩.

[٥] ك: قال.

[٦] بُكَير بن معروف الأسدي أبو معاذ أو أبو الحسن النيسابوري ويقال الدامغاني (ت. ١٦٣هـ/٧٨٠م)، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور، ثم سكن دمشق، روى الحديث عن أبي حنيفة ومقاتل وغيرهم. انظر: *تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٤٣٤/١؛ *وطبقات المفسرين* للسيوطي، ٤٢/١.

[٧] وقد قرئ بهما في المتواتر، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب من القراء العشرة بكسر العين، والباقون بضم العين؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٧٦/٢.

[٨] م - كله.

[٩] نُسبت هذه القراءة إلى زيد بن علي؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٦/١٠.

[١٠] ن ع م: شفير.

[١١] ن: بأعاه.

والمشركون بأسفله، **والرَّكْب أسفلَ منكم**، أبو سفيان انطلق بالعِير[١] في رَكْب نحو البحر.[٢] وقيل: **إذ أنتم** بأدنى المدينة وهم بأقصى مما يلي مكة على ما ذكرنا.

وقوله: **ولو تَواعَدتم لاختلفتم في الميعاد**، يحتمل أي لو علمتم أنكم[٣] تخرجون إلى الحرب دون العِير لم تخرجوا إلا بميعاد[٤] لتتأهَّبوا للحرب والقتال،[٥] فاختلفتم في الميعاد، إما للخروج نفسه، وإما للميعاد نفسه، أتخرجون أو لا تخرجون، أو منكم من يؤخِّر الخروج عن وقت الميعاد، ومنكم من لا يخرج رأسا لينقضي ذلك.

وقوله عز وجل: **ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا**، يحتمل ليُنجِز الله ما كان وَعد من الظفر والنصر. أو **ليقضي الله أمرا كان** في علمه **مفعولا**،[٦] أن إحدى الطائفتين[٧] لكم، كأنه[٨] قال: [**كان**] وعد الله **مفعولا**، أي مُنجَزا. ويحتمل القضاءُ ابتداءَ إنشاءٍ وخَلْقٍ، أي **ولكن** لينشئ الله ما قد علم أنه يكون كائنا؛ أو ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا.[٩] *والله أعلم*.

وقوله: **لِيَهلِك من هلك عن بينة ويَحيا من حَيَّ عن بينة**، قال بعض أهل التأويل: ليكفر من كفر بعد ذلك عن بينة وحجة أن رسول الله كان على الحق وكان صادقا، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.[١٠] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **لِيَهلِك من هلك عن بينة**، قال: ليموت من مات عن بينة، **ويحيا من حي عن بينة**، يقول: عن بيان وحجة. وهو -والله أعلم- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أتاهم بآيات حِسّية فسمَّوه ساحرا،[١١]

---

[١] م: بالعين.

[٢] جميع النسخ: الحرب؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٣١و. وقد رويت الرواية بمعناها. انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٤/٤.

[٣] ن – أنكم.

[٤] م: إلا لميعاد.

[٥] ن: أو القتال.

[٦] ع م + لا.

[٧] جميع النسخ + أنها.

[٨] ع: كافة.

[٩] ك – كائنا.

[١٠] ع: هذا.

[١١] ﴿وعَجِبوا أنْ جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ (سورة ص، ٤/٣٨). والآيات في هذا الباب كثيرة.

وأخبرهم[١] بالأنباء الماضية[٢] التي كانت في كتبهم فقالوا: إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٣] وقالوا: إنه مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ،[٤] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.[٥] وقد كان رسول الله يخالفهم في جميع صنيعهم من عبادتهم الأصنام والأوثان دون الله، وكان يخوّفهم ويُوعِدهم بأشياء، وكان لا يخافهم، وهم كانوا رؤساء كُبَراء لا يخالفهم أحد في أمرهم ونهيهم إلا من كان به جنون. فلما رأوا رسول الله خالفهم في جميع أمورهم[٦] نسبوه إلى الجنون، وقالوا:[٧] ساحر، مجنون، و مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ.[٨] فأراد الله أن يجعل له آية عظيمة حتى لا يقدروا بالنسبة إلى شيء مما كانوا ينسبونه[٩] من قبل، فوعد لهم النصر والفتح يوم بدر بعدما عَلِم أولئك ضَعْفَ المؤمنين وقِلّةَ عددهم وقوةَ أنفسهم وكثرةَ عددهم، ليكون حياةُ مَن حَيَّ بعد ذلك عن بينة وآية،[١٠] وموتُ من مات على مثل ذلك، وإن كان له من الآيات ما لو لم يعاندوا[١١] ولا كابروا عقولهم لكانت واحدةٌ[١٢] منها كافية.

فإن قيل: ما الحكمة في ذكر القصة من أولها إلى أخرها وهم قد علموا ذلك كله وشاهدوا؟

قيل: يُذكِّرهم[١٣] -والله أعلم- الحال التي كانوا هم عليها من الضَّعْف والقلّة والخوف وفَقْدِ أسباب الحرب والقتال وكثرةِ العدو[١٤] وقوتِهم ووجودِ أسباب[١٥] الحرب والقتال ليعلم الخلق أن النصر والغلبة ليس يكون بالكثرة[١٦] والقوة والأسباب، ولكن بالله عز وجل،

---

[١] ع: أو أخبرهم.
[٢] جميع النسخ: بأنباء ماضية.
[٣] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٢٥.
[٤] ﴿ثم تَولَّوْا عنه وقالوا مُعَلَّمٌ مجنون﴾ (سورة الدخان، ٤٤/١٤).
[٥] ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلِّمه بشر لسان الذي يُلحِدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٣).
[٦] ك: أمرهم.
[٧] ع + هذا.
[٨] ع – ومعلم مجنون. ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلَّم مجنون﴾ (سورة الدخان، ٤٤/١١).
[٩] ع: ينسبون.
[١٠] ع م – وآية.
[١١] ك: لو يعاندوا.
[١٢] ع + لكانت واحدة.
[١٣] ع م + الله.
[١٤] ع + وكثرتهم.
[١٥] ع: أسبابهم.
[١٦] م – من الضعف والقلة والخوف وفقد أسباب الحرب والقتال وكثرة العدو وقوتهم ووجود أسباب الحرب والقتال ليعلم الخلق أن النصر والغلبة ليس يكون بالكثرة.

لئلا يَكِلوا إلى الكثرة ولا يعتمدوا على القوة ولا يَضْعُفوا لقلّةٍ[1] ولا يَجْبُنوا ولا يخافوا غيره، [و]ليعرفوا أن ما أصابهم من الهزيمة والغلبة إنما[2] أصابهم لمعصيةٍ كانت منهم أو إعجابا بالكثرة واعتمادا بالقوة والأسباب. *والله أعلم*.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **إذ يُرِيكَهم الله في مَنامِك قليلا**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **في منامك قليلا**، المنام نفسه، كان الله يُرِي رسولَه المشركين في منامه قليلا، فأخبر[3] بذلك أصحابه بما رأى، فقالوا: رؤيا النبي حقّ، القوم قليل، ليس كما بلغنا أنهم كثير. فلمّا التقَوْا ببدر[4] قلّل الله المشركين في أعين المؤمنين تصديقا لرؤيا رسول الله.[5] وقال الحسن: قوله: **إذ يريكهم الله في منامك قليلا**، أي في عينيك التي تنام بهما، وهو في اليقظة،[6] لأنه ذكر أنه قال رسول الله[7] [٢٨٩ظ] صلى الله عليه وسلم: «تنام / عيني، ولا ينام قلبي»،[8] وإنما أراه إياهم قليلا في العين الذي به ينام، وهو عَيْنَا الوجه. ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدر حتى قُلْتُ لصاحبٍ لي: تراهم سبعين، فقال: أراهم مائة، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه، فقال: كنا ألفا.[9] فإن كان التأويل هذا الثاني أنه أراهم رسوله قليلا في اليقظة بالذي ينام فهو ظاهر. فإن كان أراه إياهم في المنام حقيقةً فلقائلٍ أن يقول: إن رؤيا الرسول وحي، فكيف أراه إياهم قليلا وهم كثير خلاف ما هو في الحقيقة؟ قيل: يحتمل أن يكون أراه[10] بعضهم، لا الكل، فهو حقيقةُ ما أراه إياهم، فذلك قليل.[11] *والله أعلم*.

[1] ع م – لقلة.
[2] م – إنما.
[3] ع م + الله.
[4] ن – ببدر.
[5] روي مختصرا عن مجاهد؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٤.
[6] *روح المعاني* للآلوسي، ١٠/٦.
[7] ك ن – رسول الله.
[8] *صحيح البخاري*، المناقب ٢٤؛ و*صحيح مسلم*، صلاة المسافرين ١٢٥.
[9] *تفسير الطبري*، ١٠/١٣-١٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٤.
[10] ن: رآه.
[11] ع م: فلذلك قيل.

وجائزٌ أن يكون أرى أصحابه إياهم قليلا وإن أضاف ذلك إلى رسول الله. دليله ما ذكر في آخره حيث قال: وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ.[١] وذلك كثير في القرآن، يخاطب[٢] به رسوله والمراد به غيره. ألا ترى أنه قال: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ،[٣] ومعلومٌ أنّ نزول هذه الآية بعد وفاة[٤] والديه.

وقوله عز وجل: **ولو أَرَاكَهم كثيرا لَفَشِلْتم**، أي لجَبُنتم، **ولتنازعتم في الأمر**، أي اختلفتم[٥] في أمر القتال والحرب. **ولكن الله سلّم**، قيل: **سلّم** وأتمّ للمسلمين أمرهم على عدوهم، فهزمهم ونصرهم عليهم. ويحتمل قوله: **سلّم**، أي أجاب للمسلمين لمّا استغاثوا واستنصروه بالنصر والظفر لهم. **إنه عليم بذات الصدور**، أي **عليم** بما في قلوب المؤمنين من الجُبْن والفَشَل وأمر عدوهم. *والله أعلم*.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وإذ يُرِيكُمُوهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويُقَلِّلُكم في أعينهم**، يحتمل قوله: **وإذ يريكموهم**، الآية، لما رأوا الملائكة لأنفسهم أنصارا وأعوانا، إذ كان قد وعد لهم النصر والإعانة بالملائكة، وكان[٦] العدو مع الملائكة فاستقلّوا، لأن العدو وإن كانوا كثيرا فهم قليل مع الملائكة، فرأوهم قليلا على ما كانوا. وقلّل هؤلاء في أعين أولئك، لأنهم كذلك[٧] كانوا[٨] قليلا، فرأوا على ما كانوا، ولم يروا الملائكة. وقال بعض[٩] أهل التأويل: قلّل هؤلاء في أعين هؤلاء، وهؤلاء في أعين هؤلاء[١٠] إذا التقوا، ليُضْرِي بعضَهم على بعض، وليجترئ بعضهم على بعض على القتال. *والله أعلم*.

---

[١] الآية التالية.
[٢] ع م: القرآن أن يخاطب.
[٣] سورة الإسراء، ٢٣/١٧.
[٤] ع م: وفات.
[٥] ع: أي أختلفتم.
[٦] ك: فكان.
[٧] ع م: لذلك.
[٨] ن + به.
[٩] ع: بعضهم.
[١٠] ن – وهؤلاء في أعين هؤلاء.

وقوله: **ليقضي الله أمرا كان مفعولا**، هو ما ذكرنا أنه ليُنجِز ما كان وعد لهم من النصر والظفر للمؤمنين، والغلبة والهزيمة على أولئك.[1] وكذلك ذكر في القصة أن قوله: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ،[2] في بدر،[3] فيه وعد ذلك لهم،[4] كقوله: كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً.[5] ويحتمل قوله: **ليقضي الله**، أي ليخلق الله وينشئ ما قد علم أنه يكون كائنا، أو ليفصل بين الحق والباطل مما قد علم أنه يكون. وقال بعض أهل التأويل: **ليقضي الله أمرا كان**، في علمه، **مفعولا**، كائنا، يقول: فيوجب أمرا لا بُدّ[6] كائن، ليعزّ الإسلام وأهله بالنصر، ويذلّ الشرك وأهله بالقتل والهزيمة. ***والله أعلم***. وهو قريب مما ذكرنا.

وإلى الله تُرجَع الأمور، أي إلى الله يرجع تدبير الأمور وتقديرها،[7] له التدبير في ذلك في الدنيا والآخرة. وذكر في بعض القصة أن أبا جهل[8] لما رأى قلة المؤمنين ببدر قال: والله لا يُعبَد الله بعد اليوم،[9] فأكذبه الله وقَتَله، فقال: **وإلى الله تُرجَع الأمور**، لا إلى الخلق. ***والله أعلم***. وأمر بدر من أوله إلى آخره كان آية حتى عرف كل أحد ذلك إلا من عاند وكابر[10] عقله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا لَقِيتم فئة فاثبُتوا**، قيل:[11] الفئة اسم جماعة يُنْحَازُ[12] إليها، وهو من الفيء، وهو الرجوع،[13] يَفِيئون[14] إليها ويرجعون. ذكر هاهنا الفئة وذكر في الآية التي تقدمت الزّحف، وهو قوله: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا،[15] مكان الفئة،[16]

---

[1] ن – أولئك.
[2] سورة القمر، ٤٥/٥٤.
[3] *صحيح البخاري*، الجهاد ٨٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٨٠/٧-٦٨١.
[4] ع م – لهم.
[5] سورة المزمل، ١٨/٧٣.
[6] ن + لا بد.
[7] جميع النسخ: وتقديره.
[8] ك + لعنه الله.
[9] روي عن قتادة؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١٠.
[10] ك: من كابر وعاند.
[11] ع: قليل.
[12] ن ع م: ينحاز.
[13] م: من الفيء والرجوع.
[14] ك ع: يفئون؛ ن: بعنون.
[15] يقول الله تعالى: ﴿إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تُوَلُّوهم الأدبار﴾ (سورة الأنفال، ١٥/٨).
[16] ك – وذكر في الآية التي تقدمت الزحف وهو قوله إذا لقيتم الذين كفروا زحفا مكان الفئة.

ونهى أولئك عن تولية الأدبار بقوله: فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ،[1] وقال هاهنا: **فاثبُتوا**، لِيُعلَم أن في النهي عن تولية الأدبار أمرٌ بالثبات، وفي الأمر بالثبات نهيٌ عن تولية الأدبار، فيكون في النهي عن الشيء أمرٌ بضدّه، و[في] الأمر بالشيء[2] نهيٌ عن ضدّه. ***والله أعلم***.

وقوله: **واذكروا الله كثيرا**، قال أبو بكر الكيساني: قوله: **اذكروا الله كثيرا**، أي اذكروا الله فيما تعبّدكم مِن طاعته ووَعَدكم مِن نصره، ولا تنظروا إلى الكثرة، فتظفروا.[3] ويحتمل قوله: **اذكروا الله**، فيما له[4] من أنفسكم وأموالكم، أي إن أنفسكم وأموالكم له، إن شاء أخذها منكم بوجهٍ تتقرّبون به إلى الله، فاذكروا الله[5] على ذلك. وهو ما ذكر [في] قوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[6] الآية. ويحتمل **اذكروا الله كثيرا**، في النعم التي أنعمها عليكم. أو يقول: اذكروا المُقام بين يدي رب العالمين، وذلك بالذي يمنعكم عن المعاصي[7] والخلاف لأمره، و[فيه] بعض ما يُرغّبكم في طاعته. فيكون على هذا التأويل الأمر بذكر الأحوال. ويحتمل الأمر بذكر الله باللسان، وذلك بعض ما يُستعان به[8] في أمر الحرب. **لعلكم تفلحون**، لكي تفلحوا بالنصر والظفر، أو **تفلحون**، أي تظفرون.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٤٦]

وقوله: **وأطيعوا الله ورسوله**، أطيعوا الله فيما يأمركم بالجهاد والثبات مع العدو، ورسولَه فيما يأمركم بالمقام في المكان والثبات وترك الاختلاف والتنازع في الحرب. وذلك بعض ما يُستعان به في أمر الحرب. **ولا تنازعوا فتفشلوا**، أي لا تُنازِعوا[9] / رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٩٠و]

---

[1] ن – بقوله فلا تولوهم الأدبار.

[2] ع: بشيء.

[3] ك ن ع: فتضطروا.

[4] ع م: لكم.

[5] ن + فيما له من أنفسكم وأموالكم أي إن أنفسكم وأموالكم له إن شاء أخذها منكم بوجه تتقربون به إلى الله فاذكروا الله؛ ع – الله.

[6] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتِلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وَعدا عليه حقّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).

[7] ع م: من المعاصي.

[8] م – به.

[9] ع: أي تنازعوا.

فيما يأمركم في أمر الحرب وعما ينهاكم، كقوله: يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ،[1] لأنكم إذا تنازعتم اختلفتم، فإذا اختلفتم[2] تفرّقتم، فإذا تفرّقتم فَشِلتم وجَبُنتم، فلا تُنصَرون ولا تَظفَرون[3] على عدوكم، بل ظفر بكم عدوكم. أو أن يقال: **لا تنازعوا**، لأنكم إذا تنازعتم تباغضتم، فيشغلكم التباغُض بأنفسكم [عن الجهاد]، ويترك[4] الجهاد مع العدو.[5] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وتذهبَ ريحُكم**، قال بعضهم: يذهب[6] نصركم وظفركم. وقال بعضهم: يذهب ريح دولتكم. ويحتمل **ريحكم**،[7] الريح التي بها تُنصَرون، على[8] ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[9] قال: «نُصِرتُ بالصَّبَا، وأُهلِكَ عاد بالدَّبُور».[10] وهو ما ذكر:[11] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا.[12]

وقوله: **واصبروا**، أي اصبروا للجهاد ولقتال[13] عدوكم. **إن الله مع الصابرين**، بالنصر لهم والظفر. وفي هذه الآية تأديب من الله المؤمنين وتعليم منه لهم فيما ذكرنا، أي في أمر الحرب وأسباب القتال والمجاهدة مع العدو، لأنه[14] أمرهم بالثبات، وأمرهم بذكر الله، ونهاهم عن التنازع والاختلاف، وذلك بعض ما يُستَعان[15] به في الانتصار على عدوهم.

---

[1] ﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبيَّن كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦).

[2] ع: فإذا أختلفتم.

[3] م: ولا ولا تظفرون.

[4] جميع النسخ: فيبقى.

[5] وعبارة الشارح هكذا: «فيشغلكم التباغُض بأنفسكم عن الجهاد، فيظفر بكم العدو، أو يُترَك الجهاد معهم ولا يقوم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٢٢و).

[6] ع م – يذهب.

[7] ن – ريحكم، صح ه؛ ع م – ريحكم.

[8] م: وعلى.

[9] ن ع م – أنه.

[10] *صحيح البخاري*، الاستسقاء ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، صلاة الاستسقاء ١٧.

[11] ع م: ما ذكرنا.

[12] ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٩).

[13] ن: والقتال.

[14] ع م: ولأنه.

[15] ن: ما يستفاد.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بَطَرا ورِئَاء الناس**، قوله: **بَطَرا**، أي كُفْرا بنعم الله، كقوله: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً،[١] الآية، فعلى ذلك هؤلاء[٢] خرجوا من ديارهم كفرا بأَنْعُم الله، لأنهم خرجوا إلى قتال محمد، وهو من أعظم نعم الله تعالى على خلقه، وهم كفروا تلك النعمة حيث خرجوا لقتاله. وكذلك قالوا في قوله: بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا،[٣] أي كفرت. وقوله: **بَطَرا**،[٤] كُفْرانا وتكبُّرا، أي خرجوا متكبرين كافرين. **ورِئَاء الناس**، يحتمل مراءاتهم وجهين، أحدهما مراءاتهم في الدين،[٥] لأنهم قالوا: اللهم[٦] انصر أهدانا سبيلا وأَوْصَلَنا رَحِما وأَقْرَانا ضَيْفا، عندهم أنهم على حق وأن المؤمنين على باطل. ويحتمل مراءاتهم في أمر الدنيا، لأنهم كانوا أهل ثروة ومال وأهل عُدّة وقوة، خرجوا[٧] مرائين للناس. وقوله: **ورِئَاء الناس**، لأنهم كانوا أهل شرف عندهم، فخرجوا لمراءاة[٨] الناس. **ويصدون عن سبيل الله**، أي يصدون الناس عن دين الله. أخبر عز وجل عن خروج أولئك الكفرة أنهم خرجوا لما ذكر، فكان فيه أمر للمؤمنين بالخروج على ضد ذلك، كأنه قال: اخرجوا أنتم شاكرين لنعم الله، قابلين منته، متواضعين، مخلصين له الدين، داعين الناس إلى دين الله، اخرجوا[٩] على ضد ما خرجوا هم.[١٠]

وقوله عز وجل: **والله بما يعملون محيط**، أي علمه محيط بهم، لا يغيب عنه شيء، أو لا يتخلّص[١١] أحد عن ملكه ولا يغيب. وقوله: **والله بما يعملون محيط**، يخرج على وجهين،

[١] ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنةً مُطْمَئِنّةً يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فكفرت بأَنْعُمِ الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٢).

[٢] ع م – هؤلاء.

[٣] ﴿وكم أهلكنا من قرية بَطِرَتْ معيشَتَها﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥٨).

[٤] ع م – الله تعالى على خلقه وهم كفروا تلك النعمة حيث خرجوا لقتاله وكذلك قالوا في قوله بطرت معيشتها أي كفرت وقوله بطرا.

[٥] ع: في الذين.

[٦] ع – اللهم.

[٧] ع: خرجواا.

[٨] ع: المراءاة.

[٩] ع م – أنتم شاكرين لنعم الله قابلين منته متواضعين مخلصين له الدين داعين الناس إلى دين الله اخرجوا.

[١٠] ع: على ما صد ما خرجوهم؛ م: ما خرجوهم.

[١١] ن: شيء لا يتخلص.

أحدهما **والله بما يعملون محيط**،[1] من مكايدهم وحِيَلهم والمكر برسول الله، في الدفع عنه والنصر له. والثاني **محيط**، بما يعملون، يَجْزيهم ويكافئهم، ولا يفوت عنه شيء، على الوعيد. *والله أعلم*.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤٨]

وقوله: **وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم**، قال بعضهم: **زيّن لهم الشيطان أعمالهم**، بالوساوس. **وقال لا غالب لكم اليوم من الناس**، وإنما قال لهم هذا ووسوس لهم لَمّا أُلقى إليهم: إنكم أهلُ حَرَمِ الله، وسُكَّانُ بيتِه وحُفَّاظُه، فيقول: يدفع عنكم نَكْبَة هؤلاء، يعني أصحاب محمد، كما دفع عنكم فيما كان من قبل.

وقوله عز وجل: **وإني جارٌ لكم**، قيل: مُجير لكم مُغيث. فعلى هذا التأويل كان قوله: **إني جار لكم**، كأنّه يخبر عن الله أنه يغيثهم كما أغاثهم[2] من قبل في غير مرة. وقال بعضهم: إن الشيطان تمثّل بصورة[3] رجلٍ يُقال له: سُراقة بن مالك بن[4] جُعْشُم، فأتاهم فقال: لا ترجعوا حتى تستأصلوهم،[5] فإنكم كثير وعدوكم قليل، فيأمَن غيركم،[6] ونحو[7] هذا من الكلام.[8] وقال صاحب التأويل الأول: لا يحتمل هذا، لأن أهل مكة كانوا جبابرة وأهل قوة وبَطْش وبأس، فلا يحتمل أن يَصْدُروا لآراء[9] رجلٍ هو دونهم، وهم بالوصف الذي ذكرنا.

[1] ع م – أو لا يتخلص أحد عن ملكه ولا يغيب وقوله والله بما يعملون محيط يخرج على وجهين أحدهما والله بما يعملون محيط.

[2] ن: كما أعانهم.

[3] م: في صورة.

[4] ع: ابن.

[5] م: حتى تستأصلوا.

[6] أي إن قتلتم المسلمين سيأمن غيركم من الناس أيضا، ولن يخافوا من المسلمين بعد ذلك.

[7] ن: وغير.

[8] في هذا المعنى روايات كثيرة. وكانت بين قريش وبين بني بكر عداوة، فخافوا أن يستغل بنو بكر هذه الفرصة ويهجموا عليهم من ورائهم. فلذلك تمثل لهم الشيطان في صورة سراقة الذي هو من أشراف بني بكر وطمأنهم. انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٨-٢٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٧-٧٨. وسُراقة بن مالك مشهور بقصته حين اتبع النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة للهجرة، ثم ساخت قوائم فرسه في الرمل...، وهو من مُسلِمة الفَتْح، (ت. ٢٤هـ/ ٦٤٤م). انظر: *الكاشف* للذهبي، ١/٤٢٦؛ *وتقريب التهذيب* لابن حجر، ٢٢٩.

[9] ك: لآرا.

وعلى هذا[1] التأويل[2] -أنه تمثّل به فلان- يكون قوله: **وإني جار لكم**، ما ذكر في بعض القصة أن أبا جهل وأصحابه اعتزلوا واستشاروا[3] فيما بينهم، فأتاهم إبليس مُتمثِّلا بسُرَاقَة، فامتنعوا عنه واستأخروا، فلما رأى ذلك منهم فقال: **إني جار لكم**، وكان جارا[4] لهم، فتأويل هؤلاء أشبه بما ذكر في آخر الآية.

وقوله عز وجل: **فلما تَرَاءَت الفئتان نَكَصَ على عَقِبَيْه**، أي رجع مُستأخِرا مُقبِلا وجهه إليهم، فقال **إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب**، إذا عاقب. قيل: رأى جبريلَ مع الملائكة ينزلون،[5] فخاف منهم.[6] ففيه دلالة أنه كان يخاف[7] الهلاك قبل اليوم[8] المعلوم.[9]

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، قال بعضهم: **الذين في قلوبهم مرض**، هم المشركون، **غَرَّ هؤلاء دينُهم**. وعن الحسن: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، قال:[10] هم قوم لم يشهدوا[11] القتال يوم بدر، فسُمُّوا منافقين.[12] وقال بعض أهل التأويل: إن قوما كانوا أسلموا بمكة، فأقاموا بها مع المشركين، ولم يهاجروا إلى المدينة. فلما خرج كفار مكة إلى قتال بدر[13] خرج هؤلاء معهم،[14] فلما عاينوا قلّة المؤمنين وضَعْفَهم شَكُّوا في دينهم وارتابوا،

---

[1] ك ن ع + أهل.

[2] م - الأول لا يحتمل هذا لأن أهل مكة كانوا جبابرة وأهل قوة وبطش وبأس فلا يحتمل أن يصدروا لآراء رجل هو دونهم وهم بالوصف الذي ذكرنا وعلى هذا التأويل.

[3] ك: وأشاروا.

[4] ن + لكم.

[5] ع: تنزلون.

[6] جميع النسخ: عنهم.

[7] ع - يخاف.

[8] جميع النسخ: يوم.

[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال فإنك من المُنظَرين. إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٧-٣٨).

[10] ن + بعضهم.

[11] ع: قوم يشهدوا.

[12] *تفسير الطبري*، ١٠/٢١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٩.

[13] ع م: إلى بدر.

[14] ع - معهم.

وقالوا:[1] **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، يعنون أصحاب محمد.[2] يقول الله: **ومن يتوكل على الله**، فيثق بوعده في النصر ببدر لقولهم: **غَرَّ هؤلاء دينُهم. فإن الله عزيز**، لا يُعجِزه شيء. وقوله: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، لأنه لم يكن معهم عُدَّة ولا أسباب الحرب من السلاح وغيره، فلم يكونوا يقاتلون إلا لقوة دينهم.

وقوله: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غَرَّ هؤلاء دينُهم**؛ فإن قيل لنا: ما الحكمة[3] في ذكر قول المنافقين في القرآن حتى نتلوه في الصلاة؟ قيل: ذكر -والله أعلم- / [٢٩٠ظ] لنعرف نحن عظيمَ منزلةِ الدين وخطيرَ قَدْرِه[4] في قلوبهم، أعني قلوب المؤمنين. وذلك أنهم بذلوا أنفسهم للهلاك لخروجهم لقتال عدوهم مع ضَعْفِهم وقلّة عددهم وكثرة أعدائهم وقوتهم، رَجَاءَ أن يَسْلَمَ لهم دينُهم. يَذكر [ذلك] لنا[5] لنعرف عظيمَ محلِّ الدين في قلوبهم، ليكون محلُّ الدين في قلوبنا على مثل قَدْرِه في قلوبهم.[6] وفي قوله: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غَرَّ هؤلاء دينُهم**، دلالة إثبات رسالة محمد، لأنهم إنما قالوا ذلك سرا فيما بينهم، فأَطْلَعَ اللهُ رسولَه[7] على ذلك، لِيُعلَم أنه عرف بالله.

ثم اختلف في قوله: **والذين في قلوبهم مرض**. قال بعضهم: هم المشركون، قال المنافقون والمشركون للمؤمنين: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**. وقال بعضهم: هم قومٌ أسلموا، وقد كانوا ضُعَفاء في الإسلام والدين، فلما خرجوا إلى بدر فرأَوْا ضَعْفَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة أولئك القوم قالوا عند ذلك: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**. وقد ذُكر في بعض القصة أن قوما كانوا أسلموا بمكة، ثم أقاموا مع المشركين، ولم يهاجروا إلى المدينة. فلما خرج كفار مكة إلى قتال بدر خرج هؤلاء معهم. فلما عاينوا قلّة المسلمين شَكُّوا في دينهم وارتابوا، فقالوا مع المنافقين: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، يعنون أصحاب رسول الله[8] صلى الله عليه وسلم. فقال الله[9] تعالى: **ومن يتوكل على الله**، من المؤمنين فيثق به[10] في النصر ببدر، لقولهم: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**.[11]

---

[1] ن: فقالوا؛ ع م: فقال.
[2] روي عن الكلبي وغيره؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٢١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٧٩.
[3] ك: ما الحكمة لنا.
[4] ع: قدرته.
[5] م + عظيم.
[6] ع م - في قلوبهم.
[7] ع: ورسوله.
[8] ن: محمد.
[9] ك ن - الله.
[10] ن - به.
[11] وقد تكررت هذه العبارات أعلاه، ولعل ذلك نتيجة لأسلوب الإملاء المتَّبع في تأليف الكتاب.

وقوله: **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، يجيء أن يكونوا[١] هم المنافقين[٢] على ما فسّره في آية أخرى.[٣] فإن كان على ذلك فيكون على إسقاط الواو، كأنه[٤] قال:[٥] يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض. إلّا أنْ يُقال: إن المنافقين هم الذين أَضمروا الكفر حقيقةً، **والذين في قلوبهم مرض**، هم الذين لم يُضمِروا الكفر، لكنهم[٦] ارتابوا وشَكُّوا، واعترض شَكٌّ وارتيابٌ مِن بَعد إذ رأَوْا[٧] تأخُّر الموعود.

وقوله عز وجل: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، يخرج على وجهين. أحدهما قالوا: **غَرَّ** الموعودُ الذي وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتوح لهم والنصر في الدنيا. يقولون: **غَرَّ [هؤلاء]** ذلك الموعودُ الذي كانوا [وُعِدوا] به من الفتوح والنصر.[٨] والثاني يقولون: **غَرَّ هؤلاء**، الموعودُ الذي وُعِدوا في الآخرة من النعيم الدائم والحياة الدائمة. فيكون أحد التأويلين بالموعود في الآخرة، وهو بالإسلام يكون. والثاني بالموعود في الدنيا، وهو الفتح والنصر الذي ذكرناه. وقوله: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، لما رأوا أنهم تركوا آباءهم وأولادهم وجميع شهواتهم وبذلوا أنفسهم للقتال ليَسْلَم لهم دينُهم؛ لذلك قالوا: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**، لما لم يكن خروجُهم وبذلُهم أنفسَهم لذلك إلا إشفاقا وخوفا على دينهم. أو طلبوا[٩] لما بذلوا أنفسهم حياة الأبد في الآخرة، فقالوا: **غَرَّ هؤلاء دينُهم**. *والله أعلم*.

وقوله: **ومن يتوكل على الله**، أي اعتمد على الله في حرب بدر -على ما ذكر أهل التأويل- والنصرِ فيه. وقوله: **فإن الله عزيز**، لا يُعجِزه شيء، يُعِزّ من يشاء بالنصر، ويُذِلّ من يشاء بالقتل والهزيمة. أو **من يتوكل على الله**، في جميع أموره ويَكِل إليه أمورَه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **عزيز حكيم**، العزيز في هذا الموضع هو الغالب، **حكيم**، مما أمر بالقتل.

---

[١] ك ع م: أن يكون.

[٢] جميع النسخ: المنافقون.

[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يَكذِبون﴾ (سور البقرة، ٢/١٠).

[٤] ن ع: وكأنه.

[٥] ن: يقول.

[٦] ن – لكنهم.

[٧] جميع النسخ: إذا رأوا.

[٨] ك ع م + الذي وعد لهم؛ ن – وعدهم رسول الله من الفتوح لهم والنصر في الدنيا يقولون غر هؤلاء ذلك الموعود الذي كانوا وعدوا به من الفتوح والنصر.

[٩] م: وطلبوا.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **ولو ترى إذ يتوف الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم،** قال بعضهم: الآية [في] مقابلة قوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ.[1] يقول –والله أعلم– **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا،** أي تُقبَض[2] أرواح الذين كفروا، كيف يقبضون أرواحهم وكيف يضربون وجوههم وأدبارهم. كأنه قال –والله أعلم– لو رأيت الحال التي تقبض[3] فيها أرواحهم وما ينزل لرأيت أنّ ما عملوا مِن صدّ الناس عن سبيل الله واستكبارهم على المؤمنين وخروجهم لقتال أصحاب رسول الله إنما عملوا[4] بأنفسهم لا بالمؤمنين. وقوله: **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم،** يحتمل ما ذكر من فعل الملائكة يوم بدر، لأن الآية ذُكرت في قصة بدر. ويحتمل أن يكون ذلك في كل كافر أنّ الملائكة يفعلون به ما ذكر، كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ،[5] الآية، هذا في كل كافر. وقوله: **يضربون وجوههم وأدبارهم،** ليس على إرادة حقيقة الوجه والدبر، ولكن على إرادة إيصال الألم إليهم بكل ضَرْب وكل جهة، كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[6] ليس على إرادة التحت والفوق، ولكن على إرادة إحاطة العذاب بهم،[7] فعلى ذلك الأول. وقال بعضهم: **يضربون وجوههم،** في حال إقبالهم[8] [على] المؤمنين، **وأدبارهم،** في حال إدبارهم وانهزامهم منهم.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ذلك بما قدّمت أيديكم،** ذكر تقديم اليد وإن كان الكفر من عمل القلب لما باليد يُقَدَّم في العُرف. وقوله: **ذلك بما قدّمت أيديكم وأن الله ليس بظلّام للعبيد،**

---

[1] سورة الأنفال، ٤٧/٨.

[2] ك: أي يقبض.

[3] ن ع م: يقبض.

[4] ع: إنما علموا. أي إنما ضَرُّوا بأعمالهم أنفسَهم ولم يضروا المؤمنين.

[5] ﴿ولو ترى إذِ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسَكم اليوم تُجزَون عذابَ الهُونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ (سورة الأنعام، ٩٣/٦).

[6] سورة الزمر، ١٦/٣٩.

[7] ن – بهم.

[8] م: في إقبالهم.

وفي الآية دلالة الرد على المجبرة،[١] لأنهم لا يجعلون[٢] للعبيد في أفعالهم صُنعا، يجعلون حقيقة الأفعال لله. وذكر **بما قدّمت أيديكم**، فلو لم يكن لهم صُنع لم يكن[٣] لقوله: **بما قدّمت أيديكم**، معنى. وكذلك قوله: **وأن الله ليس بظلّام للعبيد**، فلو لم يكن لهم حقيقة[٤] الفعل لكان التعذيب[٥] ظلما، دلّ أن لهم فِعلا. *والله أعلم*. قوله: **ليس بظلّام للعبيد**،[٦] فيما شرع من القتال والإهلاك والتعذيب في الآخرة، لأنه مَكّن لهم ما يكسبون به من النجاة والحياة[٧] الدائمة، فما لحقهم مما ذكر / إنما كان باكتسابهم واختيارهم. [٢٩١ر]

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **كدَأْب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله**، قال بعضهم: صنيع هؤلاء، أي صنيع أهل مكة بمحمد كصنيع فرعون وقومه بموسى، يعني[٨] في التكذيب[٩] والكفر بآياته. وقال قائلون: صُنْع الله بأهل مكة بالعقوبة والتعذيب[١٠] كصنيعه بفرعون وآله ومن سبق من الأمم من الإهلاك والتعذيب. وقد فعل بأهل مكة يوم بدر بسوء معاملتهم رسول الله كما فعل ذلك بفرعون وآله[١١] بسوء معاملتهم موسى.[١٢] و **كدَأْب**، قيل: كصنيع، وقيل: كفِعل، وقيل: كأشباه، وقيل: كعمل، وهو واحد.

وقوله عز وجل: **فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب**، وقوله: **شديد العقاب**، أي لا يُضعِفه شيء يمنعه عما يريد.

---

[١] أي الجبرية.
[٢] ن: لا لا يجعلون.
[٣] ع – لم يكن.
[٤] ع: لحقيقة.
[٥] ع: لكانت تعذيب.
[٦] ك – فلو لم يكن لهم حقيقة الفعل لكان التعذيب ظلما دل أن لهم فعلا والله أعلم قوله ليس بظلام للعبيد.
[٧] ن: إذ الحياة.
[٨] ع م– يعني.
[٩] ع: فالتكذيب.
[١٠] ع م – والتعذيب.
[١١] ن: بفرعون والله اعلم.
[١٢] ع: بموسى.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٥٣]

وقوله: **ذلك**، أي **ذلك** العذاب والعقاب الذي ذكره، **بأن الله لم يَكُ مُغيِّرًا نعمةً أنعمها على قوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم**، قال قائلون: النعمة التي أنعمها عليهم هم الرسل التي بعثهم إليهم، والكتب التي أنزلها عليهم، **لم يَكُ مُغيِّرا**، لتلك النعم، **حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم**، بالتكذيب والرد وترك القبول. وهو كقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً،[١] وقولِه: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا،[٢] الآية. وقال قائلون: قوله: **لم يَكُ مُغيِّرا نعمةً أَنعمها على قوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم**، أي حتى يصرفوا[٣] شُكر نعمه إلى غير الله ويعبدوا[٤] دونه، أي لا يغير النعم التي أنعمها عليهم، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، يعبدون غير الله ويشكرون غير الذي أنعم عليهم، فعند ذلك غَيَّرَ الله[٥] ما بهم من النعمة. وكذلك قال ابن عباس: نعمة من النعم، إن تولَّوْا عن شكرها غَيَّرَ الله عليهم وأخذها منهم. والثاني يحتمل[٦] النعمة الدينية، وهو تكذيبهم الرسل وردُّهم الكتب بعدما أقسموا أنهم يكونون أهدى مِن إحدى الأمم،[٧] واختيارُهم الشركَ والكفرَ على الإسلام والتوحيد، فإذا اختاروا تغيير[٨] ذلك غَيَّرَ عليهم.

وقوله عز وجل: **ذلك بأن الله لم يَكُ مُغيِّرًا نعمةً أنعمها على قوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم**، يخرج على وجهين، أحدهما النعمة الدنيوية،[٩] لا تتغير تلك عليهم إلا بتغيير مِن قِبَلهم، إمّا بترك الشكر[١٠] لها، وإمّا بصَرْفه إلى غير الذي أنعمها عليهم. ولو غُيِّرت عليهم غُيِّرت ببَدَل، فليس ذلك في الحقيقة تغييرا.[١١] **وأن الله سميع عليم**، قيل: أي **سميع** لشكر من يشكره ويحمده،

---

[١] سورة الإسراء، ١٧/١٥.
[٢] سورة القصص، ٢٨/٥٩.
[٣] ك: أي يصرفوا.
[٤] ع م: ويعبدون.
[٥] ن - غير الله.
[٦] ك: تحتمل.
[٧] ﴿وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لئن جاءهم نذير لَيكونُنّ أَهْدَى مِن إحدى الأُمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نُفُورا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٢).
[٨] ن: تغير؛ م: التغيير.
[٩] ن ع م: الدنياوية.
[١٠] ع: الشرك.
[١١] جميع النسخ: تغير.

عليم، لزيادة النعمة إذا شكر. ويحتمل **سميع**، أي مجيب، **عليم**، بمصالحهم. ويحتمل أنه **سميع**، لما أَسَرّوا من القول وجَهَروا به، **عليم**، بما أَضْمَروا من العمل والشُّرُور.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **كَدَأْبِ آل فرعون والذين من قبلهم كذّبوا بآيات ربهم**. فإن قيل: ما فائدة تخصيص ذِكر آل فرعون مِن بينهم،[١] وما الحكمة في تكرار قوله: **كدأب آل فرعون**؟[٢] قيل: يحتمل تخصيص[٣] ذكر آل فرعون لِما كانوا أقرب إلى هؤلاء من غيرهم ممن كان قبلهم؛ ألا ترى أنه قال: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً.[٤] أو أنْ يُذَكِّرُ[٥] أهلَ الكتاب منهم لِما كانوا ينكرون بعث الرسول[٦] من غيرهم، ويقولون: إن محمدا أُمّي بُعث إلى الأُمّيين مثله، فقال: إن موسى لم يكن من القِبْط فبُعث رسولا إليهم، فعلى ذلك محمد وإن[٧] كان أُمّيا فبُعث[٨] إلى الأُمّيين وغيرهم. *والله أعلم بذلك*. وأما فائدة التكرار -والله أعلم- فهو[٩] أنه ذكر[١٠] في الآية الأولى الأخذ بالذنوب والتعذيب، ولم يبيّن ما كان ذلك العذاب، فبيّن في الآية الأخرى أن ذلك العذاب هو الإهلاك والاستئصال حيث قال: **فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون**، الآية. ويحتمل قوله: فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ،[١١] في الآخرة بكفرهم بآيات الله في الدنيا، ذكر في إحدى[١٢] الآيتين العذاب في الآخرة وفي الآية الأخرى الإهلاك في الدنيا. ولأنه ذكر في الآية الأولى[١٣] الكفر بآيات الله ولم يبين ذلك،

---

[١] ع: من دينهم.
[٢] تكرر ذلك قبل آيتين؛ انظر: سورة الأنفال، ٥٢/٨.
[٣] م – تخصيص.
[٤] سورة المزمل، ١٥/٧٣.
[٥] م: وأن يذكر.
[٦] ع م: الرسل.
[٧] م – وإن.
[٨] ك: بعث.
[٩] جميع النسخ: وهو.
[١٠] ن: أن ذكر.
[١١] سورة الأنفال، ٥٢/٨.
[١٢] ع م: في أحد.
[١٣] ن – الأولى، صح هـ.

وذكر في الآية[1] الأخرى التكذيب[2] بآياته، فبيّن[3] أن الكفر بآياته هو تكذيبها. ثم التكذيب[4] إنما يكون في الأخبار، وكذلك التصديق،[5] وفيه دلالة أن الإيمان هو التصديق، لأنه جُعل مقابِله، وضده التكذيب. وفيه أن الإيمان ليس هو المعرفة، لأن مقابِله الجهل، والجهل[6] بالله ليس هو التكذيب، لكن بالمعرفة يكون التصديق،[7] وبالجهل يكون التكذيب.[8]

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥٥] ﴿اَلَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **إنّ شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون**، ذكر هاهنا: **إن شر الدواب عند الله الذين... لا يؤمنون**، وقال[9] في آية أخرى: **إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون**، هم شرّ دوابٍّ حيث سمعوا الآيات والحق وعقلوها فلم يؤمنوا بها، أي لم ينتفعوا بما عقلوا مما وقع في مسامعهم ومما درسوا، كمن لا سمع له[10] ولا لسان، نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بما عقلوا. ويحتمل أن يكون في الآخرة،[11] أي يبعثون يوم القيامة صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا لما لم ينتفعوا في هذه الدنيا[12] بهذه الحواس،[13] كقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[14] الآية. وقوله: **إن شر الدواب عند الله**، أي شرٌّ[15] مِن الدوابّ عند الله، **الذين كفروا فهم لا يؤمنون**. وهو كما ذكر في آية أخرى:

---

[1] ع: وذكر الآية.
[2] م – التكذيب.
[3] ك: نبين.
[4] ك ن ع: فمن التكذيب.
[5] ع – التصديق.
[6] ع م – والجهل.
[7] ع م: بالتصديق.
[8] م: بالتكذيب.
[9] ك: وذكر.
[10] ك – له.
[11] جميع النسخ + هم.
[12] ن ع م: في الدنيا.
[13] ع م – الحواس.
[14] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[15] ك: أي إن شر.

أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ،[1] أخبر أن الذين كفروا بالله وكذبوا بآياته أضلّ من الأنعام. وقد ذكرنا / فائدة قوله: بَلْ هُمْ أَضَلُّ، في موضعه. ويحتمل قوله: **شرَّ الدواب**، أي شرُّ مَن يَدِبّ [٢٩١ظ] على وجه الأرض من الممتحَنين، **الذين كفروا فهم لا يؤمنون**. ثم يكونون بهذا الوصف إذا خُتموا بالكفر وترك الإيمان. ثم اختلف فيه. قال بعضهم: نزل في بني قُرَيْظَة، عاهدوا رسول الله ثم أعانوا مشركي مكة[2] على رسول الله بالسلاح وغيره، فأَقَالَهم رسول الله، وكانوا يقولون: نسينا وأخطأنا. ثم عاهدهم ثانية، فنقضوا[3] العهد، فذلك قوله: **ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون**، نَقْضَ العهد، أو **لا يتقون**،[4] الشرك. وقال بعضهم: نزل قوله: **إن شرّ الدوابّ**، إلى آخر الآية[5] في المَرَدَة والفراعنة من الكفار، كانوا عقلوا ما سمعوا ودرسوا ولكن غيّروها فلم يؤمنوا به. على هذا حمل أهل التأويل تأويل الآية، وإلى ما ذكرنا صرفوا. وإلّا صَرْفُ الآية إلى أهل النفاق أولى، لأنهم هم المعروفون بنقض العهد مرة[6] بعد مرة.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **فإما تَثقفنَّهم في الحرب**، قيل: تأسرنهم في الحرب، وقيل: تَلقينَّهم في الحرب، وقيل: تجدنهم في الحرب. **فشَرِّدْ بهم مَن خلفهم**، قيل: نَكِّلْ بهم مَن بعدهم، أي اصنع بهم ما يَنْكُلون مَن خلفهم،[7] أي يمتنعون. وقيل: فعِظْ بهم مَن خلفهم، أي مَن سِواهم. الآية نزلت في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون، وكان عادتهم نقض العهد، فأمر[8] عز وجل رسوله أن يُنَكِّل هؤلاء ليكون ذلك عبرة وزجرا لمن بعدهم، إن لم يكن ذلك لهم زجرا[9] فيكون في تنكيل هؤلاء منفعة لغيرهم، إذا رأى غيرهم أنه فعل بهؤلاء ما ذكر يكون ذلك زجرا لهم عن مثل صنيعهم. ولهذا ما قال: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ،[10] مَن رأى أنه يُقتَل به امتنع عن قتل آخر، فيكون في ذلك حياة الخلق.

---

[1] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[2] ن – مكة، صح هـ.
[3] ك: ثم نقضوا.
[4] ع – نقض العهد أو لا يتقون.
[5] ن – الآية.
[6] ع م: ومرة.
[7] ك: من بعدهم.
[8] ع م: فأمرهم.
[9] ك: زجرا لهم.
[10] سورة البقرة، ١٧٩/٢.

وكذلك ما جعل الله من القتال مع العدو ونصب الحرب فيما بينهم رحمةً، لأن في الطِّباع النِّفار عن القتل، فإذا رأى أنه يُقتَل بتركه الإسلام أجاب إلى ذلك إشفاقا على نفسه وخوفا على تلف مُهْجَتِه،[١] فيكون في القتال رحمة. وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق من العقوبات في النفس[٢] وما دون النفس، جعل زَوَاجِرَ ومَوَانِعَ[٣] عن المعاودة إلى مثله. فعلى ذلك قوله: **فشَرِّدْ بهم مَن خلفهم**، عظةً وزجرًا لمن بعدهم، **لعلهم يذَّكَّرون**، لكي يذكروا[٤] النكال فلا ينقضوا العهد. وكذلك كل مرغوب في الدنيا ومرهوب[٥] جُعل دواعي وزواجر لموعودٍ في الآخرة، وجُعل كل لذيذ وشَهِيّ في الدنيا داعيا[٦] لما وُعد في الآخرة في الجنة،[٧] وكلُّ كَرِيهٍ وقبيح زاجرا له عن الموعود في الآخرة في النار، على هذا بناءُ أمرِ الدنيا. والتَّشْرِيد[٨] قال أبو عبيدة: معناه من التفرقة، أي فَرِّق بهم.[٩] وقال القُتَبِي: قوله: **فشَرِّدْ بهم مَن خلفهم**، أي افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يتفرّق به مَن وراءَهم من الأعداء. قال: ويقال: شَرِّدْ[١٠] بهم: سَمِّعْ بهم بلغة[١١] قريش. وقيل: نَكِّلْهم، أي اجعلهم عظة لمن وراءهم وعبرة،[١٢] وهو ما ذكرنا. وقال[١٣] أبو عوسجة: التنكيل التخويف والرد عما يكره، والنكال العذاب. وقال غيره: قوله:[١٤] **فشَرِّدْ بهم مَن خلفهم**، أي أَخِفْهم[١٥] بهم، بما صنع هؤلاء. وقال أبو عُبَيد: التشريد في كلامهم التبديد والتفريق. وبعضه قريب من بعض. قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **فشَرِّد بهم**، أي نَكِّل بهم حتى يخافك مَن خلفهم.[١٦] والشَّرِيد الطَّرِيد، والشريد أيضا القليل.

---

[١] ك: نفسه.
[٢] ع م: في النقض.
[٣] ك: زواجرا ومانعا؛ ن ع م: زواجرا وموانعا.
[٤] ع م: يذكرون.
[٥] ك ن ع: ومرغوب.
[٦] ن: وداعيا.
[٧] ع م – في الجنة.
[٨] ن – والتشريد.
[٩] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٤٨/١.
[١٠] ع م: وشرد.
[١١] ن – بلغة.
[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٠.
[١٣] ع: قال.
[١٤] ن م – قوله.
[١٥] م: أي أخلفهم.
[١٦] ك: من بعدهم.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[٥٨]

وقوله: **وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبِذ إليهم على سواء**، قال بعضهم: قوله: **تخافنّ**، أي تعلمنّ،[1] **من قوم خيانة فانبِذ إليهم على سواء**،[2] أي لا تفعل بهم مثل ما فعلوا من الخيانة فتكون أنت وهم[3] في الخيانة سواء، لأنّ عندهم أنكم معاهِدون لقيام العهد بَعد،[4] ولكن انبِذ إليهم العهد،[5] ثم نَاصِبْ فيما بينهم الحرب. وقال بعضهم: هو على حقيقة الخوف، يقول: إذا خفت منهم النقض أو الخيانة **فانبِذ إليهم**، أي أَلْقِ إليهم نقضك، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء. قال أبو عبيدة: قوله: **فانبِذ إليهم على سواء**، أي أَظْهِرْ[6] لهم أنك عدو، وأنك مُناصِب لهم، حتى يعلموا ذلك فيصيروا على ذلك سواء.[7] وقال بعضهم: **[على] سواء**، أي على أمر بيِّن. قال أبو عُبَيد:[8] قال غير واحد من أهل العلم: **فانبِذ إليهم على سواء**، أَعْلِمْهم[9] أنك تريد أن تحاربهم حتى يصيروا مثلك في العلم، فذلك السواء. وقال[10] الكيساني: السواء العدل، وقال: **فانبِذ إليهم على سواء**، أي سِرْ إليهم وقد علموا بك وعلمتَ بهم. وبعضهم قريب من بعض. وحاصل التأويل هو التأويلان اللذان[11] ذكرتهما. *والله أعلم.*

وأصل العهد ما ذكر عز وجل في آية أخرى، وهو قوله: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ،[12] أمر عز وجل بإتمام العهد إلى المدة إذا لم يَنْقُصُونا شيئا[13] ولم يخونوا ولم يظاهروا علينا أحدا منهم،

---

[1] ك: تخافن تعلمن.
[2] م – قال بعضهم قوله تخافن أي تعلمن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء.
[3] ك – وهم، صح هـ.
[4] جميع النسخ: معاهدون على عهد بعد عهد؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٣ظ.
[5] ع م – العهد.
[6] ع: سواء أظهر.
[7] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٤٩.
[8] ع: أبو عبيدة.
[9] ع: علمهم.
[10] ع م: قال.
[11] ن ع: هو التأويلين اللذين؛ م: هو التأويلين الذين.
[12] سورة التوبة، ٩/٤.
[13] ن ع: لم ينقضواناشيا؛ م: لم ينقضوا ناسيا.

فإذا فعلوا شيئا من ذلك فلنا[1] أن ننقض العهد الذي كان بيننا وبينهم. وكذلك ابتداء العهد فيما[2] بيننا وبينهم، إذا سألونا ليس للإمام أن يعطي لهم[3] العهد إذا لم يكن في العهد منفعةٌ للمسلمين منفعةٌ ظاهرة وخيرًا لهم. فعلى ذلك ما دام يرجو في العهد منفعةً للمسلمين وخيرًا لهم [فيجب] مراعاة ذلك العهد وحفظه. فإذا خاف منهم أو اطّلع على خيانة منهم فله نقضُه. *والله أعلم*. ثم إذا كان تلك الخيانة من جملتهم أو ممن له مَنَعَة[4] فله أن يُناصِب / معهم [٢٩٢و] الحرب وإن لم ينبِذ إليهم، وإذا كان ذلك من بعضٍ على سبيل التلصُّص والسَّرِقة فليس له أن يحاربهم إلا بعد النَّبْذ إليهم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا إنهم لا يُعجِزون**، قال بعضهم: لا يحسبنّ الذين نَجَوْا وتخلَّصوا منك -يا محمد- من المشركين يوم بدر[5] أنّي لا أُظفِرك[6] بهم في غيره من الحروب والمغازي، وأنهم يفوتون[7] ويُعجِزون الله عن ذلك. وقال بعضهم: لا يحسبنّ الذين كفروا أنهم يُعجِزون[8] ويفوتون عن نِقْمَة الله وعذابه. وقرأ بعضهم بنصب الألف: أَنهم لا يعجزون، فمن قرأ بالنصب طرح "لا"، وجعلها صلة، وقال: يحسبنّ أنهم يُعجِزون. وأما قراءة العامة فهي بالخفض: إنهم، فهو على الابتداء،[9] فقال: **إنهم لا يعجزون**.[10] وقيل: المُعجِز والسابق[11] والفائت واحد. وقال القُتَبي: **سبقوا**، أي فاتوا،[12] وجَعل قولَه: **إنهم لا يُعجِزون**،[13] على الابتداء.

---

[1] ع: قلنا.
[2] ع م - فيما.
[3] ك - لهم.
[4] ن ع م: منفعة.
[5] ع م - يوم بدر.
[6] ع م: لأظفرك.
[7] م: يقولون.
[8] ع: أنهم لا يعجزون.
[9] ع م: فهو بالابتداء.
[10] قرأ ابن عامر من الأئمة العشرة بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٧.
[11] ع م: السابق.
[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٠.
[13] ك - وقيل المعجز والسابق والفائت واحد وقال القتبي سبقوا أي فاتوا وجعل قوله انهم لا يعجزون.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وأَعِدُّوا لهم**[١] **ما استطعتم من قوة**، قال بعضهم: **وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة**، ولا تخرجوا إلى الحروب والمغازي[٢] كما خرجتم إلى بدر بلا سلاح ولا قوة، لأنه أراد أن يجعل حرب بدرٍ آية ليميز بين المُحِق[٣] والمُبْطِل وبين الحق والباطل، لذلك أمركم بالخروج إليه بلا سلاح ولا عُدّة، وأما غيرها من الحروب والمغازي فلا تخرجوا إليها إلا مستعدّين لها.[٤] وبَعد، فإنهم إنما تركوا الاستعداد طاعة لربهم، وفي الاشتغال بالاستعداد تركُ الطاعة[٥] له. وأمر عز وجل بالاعتداد[٦] لهم بما استطاعوا[٧] من الأسباب لِما أنّ ذلك أَرْهَبُ للعدو من ترك الاستعداد، وإن كان عز وجل قادرا[٨] أن ينصرهم على عدوهم بلا سبب يجعله[٩] لأنفسهم، وهو كقوله: لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ،[١٠] فأمر الله بالأسباب في الحروب وإن كان قادرا على نصر أوليائه على عدوه بلا سبب. لكنه أمر بالأسباب لِما أنّ جميع أمور الدنيا جعلها بالأسباب من نحو الموت والحياة وجميع الأشياء، وإن كان يقدر على إبقاء الإنسان والخلائق جميعا بلا غذاء يجعل لهم، و[على] الموت بلا مرض ولا سبب، ولكن فعل بما ذكرنا.[١١]

ثم اختلف في قوله: **من قوة**، قال بعضهم: القوة الرمي، وعلى ذلك رَوَوْا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: **وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة**، فقال: «ألا إن[١٢] القوة الرمي»،

---

[١] ع م – والفائت واحد وقال القتبي سبقوا أي فاتوا وجعل قوله إنهم لا يعجزون على الابتداء وقوله عز وجل وأعدوا لهم.
[٢] م: من المغازي.
[٣] ع: بين الحق.
[٤] ن: إليها.
[٥] ن ع م: للطاعة.
[٦] إعداد الشيء واعتِداده و استعداده وتَعْداده: إحضاره (*لسان العرب* لابن منظور، «عدّ»).
[٧] جميع النسخ: ما استطاعوا.
[٨] ع: قادر.
[٩] جميع النسخ: يجعلها.
[١٠] سورة الحشر، ١٣/٥٩.
[١١] ع: ما ذكرنا.
[١٢] ك: فقال إن.

قال ذلك ثلاثا.[١] ويحتمل قوله: **ما استطعتم من قوة**، ما تَقْوَوْن به [على] الحرب،[٢] لا ما لا تَقْوَوْن به.[٣] وقال بعضهم: القوة السلاح. وقال غيره: الخيل. وأمكن أن يكون[٤] جميع أسباب[٥] الحرب. وفيه دلالة أن القوة التي هي أسباب الفعل يجوز أن تتقدّم،[٦] ويكون قوله: لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ،[٧] أراد استطاعة الأسباب لا استطاعة الفعل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ومِن رِباط الخَيل تُرهِبون به عدو الله وعدوكم**، أَمَر برباط الخيل والإعداد للحرب رهبةً للعدو. **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**، اختلف أهل التأويل[٨] فيه. قال بعضهم: تُرهبون برباط الخيل المشركين، وقال: **وآخرين من دونهم**، اليهود والنصارى، وهؤلاء الذين كانوا فيما بينهم، يُرهَب هؤلاء أيضا. وقال بعضهم: **وآخرين من دونهم**، المنافقين[٩] الذين كانوا فيما بينهم، لا يعرفونهم، كانوا طلائع[١٠] للمشركين وعيونا لهم، يخبرونهم عن حال المؤمنين، يرهب هؤلاء أيضا. وقال آخرون: قوله: **وآخرين من دونهم**، هم الشياطين، ورووا على ذلك خبرا[١١] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هم الشياطين –وقال– لن يُخَبِّل[١٢] الشيطان[١٣] إنسانا في داره فرس عَتِيق».[١٤]

---

[١] *صحيح مسلم*، الإمارة ١٦٧؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٨.

[٢] ع م: الحروب.

[٣] ك: لا ما تقوون به؛ ن + الحرب. قال الشارح رحمه الله تعالى: «ويحتمل قوله: ﴿ما استطعتم من قوة﴾، أي أَعِدُّوا من السلاح ما تَقْوَوْن به وتقدرون على استعماله، لا ما لا تَقْوَوْن به ولا تقدرون على استعماله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٣٤و).

[٤] ك: أن تكون.

[٥] م: الأسباب.

[٦] ن ع م: أن يتقدم.

[٧] ﴿لو كان عَرَضًا قريبا وسفرا قاصدا لا تّبعوك ولكن بَعُدت عليهم الشُّقَّة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يُهلِكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ (سورة التوبة ٩/٤٢).

[٨] ك ن – أهل التأويل.

[٩] ع م – المنافقين.

[١٠] ن ع م: طلائعا.

[١١] ع م – خبرا.

[١٢] ن ع: لن يخيل. الخَبَل هو الجنون ومس الجن، وخَبَّله أي جَنَّنه (*لسان العرب* لابن منظور، «خبل»).

[١٣] ع م: الشياطين.

[١٤] أخرجه الطبراني بلفظ "الجن" بدلا عن الشيطان. وفي إسناده رواة مجاهيل. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٧/٢٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٩٧. والعتيق: الكريم الرائع من كل شيء، والخِيار من كل شيء... والعِتق: الكرم، يقال: ما أبين العِتق في وجه فلان، يعني الكرم. والعِتق: الجمال. وفرس عتيق: رائع كريم بَيِّن العِتق (*لسان العرب* لابن منظور، «عتق»).

ويحتمل أن يكون قوله: **وآخرين من دونهم**، هم[1] الأعداء الذين يكونون مِن بَعد إلى يوم القيامة، **لا تعلمونهم الله يعلمهم**، فإن كان ذلك ففيه دلالة بقاء الجهاد إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: **وآخرين من دونهم**، هم الشياطين. **لا تعلمونهم الله يعلمهم**، وهو كقوله: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.[2] فإن قيل: أي رهبة تقع للشياطين فيما ذكر من **رباط الخيل**، والسلاح الذي ذكر؟ قيل: يكون لهم رهبة في قَمْع أوليائهم. أو يكون لأوليائهم[3] رهبة، [ولكن] نسب ذلك إليهم، وذلك كثير في القرآن. وقوله: **عدوَّ الله وعدوَّكم**، سمي عدو الله عدوا للمؤمنين،[4] لِيُعلَم [أن] من اعتقد عداوة الله صار عدوا للمؤمنين، ومن اعتقد ولاية الله صار وليا للمؤمنين، ومن كان ولي المؤمنين[5] يكون وليا لله.

وقوله عز وجل: **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم**، أخبر أن ما أنفقوا في سبيل الله يُوَفَّر[6] عليهم ذلك.[7] أما الخَلَف في الدنيا كقوله: وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ،[8] وأما في الآخرة الثواب. **وأنتم لا تُظلَمون**، يحتمل وجهين. يحتمل **وأنتم لا تُظلَمون**، فيما يأمركم[9] بالجهاد في سبيل الله واتخاذ العُدَّة والإنفاق فيها، إذ أنفسكم وأموالكم[10] لله، له أن يأخذها منكم. والثاني **وأنتم لا تُظلَمون**، في الثواب[11] في الآخرة، أي يعطيكم الثواب في الآخرة، أو الخَلَف في الدنيا. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦١]

وقوله: **وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها**، قرئ بالنصب: للسَّلْم، وقرئ بالخفض: للسِّلْم.[12]

---

[1] ك – هم.

[2] ﴿يا بني آدم لا يَفتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أبَوَيكم من الجنة يَنْزِع عنهما لباسهما لِيُرِيَهما سَوْآتهما إنه يراكم هو وقَبِيلُه من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٢٧/٧).

[3] ع – أو يكون لأوليائهم.

[4] ك: عدو المؤمنين.

[5] م: وليا للمؤمنين.

[6] م: يوفى.

[7] ن – ذلك.

[8] ﴿قل إن ربي يَبْسُط الرزق لمن يشاء من عباده ويَقْدِر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخلِفُه وهو خير الرازقين﴾ (سورة سبأ، ٣٩/٣٤).

[9] ع: فيما أمركم.

[10] ع: وأموالهم.

[11] ع: والثواب.

[12] قراءة الكسر هي رواية أبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون بفتح السين؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٧٧/٢.

وقال أهل اللغة: من قرأ بالنصب: للسَّلْم، حمل على المصالحة والموادعة، ومن قرأ[1] بالخفض للسِّلْم، جعل ذلك في الإسلام. وتأويله –والله أعلم– أي إذا خضعوا للصلح وطلبوا منك فاجنح لهم، أي مِلْ إليهم [٢٩٢ظ] / ولا يمنعك[2] عن الصلح معهم ما كان منهم من نَقْض العهد على ما ذكر في قوله: الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ،[3] يقول: لا يمنعك عن الصلح إذا طلبوا ذلك ما كان منهم من النَّقْض ونَكْث العهود.[4] **وتوكل على الله**، ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد، فإن الله يُطلعك ويكفيك على ذلك. ومنهم من قال:[5] قوله: **وإن جنحوا للسَّلْم**، أي إذا خضعوا وتواضعوا للإسلام فاقبل منهم واخضع لهم، كقوله: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ،[6] أمره بخفض الجناح لهم.[7] ذكر هاهنا أنهم إذا طلبوا الصلح منا يلزمنا[8] أن نعطيهم، وإذا لم يطلبوا منا ذلك لا يحل لنا أن نطلب منهم الصلح إلا أن نضطر[9] إلى ذلك. وهو ما ذكر في آية أخرى حيث قال: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ،[10] نهانا أن ندعوهم إلى الصلح ولنا قوة وعُدّة للقتال معهم، وأما إذا كانوا طلبوا منا ذلك أولا فيجاب لهم[11] إلى ذلك. ويحتمل ما ذكرنا، أي لا يمنعك لما كان منهم من نقض العهد.

وقوله: **فَاجْنَحْ لها**، يحتمل ذكره بالتأنيث، أي للمسالمة والمصالحة. وقال بعضهم: السَّلْم هو مؤنث، كقول القائل:

السَّلْمُ تَأخذُ منها[12] ما رضيتَ به ... والحَرْبُ يَكفيكَ مِن أنْفاسِها جُرَعُ.[13]

---

[1] ع – قرأ.
[2] ع م: ولا يمنعنك.
[3] سورة الأنفال، ٥٦/٨.
[4] ع: المعهود.
[5] ع: من قالوا.
[6] سورة الحجر، ٨٨/١٥.
[7] م + وكقول أبي بكر.
[8] ن – يلزمنا.
[9] ك: أن يضطر.
[10] سورة محمد ٣٥/٤٧.
[11] م: فيجابون.
[12] م: منا.
[13] ك ن ع + وكقول أبي بكر. والبيت للشاعر عباس بن مِرداس، يقول: إن السَّلْم وإنْ طالتْ لا تضرك ولا يلحقك منها أذى، والحربُ أقلُّ شيءٍ منها يَكفيك (*لسان العرب* لابن منظور، «أبس»). وجَرَع الماء وجَرِعه يَجْرَعه جَرْعا: بَلَعَه... والجُرْعة: مِلْء الفم يبتلعه، وجمع الجُرعة جُرَع (*لسان العرب* لابن منظور، «جرع»). والعباس بن مرداس من الصحابة، شهد فتح مكة وغزوة حُنين، وهو من شُجعان الشعراء. انظر: *الإصابة في حياة الصحابة* لابن حجر، ٦٣٣/٢.

فإن قيل: ما المعنى في قول من قال بالإسلام بقوله:[١] **فاجنح لها**، وهو كان يدعو إلى الإسلام، ولا شك[٢] أنه كان يقبل منهم الإسلام؟

قيل: يحتمل أن يكون الأمر بالقبول أمرا بترك المؤاخذة بما كان[٣] منهم في حال نقض العهد، لأن من قولنا: إن ما أصابوا في حال العهد من الجراحات والأَخذ[٤] يُتبَعون بها ويؤاخذون إذا أسلموا، وإذا نقضوا[٥] العهد ثم أصابوا[٦] شيئا من ذلك ثم أسلموا لم يؤاخذوا بذلك. فيحتمل أن يقول لهم: **فاجنح لها**، ولا تؤاخذهم[٧] بما كان منهم في حال نقض العهد. وقال الحسن: هذا منسوخ، نسخه[٨] قوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ،[٩] الآية.[١٠] وقال بعضهم: نسخه[١١] قوله: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ،[١٢] الآية. وقال بعضهم: نسخه[١٣] قوله: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ. والوجه فيه ما ذكرنا أن الإمام إذا رأى الصلح والموادعة نظرًا للمسلمين أجابهم إلى ذلك وصالحهم، وإذا طلبوا هم منه الصلح وبالمسلمين قوة للقتال[١٤] والحرب معهم لم يجبهم إلى ذلك. وما ذكر هؤلاء من نسخه فذلك لا نعرفه. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **وإن يريدوا أن يخدعوك**، في الصلح ويخونوك، **فإن حسبك الله**، أي أمكنك الله منهم، كقوله: وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ.[١٥]

---

[١] ك: لقوله.
[٢] ع م: وهو لا شك.
[٣] جميع النسخ: ما كان.
[٤] والأخذ يأتي بمعنى الأسر والقتل (*لسان العرب* لابن منظور، «أخذ»).
[٥] ع: وإذا انقضوا.
[٦] ن - في حال العهد من الجراحات والأخذ يتبعون بها ويؤاخذون إذا أسلموا وإذا نقضوا العهد ثم أصابوا.
[٧] ع: ولا تؤاخذوهم.
[٨] جميع النسخ: نسخها.
[٩] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يَدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩).
[١٠] تفسير *الطبري*، ٣٤/١٠.
[١١] جميع النسخ: نسخها.
[١٢] ﴿فإذا انسلَخَ الأشهرُ الحُرُمُ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخُذُوهم واحصُروهم واقعُدُوا لهم كلَّ مَرْصَد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ (سورة التوبة، ٥/٩).
[١٣] جميع النسخ: نسخها.
[١٤] ن ع م: القتال.
[١٥] سورة الأنفال، ٧١/٨.

وإن كان قوله: فَاجْنَحْ لَهَا،[1] في الإسلام، فيكون قوله: **فإن حسبك الله**، أي يُطلِعك الله على ما في قلوبهم من النفاق، أي وإن خفت منهم أنهم يُظهِرون لك الإسلام في الظاهر ويكونون في السر على ما كانوا من قبل فلا يمنعك ذلك عن قبول الإسلام منهم، فإن الله يُطلِعك ذلك ويكفيك على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**، يحتمل قوله: **وبالمؤمنين**، بالملائكة الذين أنزلهم معونةً للمؤمنين يوم بدر. ويحتمل **بالمؤمنين**، المؤمنين الذين[2] كانوا معه. فأخبر أنه يؤيده بنصره وبنصر المؤمنين، وكان النصر له بالله في الحقيقة، بقوله:[3] وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ.[4] النصر من الله يكون مرةً[5] بالأسباب: بالمؤمنين وبغير ذلك من الأسباب، ومرة باللطف منه بلا سبب.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم**، قال بعضهم: **ألف بين قلوبهم**، بالدين الذي اجتمعوا عليه، كقوله: إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ [فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا]،[6] أخبر أنهم كانوا أعداء ما داموا في الكفر، فلما أسلموا صاروا إخوانا. ولكن عندنا الإسلام يوجب التأليف بين القلوب[7] والاجتماع بينها، ولكن يجوز أن لا يوجد التأليف وإن وجد الإسلام[8] ليعلم أن الله هو الذي يؤلّف بينهم بلطفه وفضله، بقوله:[9] **ولكن الله ألّف بينهم**. وقد يجوز أن يكون ما ذكر من تأليف القلوب يكون مرة بالدين ومرة باللطف من الله، فإذا كان الخلاف والعداوة[10] بينهم بسبب الدين فإنه إذا وجد الوِفاق ارتفع الخلاف والعداوة،

---

[1] الآية السابقة.
[2] ن – الذين.
[3] م: فقوله.
[4] سورة آل عمران، ٣/١٢٦؛ وسورة الأنفال، ٨/١٠.
[5] ك: مرة يكون.
[6] سورة آل عمران، ٣/١٠٣.
[7] ع م – بين القلوب.
[8] ع م – الإسلام.
[9] ك: لقوله.
[10] م – والعداوة.

وإذا كان للأطماع فهو يرتفع باللطف من الله. **إنه عزيز حكيم، عزيز:**[1] لا يُعجِزه شيء، **حكيم:** في أمره وحُكمه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي حَسْبُكَ الله ومن اتبعك من المؤمنين،** قال بعضهم: **حَسْبُكَ الله و** حَسْبُكَ **من اتّبعك من المؤمنين،** أي كفاك الله[2] في العون والنصر[3] لك، وكفاك للمؤمنين أيضا فيما ذكرنا. وقال بعضهم: **حَسْبُكَ الله و** حَسْبُكَ **من اتبعك من المؤمنين،** أي **حَسْبُكَ**[4] نصر الله،[5] وحَسْبُكَ نصر المؤمنين، وهو على ما ذكر: هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ.[6] والأول أشبه. ***والله أعلم.***

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي حَرِّض المؤمنين على القتال،** التحريض على القتال يكون بوجهين.[7] أحدهما أن يَعِد لهم من المنافع في الدنيا و يُطمِع لهم ذلك، من نحو ما جاء مِن التنفيل، أنّ مَن فعل كذا فله كذا، أو يَعِد لهم المنافع في الآخرة، كقوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[8] الآية. وما ذكر من الثواب في الآخرة بالنفقة التي ينفقونها[9] في سبيل الله، قوله: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ،[10] الآية. فيما ذكرنا فيه وعد المنافع لهم في الدنيا والآخرة / ووعد النصر لهم. [٢٩٣و]

---

[1] ن – عزيز.
[2] ع – الله.
[3] ك: النصر في والعون.
[4] ع م – وحسبك من اتبعك من المؤمنين أي حسبك.
[5] ع: نصرك الله.
[6] سورة الأنفال، ٦٢/٨.
[7] ع: وجهين.
[8] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وَعدًا عليه حَقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أَوفى بعهده من الله فاستبشِروا بِبَيْعِكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).
[9] ك: تنفقونها.
[10] ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يَغفِرْ لكم ذنوبكم ويُدْخِلْكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكنَ طيبةً في جنات عَدْنٍ ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبّونها نَصْرٌ من الله وفَتْحٌ قريب وبَشِّر المؤمنين﴾ (سورة الصف، ١٠-١٣).

والثاني يكون التحريض بضرر[1] يلحق أولئك ونكبةٍ تَصِل إليهم، كقوله: أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ -إلى قوله- قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ،[2] جمع الله عز وجل في هذه الآية جميع أنواع الخير الذي يكون في القتال مع العدو مِن النصر[3] للمؤمنين عليهم وإدخال السرور في صدورهم[4] ونَفْيِ الحزن عنهم وتعذيب أولئك بأيديهم. وفيه إغراء على العدو بقوله: أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ، فذلك كله يحرِّض على القتال ويرغّبهم في الحرب مع العدو. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا**، الآية، اختلف في معنى هذا. قال بعضهم: قوله: **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا** كذا، على الأمر، كأنه قال: لِيَكُنْ **منكم عشرون صابرون يغلبوا** كذا، أَمَر العشرةَ القيامَ لمائةٍ، وقال: دليله أنه على الأمر قوله: ٱلْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ،[5] ولو لم يكن على الأمر والعزيمة لم يكن لذكر التخفيف معنى. وقال آخرون: هو على الوعد[6] أنهم إذا صبروا وثبتوا لعدوهم غلبوا عدوهم على ما أخبر: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ،[7] ليس على الأمر، لأنه قال: **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**، أخبر أنهم إذا صبروا غلبوهم وهم[8] كذلك -والله أعلم- إذ ظاهرُه وعدٌ وخبرٌ.[9] والأشبه[10] أن يكون على الأمر، ليس على الخبر، على ما ذكرنا من قوله: ٱلْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ.[11]

وقوله: **ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**، ما لهم وما عليهم.

---

[1] ك: لضرر.

[2] ﴿أَلَا تُقاتِلون قوما نَكَثُوا أَيْمَانهم وهَمُّوا بإخراج الرسول وهُم بَدَءُوكم أوّل مرة أتخشَوْنهم فالله أحقُّ أن تخشَوْه إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة التوبة، ٩/١٣-١٥).

[3] ك ن ع: من وعد النصر.

[4] ن: في قلوبهم.

[5] الآية التالية.

[6] ن ع م: على الوعيد.

[7] ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٩).

[8] جميع النسخ: وهو.

[9] وعبارة الشارح هكذا: «أخبر أنهم إذا صبروا غلبوا على ما وعد الله تعالى وأخبر عنه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٣٤ظ).

[10] ع: ولا شبه.

[11] الآية التالية.

﴿**ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ**﴾[٦٦]

وقوله: **الآن خفف الله عنكم وعَلِم أنّ فيكم ضَعْفا.**

فإن قيل: ما معنى قوله: **وعَلِم أنّ فيكم ضَعْفا**، وقد كان يعلم أن فيهم ضَعْفا[١] وَقْتَ ما أَمَر العشرةَ القيامَ لمائةٍ، والعشرين لمائتين؟

قيل: أمر بذلك مع علمه أن فيهم ضَعْفًا وإن كان في[٢] ذلك إهلاك أنفسهم، وذلك منه عدل، إذ له الأنفس، إن شاء أتلفها بالموت، وإن شاء بالقتل، بقتل العدو، والتخفيفُ منه رحمة وفضل. أَمَر الواحدَ القيامَ لعشرةٍ على علم منه بالضعف ابتداءَ امتحان منه، وله أن يمتحن عباده بما فيه وُسْعُهم وبما لا وُسْعَ لهم فيه. وفي الحكمة ذلك، إذ له[٣] الأنفس، له[٤] أن يُتلِفَها كيف شاء بما شاء. وهو ما ذكر [في] قوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ.[٥] ولو لم يكن له في الحكمة ذلك لا يحتمل أن يكتب ذلك عليهم. والثاني يعلم فيهم الضَّعْف كائنا شاهدا كما علم أنه يكون. وهو ما ذكرنا في قوله: حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ،[٦] أي يعلم مجاهدا كما علم أنه يجاهد. فعلى ذلك هذا.

ثم ذكر العشرين والمائتين [وذكر المائة والألف][٧] يحتمل على التحديد. ويحتمل لا على التحديد؛ ألا ترى أنه ذكر في الناسخ عددا غَيْرَ العدد الذي في المنسوخ، لأن في المنسوخ ذكر العشرين لمائتين، وفي الناسخ ذكر ألف لألفين،[٨] بقوله:[٩] **وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله.** فإن كان لا على التحديد فيلزم لواحدٍ القيامُ لاثنين، وفي الأول الواحدُ لعشرةٍ، وعلى ذلك روي[١٠] عن عمر رضي الله عنه قال: إذا لقي الرجل رجلين من الكفار فاسْتُأْسِرَ فلا فداء له علينا،

---

[١] ن ع م: ضعف.
[٢] ك: وأن في.
[٣] ع: أذلة.
[٤] ن – له.
[٥] ﴿ولو أنّا كتبنا عليهم أنِ اقتُلُوا أنفسكم أوِ اخرُجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يُوعَظون به لكان خيرا لهم وأشدّ تثبيتا﴾ (سورة النساء، ٤/٦٦).
[٦] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣١).
[٧] جميع النسخ: العشرة والعشرين؛ والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٣٥و.
[٨] ع: لا لغير.
[٩] ك: لقوله.
[١٠] ن – روي.

وإذا[1] لقي ثلاثة فأُسِر فعلينا فداؤه. و لم يجعل للواحد الفرار من اثنين حيث لم يوجب عليه الفداء، وقد جعل له الفرار من ثلاثة[2] حيث جعل عليه الفداء. وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال ذلك.[3] ويحتمل على التحديد، إذا كَمُل العدد الذي ذكر لم يسع الفرار، ويلزمهم القيام لهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يلزم. وكذلك قال الحسن: أمر أن يصبر عشرون لمائتين، إن فَرُّوا منهم لم يُعْذَروا، وأن يصبر مائة لألف،[4] إن فَرُّوا منهم لم يُعْذَروا، قال: ثم أنزل الله: **الآنَ خفّف الله عنكم وعَلِم أنّ فيكم ضَعْفًا**، فأمر أن يصبر مائة لمائتين، وإن فَرُّوا منهم لم يُعْذَروا، وأن يصبر الألف لألفين، إن فَرُّوا منهم لم يُعْذَروا. فإن كان على التحديد فهو على ما[5] يقولون أنهم ما لم[6] يكونوا [في] مَنَعَة[7] فإنه يسعهم أن لا يقاتلوا.

وقوله عز وجل: **فإن يكن منكم مائة صابرة**، قال بعض أهل التأويل:[8] الصبر هو حبس النفس على ما أمر الله، وكفّها[9] عن جميع شهواتها ولذّاتها، فإذا فعل ذلك غلب على العدو وقهره. وقال بعضهم: الصبر هو أن يوطّن نفسه في القتال مع العدو، ويحبسها في ذلك. والشكر قيل: هو أن يبذل نفسه[10] وما يحويه لله، لا يجعل لغيره. فيكون الشكر والصبر في الحاصل سواء، وإن كانا في العبارة مختلفين، لأن الشكر هو بذل النفس وما حَوَتْه يدُه لله، والصبر هو الكفّ والاحتباس على جميع ما أمر الله، وأداءُ ما افترض[11] الله عليه، فإذا حبسها عن غيره يكون باذلا له.[12] ولهذا سمي الصبر إيمانا بقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[13]

---

[1] م: فإذا.

[2] جميع النسخ: عن ثلاثة؛ ع + حيث لم يوجب عليه الفداء وقد جعل له الفرار عن ثلاثة.

[3] أي إنه كان في بدء الأمر يجب أن لا يفر الواحد من العشرة، ثم نسخ ذلك وخُفّف بأنه يجب على الواحد عدم الفرار من الاثنين؛ انظر: *صحيح البخاري*، التفسير سورة ٨/٦؛ *وتفسير الطبري*، ١٠/٣٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٠٢، ١٠٣.

[4] م: وأن يصبر الألف لألفين.

[5] ك ع م: فهو ما.

[6] م: أنهم لم.

[7] فلان في مَنَعَة، أي في قوم يحمونه ويمنعونه (*لسان العرب* لابن منظور، «منع»).

[8] ك ع م: قال بعضهم.

[9] ك ن ع: ويكفها.

[10] ك: لنفسه.

[11] ن ع م: ما افرض.

[12] ع م − له.

[13] سورة هود، ١١/١١.

ذكر الصبر هاهنا مكان ما ذكر في غيره[١] الإيمان بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.[٢]

وقوله: **والله مع الصابرين**، في النصر لهم على عدوهم والغلبة عليهم.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **ما كان لنبي أن يكون له أَسرَى حتى يُثخِن في الأرض**، قال أبو بكر الكيساني:[٣] عاتب الله رسولَه[٤] وأصحابَه في أخذ الأُسَارَى بقوله: **ما كان لنبي أن يكون له أَسرَى حتى يُثخِن في الأرض**، وبالغ في العتاب في أخذ / الفداء من الأُسَارَى بقوله: **تريدون عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة**. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما استشار أصحابه في الأُسَارَى أشار أبو بكر إلى أخذ الفداء، وعُمَرُ إلى القتل، فقال: «لو نزل من السماء عذاب ما نجا إلا عمر».[٥] عاتبهم بالأخذ، أَخْذِ الأُسَارَى، و[عاتبهم] أشدَّ العتابِ في أخذ الفداء. وأمر[٦] بالقتل وضَرْبِ الرقاب بقوله: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ،[٧] إنما أمر بضرب الرقاب وضرب البنان. وكذلك يخرج قوله:[٨] لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ،[٩] على العتاب. إلى هذا يذهب[١٠] أبو بكر[١١] الأصم. وعن ابن عباس قال:[١٢] لم يكن[١٣] الأنبياء صلوات الله عليهم فيما مضى يكون لهم أُسَارَى حتى يُثْخِنوا في الأرض.[١٤] [٢٩٣ظ]

---

[١] ك ن: في غير.

[٢] انظر مثلا: سورة الشعراء، ٢٢٧/٢٦.

[٣] م: الكساني.

[٤] ع: ورسوله.

[٥] روي عن ابن زيد؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٤٨/١٠. وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٨/٤.

[٦] ع م: أو أمر.

[٧] سورة الأنفال، ١٢/٨.

[٨] ن: يخرج من قوله.

[٩] الآية التالية.

[١٠] ك – يذهب.

[١١] ن: أبي بكر.

[١٢] ك – قال.

[١٣] ك: لم تكن.

[١٤] *تفسير الطبري*، ٤٥/١٠، ٤٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٩/٤.

وعن سعيد بن جبير قال: لا يُفادَى أُسَارَى المشركين ولا يُمَنُّ عليهم حتى يُثْخَنوا بالقتل، ثم تلا: حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ.[1] إلى هذا ذهب هؤلاء.* والإثخان قال ابن عباس: القتل. وقال[2] أبو معاذ: يُثْخِنوا،[3] أي يُذَلِّلوا، المُثْخَن: الذليل. وقال[4] أبو عوسجة: **حتى يُثْخِن في الأرض**، أي **يُثْخِن** في أهل الأرض، يُكثِر القتلى والجراحات، يقال: أَثْخَنْت في القوم، إذا أكثرت[5] فيهم القتل والجراحات، ويقال: ضربه حتى أَثْخَنه، أي ضربه[6] حتى لا يقدر على القيام. وهو ما ذكر محمد في بعض مسائله أنه إذا رمى صيدا بسهم فأصابه حتى أَثْخَنه، ثم رمى آخر بسهم فأصابه، فإنه للأول، لِما أنه صيّره بالإثخان خارجا من أن يكون صيدا. وهو الضرب الذي وصفنا.[7] وثَخُن يَثْخُن ثَخَانة، فهو ثَخِين، وثَخُن يَثْخُن ثُخُونة، واحد، أي غَلُظ.[8]*

[٢٩٤ظ س٨ — ٢٩٤ظ س١٣]

وقوله: **ما كان لنبي أن يكون له أَسْرَى**، يخرج تأويل الآية على وجهين. أحدهما يقول: **ما كان لنبي**، أن يأخذ من الأسرى الفداء، **حتى يُثْخِن في الأرض**، أي يَغلب، حتى إذا أخذ الفداء وسرّحهم بعدما غَلب في الأرض يكون رجوعهم إلى غير مَنَعَة وشوكة، وإذا لم يَغلب في الأرض ثم أخذ الفداء يكون رجوعهم إلى مَنَعَة، وذلك لا يحل.

والثاني يقول: **ما كان لنبي**، أن يأسر الأُسَارَى حتى يغلب في الأرض،[9] أي حتى يصير الدين كله لله، كقوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ،[10] الآية، هذا كان لمن قبله، فرخص لرسوله ذلك.

---

[1] ﴿فإذا لَقِيتُم الذين كفروا فضَرْبَ الرِّقابِ حتى إذا أَثْخَنتموهم فشُدُّوا الوَثَاقَ فإمّا مَنًّا بَعدُ وإمّا فِداءً حتى تضع الحرب أوزارها﴾ (سورة محمد، ٤/٤٧). وانظر: *تفسير الطبري*، ٤٣/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٥٧/٧.

[2] م: قال.

[3] ع م: يثخنون.

[4] ع م: قال.

[5] ع م: إذا كثرت.

[6] ع – حتى أثخنه أي ضربه.

[7] م: وصفناه.

[8] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «ثخن».

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٤ظ/سطر ٨-١٣.

[9] ع م – ثم أخذ الفداء يكون رجوعهم إلى منعة وذلك لا يحل والثاني يقول ما كان لنبي أن يأسر الأسارى حتى يغلب في الأرض.

[10] ﴿وقاتلُوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (سورة الأنفال، ٣٩/٨).

* وقال بعض أهل التأويل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار في أُسَارَى[١] يومِ بدرٍ أصحابَه، فقال لأبي بكر: «يا أبا بكر، ما تقول فيهم؟»،[٢] فقال: يا رسول الله، قومك وأهلك، فاسْتَبْقِهِم واستَأْنِ بهم،[٣] لعل الله يتوب عليهم.[٤] وقال عمر: يا رسول[٥] الله، كذّبوك وأخرجوك، قَدِّمْهم فاضرب أعناقهم. وقال[٦] عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه واضرِمْه عليهم نارا، فقال له العباس: قطعتَ رَحِمَك، فسكت رسول الله، فلم يجبهم شيئا. / ثم قام فدخل، فقال ناس: يقول بقول[٧] أبي بكر، وقال ناس: يقول بقول عمر، وقال ناس: يقول بقول عبد الله. ثم خرج عليهم رسول الله، فقال: «إن الله لَيُلين قلوب رجال فيه حتى تكون أَلْيَنَ من اللبن، وإن الله لَيُشدِّد قلوب رجال فيه[٨] حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر[٩] كمثل إبراهيم، قال: فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ،[١٠] وإن مثلك يا أبا بكر[١١] كمثل عيسى حيث قال: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ،[١٢] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى حيث قال: رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ[١٣] -وقال- يا عمر، ومثلك[١٤] كمثل نوح حيث قال: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا.[١٥] ولا يَنْفَلِتَنَّ[١٦] أحدٌ منهم[١٧] إلا بفداء أو ضربة عُنُق».

[٢٩٣ظ س٣٦] [٢٩٤و]

---

[١] م: في الأسارى.

[٢] ن ع م: ما تقولون فيه.

[٣] ك ن: واستأنهم؛ ع م: واسقانهم. استأنِ بهم: أي ترفق بهم وأمهلهم (*لسان العرب* لابن منظور، «أنى»).

[٤] ن – عليهم.

[٥] ك: يرسول.

[٦] ن: قال.

[٧] ع – بقول.

[٨] م – فيه.

[٩] م: يا با بكر.

[١٠] ن ع م – ومن عصاني فإنك غفور رحيم. وانظر: سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.

[١١] م: يا با بكر.

[١٢] ﴿إن تعذِّبهُمْ فإنهم عبادُك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة المائدة، ١١٨/٦).

[١٣] ﴿ربَّنا اطْمِسْ على أموالهم واشدُد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (سورة يونس، ٨٨/١٠).

[١٤] م: إن مثلك.

[١٥] سورة نوح، ٢٦/٧١.

[١٦] جميع النسخ: ولا يسالن.

[١٧] جميع النسخ: منكم.

قال عبد الله: إلا سُهَيْل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام. فسكت رسول الله. فما رأيتني في يومٍ أَخْوَفَ[1] مني[2] أن يقع عليّ حجارة[3] في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله: «إلا سُهَيْل بن بيضاء». فأنزل الله: **ما كان لنبي أن يكون له أسرى**، إلى آخر ما ذكر.[4]

ثم يحتمل قوله:[5] **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثْخِن في الأرض**، قَبْلَكم، وأما أنتم فقد أُحِلَّت لكم الأُسَارَى[6] والغنيمة. ويدل أيضا ما روي من الأخبار والآيات على أنه إذا أثخن في الأرض جاز له الأسر، لأنه لو لم يجز ذلك كما لا يجوز قبل الإثخان في الأرض زالت فائدة الخصوص. وقد بيّن الله ذلك بقوله: حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ.

ثم اختلف أهل العلم في فداء الأُسَارَى بالمال. قال ابن عباس رضي الله عنه قال كان[7] ذلك يوم بدر والمسلمون قليل، فلما كَثُروا واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى بعد هذا[8] في الأُسَارَى: فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً، فجُعِل النبي والمؤمنون بالخيار، [إن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استعبدوهم، و]إن شاءوا فَادَوْهم.[9] وعن الحسن قال: يصنع به[10] ما صنع رسول الله بالأُسَارَى،[11] يمنّ عليه أو يفادي.[12] وقال غيرهم بخلاف ذلك. وقال أصحابنا: إن احتاج الإمام إلى مال فاداهم. وقد دل ما ذكرنا من الآيات والأخبار على جواز الفداء بعد الإثخان فيهم. فإن لم يكن إلى المال محتاجا فله قتلهم، لأن ذلك أنكأ في العدو، وأشد [في] رهبتهم من المؤمنين. وقال[13] بعضهم:[14]

---

[1] ع: بدخوف.

[2] ك – مني.

[3] ك + مني.

[4] روي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٨٣/١؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٨؛ و*تفسير الطبري*، ٤٣/١٠-٤٤.

[5] ن – قوله.

[6] ن: الأسرى.

[7] ن ع م – كان.

[8] ك ع م: تعاهدا؛ ن: تعاهدوا. والتصحيح من مصادر الرواية.

[9] جميع النسخ: فدوهم. والتصحيح مع الزيادة من مصادر الرواية. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٢/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٨/٤-١٠٩.

[10] أي بالأسير.

[11] جميع النسخ: بأسارى.

[12] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٩٤/٦؛ وأخرجه عبد بن حميد؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٥٨/٧.

[13] ع: قال.

[14] ع م – بعضهم.

وله[١] أن يَسْتَرِقهم. فهو كما قالوا إذا كان الأسير من أهل الكتاب أو من العجم. فأما عَرَبُ عَبَدَةِ الأوثان فلا يُسْتَرَقُّون، لأنّا لا نعلم أحدا منهم استرقّه النبي لمّا أسره، و لم يبلغنا أن أبا بكر استرقّ[٢] واحدا من أهل الردة. وكيف يجوز استرقاقهم وقد قال الله تعالى: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ.[٣] وأما الفداء والقتل فقد ظهر من فعل رسول الله في أُسَارَى بدر.[٤] وفيما رُوي من الاستشارةِ، استشارةِ النبي أصحابه في الأُسَارَى دلالةُ العمل بالاجتهاد. وما روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال لأبي بكر وعمر: «يا أبا بكر[٥] ويا عمر، إن ربي يوحي إليّ أن أُشاوركما، ولولا أنكما تختلفان ما عصيتكما، أو ما عملت بخلاف رأيكما».[٦] فيه أنه لا يجوز لأحدٍ أن يخالفهما ورسول الله يقول: «لولا أنكما تختلفان ما عصيتكما، أو ما عملت بخلاف رأيكما». ثم ما أخذ من الأُسَارَى من الفداء لا يُدرَى على أي وجه أخذ، على الترك والرد إلى أوطانهم[٧] من غيرِ أنْ تَرَكَهم بالجزية، إذ من قولهم أنْ لا يجوز أخذُ الجزية منهم، والتركُ على ذلك، وفي الآية دلالة ذلك، وهو قوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ، وفي الخبر: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»،[٨] إلا أن يقال: إن المفاداة التي[٩] ذُكرت[١٠] كان قبل[١١] هذا، وهذا كان بعده. ***والله أعلم***.* [٢٩٤و س٢٦]

---

[١] جميع النسخ: فله.
[٢] ن – استرق.
[٣] ﴿قل للمُخَلَّفين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ (سورة الفتح، ١٦/٤٨). وقد روي أن الآية تشير إلى قتال المرتدين في عهد أبي بكر رضي الله عنه.
[٤] وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل النَّضْر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيط وطُعَمة بن عدي من أسرى بدر، لأنهما كان من رؤساء المشركين في أذى المسلمين. انظر: *السيرة النبوية* لابن هشام، ١٩٣/٣–١٩٤؛ وسنن *أبي داود*، الجهاد ١١٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٠٧/٤.
[٥] م: يا با بكر.
[٦] لم أجده بهذا اللفظ؛ ولكن رواه الطبراني في *المعجم الكبير* و*المعجم الأوسط* بلفظ: «لو اجتمعتما ما عصيتكما»، وذلك في شأن أسرى بدر، وفي إسناده أبو عبيدة بن الفضيل بن عياض، وهو لَيِّن، وبقية رجاله ثقات. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٦٨/٩.
[٧] ع: إلى الأوطانهم.
[٨] روي بهذا اللفظ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا؛ انظر: *الموطأ* للإمام مالك بن أنس، الجامع ١٨. وروي بمعناه في مصادر أخرى؛ انظر: صحيح *البخاري*، الجهاد ١٧٦؛ وصحيح *مسلم*، الوصية ٢٠، الجهاد ٦٣.
[٩] ع م: المفاد إلا التي.
[١٠] جميع النسخ: ذكر.
[١١] ع م – قبل.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٣ظ/سطر ٣٦-٢٩٤و/سطر ٢٦.

[٢٩٣ظ س٢٤ *ثم قالت المعتزلة: في قوله: **تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**، دلالة على أن الله لا يريد ما أراد العباد إذا أرادوا المعاصي، لأنه[١] أخبر أنهم أرادوا **عَرَض الدنيا**، وهو يريد الآخرة، فهم أرادوا المعصية، وهو يريد لهم الآخرة. ولكن التأويل عندنا أنّ قوله: **تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**، أي **تريدون عرض الدنيا والله يريد**، حياة، **الآخرة**، وعَرَضَها. وبَعدُ، فإنه قد كان الله أراد لهم الآخرة وحياتها، وهم أرادوا العِير وعَرَض الدنيا، وقد كان ما أراد الله لهم، لا ما أرادوا هم،[٢] أي اختار لهم غير ما اختاروا هم. وأصله أن الله عز وجل أراد الآخرة لأهل البدر،[٣] فكان ما أراد، وأراد لأولئك الكفرة النار، فكان ما أراد، كقوله: يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ.[٤] والأشبه أن تكون الإرادة هاهنا المودة والمحبة، أي تودون وتحبون **عَرَض الدنيا والله يريد الآخرة**. وهو ما ذكر في آية أخرى حيث قال: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ،[٥] كانوا يودون أن القتال[٦] مع غير ذات الشوكة، حتى يكون لهم الغنائم. والإرادة التي تضاف إلى الله تخرج[٧] على وجوه ثلاثة. أحدها الرضاء، كقوله:[٨] سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا،[٩] كانوا يستدلون بتركه إياهم وهم على أن الله قد رضي[١٠] بصنيعهم. والثاني الإرادة: الأمر، كقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[١١] والثالث الإرادة: هي صفةُ فِعلِ كلِ فاعلٍ يَخرُج فِعلُه على غير سهو وغفلة ولا طَبْع، بل ٢٩٣ظ س٣٦] يخرج على الاختيار.*

---

[١] ع + لو.
[٢] م: لا ما أرادوهم.
[٣] ك: بدر.
[٤] ولا يَحزُنك الذين يُسارِعون في الكفر إنهم لن يَضُرُّوا الله شيئا يريد الله ألّا يجعل لهم حظًا في الآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة آل عمران، ١٧٦/٣).
[٥] سورة الأنفال، ٧/٨.
[٦] ن: إلى القتال.
[٧] ن م: يخرج.
[٨] ع – كقوله.
[٩] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.
[١٠] ع: قدر رضى.
[١١] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٣ظ/سطر ٢٤-٣٦.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦٨]

وقيل في قوله: **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم**، بوجوه.[١] أحدها ما قال أبو بكر الأصم: تأويله: **لولا كتاب من الله سبق**، أن لا يعذب المخطئين في عملهم على خلاف أمره وإلا، **لمَسَّكم**[٢] **فيما أخذتم**، من الأُسَارَى والفداء منهم، **عذاب عظيم**. وقال آخرون: قوله: **لولا كتاب من الله**، أنْ أحلّ الغنائم لهذه الأمة وإلا، **لمَسَّكم**[٣] **فيما أخذتم**، واستحللتم، **عذاب عظيم**. وقال بعضهم: **لولا كتاب من الله سبق**، أنهم يتوبون عما عملوا من الأخذ وغيره وأنه يتوب عليهم وإلا، **لمَسَّكم**، العذاب من ذلك.[٤] وأمكن أن يكون[٥] التأويل في هذا غير هذا. كان في قوله: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ،[٦] دلالة إباحة الأسر[٧] ورخصته، لأنه قال: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، والضرب فوق الأعناق[٨] هو الإبانة من المفصل الذي يُبان به الرءوس، وذلك قلّ ما[٩] يمكن في القتال، ولا يقدر إبانة الرءوس في الحرب، إنما يمكن ذلك بعدما أخذوا ووقعوا[١٠] في أيديهم. وأما ما ذكر من ضرب البنان فهو في الحرب، لأنه في الحرب[١١] إنما يضرب[١٢] فيما ظفر ووجد السبيل إلى ذلك، ففيه دلالة وتأويل قوله: **لولا كتاب من الله سبق لمسكم**، الآية. ويحتمل[١٣] أن يكون ملحقا على ما سبق من قوله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ،[١٤] الآية، أي **لولا كتاب من الله سبق**، أي لولا مِن حُكم الله أن يجعل لكم الظفر على إحدى[١٥] الطائفتين

---

[١] ع: وجوه.
[٢] جميع النسخ + العذاب.
[٣] جميع النسخ + العذاب.
[٤] ك: بذلك.
[٥] ع م - من ذلك وأمكن أن يكون.
[٦] سورة الأنفال، ١٢/٨.
[٧] ن ع م: الأمر.
[٨] ع م - والضرب فوق الأعناق.
[٩] ك: قلما.
[١٠] م: ودفعوا.
[١١] ن + إنما يمكن ذلك.
[١٢] ن + ذلك.
[١٣] ك ن م: يحتمل.
[١٤] سورة الأنفال، ٥/٨-٦.
[١٥] ع: في إحدى.

وإلا، **لمسّكم**، العذاب بمجادلتكم رسول الله ومخالفتكم إياه في الخروج وإرادتكم[1] العِير. أو أن يقال: لولا مِن حُكم الله أن لا يعذب أحدا ولا يؤاخذ له في الخطأ في العمل بالاجتهاد[2] وإلا، **لمسّكم**، كذا، ويكون قوله: **أخذتم**، أي عملتم.[3]*

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **فكلوا مما غنِمتم حلالا طيبا**، قال بعضهم: قوله: **حلالا طيبا**، واحد، كل حلال طيب، وكل حرام خبيث، وإنما يطيب إذا حل، ويخبث إذا حرم. ولكن يحتمل قوله: **حلالا طيبا**، **حلالا**،[4] بالشرع، **طيبا**، في الطبع، وكذلك الحرام هو حرام بالشرع، وخبيث بالطبع. وإنما يُتكلَّم بالحل والحرمة من جهة الشرع، والطِيب والخُبث[5] بالطبع. والطيب هو الذي يُتَلذَّذ به ولا تَبِعة فيه، لأن خوف التَّبِعة يُنَغِّص عليه[6] ويَذهب بطِيبه ولذته. وجائز ما ذكر من الطيب هاهنا لِما أن أهل الشرك كانوا يأخذون الأموال ويجمعونها من وجه لا يحل[7] وبأسباب فاسدة، فيكرهون التناول منها إذا غنموا لتلك الأسباب الفاسدة، فطيّب قلوبهم بقوله: **طيبا**. وفيه دليل جواز [التصرف و]التقلّب[8] في [المقبوض في] البيع الفاسد، وطِيب التناول منه وإن كان مكتسبا بأسباب فاسدة بعد أن يكون بإذن،[9] فعلى ذلك الأول يحتمل ما ذكرنا. وفيه دلالة أنّ أهل الكفر لا يؤاخذون بالأفعال التي كانت لهم في الكفر ولا ما كانوا تركوا من العبادات لما ليست عليهم، إنما يؤاخذون بالاعتقاد.

وقوله: **واتقوا الله**، فيما أمركم به ونهاكم عنه، فلا تعصوه. **إن الله غفور رحيم**، لمن تاب ورجع عما فعل.

---

[1] ع: وإردتكم.
[2] ن - بلاجتهاد.
[3] ع م: أي علمتم.
وقع هنا مقطعان من تفسير الآية السابقة، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٣ظ/سطر ٢٤-٣٦؛ وكذلك انظر: ورقة ٢٩٣ظ/سطر ٣٦-٢٩٤و/سطر ٢٦.
[4] ع م - حلالا.
[5] ن ع م: والخبيث.
[6] ع: وعليه.
[7] ك: لا تحل.
[8] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٦ظ.
[9] أي بإذن البائع. وزاد الشارح: «كأموال الكفرة المستفادة بأسباب فاسدة في حق من يملكها بالاستيلاء والاستغنام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٦ظ). وانظر لأحكام البيع الفاسد بالتفصيل: *البحر الرائق في شرح كنز الدقائق* لابن نجيم، ٩٩/٦؛ ورد *المحتار على الدر المختار* لابن عابدين، ٨٨/٥.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أُخِذ منكم**، قال عامة أهل التأويل: إن الآية نزلت في العباس بن[1] عبد المطلب وأصحابه. وكذلك يقول ابن عباس: قالوا للنبي: آمنا بما جئت به، ونشهد أنك رسول الله، فنزل: **إن يعلم الله في قلوبكم خيرا**، أي إن يعلم الله اعتقاد الإيمان والتصديق له في قلوبكم، **يؤتكم خيرا مما أُخِذ منكم**، أي إيمانا وتصديقا، فيُخْلِف عليكم خيرا مما أصيب عليكم.[2] لكنها فيه وفي غيره، مَن / فَعل مثل فِعله فهو في ذلك سواء، يكون من الموعود الذي ذكر[3] ما يكون له. [٢٩٤ظ] وقوله: **إن يعلم الله في قلوبكم خيرا**، هو[4] الإيمان الذي علم أنهم اعتقدوا في قلوبهم. وقوله: **يؤتكم خيرا مما أُخِذ منكم**، أي آتاكم **خيرا**، وهو الإيمان، **مما أُخِذ منكم**، من المال الذي ذكر في القصة. ويجوز "يَفْعَل" مكان "فَعَل"، كقوله: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ،[5] أي قال المنافقون،[6] وذلك كثير في القرآن. فعلى ذلك قوله: **يؤتكم خيرا**، أي آتاكم **خيرا**. ويحتمل قوله **يؤتكم**، أيضا، أي يُثِيبكم ويُعطيكم أفضل مما أُخِذ منكم في الآخرة. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **ويغفر لكم والله غفور**، لما كان في الشرك، كقوله: فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ،[7] للذنوب، وذو تجاوز،[8] **رحيم**، يرحمهم في الإسلام. ويحتمل قوله أيضا[9] **يؤتكم خيرا مما أُخِذ منكم**، من الفداء. أو ما أُخِذ[10] منهم بمكة، أخبر أنه يؤتيهم[11] خيرا من ذلك في الدنيا من الأموال وغيرها.*

---

[1] ن: ابن.

[2] *تفسير الطبري*، ١٠/٤٩-٥٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١١٢-١١٣.

[3] م: ذكرنا.

[4] جميع النسخ: وهو.

[5] ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غَرَّ هؤلاء دينُهم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٩).

[6] ع – اعتقدوا في قلوبهم وقوله يؤتكم خيرا مما أخذ منكم أي آتاكم خيرا وهو الإيمان مما أخذ منكم من المال الذي ذكر في القصة ويجوز يفعل مكان فعل كقوله إذ يقول المنافقون أي قال المنافقون.

[7] سورة البقرة، ٢/١٩٢.

[8] م: وذ تجاوز.

[9] ع م – أيضا.

[10] ع: وما أخذ.

[11] جميع النسخ: يؤتهم.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٦٧، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٤ظ/سطر ٨-١٣.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم**، يحتمل أن يكون الآية صلة ما سبق من الآيات، وهو قوله: الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ،[١] الآية، وقوله: وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ،[٢] الآية، وغير ذلك، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً،[٣] ونحوه، فقال: **وإن يريدوا خيانتك**، في نقض العهد وغير ذلك من الأمانات، **فقد خانوا الله من قبل**. يحتمل قوله: **فقد خانوا الله**،[٤] فيما عاهدوا[٥] أن يُوفُوا بذلك.[٦] من ذلك[٧] قولهم: لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ،[٨] فقد أنجاهم الله عن ذلك، فلم يكونوا من الشاكرين، وكقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ،[٩] فقد آتاهم الله ذلك، فلم يَفُوا بما عاهدوا،[١٠] وغير ذلك من العهود التي عاهدوا،[١١] والأمانات التي اؤتُمِنوا فيها، فخانوا الله في ذلك.[١٢] أو ما عَهِد إليهم في أمر محمد وإظهار نَعْته وصفته في كتبهم، فكتموا ذلك وحرّفوه، وأظهروا خلاف نَعْته وصفته، فذلك منهم خيانة. فيقول إنهم قد **خانوا الله من قبل فأمكن**، الله، **منهم**، فإذا خانوك يمكنك الله[١٣] منهم أيضا. وقوله: **فأمكن منهم**، قال بعضهم: أمكن منهم،[١٤] أي انتقم منهم جزاء خيانتهم. وقال بعضهم:[١٥] أمكنك حتى انتقمت منهم. وقوله: **وإن يريدوا خيانتك**،

[١] سورة الأنفال، ٥٦/٨.
[٢] سورة الأنفال، ٦٢/٨.
[٣] سورة الأنفال، ٥٨/٨.
[٤] ن + من قبل يحتمل قوله فقد خانوا الله من قبل؛ ع م – يحتمل قوله فقد خانوا الله.
[٥] جميع النسخ: عهدوا.
[٦] جميع النسخ: ذلك.
[٧] ع م – من ذلك.
[٨] ﴿حتى إذا كنتم في الفُلْكِ وجَرَيْن بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أُحِيط بهم دَعَوا الله مخلصين له الدين...﴾ (سورة يونس، ٢٢/١٠).
[٩] سورة التوبة، ٧٥/٩.
[١٠] جميع النسخ: ما عهدوا.
[١١] جميع النسخ: عهدوا.
[١٢] م – في ذلك.
[١٣] ن ع م – الله.
[١٤] ع م – قال بعضهم أمكن منهم.
[١٥] ع م – بعضهم.

ليس على الإرادة، ولكن على وقوع فعل الخيانة، كأنه قال: وإن خانوك **فقد خانوا الله من قبل**، لكنه ذكر الإرادة لما هي صفة كل فاعل مختار، لما لا يكون الأفعال إلا بإرادة.

وقوله: **والله عليم**، بما يُسِرّون ويُضمِرون من الخيانة ونقض العهود، **حكيم**، في أمره وحكمه، حيث أمكنك منهم. وقال بعضهم في قوله: **وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل**، أي إن خانوك[1] بعد إسلامهم بالكفر بك، **فقد خانوا الله من قبل**، أي فقد كفروا بالله قبل هذا، يقول: إن خانوك أمكنك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما فعلت بهم ببدر، **والله عليم**، بخلقه، **حكيم**، في أمره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**، قوله: **آمنوا**، أي صدّقوا آيات الله وحججه، أو صدّقوا رسوله في جميع ما جاء به. كأنه مقابل قوله: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ،[2] و كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ،[3] ذكر هاهنا التصديق مكان التكذيب في ذلك. وقوله: **وجاهدوا**، في إظهار دين الله ونصره، **بأموالهم وأنفسهم**، أي بذلوا ذلك، **والذين آوَوْا**، أي ضَمُّوا[4] النبي، **ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**، قال ابن عباس وعامة أهل التأويل: الولاية التي ذكرت في الآية في التوارث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام الذين آمنوا و لم يهاجروا إلى المدينة، وكذلك قالوا في قوله: **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء**، يعني الميراث.[5] وروي عن عبد الله [بن مسعود] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والطُّلَقَاء من قريش والعُتَقَاء[6] من ثَقِيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة».[7]

---

[1] م: أي خانوك.

[2] سورة الأنفال، ٨/٥٢.

[3] ﴿كدأْبِ آل فرعون والذين من قبلهم كذّبوا بآيات ربهم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٥٤).

[4] ن: آووا ضموا.

[5] *تفسير الطبري*، ١٠/٥١-٥٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١١٤-١١٥.

[6] الطُّلَقَاء هم من أسلم من قريش يوم فتح مكة، والعُتَقَاء من أسلم من ثقيف بعد غزوة حُنَين.

[7] *المعجم الكبير* للطبراني، ١٠/١٨٧، و*مسند أبي يعلى*، ٨/٤٤٦ و*مسند البزار*، ٥/١٣٧؛ وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وأبو يعلى والبزار، وفيه عاصم ابن بَهْدَلَة، وفيه خلاف، وبقية رجال البزار رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/١٥).

وعن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[1] كذلك.[2] وعن المسعودي عن القاسم قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، فآخى بين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام أخوة يتوارثون بها، لأنهم هاجروا وتركوا قراباتهم، حتى أنزل الله آية المواريث. وعن ابن عباس في قوله: وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ،[3] قال: كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث [المهاجري] الأنصاري[4] دون [ذوي][5] رحِمه بالأخوة التي / آخى النبي بينهم، [٢٩٥و] فلما نزل قوله: وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، نسخها، [ثم قال:] وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ، من النصر والنصيحة والرِّفادة،[6] ويوصي له، ولا ميراث.[7]

وعن الحسن في قوله تعالى: [**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله** -إلى قوله- **ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا**]:[8] فكان[9] المسلمون يتوارثون بالهجرة، فكان الأعرابي لا يرثه المهاجر، والمهاجر[10] لا يرثه[11] الأعرابي، فحرّضهم بذلك على الهجرة، حتى كثر المسلمون، فأنزل الله تعالى: وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ،[12] الآية، فورث الأعرابي المهاجر، وتوارثوا بالأرحام.[13] إلى هذا يذهب عامة أهل التأويل.

---

[1] ك – قال.

[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٦٣/٤؛ وصحيح *ابن حبان*، ٢٥٠/١٦؛ و*المعجم الكبير* للطبراني، ٣١٣/٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣٤٣؛ وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني بأسانيد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٥/١٠).

[3] ﴿ولكلٍ جعلنا مواليَ مما ترك الوالدان والأقربون...﴾ (سورة النساء، ٣٣/٤).

[4] جميع النسخ: الأنصار. والتصحيح مع الزيادات من مصادر الرواية.

[5] من مصادر الرواية ومن شرح *التأويلات*، ورقة ٣٣٧و.

[6] الرِّفْد بالكسر: العطاء والصلة، والرَّفْد بالفتح: المصدر. رَفَده يَرْفِده رَفْدا: أعطاه، ورَفَده وأرْفَده: أعانه... وفي حديث ابن عباس: ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾، من النُّصْرة والرِّفادة: أي الإعانة (*لسان العرب* لابن منظور، «رفد»).

[7] *صحيح البخاري*، التفسير ٧/٤؛ وسنن *أبي داود*، الفرائض ١٦.؛ و*تفسير الطبري*، ٥٣/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٠٩/٢.

[8] جميع النسخ: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٥٣/١٠.

[9] ن: وكان.

[10] م – والمهاجر.

[11] م: ولا يرثه.

[12] سورة الأنفال، ٧٥/٨.

[13] *تفسير الطبري*، ٥٣/١٠.

وكانوا[1] يرون أن الهجرة[2] كانت مفترَضة، فزال فرضها بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكنه جهاد ونية».[3] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: انقطعت الهجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، فإنما كانت الهجرة إلى الله ورسوله والمؤمنون يَفِرّون بدينهم مِن أنْ يُفْتَنُوا[4] عنه،[5] وقد أفشى الله الإسلام.[6] هذا الذي ذهب هؤلاء [إليه] في قوله:[7] **بعضُهم أولياء بعض**، في التوارث محتمل. ويحتمل غير هذا، وهو أن قوله: **إن الذين آمنوا وهاجروا**[8] -إلى قوله- **والذين آوَوْا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**، أي **بعضهم**[9] **أولياء بعض** في تمام الوَلاية في التناصر والتعاون والحقوق والديانة، فهم أولى بعضُهم ببعض من **الذين آمنوا ولم يهاجروا**، لأنهم آمنوا وهاجروا، أي تركوا منازلهم وأهلهم وقَراباتِهم وبلدهم الذي كانوا فيه مقيمين، إشفاقا على دينهم واستسلاما له[10] ولأنفسهم، والأنصار آوَوْهم وأنزلوهم في منازلهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم، وتحمَلوا جميع مُؤَنهِم من غيرِ أنْ كان سبق منهم إليهم[11] شيء، فصاروا لهم أعوانا وأنصارا، فصار[12] **بعضهم أولياء بعض**، في تمام ما ذكرنا من الولاية. **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء حتى يهاجروا**، أي **ما لكم من وَلايتهم**، أي من تمام ما ذكرنا من الوَلاية[13] لهم وَلاية الدين، وليس لهم وَلاية التناصر والتعاون والحقوق والمنافع التي تُكتسَب بالدين.

---

[1] ك: وكان.

[2] ع – حتى كثر المسلمون فأنزل الله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله الآية فورث الأعرابي المهاجر وتوارثوا بالأرحام إلى هذا يذهب عامة أهل التأويل وكانوا يرون أن الهجرة.

[3] *صحيح البخاري*، الجهاد ١؛ و*صحيح مسلم*، الإمارة ٨٦.

[4] جميع النسخ: أن يقيموا؛ والتصحيح من مصدر الرواية ومن *شرح التأويلات*، ورقة ٣٣٧و.

[5] ن – عنه.

[6] *صحيح البخاري*، مناقب الأنصار ٤٥.

[7] م: في قول.

[8] ن + إلى قوله والذين آمنوا وهاجروا.

[9] ن: أي أو بعضهم.

[10] جميع النسخ: لهم. والمعنى: طلبا لسلامة دينهم وأنفسهم. وقد استعمل المؤلف نفس العبارة في تفسير الآية رقم ٧٤.

[11] م – إليهم.

[12] ك – فصار.

[13] ك – والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا أي ما لكم من ولايتهم أي من تمام ما ذكرنا من الولاية.

[٢٩٥و س ٣٠ *وقوله[1] عز وجل: **ما لكم من وَلايتهم من شيء**، قرئ بالخفض: وِلايتهم، وبالنصب جميعا: وَلايتهم، أعني بنصب الواو وخفضها. وكذلك التي في الكهف: هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ،[2] بالخفض والنصب جميعا [لكلمة] الولاية.[3] ثم قال بعض أهل الأدب: الوَلاية بفتح الواو: النُّصْرَة[4] والمعونة، والوِلاية بخفض الواو: السلطان،[5] أي السلطان لله. وقال بعضهم: الوِلاية بالخفض: المعونة والنُّصْرَة، والوَلاية: السلطان. وقال[6] آخرون: هما سواء، وهو النُّصْرَة[7] والمعونة والولاية[8] في الأمارة والسلطان، والولاية في الدين.* ٢٩٥و س ٣٤]

وفي قوله: **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء**، دلالةُ نقضِ قول المعتزلة، لأنه جل وعلا أبقى للذين[9] لم يهاجروا اسم الإيمان، وكانت الهجرة عليهم مفترَضة، و[كانوا] في تركهم الهجرة مرتكبين كبيرة، فدل أن صاحب الكبيرة لا يزول عنه اسم الإيمان.*

وقوله عز وجل: **وإن استَنصَرُوكم في الدين**، يعني الذين[10] لم يهاجروا. ويحتمل[11] وجهين. يحتمل إذا طلبوا منكم المعونة والنُّصْرَة على عدوهم، **فعليكم النصر**، والمعونة لهم إذا لم يكن بينكم وبين أولئك ميثاق. والثاني إذا علمتم أنهم يخشون على أنفسهم من عدوهم ويخافونه[12] فانصروهم، **إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**، أي إذا استنصروكم في الدين على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم، أي[13] وليس عليكم أن تنصروهم.

---

[1] ن – وقوله.
[2] سورة الكهف، ١٨/٤٤.
[3] ع م: الآية. والقراءتان متواترتان، فقرأ حمزة بكسر الواو في الموضعين، ووافقه الكسائي وخلَف في سورة الكهف، وقرأ الباقون بفتح الواو في الموضعين؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٧٧.
[4] ع م: والنصرة.
[5] ك: اللسطان.
[6] ن ع م: قال.
[7] ك: النصر.
[8] ع: والولالة.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٥و/سطر ٣٠-٣٤.
[9] ك: الذين.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية الآتية برقم ٧٥، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٥و/سطر ١٩-٢٢.
[10] ن – الذين.
[11] ك ن م: يحتمل.
[12] ك: وتخافونه.
[13] ك – أي.

تأويله: حتى تَنبِذوا إليهم العهد. يقول: **إن استنصروكم**، يا معشر المهاجرين، إخوانُكم المؤمنون الذين لم يهاجروا إليكم، فأتاهم عدوهم من المشركين فقاتَلوهم ليَردّوهم[١] عن الإسلام فانصُروهم. ثم استثنى فقال: **إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**، يقول:[٢] إن استنصركم[٣] الذين لم يهاجروا إلى المدينة على أهل عَهْدكم فلا تنصروهم. **والله بما تعملون بصير**، في المعونة والنُّصْرَة ونحوه.*

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض**، على قول ابن عباس وعامة أهل التأويل: **بعضهم أولياء بعض**، في التوارث،[٥] على ما قالوا في المهاجرين والأنصار: بعضهم أولياء بعض. ويحتمل ما ذكرنا أنّ **بعضهم أولياء بعض**، في التناصر والتعاون والدين والحقوق جميعا، على ما ذكرنا في المؤمنين.

وقوله: **إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**، قيل فيه بوجوه. أحدها أن إخوانكم الذين لم يهاجروا إذا استنصروكم على عدوهم فلم تنصروهم تكون **فتنة في الأرض وفساد كبير**، أي إن لم تكونوا بعضُكم أعوانا وأنصارا لبعض على ما كان[٦] أهل الكفر بعضهم أنصارا لبعضٍ غلبكم العدو وقهركم،[٧] فيكون في ذلك فتنة وفساد. ويكون كأنه قال: وَقَاتِلُوهُمْ / حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ.[٨] وقال بعضهم: قوله: **إلّا تفعلوه** [٢٩٥ظ] **تكن فتنة**، مُلْحَق[٩] بقوله: إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ،[١٠] أي إن استنصركم إخوانكم على قوم بينكم وبينهم عهد[١١] فنصرتموهم **تكن فتنة... وفساد كبير**. وقال بعضهم:

---

[١] جميع النسخ: لتردوهم.

[٢] ك + إن استنصروكم يا معشر المهاجرين إخوانكم المؤمنون الذين لم يهاجروا إليكم فأتاهم عدوهم من المشركين فقاتلوهم لتردهم عن الإسلام فانصروهم ثم استثنى فقال إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول.

[٣] ك ن م: إن استنصروكم.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٥و/سطر ٣٠-٣٤.

[٥] *تفسير الطبري*، ٥٦/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١١٦/٤.

[٦] ك: ما كانوا.

[٧] ع: وقهرك.

[٨] سورة الأنفال، ٣٩/٨.

[٩] ك ن م: ملحقا؛ ع – ملحقا.

[١٠] الآية السابقة.

[١١] ع م: ميثاق.

قوله: **إلّا تفعلوه**، فيما أمركم به مِن جَعْل التوارث فيما بين المؤمنين، وجعلتم الميراث[1] والتوارث فيما بينكم وبين الكفار، **تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**، لأن الله عز وجل ذكر المواريث، ثم ذكر في آخر الآية: تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ،[2] وما ذكر؛ فمَن تَرَك[3] حدود الله وطاعة رسوله وجَعَل الميراث في غير ما أمر عز وجل **تكن** [بسببه] **فتنة في الأرض وفساد كبير**.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آوَوْا ونصروا**، أي ضمّوا رسول الله والمهاجرين ونصروهم، **أولئك هم المؤمنون حقا**، أي المهاجرون والأنصار الذين ضمّوا، **أولئك هم المؤمنون حقا**، لِما حققوا إيمانهم بأعمالهم، لأنهم هاجروا [من] بلادهم وأهلهم وأموالهم إشفاقا على دينهم واستسلاما له، وأجابوا رسول الله وأطاعوه في ذلك، وأولئك الأنصار ضمّوا إلى أنفسهم وأنزلوهم في منازلهم وبذلوا أنفسهم وأموالهم ونصروهم على عدوهم، فقد حقّقوا جميعا إيمانهم بأعمالهم التي عملوا. ويحتمل قوله: **أولئك هم المؤمنون حقا**، أي صدقا في السر والعلانية، ليس كإيمان المنافقين يكون في العلانية ولا يكون في السر، كقوله: وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ،[4] وقال: وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ.[5] ويحتمل قوله: **أولئك هم المؤمنون حقا**، أي وعد لهم وعدا حقا، وهو ما ذكر في آخر الآية:[6] **لهم مغفرة ورزق كريم**. ويحتمل **أولئك هم المؤمنون حقا**،[7] أي أولئك المؤمنون الذين حققوا الإيمان به.[8] وقوله: **لهم مغفرة ورزق كريم**، أي حسن يكرم أهله به.

---

[1] ع: المتراث.

[2] ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسولَه يُدْخِلْه جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يَعْصِ الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يُدْخِلْه نارا خالدًا فيها وله عذاب مُهين﴾ (سورة النساء، ٤/١٣-١٤).

[3] جميع النسخ: من ترك.

[4] سورة العنكبوت، ٢٩/٣.

[5] سورة العنكبوت، ٢٩/١١.

[6] ن ع م: في آية أخرى.

[7] ك - أي وعد لهم وعدا حقا وهو ما ذكر في آخر الآية لهم مغفرة ورزق كريم ويحتمل أولئك هم المؤمنون حقا؛ م + أي أولئك المؤمنون حقا.

[8] ن - به.

[٢٩٥ظ س ٢٩ *ثم لزوم الهجرة على الذين[١] هاجروا مع رسول الله وعلى الذين تأخر هجرتهم سواء، قد سوّى بينهم في اللزوم، وجمع بين المهاجرين والأنصار في حق الشهادة لهم بالتصديق والإيمان حيث قال: **أولئك هم المؤمنون حقا**، وجمع بينهم في حق الولاية وما يكتسب بها من المنافع حيث قال: أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[٢] وجمع بينهم في الثواب والدرجة حيث قال: **لهم مغفرة ورزق كريم**، وجمع بينهم في هذه الخصال -وإن قدّم ذِكرَ المهاجرين في غير واحد من الآيات- لِما كانوا مُستوِين في الأسباب التي[٣] استوجبوا ذلك؛ لأنه[٤] [كان] من المهاجرين ترك الأوطان والمنازل والخروج منها والمفارقة عن أهليهم وأموالهم وكان من الأنصار مقابلَ ذلك إنزالهُم في منازلهم وأوطانهم وبذل أموالهم وقيام أهليهم في خدمتهم، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*.* ٢٩٥ظ س ٣٥]

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا مِن بَعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم**، أي مَن آمن بعد هؤلاء وهاجر[٥] بعد مهاجرة أولئك فإنهم يلحقون أوائلهم في جميع ما ذكر في أولئك الذين هاجروا من قبل. يذكر هذا -والله أعلم- لنعمل[٦] نحن على ما عمل أولئك من الهجرة والنُّصرَة وبذل الأنفس والأموال وغير ذلك للدين على ما بذل أولئك وأشفقوا على دينهم.

وقوله عز وجل: **فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**، هو ما ذكرنا أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض بالتركة والتوارث من جملة المؤمنين، فإذا لم يكن أولو[٧] الأرحام فجملة المؤمنين أولى. وعلى ذلك يخرج قول أصحابنا: إن أولي الأرحام بالميراث أولى من جملة المؤمنين،[٨] وهو بيت المال، فما دام واحد من هؤلاء فهو أولى بالميراث.

---

[١] ك: على الذي.
[٢] سورة الأنفال، ٧٢/٨.
[٣] ن: الذي.
[٤] جميع النسخ: لأن.
* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٥ظ/سطر ٢٩-٣٥.
[٥] م: وهاجروا.
[٦] ن: لنعلم.
[٧] ك ع م: أولوا.
[٨] ك - وعلى ذلك يخرج قول أصحابنا إن أولي الأرحام بالميراث أولى من جملة المؤمنين.

وعلى ذلك يخرج قولهم في العَقْل:[1] إنه على ذوي الأرحام ما داموا هم،[2] فإذا لم يكن أحد منهم فهو على جملة المؤمنين في بيت المال.

[٢٩٥و س١٩ * وقوله عز وجل: **وأُولُو الأرحام بعضهم أولى ببعض**، أي أُولُو[3] الأرحام إذا آمنوا وهاجروا، **بعضهم أولى ببعض**، من غيرهم، لأنهم إذا آمنوا وهاجروا ولهم قرابةٌ سابقةٌ ورَحِمٌ متقدِّمٌ كانوا هم أولى من غيرهم الذين[4] لا قرابة بينهم ولا رَحِم. إذا اجتمع فيهم الرحم والمعونة والنصر والديانة والحقوق اجتمع فيهم[5] أشياء أربعة، وفي أولئك ثلاثة، فهم أولى بهم من غيرهم.

٢٩٥و س٢٢] هذا على التأويل الذي ذكرنا. *والله أعلم*.*

وقوله عز وجل: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض**، أي **بعضهم أولى ببعض**، في حق التوارث من المؤمنين الذين هاجروا، فنسخت[6] هذه الآية حكم الميراث الذي ذكر في قوله: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**،[7] لأنه كان جَعل التوارث بينهم بحق الإيمان والهجرة، ثم نَسخ ذلك، وجعل الميراث بالرحم، حيث قال: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض**. وكذلك ما ذكر في سورة الأحزاب حيث قال: وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ.[8] فإذا لم يبق من الرحم أحد فبعد ذلك يكون لجملة[9] المؤمنين.

وقوله عز وجل: **في كتاب الله**، في حكم الله، أو في كتاب الله، لأنه ذكر في كتاب الله.*

[٢٩٥ظ س٢٣ * وقوله عز وجل: **إن الله بكل شيء عليم**، بالعباد وما يكون منهم، و **بكل شيء عليم**،

٢٩٥ظ س٢٤] بما يحتاجون وما[10] لا يحتاجون،[11] وهو حرف وعيد. *والله أعلم*.*

---

[1] أي الدية.
[2] م: ما داموهم.
[3] ك: أي أولوا.
[4] جميع النسخ: الذي.
[5] ن ع م: فيه.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية السابقة برقم ٧٢، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٥و/سطر ١٩-٢٢.
وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٥ظ/سطر ٢٣-٢٤.
[6] جميع النسخ: فنسخ.
[7] سورة الأنفال، ٧٢/٨.
[8] سورة الأحزاب، ٦/٣٣.
[9] م: جملة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٥ظ/سطر ٢٩-٣٥.
[10] ن: وبما.
[11] ع - وما لا يحتاجون.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٥ظ/سطر ٢٣-٢٤.

سورة التوبة[1]

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**، قال بعض أهل[3] التأويل: ذلك في قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد على غير مدة مبيّنة، فأمر بنقض العهد المرُسَل، وجعله في الأربعة الأشهر[4] التي ذكر في قوله: فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.[5] وقال بعضهم: هو[6] في قوم كان لهم عهد دون أربعة أشهر، فأمر بإتمام أربعة أشهر. / دليله [٢٩٦و] قوله: فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ.[7] وقال أبو بكر الكيساني: الآية[8] في قوم كانت عادتهم نقض العهد ونكثه، كقوله: الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ،[9] فأمر أن يعطي العهد أربعة أشهر التي ذكر[10] في الآية، ثم الحرب بعد ذلك. وقال بعضهم: لما نزل قوله: **براءة من الله ورسوله**، بعث رسول الله عليا[11] إلى الموسم ليقرأه على الناس، فقرأ[12] عليهم: **براءة من الله ورسوله**، من العهد غير أربعة أشهر، **إلى الذين عاهدتم من المشركين**،[13] على ما ذكرنا. حمل هؤلاء كلهم قوله: **براءة**، على النقض. وعندنا يحتمل غير هذا.

---

[1] ك ن: سورة براة؛ ع م: سورة براءة.

[2] ن ع: وقوله.

[3] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

[4] ك: أشهر.

[5] الآية التالية.

[6] جميع النسخ: هم.

[7] سورة التوبة، ٤/٩.

[8] ع م: في الآية.

[9] سورة الأنفال، ٥٦/٨.

[10] ن + ذكر.

[11] ع: علينا.

[12] جميع النسخ: فقرأه.

[13] سيأتي تخريج الحديث قريبا.

وهو أن قوله: **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**، في إمضاء العهد ووفائه. والبراءة هي الوفاء وإتمامه، ليس على النقض، لأنه: قال: **إلى الذين عاهدتم من المشركين**، والبراءة إليهم هو الأمان والعهد إليهم. ولو كان على النقض لقال: "من الذين عاهدتم من المشركين". فدل أنه هو إتمام إعطاء العهد لهم[1] وإمضاؤه إليهم. ويؤيد هذا[2] ما قال بعض أهل الأدب: إن البراءة هي الأمان،[3] يقال: كتبت له براءة، أي أمانا. هذا الذي ذكرنا أشبه مما قالوا، أعني أهل التأويل.

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**، أي سيروا واذهبوا **في الأرض أربعة أشهر**، أي في مدة العهد.

وقوله عز وجل: **واعلموا أنكم غير مُعْجِزي الله**، أي اعلموا أن المؤمنين وإن أعطوا لكم العهد في وقت فإنكم غير فائتين عن الله بعد تلك المدة. ويحتمل: **أنكم غير معجزي أولياء الله**، عن النقض بعد تلك المدة.[4] **وأن الله مُخْزِي الكافرين**، الخزي هو العذاب الفاضح الذي يفضحهم ويظهر عليهم. ويحتمل أن يكون ذلك العذاب والإخزاء الذي ذكر في الآخرة.

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر**: قال القُتَبي: **وأذان من الله ورسوله**، أي إعلام، ومنه أذان الصلاة هو الإعلام، يقال آذنتهم إيذانا.[5] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة.

---

[1] ك: إليهم.
[2] ع م – هذا.
[3] ن – هي الأمان.
[4] جميع النسخ: أي اعلموا أن المؤمنين وإن أعطى لكم العهد في وقت فإنكم غير معجزي الله أولياء ولا فائتين عنكم في تلك المدة. والتصحيح من شرح *التاويلات*، ورقة ٢٣٩و.
[5] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٨٢.

وقوله عز وجل: **أن الله بريء من المشركين ورسولُه**، يكون في قوله: **أن الله بريء من المشركين ورسولُه**،[1] دلالة ما قال[2] أهل التأويل من النقض، لأن قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ،[3] يكون فيه إمضاء العهد وإتمامه إلى المدة التي ذكر. ويكون ما روي في الخبر وذكر[4] في القصة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزل برآءة بعث أبا بكر على حج الناس، يقيم للمؤمنين حجهم، وبعث معه ببراءة،[5] السورة،[6] [إلى رأس أربعين آية]،[7] ثم أَتْبَعَه عليَّ بن[8] أبي طالب، فأدركه، فأخذها منه، ورجع أبو بكر إلى النبي، فقال للنبي: بأبي أنت وأمي، نزل فيَّ شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يُبَلِّغ [عَنِّي][9] غيري أو رجل مني، أما ترضى يا أبا بكر[10] أنك [كنت][11] صاحبي في الغار، وأنك[12] أخي في الإسلام، وأنك[13] تَرِد عليَّ الحوضَ يوم القيامة؟»، قال: بلى يا رسول[14] الله، فمضى أبو بكر على الناس، ومضى علي بن أبي طالب بالبراءة، فقام علي بالموسم، فقرأه[15] على الناس: **براءة من الله ورسوله**، من العهد غير أربعة أشهر، فإنهم يَسِيحون فيها.[16]

---

[1] ك - يكون في قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله.
[2] ن: ما قالوا.
[3] سورة التوبة، ١/٩.
[4] ع م - وذكر.
[5] ن ع م: براءة.
[6] مثل قولهم: براءة...، الآية.
[7] من *تفسير الطبري*، ٦٥/١٠.
[8] ن: ابن.
[9] من مصادر الرواية.
[10] م: يا با بكر.
[11] جميع النسخ: أنت؛ والتصحيح مع الزيادة من *تفسير الطبري*، ٦٥/١٠.
[12] جميع النسخ: أنت.
[13] جميع النسخ: أنت؛ والتصحيحان من *تفسير الطبري*، ٦٥/١٠.
[14] ك: يرسول.
[15] ك: فقرأ.
[16] روي قريبا منه؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٥١/١؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٩؛ و*تفسير الطبري*، ٦٥/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢٤/٤. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذِّنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمِنًى: أنْ لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُرْيَان -قال حُمَيْد بن عبد الرحمن- ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة -قال أبو هريرة- فأذّن معنا عليٌ يوم النحر في أهل مِنًى ببراءة، وأنْ لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُرْيَان. انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٩؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٤٣٥.

ثم قوله: **يوم الحج الأكبر**، قال عامة أهل التأويل: هو يوم النحر، لأنه[1] فيه ذكر طواف البيت وحج البيت. وقال بعضهم: هو يوم عرفة، لأنه هو الذي يوقف [فيه] بعرفة، وبه يتمّ الحج، على ما روي[2] في الخبر: «الحج عرفة»،[3] و«من أدرك عرفة بليل [أو نهار] وصلى معنا بجَمْع فقد تمّ حجه، وقضى تَفَثَه»،[4] بإدراكه يتم الحج،[5] وبفوته يفوت. وعن الحسن أنه سئل، فقيل له: ما الحج الأكبر؟ فقال: سَنَةَ حجَّ المسلمون والمشركون جميعا، اجتمعوا بمكة، وفي ذلك اليوم كان[6] لليهود عيد، وللنصارى عيد، لم يكن قبله ولا بعده، فسماه الله الحج[7] الأكبر.[8] قال أبو بكر الأصم: لا يحتمل أن يسمي الله لعيد النصارى واليهود يوم الحج الأكبر، وهو يوم نزول السَّخطَة عليهم واللعنة، ولكن جائز أن يسمى بذلك لاجتماع[9] الخلائق فيه من كل نوع على ما سمي يوم الحشر يوما عظيما،[10] كقوله: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[11]

[٢٩٧و س٢٤] *واختلفت[12] الصحابة والروايات في الحج الأكبر. روي عن عبد الله بن الزبير[13] قال: قال النبي[14] صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة: «هل تدرون أي يوم هذا؟»، قالوا: نعم،[15]

---

[1] ن م: لأن.

[2] ع: وما روي.

[3] عن عبد الرحمن بن يَعْمَر أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعَرَفة، فسألوه، فأمر مناديا، فنادى: «الحج عرفة، من جاء ليلة جَمْع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج، أيامُ مِنَى ثلاثة، فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه» (*سنن أبي داود*، المناسك ٦٨؛ و*سنن الترمذي*، الحج ٥٧). وجَمْع: مُزْدَلِفة.

[4] عن عروة بن مُضَرِّس الطائي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُزْدَلِفة حين خرج إلى الصلاة... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد أتمّ حجّه وقضى تَفَثَه»، قال أبو عيسى [الترمذي]: هذا حديث حسن صحيح -قال- قوله: تَفَثَه، يعني نُسُكَه. (*سنن أبي داود*، المناسك ٦٨؛ و*سنن الترمذي*، الحج ٥٧).

[5] ك – الحج عرفة ومن أدرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه وقضى تفثه بإدراكه يتم الحج.

[6] ن ع م: بمكة وكان في اليوم.

[7] ع م: حج.

[8] *تفسير الطبري*، ٧٥/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢٨/٤.

[9] ع م: الاجتماع.

[10] م – عظيما.

[11] سورة المطففين، ٥/٨٣-٦.

[12] م: واختلف.

[13] ك ن + عن أبيه؛ ع –أبيه.

[14] ع: رسول الله.

[15] ن + هذا.

اليوم الحرام،[١] يوم الحج الأكبر، قال: «فإن الله قد حرم دماءكم وأموالكم عليكم إلى يوم القيامة كحرمة يومكم هذا».[٢] وعن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الحج الأكبر، فقال: يوم عرفة.[٣] وعنه أنه وقف عليهم يوم عرفة، فقال: إن هذا يوم الحج الأكبر، فلا يصومنه أحد. وعن ابن الزبير يقول: يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر.[٤] وفي بعض الأخبار عنه[٥] صلى الله عليه وسلم أنه خطب على ناقة حمراء يوم النحر، فقال رسول الله: «أتدرون[٦] أي يوم هذا؟ هذا يوم النحر، وهذا يوم الحج الأكبر».[٧] وفي بعض الأخبار عن ابن عمر قال: رأيت، أو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم النحر عند الجمرات[٨] في حجة الوداع، فقال: «أي يوم هذا؟»، قالوا: هذا يوم النحر، قال: «فأي بلد هذا؟»، قالوا: هذا بلد حرام، قال: «فأي شهر هذا»، قالوا: شهر حرام، قال: «هذا يوم الحج الأكبر، فدماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم»، ثم قال: «هل بلَغتُ؟».[٩] وعن الحارث قال: سألت عليا عن الحج الأكبر، فقال: يوم النحر.[١٠] وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب يوم العيد، فقال: هذا يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر.[١١] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الحج الأكبر يوم النحر.[١٢] وفيه قول ثالث، ما روي أنه كان في كتاب رسول الله الذي كتبه لعمرو بن حزم: «والحج الأصغر العمرة».[١٣] وعن ابن عباس قال: العمرة هي[١٤] الحجة الصغرى.[١٥]

---

[١] م - اليوم الحرام.

[٢] روي قريبا منه، لكن ليس فيه قوله: "يوم الحج الأكبر"؛ «رواه الطبراني في *الأوسط* و*الكبير*، وفيه فُرات بن أحنف، وهو ضعيف» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٧٠/٣).

[٣] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٣٧٨/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٦٨/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢٩/٤.

[٤] للروايتين الأخيرتين انظر: *تفسير الطبري*، ٦٨/١٠.

[٥] ن: عن النبي.

[٦] ع: أتدر؛ م: أتدري.

[٧] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٧٣/٣، ٤١٢/٤؛ و*تفسير الطبري*، ٧٣/١٠-٧٤.

[٨] جميع النسخ: المحراب؛ والتصحيح من مصادر الرواية.

[٩] *صحيح البخاري*، الحج ١٣٢؛ و*سنن أبي داود*، المناسك ٦٦.

[١٠] *سنن سعيد بن منصور*، ٢٣٧/٥؛ و*تفسير الطبري*، ٦٩/١٠. ورواه الترمذي مرفوعا وموقوفا، ورجح أنه من قول علي رضي الله عنه، موقوفا عليه؛ انظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٩.

[١١] *سنن سعيد بن منصور*، ٢٣٩/٥؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٣٧٩/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٧٠/١٠.

[١٢] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٣٧٩/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٧٠/١٠.

[١٣] *صحيح ابن حبان*، ٥٠٤/١٤؛ و*المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٥٥٣/١.

[١٤] ن + هي.

[١٥] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٢٢٤/٣.

وسئل عبد الله بن شَدّاد عن الحج الأكبر، فقال: الحج الأكبر يوم النحر، والأصغر العمرة.[1] فأما حديث عمرو بن[2] حزم فهو حكاية عن كتاب، وليس فيه بيان عن يوم الحج الأكبر، إنما يذكر فيه الحج الأصغر. ولو لا خبر علي وابن عمر لجاز أن يقال: يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر، لأنه يُقضَى فيه فرض الحج، وهو الوقوف، ومن فاته ذلك فقد فاته[3] الحج. وجاز أن يقال:[4] هو يوم النحر، لأن[5] فيه يُقضَى طواف الزيارة، وهو فرض، ويُقضَى[6] فيه [٢٩٧ظ] أكثر[7] مناسك الحج. بل يوم النحر أولى / أن يكون يوم الحج الأكبر، لأن الحاج يفعل في[8] يوم عرفة فرضا من فرائض الحج، وهو الوقوف، ويقضي في يوم النحر فرضا آخر من فرائضه، وهو طواف الزيارة، ويقضي مع ذلك أكثر المناسك.[9] فقد استوى هذان اليومان في أنه يُقضَى في كل واحد منهما فرضٌ من فرائض الحج. وزاد يوم النحر على يوم عرفة بما يُفعَل في يوم النحر من مناسك الحج، ولا يفعل في يوم عرفة شيئا من النُسُك إلا الوقوف بعرفة. واحتج بعض الناس لفرضية[10] العمرة بما رواه عمرو بن حزم أن الحج الأصغر هو العمرة، والأكبر هو الحج بما سميت العمرة حجا، وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم.[11] وعن علي وأبي هريرة وابن أبي أوفى رضي الله عنهم أنهم قالوا: الحجة الكبرى يوم النحر.[12] وعن عمر وابن عباس ٢٩٧ظ س٧] أنهما قالا: [هو] يوم عرفة.[13]*

---

[1] سنن سعيد بن منصور، ٢٣٤/٥؛ والمصنف لابن أبي شيبة، ٣٧٩/٣؛ وتفسير الطبري، ٧١/١٠.

[2] ك: ابن.

[3] ن: فقد فاتت.

[4] ع + يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر لأنه يقضى فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته ذلك فقد فاته الحج وجاز أن يقال.

[5] ع: لأنه.

[6] ن: يقضي.

[7] ن ع م: أكبر.

[8] ع – في.

[9] م: أكبر مناسك الحج.

[10] ن ع: بفرضية.

[11] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٩٦/٢.

[12] سبق تخريج قول علي رضي الله عنه قبل قليل؛ وانظر لقول أبي هريرة: صحيح البخاري، الجزية ١٦؛ ولقول ابن أبي أوفى: سنن سعيد بن منصور، ٢٣٧/٥؛ والمصنف لابن أبي شيبة، ٣٧٨/٣، ٣٧٩؛ وتفسير الطبري، ٦٩/١٠.

[13] سبق تخريج قول عمر رضي الله عنه قبل قليل؛ أما لقول ابن عباس فانظر: تفسير الطبري، ٦٩/١٠؛ والدر المنثور للسيوطي، ١٢٩/٤.

* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية رقم ٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٧و/سطر ٢٤–٢٩٧ظ/سطر ٧.

وقوله: **فإن تبتم فهو خير لكم**، أي إن تبتم عما كنتم عليه **فهو خير لكم**، لأنهم يأمنون عن الرعب الذي كان في قلوبهم، ويكون ذلك الخوف والرعب في قلوب المشركين، على ما روي في الخبر أنه قال: «نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرةَ شهرين».[1] وقوله: **وإن توليتم**، عما ذكرنا، **فاعلموا أنكم غير مُعْجِزي الله**، أي غير فائتين عن نقمة الله وعذابه. ويحتمل قوله: **فإن تبتم**، عن نقض العهد، **فهو خير لكم**، في الدنيا.[2] والأولى:[3] **فإن تبتم**، وأسلمتم، **فهو خير لكم**، في الدنيا والآخرة.

ثم روي في بعض الأخبار عن علي رضي الله عنه أنه سئل: بأي شيء بُعِثتَ؟ قال: بأربع: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة،[4] ومن كان بينه وبين النبي عهد فعهده أربعة أشهر، ولا يطوف بالبيت عُريان، ولا يدخل الحَرَم مشرك بعد هذا».[5] وفي بعض الأخبار: «ولا يحج المشرك[6] بعد عامه هذا». وكذلك قال في الآية:[7] فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا.[8] ففيه دلالة إثبات رسالة محمد، لأنه قال[9] في ملأٍ مِن الناس بالموسم:[10] «لا يحج مشرك بعد هذا»، مع كثرة أولئك وقوتهم وقلة المؤمنين وضَعْفهم، ثم لم يتجاسر بعد ذلك النداء أحد أن يدخل مكة للحج وغيره، دلّ أن ذلك كله كان بالله تعالى، لا بهم.

[وقوله تعالى: **ويَبَشِّر الذين كفروا بعذاب أليم**، هو القتل والأسر. ويحتمل أن يكون المراد به هو العذاب في الآخرة].[11]

ثم من الناس من استدل بالخبر الذي روي أنه بعث أبا بكر الصديق على الحج، وبعث معه ببراءة، ثم أَتْبَعَه عليا، فأدركه[12] فأخذها منه، ورجع أبو بكر إلى النبي، فقال: هل نزل فيَّ شيء؟

---

[1] *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤. لكن الرواية المشهورة: «... مسيرة شهر» (صحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

[2] م – في الدنيا.

[3] جميع النسخ: والأول.

[4] ع: مؤنتة.

[5] *سنن الترمذي*، الحج ٤٤؛ و*سنن النسائي*، مناسك الحج ١٦١. وحسّنه الترمذي. وانظر: تخريج الحديث السابق قريبا.

[6] ك: مشرك.

[7] ع م + الأخرى.

[8] سورة التوبة، ٢٨/٩.

[9] ن – لأنه قال. أي أمر بذلك، فكأنه قاله.

[10] ع: الموسم.

[11] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٣٩ظ.

[12] م: فأدركها.

قال: «لا، ولكن لا يُبَلِّغ عني غيري أو رجل مني»، على أن عليا هو المستحق للخلافة، وهو / الأحق بها دون أبي بكر، حيث قال: «لا يبلغ عني إلا رجل مني». لكن[1] يحتمل أنه [٢٩٦ظ] ولّى ذلك[2] عليا لِما كان من عادة العرب أنهم إذا عاهدوا عهدا أنه لا ينقض ذلك عليهم إلا من هو من قومهم، فولّى ذلك عليا لأن لا يكون لهم الاحتجاج عليه، فيقولون: لم ينقض علينا العهد. أو أن يقال:[3] ولّى عليا أمر الحرب، وهو كان أبصر وأقوى بأمر الحرب من أبي بكر، وولى أبا بكر أمر إقامة الحج والمناسك، وكان أبو بكر هو المُوَلَّى أمرَ العبادات،[4] وعليّ أمرَ الحروب، فالحاجة إلى الخلافة[5] لإقامة العبادات.[6] أو أن يقال: إن أبا بكر كان أمير الموسم، وعليا كان مناديه، فالأمير في شاهدنا أجلّ قدرا وأعظم منزلة من المنادي،[7] وأمر عليا ذلك لما أنّ ذلك كان[8] أَقْبَلَ وأَسْمَعَ مِن غيره مِن الأمير نفسه. ***والله أعلم***.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٤]

وقوله عز وجل: **إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم يَنْقُصُوكم شيئا**، قال بعضهم: هذا صلة قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[9]... **إلا الذين... لم يَنْقُصوكم شيئا**[10] **ولم يُظاهِروا عليكم أحدا فأَتِمُّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم**، أمر بإتمام العهد للذين لم يَنْقُصُوا[11] المسلمين ولا ظاهروا عليهم أحدا،[12] وأما الذين كانت عادتهم نقض العهد ونكثه فإنه لا يتم لهم، ولكن ينقض. وكذلك تأولوا قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، النقض.

---

[1] ع + لكن.
[2] م – ذلك.
[3] ع م + وليا.
[4] ن: العباداة؛ ع: العبادة.
[5] ن – إلى الخلافة.
[6] ع: العباداة.
[7] ع: والمنادي.
[8] ك ن: ان كان كان؛ ع م: ان كان.
[9] سورة التوبة، ١/٩.
[10] م – قال بعضهم هذا صلة قوله براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين إلا الذين لم ينقصوكم شيئا.
[11] ن ع م: لم ينقضوا.
[12] ن – أحدا.

ويحتمل أن يكون صلة قوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[١] ويكون العذاب الأليم هو القتل[٢] والأسر، كأنه يقول: وبشر الذين كفروا بالقتل والأسر[٣] **إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم يَنقُصُوكم شيئا ولم يُظاهِروا عليكم أحدا.** ثم يحتمل قوله: **لم يَنقُصُوكم شيئا**، أي لم يخونوكم شيئا ما داموا في العهد، **ولم يُظاهِروا عليكم أحدا**، أي لم يعاونوا ولا أَطْلَعُوا أحدا من المشركين عليكم، **فأَتِمُّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم**، كقوله: وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ،[٤] أمر بالنبذ إليهم عند خوف الخيانة، وأمر بالإتمام إذا لم يخونوا و لم يظاهروا عليهم أحدا. ودل قوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[٥] **إلا الذين عاهدتم من المشركين**، على أن قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ،[٦] أي غير معجزي أولياء الله في عذاب الدنيا، لأنهم جميعا سواءٌ في عذاب الآخرة مشتركون[٧] فيه. وقوله عز وجل: **إلى مدتهم**، قال بعضهم: مدة القوم أربعة أشهر بعد يوم النحر، لعشرٍ مَضَيْنَ مِن ربيع الآخر، لمن كان له عهد، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحَرَّم[٨] خمسون ليلة. وقال بعضهم: **إلا الذين عاهدتم من المشركين**، بالحديبية، فلم يبرأ[٩] الله ورسوله من عهدهم في الأشهر الأربع، **ثم لم يَنقُصُوكم**، في الأشهر الأربع،[١٠] **ولم يُظاهِروا عليكم أحدا**، أي لم يُعِينوا على قتالكم أحدا من المشركين، أي لم[١١] يفعلوا ذلك، **فأَتِمُّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم**، وهو الأربعة الأشهر، **إن الله يحب المتقين**، الذين اتقوا المعاصي والشرك.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم**، قال بعضهم: **الأشهر الحُرُم**، هي أشهر العهد والأمان، **فإذا انسلخ**، تلك الأشهر ومضت، **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم.**

---

١ الآية السابقة.
٢ ن + والقتل.
٣ ن - كأنه يقول وبشر الذين كفروا بالقتل والأسر.
٤ سورة الأنفال، ٥٨/٨.
٥ الآية السابقة.
٦ سورة التوبة، ٢/٩.
٧ جميع النسخ: مشتركين.
٨ ع: المحرم.
٩ ك: فلم يبر.
١٠ ن: الأربعة؛ م - ثم لم ينقصوكم في الأشهر الأربع.
١١ ك: أي إن لم.

وقال بعضهم: **الأشهر الحُرُم**، هي الأشهر التي خلقها الله وجعلها حراما، كقوله: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ.[١] وقوله عز وجل: **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخُذُوهم**، قال بعضهم: **حيث وجدتموهم وخُذُوهم**، في الأماكن كلها، لأن "حيث" إنما يُتَرجِم عن مكان؛ أَمَرَ[٢] بقتلهم في الأماكن كلها، لأنه لم يَخصّ مكانا دون مكان. وقال آخرون: هو في الأماكن كلها إلا مكان الحَرَم، دليله ما ذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة، وهو قوله: وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ -وقال- وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،[٣] أمرهم بقتالهم في الأماكن كلها إلا المسجد الحرام. وأمكن أن يكون أنهم يُقتَلون إلا أن يدخلوا الحَرَم،[٤] فإذا دخلوا الحَرَم[٥] وقد نُهُوا عن الدخول فيه[٦] والحجِّ هنالك على ما روي أن عليا نادى بالموسم: «ألا لا يحجّنّ بعد العام مشرك»، فإذا دخلوا يُقتَلون، ويكون دخولهم فيه بعد النهي كابتداء مقاتلتهم إيانا، فإذا قاتلونا عند المسجد الحرام قاتلناهم، كقوله: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ. ***والله أعلم.***

وقوله: **وخُذُوهم**، قيل: ائسروهم، وقوله: **واحصروهم**، قيل: احبسوهم،[٧] **واقْعُدُوا لهم كلَّ مَرْصَد**، والمَرْصَد الطريق، كأنه أمر بقوله: **فاقتلوا المشركين**، بقتلهم إذا قدروا عليهم وأمكن لهم ذلك، والأسرِ[٨] عند الإمكان، والحبسِ إذا دخلوا الحصن، وحفظ المراصد عند غير الإمكان لأن لا يفرّوا. ويقال: أَرْصَدت له، أي انتظرت أن أجد فرصتي. ويقال: تَرَصَّدته، أي انتظرته. وقال بعضهم: قوله: **كلَّ مَرْصَد**، أي كل طريق يَرصُدونكم، كأنه أمر بذلك ليَضِيق عليهم الأمر فيَضْجَروا[٩] وينقادوا. وفيه دليل النهي

---

[١] سورة التوبة، ٣٦/٩. والأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب.
[٢] ن – أمر.
[٣] ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ (سورة البقرة، ١٩١/٢).
[٤] ع م: الحرام.
[٥] ع م: الحرام.
[٦] ك ع م: فيها؛ ن – فيها.
[٧] ع م: واحبسوهم.
[٨] ع م: والأمر.
[٩] جميع النسخ: ليضجروا.

عما يُحمَل[1] إلى دار[2] الحرب من أنواع الثياب[3] والأمتعة وما ينتفعون به، لأنه أمر بالحصر وحفظ الطرق والمراصد ليَضِيق عليهم الأمر[4] ويشتدّ فينقادوا، وفيما يحملون إليها[5] توسيعٌ عليهم. وقوله: **وخُذُوهم واحْصُرُوهم واقْعُدُوا لهم كل مَرْصَد**، يحتمل أن يكون / قوله: [٢٩٧و] **وخُذُوهم واحْصُرُوهم**، أي أقيموا عليهم الحجج[6] والبراهين ليضطرّوا إلى قبول ذلك، فإذا انقادوا[7] لكم وإلّا فاقتلوهم حيث وجدتموهم.

وقوله عز وجل: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فخَلُّوا سبيلهم**، قال بعضهم: أمر الله في أول الآية بقتل المشركين، فقال: **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**، وقال: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فخَلُّوا سبيلهم**،[8] فوجب بظاهر الآية أن نقاتل[9] من آمن ولم يقم الصلاة ولم يؤت الزكاة، لأن الله تعالى إنما رفع القتل عنهم[10] بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإذا لم يأتوا بذلك فالقتل واجب عليهم. وكذلك فعل أبو بكر[11] الصديق، لَمّا ارتدّت العرب بمنعهم[12] الزكاة حاربهم حتى أذعنوا بأدائها إليه. روي عن أنس قال: لَمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّت العرب كافة، فقال عمر: يا أبا بكر،[13] أتريد أن تقاتل العرب كافّة؟ فقال أبو بكر: إنما قال رسول الله: «إذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة منعوني[14] دماءهم وأموالهم»، والله لو منعوني عَنَاقًا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتُهم عليه. قال عمر:

---

[1] ع م: عما يحل.
[2] ن: عما يحل دار.
[3] ع: الثبات.
[4] ك – الأمر.
[5] ك ن: إليهم؛ ع م – إليها.
[6] ع: الحج.
[7] ن ع م: فإذا انقدوا.
[8] ع م – قال بعضهم أمر الله في أول الآية بقتل المشركين فقال فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم.
[9] ك: أن يقاتل.
[10] ك: عنهم القتل.
[11] ن: أبي بكر؛ ع م: فعلى أبي بكر.
[12] جميع النسخ: ومنعتهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٠و.
[13] م: يا با بكر.
[14] م: منعوا بي.

فلما رأيت رَأْيَ أبي بكر قد شُرِحَ عرفت أنه الحق.[1] وفي بعض الأخبار: قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله ونصلّي ولكن لا نزكّي، فمشى عمر والبَدْرِيون إلى أبي بكر، فقالوا:[2] دعهم، فإنهم إذا استقرّ الإسلام في قلوبهم وثبت أدَّوْا، فقال: والله لو منعوني عِقَالاً[3] مما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتُهم عليه. قال: وقاتل[4] رسول الله على ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقال الله: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فخَلُّوا سبيلهم،** والله لا أسأل فوقهن ولا أُقَصِّر دونهن. فقالوا: إنا نزكّي، ولكن لا ندفعها إليك،[5] فقال: والله حتى آخذها كما أخذها رسول الله، وأضعها مواضعها.[6] وقال آخرون: قوله: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة،** في قبولهما والاعتقاد بهما دون فعلهما، لما لا يحتمل[7] حبسهم ومنعهم إلى أن يحول الحَوْل[8] فيؤخذون[9] بأداء الزكاة، دلّ أنه على[10] القبول والإقرار بذلك.

---

[1] سنن *النسائي*، الجهاد ١. وقال النسائي عقيب الحديث: «عمران القَطَّان ليس بالقوي في الحديث، وهذا الحديث خطأ، والذي قبله الصواب: حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة». والرواية التي صوّبها النسائي هي الرواية المشهورة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما تُوفي النبي صلى الله عليه وسلم واستُخلِف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَنَاقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أنْ قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق (*صحيح البخاري*، استتابة المرتدين ٣؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢). والعَنَاق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة (*لسان العرب* لابن منظور، «عنق»).

[2] ك: فقال.

[3] قال الكسائي: العقال صدقة عام. يقال: أُخذ منهم عقال هذا العام، إذا أُخذت منهم صدقته. وقيل: أراد بالعقال الحبل الذي يُعقَل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة، لأن على صاحبها التسليم وإنما يقع القبض بالرباط. وقيل: أراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدقة. وقيل: إذا أخذ المتصدق أعيان الإبل قيل: أخذ عقالا، وإذا أخذ أثمانها قيل: أخذ نقدا. وقيل: أراد بالعقال صدقة العام. يقال: أخذ المصدِّق عقال هذا العام، أي أخذ منهم صدقته. وبُعث فلان على عقال بني فلان، إذا بُعث على صدقاتهم. واختاره أبو عُبَيد، وقال: هو أشبه عندي. قال الخَطّابي: إنما يُضرَب المَثَل في مِثل هذا بالأقل لا بالأكثر، وليس بسائرٍ في لسانهم أن العقال صدقة عام، وفي أكثر الروايات: «لو منعوني عَنَاقا»، وفي أخرى: «جَدْيا» [أي الذَّكَر من أولاد المعز]. وقد جاء في الحديث ما يدل على القولين... (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير «عقل»؛ و*لسان العرب* لابن منظور، «عقل»).

[4] جميع النسخ: قيل أو قاتل؛ والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٠و.

[5] ع م – إليك.

[6] ك: موضعها. روي نحوه عن قتادة مرسلا؛ انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ١٧٧/٨.

[7] ع: إلى لا يحتمل.

[8] لأن من شروط وجوب الزكاة حَوَلان الحَوْل، أي مُضِيّ سنة كاملة على المال الذي يجب فيه الزكاة.

[9] ن: الجواب فيؤاخذون؛ ع م: فيأخذون.

[10] م: دل على أنه.

واستدلوا بما روي في بعض الأخبار عن رسول الله قال: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».[1] وقالوا: في بعض الأخبار: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله[2] وأني رسول الله، فإذا قالوا ذلك عصموا مني كذا»،[3] وفي بعضها: «حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا[4] الصلاة ويؤتوا[5] الزكاة، فإذا فعلوا[6] ذلك منعوا مني[7] كذا»،[8] دل ما ذكرنا من الزيادات[9] والنقصان أن ذلك في قوم مختلفين، وأنه على القبول لذلك والاعتقاد لا على الفعل نفسه. فمن كان لا يقر بشيء من ذلك فإذا قال: لا إله[10] إلا الله، كان ذلك منه إيمانا[11] في الظاهر، ومن كان يقول: لا إله إلا الله، ولا يقول: محمد رسول الله، فإذا قال ذلك كان ذلك منه إيمانا، ومن كان يقر بهذين ولا يقر بالصلاة والزكاة فإذا أقر بذلك كان ذلك منه إيمانا، فهو على الإقرار به والاعتقاد لا على الفعل. ألا ترى أن للأئمة أن يأخذوا منهم الزكاة شاءوا أو أَبَوْا، فلو كان الأداء من شرط الإيمان لكانوا غير مؤمنين بأخذ هؤلاء [جبرا].*

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأَجِرْه حتى يسمع كلام الله**، وقد قال: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ

[1] سبق تخريجه في الحاشية قريبا.
[2] ع م - فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وقالوا في بعض الأخبار أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.
[3] روي نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ انظر: صحيح *مسلم*، فضائل الصحابة ٣٣.
[4] جميع النسخ: وأقاموا.
[5] جميع النسخ: وآتوا.
[6] م: وإذا فعلوا.
[7] ع م - مني.
[8] سبق تخريجه عن أبي بكر رضي الله عنه قريبا؛ وروي عن ابن عمر رضي الله عنه؛ انظر: صحيح *البخاري*، الإيمان ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٦.
[9] م: من الزيادة.
[10] ن - لا إله.
[11] ك: إيمانا منه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية رقم ٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٧و/سطر ٢٤-٢٩٧ظ/سطر ٧.

وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ،[1] الآية، فأمر بالآية الأولى عند الوجود بالإجارة[2] وفي هذه[3] بالقتل والأسر، وأمر في الأولى بتبليغه مَأمَنَه، وفي هذه[4] بأن يُقعَد له كل مَرصَد. وحال هذه هي حال[5] الأولى في رَأْيِ العين، ويتهيأ له في كل وقتٍ يظفر به أنْ يَستجير لِما ذُكر، وفي كل[6] حال يرصد له أن يحتال ليردّ إلى مَأْمَنِه، وفي ذلك زوال القيام بما في إحدى الآيتين في الظاهر. فألزم ذلك طلب المعنى الموفِّق بين الأمرين من طريق التأمُّل بالأسباب التي هي[7] تدل على حق المعاملة بالآيتين جميعا. فقال أصحابنا: إنه إذا قصد نحو مَأْمَن أهل الإسلام غير مُظهِر أعلام الحرب ولا بما يدل أنه على ذلك مجيئُه، بل يمشي مَشْيَ من يتقلّب لحاجة ومن يتعاهد من ينادي إليه بالاستجارة فيُجَار. ولو كان مقبلا نحو مَأْمَنِنا كالطالبِ لأحدٍ، عليه أعلام الحرب، لكنه كالغافل عن الذين يرصدون له أو الذين[8] لهم مَنَعَة وقوة[9] به فلا يُقبَل قوله. وذلك على تسليم الأمر للغالب[10] من الأحوال، إذ لا وجه لعلم الحقيقة في ذلك، وعلى ذلك عامّة الأمور من أهل[11] الدارين.[12] وما ذكرت من الآية في لزوم ذلك الاعتبار -إذ لا وجه[13] له غيره- هو دليله.[14] ***والله أعلم.***

ثم دل قوله: **وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك** -بعد العلم بأنه مِن مأمنه لا يقدر على الاستجارة لبُعْدِ مأمن كل مِن مأمن الآخر، ثم لا يكون مأمن الفريقين في حدّ الدارين لما كان تحقيقُ أمنِ كل فريق منهما نَفْيَ أمنِ الآخر، إذ به خوفُه،[15] فثبت- أنه قد يؤذن له الخروج للاستجارة من مأمنه،

---

[1] الآية السابقة.
[2] ع م - بالإجارة.
[3] ع: وفي هذا.
[4] م: في هذه.
[5] ع م: في حال.
[6] م - كل.
[7] ن - هي.
[8] ع م: والذين.
[9] ع م: ولا قوة.
[10] ع م: الغالب.
[11] ع م: بين أهل.
[12] أي دار الإسلام ودار الحرب.
[13] ن - لعلم الحقيقة في ذلك وعلى ذلك عامة الأمور من أهل الدارين وما ذكرت في الآية في لزوم ذلك الاعتبار إذ لا وجه.
[14] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «وفي هذه الآية على الوجه الذي ذكرت دلالة القول بالقياس والاعتبار، إذ لا وجه سوى الاجتهاد والاعتبار بأحوالهما، وهذا مما لا يعرف إلا بغالب الرأي. وكل قياس هو الحمل بغالب الرأي بناء على أسباب ودلائل. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٠ظ).
[15] أي لا يكون المأمن في الحدود بين الدارين، لأن كل فريق يراقب الفريق الآخر ولا يكون آمِنا من هجوم الفريق الآخر عليه.

والدخول في مأمن المسلمين إلى أنْ يَبْلُغَ[١] مَصَالِحَه[٢] فيَستجير،[٣] فلذلك لا يوجب ذلك الوجود حق الأسر ولا القتل [بقوله: حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ].[٤] ويجب ردّه لو لم يُجز، ولا يسع[٥] تَعَرُّضُه لشيء من ذلك.[٦]

ثم قوله:[٧] **وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك**، من غير أنْ بَيّن استجارته لماذا؟ يحتمل أن يكون ترك[٨] بيانه لما في الجواب ذلك، بقوله: **حتى يسمع كلام الله**، وذلك كقوله: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ،[٩] أنه في الجواب بيان ما استفتَوْا. ويحتمل أن يكون ذلك لازمَ أنْ **يسمع كلام الله**، بمعنى حجَّته، لأي وجه دخل بأمان، وذلك قريب، لأنّا أُمِرنا بالتضييق[١٠] عليهم ليُسلِموا، فإذا أبحنا لهم الدخول للحاجات بلا غرض يذهب منفعة التضييق،[١١] فيكون المقصود بالعهد لما يرون من آثار الإسلام وحسن رعاية أهل الإسلام ويسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء أن يجيبوا، فلذلك يُؤذَنون وإن كان في ذلك قضاء حاجاتهم. وقد روى عن نبي الله[١٢] صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يقاتل حتى يدعو[١٣] إلى الإسلام،[١٤]

---

[١] ك: إلى يبلغوا؛ ن ع م: أن يبلغوا.

[٢] ك ع م: مسابحهم؛ ن: مصالحهم.

[٣] جميع النسخ: فيستجيروا. أي إلى أن يَبلُغ الكافر إلى القرى أو المدن حيث يقضي فيها مَصالحه التجارية وغيرها، ثم يمكنه أن يستجير بأهلها.

[٤] الآية السابقة. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٠ظ.

[٥] ك: ولم يسع؛ م: ولا يوسع.

[٦] أي إن المشرك أو الكافر الحربي لا يقدر على الاستجارة بالمسلمين وهو في مأمنه في دار الحرب. فلا بد من أن يخرج من دار الحرب إلى دار الإسلام ويخترق حدود الدارَيْن ويَصِل إلى مكان آمِن أو مدينة يستطيع أن يستجير فيها بالمسلمين. ولذلك لا يجوز للمسلمين إذا وجدوا أي مشرك أن يقتلوه أو يأسروه حتى يعرفوا مقصده. وإن لم يقبل المسلمون أن يجيروه فإنه يُرَدّ إلى دار الحرب، ولا يجوز قتله أو أسره بدون سبب. والله أعلم.

[٧] ن: وقوله؛ ع: ثم وقوله.

[٨] ن: نزل.

[٩] سورة النساء، ٤/١٧٦.

[١٠] ك: بالتضيق.

[١١] ك: التضيق.

[١٢] ع: عن النبي.

[١٣] ع: حتى يدعوا.

[١٤] روي عن ابن عباس رضي الله عنه؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٣١؛ و*سنن الدارمي*، السير ٨. وورد في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه دعاء الناس إلى الإسلام قبل القتال أحاديث كثيرة؛ انظر مثلا: *صحيح مسلم*، الجهاد ٣؛ و*سنن أبي داود*، الجهاد ٨٢؛ و*سنن الترمذي*، السير ١١٩.

فيما قد كان دعاهم غير مرة، فذلك المعنى عند الأمان أولى.[1] *والله أعلم*.

وقوله: **حتى يَسْمَعَ كلام الله**، فالأصل أن حقيقة الكلام لا تُسمَع بالكلام نفسه، إذ الذي[2] به يؤدَّى حروفُ الكلام [هو] بما يقلِّب الحروف ويؤلِّفها،[3] ولا صوت له يُسمَع، نحو اللسان والشفة ونحو ذلك، وإنما يُسمَع بصوتٍ يَهِيج[4] من حيث الجارحة التي تتكلم،[5] فيَبْلُغ كلامُه أو حروفُ[6] كلامِه المَسامِعَ، فالسمع يقع على الصوت الذي به يُدرَك الكلام ويُفهَم، فصار سمع الكلام في الأصل مجازا لا حقيقة، فعلى ذلك ما قيل من سماع كلام الله.[7]

ثم هو يخرج على وجوه. أحدها أن يسمع المعنى الذي جُعِل له الكلام، وهو الأمر والنهي والتحريم والتحليل ونحو ذلك، وذلك مما يُنسَب إلى الله، فقيل بذلك: كلام الله، لِما إليه يُنسَب الأمر[8] به والنهي ونحو ذلك.

والوجه الثاني أن يكون الله[9] ألّفه ونَظَمه على ما أَعْجَزَ خَلْقَه عن مثله، فنُسِب إليه بما منه تأليفُه على ما هو عليه وإن كان مسموعا من غيره، على ما نُسِب القصائد إلى مُبْدِيها

---

[1] وعبارة الشارح كما يلي: «ويحتمل أنه ألزم الإجارة بقوله: فأجره حتى يسمع كلام الله على أي وجه دخل إذا استجار وطلب الأمان فيسمع كلام الله أي يسمع حجته وإن لم يذكر بطلب الأمان شيئا وهو أحسن لأنا أمرنا بالتضييق عليهم ليسلموا فإذا أبحنا لهم الدخول للحاجات بلا غرض يذهب منفعة التضييق، فيكون المقصود بالعهد لما يرون من آثار الإسلام ومحاسنه وحسن رعاية أهل الإسلام وجميل معاملتهم ويسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء أن يجيبوا، ولذلك يؤذَنون وإن كان في ذلك قضاء حاجاتهم. وقد روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يقاتل حتى يدعو إلى الإسلام، فيما قد كان دعاهم غير مرة، فذلك المعنى عند الأمان أولى» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٤٠ظ).

[2] ع: إذا الذي.

[3] جميع النسخ: ويولفه.

[4] ن ع م: بهيج.

[5] ك: تكلم؛ ن ع م: يتكلم، + وقوله.

[6] م: أو حروفه.

[7] قال الشارح: «ثم قوله: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾، تعلّق المعتزلة بهذه الآية على أن كلام الله مخلوق، لأنه أخبر أن كلامه مسموع، ولا يُسمَع إلا الصوت، فدلّ أن كلامه هو الحروف المنظومة، وأنه مخلوق. ولٰكِنّا نقول: إن كلام الله تعالى و صفته، قائمة بذاته، أزلية. وحقيقة الكلام لا تُسمَع في الشاهد، إذ الكلام صفة المتكلم، قائمة به. فإن الذي به يؤدَّى الكلام ويُفهَم ويُدرَك -وهو الحروفُ التي تتألّف وتنتظم بوضع اللسان مخارج الحروف- لا يُسمَع إذا لم يكن ثَمّةَ صوت، بأن لم يُستعمَل اللسان في مواضع الحروف على وجه الشدة، وإنما يُسمَع بصوتٍ يَهِيج من حيث الجارحة التي تتكلم، فيَبْلُغ حروفُ كلامِه المَسامِعَ، فالسمع يقع على الصوت الذي به يُدرَك الكلام ويُفهَم، فصار سمع الكلام في الأصل مجازا لا حقيقة، فعلى ذلك ما قيل من سماع كلام الله (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٤٠ظ).

[8] ك ن ع: ينسب إلى الأمر؛ م: ينسب الكلام.

[9] ع م - الله.

والكتب إلى مؤلّفيها والأقاويل إلى الأوائل[١] التي منهم ظهرت، وإن لم يكن الذي يقوله في الحقيقة قوله أو كلامه، بما كان منه البَدْء الذي عليه يتكلم، فمثله معنى قوله: **حتى يسمع كلام الله.**

والثالث أن يكون ذلك لما لكلامه يعبّر، وبه يوصف أن له كلاما،[٢] وبه يرجع إلى ذلك، وإن كان الله تعالى يجلّ عن الوصف لكلامه بالحروف والهجاء والأبعاض ونحو ذلك، فلما كان إليه المرجع وإن كان حدّ ذلك غير متوهَّم هنالك ولا متصوَّر، فنُسِب إليه كما قال الله تعالى: / خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[٣] وقال: خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[٤] من غير توهُّم كلّية العالم [٢٩٨و] في ذلك التراب أو النفس الواحدة، [بل] لِما إليه مرجع الكل نُسِب[٥] إليه، وعلى ذلك أمر الكلام. وذلك على ما قيل مِن لقاء الله والمرجع إلى الله والمصير، بما لا تدبير لأحدٍ هنالك ذُكِر المصير إليه، لا أنّ ذلك[٦] مِن صيرورةٍ إليه في الحقيقة ورجوعٍ لم يكن من قبل، فمثله لما قيل:[٧] **كلام الله.** ثم الله تعالى يجلّ عن التصوير في الأوهام أو التقدير في العقول، فعلى ذلك صفته، بل ذلك أحق وأولى، إذ تجد صفات الخلق لا تُحَدّ ولا تُصوَّر في الأوهام ولا يُقدِّرها[٨] العقول إلا من طريق القول [دون] حقائقها[٩] [مثل السمع والبصر والعقل] على ما هي[١٠] أغيار لهم. فالله[١١] تعالى المتعالي عن التصوّر في الأوهام، ووَصْفُه بالعلم والكلام ونحو ذلك أحقّ في إبطال توهُّم ذلك، فتدبَّرْ[١٢] فيه. وقال الثَّلْجي:[١٣] يقال: **كلام الله**، على الموافقة، لا على الحقيقة،

---

[١] ع: والأقاويل الأوائل.

[٢] ك: كلامه؛ ن ع م: كلام.

[٣] سورة النساء، ٤/١؛ وسورة الأعراف، ٧/١٨٩؛ وسورة الزمر، ٣٩/٦.

[٤] سورة الروم، ٣٠/٢٠؛ وسورة فاطر، ٣٥/١١؛ وسورة المؤمن، ٤٠/٦٧.

[٥] ن: ينسب.

[٦] جميع النسخ: أن لذلك.

[٧] ع – فمثله لما قيل.

[٨] ك: ولا تقدر بها.

[٩] جميع النسخ: بالحقيقة.

[١٠] جميع النسخ: ما هن؛ والتصحيحان مع الزيادتين من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤١و.

[١١] ن ع م: والله.

[١٢] ك ن – فتدبر.

[١٣] هو محمد بن شُجَاع الثَّلْجي، ويقال: البلخي (ت. ٢٦٦هـ/٨٨٠م). من أصحاب الحسن بن زياد. وكان فقيه أهل العراق في وقته، والمقدَّم في الفقه والحديث وقراءة القرآن مع ورع وعبادة. مات فجأة ساجدا في صلاة العصر. له *كتاب المناسك*، و*كتاب تصحيح الآثار*، و*كتاب النوادر*، و*كتاب المضاربة*، و*كتاب الرد على المشبهة*. وله ميل إلى مذهب المعتزلة. انظر: *العبر في خبر من غبر* للذهبي، ٢/٣٩؛ و*الجواهر المضية في طبقات الحنفية* للقرشي، ١/٦٠-٦١.

كما يقال: ذا قول فلان، وكلام فلان، وليس غيره، [وإنما هو][1] كلام المتكلم به، [لكن المقصود] المعاني القائمة به.[2] وقال أبو بكر [ألأصم]: فهذا يدل أن كلام الله يُسمَع من وجوه، فكأنه يذهب إلى مثل ما يقال: يُعرَف الله من وجوه، على تحقيق الوجوه [لغيره]،[3] من غير توهُّم المعنى الذي به يُعرَف الله [منه]،[4] كذلك[5] سماع كلامه.

وفي قوله: **ثم أَبْلِغه مَأمَنَه**، دلالة أنه لم يَقبل ما أُسْمِع وعُرِض عليه، إذ لو قَبِل لكان يكون مأمنه هذه الدار، لا تلك، ولكان يحقّ عليه الخروج منها، لا العَوْد إليها. ثم معلوم أن **كلام الله** هو حجته، وأن الحجة قد لزمته لوجهين. أحدهما ما ظهر عَجْزُ الخلق عن مثله، وانتشر الخبر في الآفاق على قَطْعِ طَمَعِ المُقابِلين لرسول الله بالردّ الباذلين مُهَجَهم وما حَوَته أيديهم في إطفاء نوره، فكان ذلك حجة بيّنة لزمتهم.

والثاني أن جميع ما يُتلَى منه لا يُؤتَى على آيات[6] إلا وفيها ما يُشهَد بالعقول[7] على قصور أفهام الخلق عن بلوغ مثله من الحكمة وعجيب ما فيه من الحجة، مما لو قوبل بما فيه من المعنى وما يَحدُث به من الفائدة لَعُلِم[8] أن ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شيء. وإذا كان كذلك صار هو بالرد مُكابِرا، وحقُّ مثلِه الزجر والتأديب، ثم لم[9] يُفعَل لِما لم يكن[10] تَضَمَّنَ[11] أمانةَ القبول ولا أنْ لا يُعارِضَه[12] بالرد، وذلك أعظم مما فيه الحدود، فالحد أحق أن لا يُقام[13] عليه.[14] *والله أعلم*.

---

[1] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤١و.
[2] جميع النسخ: فالقائل الشاهد؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤١و.
[3] جميع النسخ + فمثله كلامه والله أعلم.
[4] جميع النسخ + عن الله سبحانه؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤١و.
[5] ن: لذلك.
[6] ع م: عن آيات.
[7] ك: مما يشهد العقول.
[8] جميع النسخ: ليعلم.
[9] جميع النسخ: انه لم.
[10] ع م - لما لم يكن.
[11] جميع النسخ: يضمن.
[12] ك: ولا أن يعارضه.
[13] م: لا يقاوم.
[14] أي لم يعاقب هذا الرجل بعدم قبوله للإسلام لأنه لم يكن التزم بأحكام الإسلام بَعْدُ و لم يؤمن، فلو كان آمن ثم صرّح بالكفر لَعُوقِب، والكفر أعظم جرما من الحدود، ولذلك لا يعاقب المستأمن بالحدود لعدم التزامه أحكام الإسلام.

ثم قوله: **أَبْلِغْه مَأْمَنَه**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يدعه ولا يمنعه عن العَوْد إلى مَأمَنِه، ليُعلَم[1] أن حكم[2] تلك الدار لم يَزُلْ عنه وأنه لا يُلزَم[3] الجزية إلا عن طَوْع أو دلالة عليه. والثاني أن يكون عليه حِفظُه إلى أن يُبْلِغَه مَأْمَنَه بدفع المسلمين عنه،[4] وفي ذلك لزومُ حقِّ الأمانِ الجميعَ بإجارةِ[5] بعضٍ،[6] وعلى ذلك كل مسلم.

ثم سماع كلام الله يخرج على القرآن،[7] وفيه ما ذكرت من الدلالة، وعلى سماع أوامر الله ونواهيه في حق العَرْض عليه، وعلى سماع حجج النبوة وآيات الرسالة أو التوحيد من القرآن. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم قوم لا يعلمون**، أي ما لهم وعليهم. ويحتمل نفي العلم بما لم ينتفعوا بما عَلِموا.[8] ويحتمل ذلك تعليم مَن مع[9] رسول الله مِن كيفية معاملة الكفرة، إذ هم لم يكونوا يعلمون من قبل. ***والله أعلم***.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٧]

ثم قوله عز وجل: **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله**، هو -والله أعلم- أنّ كيف يستحقّون العهد، وكيف يعطى لهم العهد وهم قد[10] نقضوا العهود التي بينهم وبين ربهم، والعهود التي بينهم وبين رسول الله. فأما العهود التي بينهم وبين ربهم هو عهد الخلقة، إذ في خلقة كل أحد الشهادة على وحدانية الله وألوهيته والشهادة على الرسالة وما عهد إليهم في كتبهم[11] من إظهار صفة محمد ونعته للخلق، فنقضوا ذلك كله.

---

[1] ن + ليعلم.
[2] ن - حكم، صح هـ.
[3] ك: لا تلزمه.
[4] جميع النسخ: منه.
[5] ع م: بإجازة.
[6] ع م - بعض.
[7] ع م: عن القرآن.
[8] ع م: بما اعلموا.
[9] ن ع م: تعليم مع.
[10] ن ع م: العهد وقد.
[11] أي في الكتب التي أنزلها برسله إليهم.

ونقضوا العهود التي بينهم وبين رسول الله ولم يحفظوها. يقول -والله أعلم- كيف **يستحقّون** أن يعطى العهد لهم وقد نقضوا العهد الذي عهد الله إليهم والعهود التي أعطاهم رسول الله، لا يستحقون ذلك، إلّا أن الله عز وجل بفضله وإحسانه أَذِن أن يعطى لهم العهود.*

وقوله عز وجل: **إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام**، استثنى الذين عاهدوا **عند المسجد الحرام**، يحتمل أن لا يعطي العهد **إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام**. ويحتمل قوله: **إلا الذين عاهدتم**، كذا، فإنهم إن وفَّوا[1] لكم فأوفوا لهم.[2]

[٢٩٨و س٣١ * **فما استقاموا لكم**[3] **فاستقيموا لهم**،[4] أي أوفوا لهم العهد إذا وفَّوا لكم وإن انقضت المدة، يقول -والله أعلم- إذا **استقاموا**[5] **لكم**، في وفاء العهد، **فاستقيموا لهم**، في وفائه وإن[6] انقضت[7] المدة.* ٢٩٨و س٣٣]

إن الله يحب المتقين، **إن الله يحب** من اتقى الشرك واتقى كل جَوْر[8] وظلم. **والله أعلم**.

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **كيف وإن يَظْهَروا عليكم لا يَرْقُبُوا فيكم إلّا ولا ذمة**، يقول: **كيف** تعطون لهم العهد وكيف يستحقون العهد ولو ظهروا عليكم **لا يَرْقُبُوا فيكم إلّا ولا ذمة**. وقال بعضهم: وكيف لا تقاتلونهم **وإن يَظْهَروا عليكم لا يَرْقُبُوا فيكم إلّا ولا ذمة**، قيل:[9] الإلّ: الله، والذمة: العهد. وقيل: الإلّ: القرابة. وقيل: الإلّ: العهد والذمة. وكذلك ذكر في حرف حفصة: لا يَرْقُبُوا فيكم عهدا ولا ذمة. وقال القُتَبي: الإلّ: العهد، قال: ويقال: القرابة.[10]

---

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٩٨و/سطر ٣١-٣٣.

[1] م: إذا وفوا.

[2] ع م: لكم.

[3] ن + في وفاء العهد.

[4] ن + في وفائه.

[5] م: إذ استقاموا.

[6] م: وفائه العهد.

[7] ع: وإذ انقضت.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٩٨و/سطر ٣١-٣٣.

[8] ع: واتقى جور؛ م: واتقى من جور.

[9] جميع النسخ: قال.

[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٣.

/ وقال أبو عَوْسَجَة: الإلّ: القرابة. وقال أبو عُبَيْدَة: الإلّ: العهد، والذمة: التذمُّم.[١] وقال ابن عباس: [٢٩٨ظ] الإلّ: الله، بمنزلة جبريل، تفسيره[٢] عبد الله، لِما قيل: جبريل هو عبد الله.[٣] وقيل: الإلّ: الحُرُم. يقول: **كيف** تعطونهم العهد وهم إن[٤] **يَظْهَروا عليكم لا يَرْقُبُوا فيكم** القرابة ولا العهد، ولا يرقبون الحُرُم فيكم. وقد كانوا يحفظون فيما بينهم القرابة والرَّحِم حتى يُعاوِن بعضهم بعضا ويُناصِر إذا وقع بين قرابتهم ورَحِمِهم وبين قوم آخرين مُباغَضة[٥] وعداوة. وكانوا يَرْقُبُون حُرُم الله، حتى لا يقاتلون في الأشهر الحُرُم[٦] وعند المسجد الحرام، وكانوا يحفظون[٧] العهود فيما بينهم من قبل، ولا يَرْقُبُون فيكم ولا يحفظونها. هذا -والله أعلم- تأويل قوله: **لا يَرْقُبُوا فيكم إلًّا ولا ذمة**، وقد كانوا يَرْقُبُونه من قبل.

وقوله عز وجل: **يُرْضُونكم بأفواههم**، [أي يقولون بألسنتهم:] إنهم[٨] يوفون بالعهد[٩] ويحفظونه، **وتأبى قلوبهم**، إلا النقض. وقوله: **وأكثرهم فاسقون**، في نقض العهد، والفسق هو الخروج عن أمر الله، كقوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.[١٠]

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **اشتروا بآيات الله**، يحتمل حججه وبراهينه. ويحتمل آيات القرآن ومحمدا.[١١] ويحتمل آياته دينه.

وقوله عز وجل: **فصَدُّوا عن سبيله**، أي صَدُّوا الناس عن متابعة النبي. وقيل: صَدُّوا الناس عن دين الله الإسلام. **إنهم ساء ما كانوا يعملون**، أي بئسما[١٢] عملوا بصدهم الناس عن دين الله[١٣] الإسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم.***

---

[١] يقول أبو عبيدة: «مجاز الإل: العهد والعقد واليمين، ومجاز الذمة: التذمم ممن لا عهد له» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٥٣).
[٢] ن: وتفسيره.
[٣] لم أجده عن ابن عباس، وروي عن مجاهد وعكرمة وأبي مِجْلَز من التابعين؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٨٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٣٤.
[٤] جميع النسخ: وإن.
[٥] ك: ومباغضة.
[٦] ع: الحرام.
[٧] ك: يتحفظون.
[٨] جميع النسخ: بأنهم. والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤١ظ.
[٩] جميع النسخ: العهد.
[١٠] سورة الكهف، ١٨/٥٠.
[١١] جميع النسخ: ومحمد.
[١٢] ن م: أي بئس ما.
[١٣] م - الله.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **لا يَرقُبُون في مؤمن إلًّا ولا ذمة**، هذا قد ذكرنا. **وأولئك هم المعتدون**، في نقض العهد. والاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم.

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١١]

وقوله: **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فإخوانكم في الدين**. قال بعض أهل التأويل: انظروا إلى كرم ربكم وجُوده، قومٌ قد افترَوْا على الله كذبا وكذَّبوا رسول الله وهمّوا بقتله وإخراجه من بين أظهرهم وطعنوا في دينهم وعملوا كل بليّة من نصب الحروب[١] والقتال فيما بينهم، ثم إنه وعد لهم بالتوبة والمغفرة[٢] والتجاوز عما كان منهم، بقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[٣] وجعل فيما بينهم الأخوّة[٤] والمودّة، بقوله: **فإخوانكم في الدين**، وقال: وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً،[٥] وقال: إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[٦] وغير ذلك من الآيات. وفيه أن من كان[٧] له بمكانٍ آخَرَ ذنب أو جفاء فإذا رجع عن ذلك وتاب لزم[٨] أن يُتجاوز عنه وأن لا يُذكّر بعد ذلك ما كان منه من الذنب،[٩] على ما جعل الله فيما بين هؤلاء الأخوّة والمودّة إذا تابوا، وقال: **فإخوانكم في الدين**، وقد كان منهم ما كان، ومن حق الأخوّة أن لا يُذكّر ما كان منهم من المساوئ. ثم قوله: **فإن تابوا**، من الشرك وما كان منهم.

وقوله عز وجل: **وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة**، يحتمل قوله: **أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة**، وجهين. يحتمل الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة زكاة المال، وهو ما ذكرنا فيما[١٠] تقدم

---

[١] ع: الحرب.
[٢] ن ع: المغفرة.
[٣] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[٤] ن: بالأخوة.
[٥] سورة الروم، ٢١/٣٠.
[٦] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[٧] ع م: أن كان.
[٨] جميع النسخ: لزمه.
[٩] م: منه الذنب.
[١٠] م: في ما.

من الإقرار لهما[١] والاعتقاد[٢] والقبول لذلك[٣] دون فعلهما. وهو في الكُبَراء والقادة الذين كانوا يَأْنَفون عن الخضوع لأحد ولا يؤدون الزكاة ولا يتصدقون، لما ظنوا أنهم يخلدون في الدنيا، إشفاقا على أنفسهم. ويحتمل أن يكون المراد من الصلاة والزكاة الخضوع والخشوع، لا الصلاة المعروفة، والمراد من الزكاة زكاة النفس وإصلاحها. فإن كان هذا فهو لازم في الأوقات كلها. ما من وقت إلا وله على كل أحد الخضوع له[٤] والخشوع له، ويزكي نفسه ويصلحها، وهو كقوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا.[٥]

وقوله: **ونُفَصِّل الآيات لقوم يعلمون**، أي نُبَيِّن **الآيات لقوم يعلمون**، ينتفعون بعلمهم. ويحتمل **لقوم يعلمون**، أي لقوم إذا نظروا فيها وتدبَّروا لعَلِموا،[٦] لا لقوم لا يعلمون.

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وإن نكثوا أَيْمانهم من بعد عهدهم**، يحتمل[٧] قوله:[٨] **أَيْمانهم**، العهود نفسها، كقوله: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ[٩] -ذكر العهود، ثم قال-[١٠] وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.[١١] ويحتمل قوله: **وإن نكثوا أيمانهم من بعد**[١٢] **عهدهم**،[١٣] أيمانا يحلفون [بها] بعد إعطاء العهد توكيدا لأن لا ينقضوا العهد، إذ عادتهم[١٤] نقض العهد ونكثه. وقوله: **وطعنوا في دينكم**، طعنهم[١٥] في الدين ظاهر.

---

[١] ع: لها.
[٢] ن + لهما.
[٣] ع: كذلك.
[٤] ع م - له.
[٥] سورة الشمس، ٩/٣١.
[٦] ع م: يعلموا.
[٧] ك - يحتمل.
[٨] م - يحتمل قوله.
[٩] ع م + ثم.
[١٠] ك - ذكر العهود ثم قال.
[١١] سورة النحل، ٩١/١٦.
[١٢] ع - توكيدها ويحتمل قوله وإن نكثوا أيمانهم من بعد.
[١٣] ك + أيمانهم.
[١٤] ن ع م: إذا عاهدتم.
[١٥] ع م - طعنهم.

وقوله عز وجل: **فقاتلوا أئمة الكفر**،[1] وتخصيص الأمر بمقاتلة الأئمة لِما أن الأتباع أبدا يقلّدون الأئمة ويَصدُرون عن آرائهم وتدبيرهم، فإذا قاتلوهم اتّبع الأتباع لهم. والثاني لنفي الشُّبَه أنْ ليس الأئمة منهم كأصحاب الصوامع وإن كانوا هم أئمة في العبادة، فلا تُترَك[2] مقاتلتهم كما تُترَك[3] مقاتلة أصحاب الصوامع، لأن أصحاب الصوامع قد عزلوا أنفسهم عن الناس [و]عن جميع المنافع، وحبسوها للعبادة، والأئمة ليسوا كذلك. والثالث خص الأئمة بالقتال لأنهم إذا قتلوهم لم يبق لهم إمام في الكفر، فيذهب الكفر رأسا، وهو كقوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ،[4] الآية.[5]

وقوله:[6] **إنهم لا أيمان لهم**، يحتمل **لا أيمان لهم**، أي لا[7] عهد لهم بعد نقضهم العهد، **أي** لا توفوا لهم بالعهد[8] الذي كان لهم إذا نقضوا. ويحتمل **لا أيمان لهم**، أي لا يعطى لهم العهد مبتدأ بعدما نقضوا العهد، لأنهم اعتادوا نقض العهد. والثاني قال ذلك في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يوفون بالعهد[9] أبدا.[10] وفيه لغة أخرى: / "لا إيمان لهم" بكسر الألف.[11] لا إيمان لهم، أي لا[12] يؤمنون[13] أبدا. فإن كان[14] كذلك فذلك[15] في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون أبدا. وفائدة قوله: **إنهم لا أيمان لهم**، تخرج على وجهين. أحدهما أن أهل العهد إذا نقضوا العهد[16] يُنقَض ذلك ويُترَكون على النقض ويُقاتَلون بعد النقض، وليس كأهل الذمة إذا نقضوا الذمة،

[٢٩٩و]

[1] ك ع م + أي أئمة الكفر.
[2] ن: فلا ينزل؛ ع م: فلا يترك.
[3] ك ع م: كما يترك؛ ن: كما ينزل.
[4] سورة البقرة، ٢/١٩٣؛ وسورة الأنفال، ٨/٣٩.
[5] ك – الآية.
[6] ن ع م – وقوله.
[7] ع م: لهم لا.
[8] ك ع م: العهد؛ ن – العهد.
[9] ك ن: العهد؛ ع م – مبتدأ بعدما نقضوا العهد لأنهم اعتادوا نقض العهد والثاني قال ذلك في قوم علم الله أنهم لا يوفون بالعهد.
[10] ن – أبدا.
[11] وهي قراءة متواترة قرأ بها ابن عامر؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٨.
[12] ك– أي.
[13] ع + أي لا يومنون.
[14] م: فإذا كان.
[15] جميع النسخ: وذلك.
[16] ع – إذا نقضوا العهد.

[فإنهم] لا يُترَكون [على] ذلك، ولكن يُرَدّون إلى الذمة، ولا تنتقض[١] الذمة فيما[٢] [بيننا و]بينهم. وقال الحسن: قوله: "لا إيمان لهم"، يقول: لا تصديق لهم.[٣] وقوله: **لعلهم ينتهون**، عن نقض العهد.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم**، أي كيف **لا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم**. و**أيمانهم** ما ذكرنا.[٤] وهو حرف الإغراء على مقاتلة من اعتاد[٥] نقض العهود والتحريش عليهم.

وهمّوا بإخراج الرسول، يحتمل قوله: **وهمّوا بإخراج الرسول**، القتل، أي همّوا بقتله، وفي القتل إخراجه. وهمّوا بإخراجه[٦] من المدينة على ما ذكر في بعض القصة[٧] أن اليهود قالوا لرسول الله: إن مكان[٨] الأنبياء والرسل بيت المقدس لا المدينة، فانتَقِلْ إليه. وفي الآية دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه معلوم أنهم أسرّوا في أنفسهم وفيما بينهم إخراجه وقتله، لا أنهم أظهروا ذلك، ثم أخبرهم بذلك، دلّ أنهم إنما علموا أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى.

وقوله: **وهم بدءوكم أول مرة**، يحتمل قوله: **وهم بدءوكم أول مرة**، في نقض العهد، أي **هم بدءوكم**، بنقض العهد. ويحتمل **هم بدءوكم**، بالقتال أول مرة والإخراج.

وقوله عز وجل: **أتخشَوْنهم فالله أحق أن تخشَوْه**، أي لا تخشَوْهم واخشَوا الله، فإنهم لا يقدرون أن يوصلوا[٩] إليكم نَكْبَة إلا بإقدار الله إياهم، فلا تخشَوْهم واخشَوا[١٠] الله.

---

[١] ن: ولا يتقض؛ ع م: ولا ينقض.

[٢] ن ع م – فيما.

[٣] يقول الطبري: «وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: "إنهم لا إيمان لهم"، بكسر الألف، بمعنى لا إسلام لهم. وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا، وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك أنهم لا أمان لهم، أي لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم، كأنه أراد المصدر من قول القائل: آمنته فأنا أؤمنه إيمانا» (*تفسير الطبري*، ١٠/٨٩).

[٤] انظر تفسير الآية السابقة.

[٥] ع م: من اعتقاد.

[٦] جميع النسخ: إخراجه.

[٧] م: في القصة.

[٨] ع م: إن كان.

[٩] ك ع م: أن يصل؛ ن: أن يصلوا.

[١٠] م: فاخشوا.

ويحتمل قوله: **أتخشونهم**، فالله قادر ينصركم ويقهر عدوكم. **فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**، إذ هو القادر[1] على منعهم عنكم ونصرِكم عليهم.[2]

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قاتِلوهم يعذِّبْهم الله بأيديكم ويُخْزِهم**، الآية، عَلِم الله عز وجل كراهة القتل وثِقَله على الخَلْق، فأمر المؤمنين بمقاتلة الكفرة، ووعد لهم النصر والتعذيب بأيديهم. والتعذيب بأيديهم[3] يحتمل وجهين. يحتمل القتل والإهلاك، ويحتمل الأسر والسَّبْي. **ويُخْزِهم**، يحتمل أيضا وجهين.[4] يحتمل[5] الهزيمة والإذلال. ويحتمل قوله: **ويُخْزِهم**، في الآخرة، كقوله: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ.[6] الخِزْي هو العذاب الذي فيه الفضيحة والذلّة. وفي قوله: **قاتِلوهم يعذِّبْهم الله بأيديكم**، دلالة نقض قول المعتزلة، لقولهم أنْ لا قدرة لله على أفعال الخَلْق، وقد أخبر أنه يعذبهم بأيديهم، ولو كان غير قادر على أفعالهم كان يعذبهم بيده، لا بأيديهم.

وينصرْكم عليهم، وعد لهم النصر عليهم والظفر وخِزْيَ الكفرة، وهو ما ذكر: هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا.[7] وكذلك في قوله: أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا،[8] دلالة نقض قولهم أيضا،[9] لأنه أخبر أنه يصيبهم العذاب من عنده أو بأيدي المؤمنين لما ذكرنا.

وقوله: **ويَشْفِ صدور قوم مؤمنين**، يحتمل أن يكون قلوبهم توجّعت وتألّمت بكفرهم بالله وتكذيبهم الرسول، فوعد لهم شفاء صدورهم. وذلك يحتمل وجهين. أحدهما أنهم يُسلِمون فيصيرون إخوانا، فيدخل فيهم السرور والفرح بإزاء ما حزنوا وتألّموا، وذلك شفاء صدورهم.[10]

---

[1] ع م: قادر.
[2] ع م: عليه.
[3] ع م – والتعذيب بأيديهم.
[4] ع م + أيضا.
[5] م: ويحتمل.
[6] سورة آل عمران، ١٩٢/٣.
[7] سورة التوبة، ٥٢/٩.
[8] م – وكذلك في قوله أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا.
[9] ن ع م – أيضا.
[10] ك: صدور قلوبهم.

والثاني **ويَشْفِ** صدورهم بالقتل والهزيمة، يُقتَلون ويُهزَمون، ففي ذلك شفاء صدورهم لما[١] تألّمت وتوجّعت بالتكذيب والكفر بالله وآياته.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ويُذهِبْ غيظ قلوبهم**، هذا يحتمل أيضا وجهين. يُذهب الغيظ الذي كان في قلوبهم بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بآيات الله بإسلامهم، يُسلِمون فيكونون إخوانا. أو يُقتَلون ويهلكون، فيذهب عنهم الغضب[٢] الذي كانوا[٣] غَضِبوا عليهم بالذي ذكرنا.

وقوله عز وجل: **ويتوب الله على من يشاء**، أي من شاء عذّب منهم[٤] ومن شاء تاب عليه. وفي الآية دلالة الرد على المعتزلة، لأنهم يقولون: شاء أن يتوب على جميع الكفرة، لكنهم لا يتوبون. فأخبر[٥] أنه يعذّب بعضا ويتوب على بعض، فإنما شاء أن يعذّب غير الذي شاء أن يتوب عليه، وشاء أن يتوب على[٦] غير الذي شاء أن يعذّب.

والله عليم، أي **عليم** بما كان ويكون، أي عن عِلمٍ بما كان منهم خلَقهم، لا عن جهل، إذ خلقُه إياهم ليس لمنافع نفسه وحاجته، إنما خلقهم لحاجتهم ومنافعهم، **حكيم**، واضع[٧] كل شيء موضعه. ويحتمل **عليم**، بما كان من هؤلاء من التكذيب لرسول الله والكفر بآياته، **حكيم**، أي ما جعل عليهم من القتل والتعذيب والخزي كان[٨] وَضْعَ الشيء[٩] موضعه.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **أم حسبتم أن تُترَكوا ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا**، وقوله أيضا:[١٠]

---

[١] ن – لما.

[٢] م – الذي كان في قلوبهم بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بآيات الله بإسلامهم يسلمون فيكونون إخوانا أو يقتلون ويهلكون فيذهب عنهم الغضب.

[٣] ع م + في قلوبهم.

[٤] ع م – منهم.

[٥] ن + أنهم.

[٦] ع م – عليه وشاء أن يتوب على.

[٧] جميع النسخ: وضع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٢و.

[٨] ع م: كأنه.

[٩] م: وضع كل شيء.

[١٠] ع – أيضا.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا[1] مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ،[2] **وقوله** أيضا:[3] أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ،[4] الآية، **وقوله:** الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا،[5] الآية، هذه الآيات كلها في المنافقين الذين أظهروا الإيمان باللسان وأَرَوا المؤمنين الذين حقّقوا الإيمان وأخلصوا الإسلامَ الموافقةَ[6] لهم، فقال: **أم حسبتم أن تُترَكوا،** على ما أظهرتم من الإيمان[7] باللسان،[8] فلا تُبتَلَوْا[9] بالقتال؟ جعل الله تعالى القتال مع الكفرة -والله أعلم- وأمر به لمعنيين. أحدهما تطهيرا للأرض من الكفر، كقوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ.[10] والثاني امتحانا للمنافقين ليتبيّن نفاقُ مَن أظهر الإيمان باللسان مراءاةً، وصدقُ مَن أظهره حقيقةً،[11] ليُعرَف المحقّق المخلص من المنافق المرائي. لأن / القتال[12] هو مِن أرفع[13] الأعلام[14] [التي] يظهر بها نفاق المنافق، لأنهم إنما كانوا يُظهِرون الموافقة لهم طمعا في الدنيا،[15] لتَسلَم[16] لهم المنافع التي كانوا ينتفعون بها. ففي الأمر بالقتال خوف الهلاك، فإذا خافوا الهلاك على أنفسهم امتنعوا عنه، كقوله:[17] قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا،[18] الآية، خوفا وإشفاقا على أنفسهم. [٢٩٩ظ]

---

[1] م - وقوله أيضا أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا.
[2] سورة آل عمران، ١٤٢/٣.
[3] ع م: وأيضا قوله.
[4] ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتِكُم مَثَلُ الذين خَلَوْا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزِلوا حتى يقولَ الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (سورة البقرة، ٢١٤/٢).
[5] ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتَنون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/١-٢).
[6] جميع النسخ: والموافقة.
[7] ن - من الإيمان.
[8] ن: من اللسان.
[9] جميع النسخ: فلا تبتلون.
[10] سورة الأنفال، ٣٩/٨.
[11] ن: أظهر وحقيقة.
[12] ع: أن القتال.
[13] م: هو أرفع.
[14] ك ن م: أعلام؛ ع: بإعلام.
[15] م: طمعا لهم الدنيا.
[16] جميع النسخ: ليسلم.
[17] ك: لقوله.
[18] ﴿قد يعلم الله المُعَوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ١٨/٣٣).

لِما ذكرنا أنهم إنما كانوا يُظهِرون الإيمان باللسان ليَسلَم لهم ما طمعوا من المنافع، كقوله: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[١] الآية. هذا وصف المنافق. وأما المؤمن المحقّق للإيمان المخلص للإسلام، فإنه يُسلِم نفسه لله في جميع أحواله وإن كان فيه تَلَفُ نفسِه، لِما لم تكن[٢] عبادته لله[٣] على حَرف ووَجْه كالمنافق، ولكن على الوجوه كلها والأحوال جميعا، عبادته تكون[٤] لله، لا يمنعه[٥] خوف الهلاك عن القتال، بل نفسه تَسْخُو[٦] لذلك وترضى، ولا كذلك المنافق. وقد ذكرنا أن حرف الاستفهام[٧] من الله يكون على الإيجاب والإلزام.[٨]

ثم قوله: **أم حسبتم**، يحتمل وجهين. أحدهما أي قد **حسبتم أن تُترَكوا**، على ما أظهرتم من الموافقة والخلاف في السرّ ولا تُبتَلَوْا[٩] و[لا] تُمتَحَنوا[١٠] بما يُظهِر[١١] عنكم ما أضمرتم،[١٢] فلا تحسبوا ذلك. والثاني **أم حسبتم**، أي لا تحسبوا، **أن تُترَكوا**، على ذلك ولا تُمتَحَنوا بالجهاد والقتال. أحد التأويلين يخرج على النهي، والثاني على الإخبار عما حسبوا وعما عندهم.

ثم قوله: **ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم**، أي ليعلم من قد علم أنه يجاهد مجاهدا، ويعلم ما قد علم أنه يكون كائنا، لا على حدوث عِلمِه بذلك، إذ هو موصوف بالعلم بكل ما يكون في وقت ما يكون على ما يكون.[١٣] فيكون قوله: **ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم**، أي ليعلم من قد علم أنه يجاهد مجاهدا، ويعلم[١٤] ما قد علم أنه يكون كائنا؛ لأنه لا يجوز أن يوصف الله بالعلم بما ليس يكون أنه يعلمه كائنا، كما لا يجوز أن يوصف أنه يعلم مِن الجالس القيامَ في حال جلوسه،

---

[١] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ فإن أصابه خيرٌ اطْمَأنّ به وإن أصابته فتنةٌ انقَلَب على وَجْهه خَسِر الدنيا والآخرة ذلك هو الخُسْران المبين﴾ (سورة الحج، ٢٢/١١).

[٢] ع م: لم يكن.

[٣] ك ن: الله.

[٤] ك: يكون.

[٥] ن ع: لا تمنعه.

[٦] ن: تسخوا.

[٧] ك: أن الاستفهام.

[٨] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/٩٣.

[٩] ك ع م: ولا تبتلون؛ ن: لا تبتلون.

[١٠] جميع النسخ: وتمتحنون.

[١١] جميع النسخ: ما يظهر.

[١٢] جميع النسخ: مما أضمرتم.

[١٣] ن – على ما يكون.

[١٤] ع: أو ليعلم؛ م: وليعلم.

ومِن المتحرّكِ السكونَ في حال حركته، ومِن المتكلِّم السكوتَ في حال كلامه، إنما يوصف بالعلم على الحال التي الخَلْقُ عليه، لا يوصف بالعلم في حالٍ غيرِ الحال التي هو عليه. *والله الموفق*. ويحتمل هذا وجها[١] آخر، أن فيما أضاف العلم إلى نفسه كان المراد منه أولياءه، كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ،[٢] أي إن تنصروا أولياء الله[٣] ينصركم،[٤] أو إن[٥] تنصروا دينه ينصركم، أو إن[٦] تنصروا رسوله ينصركم. فعلى ذلك قوله: **ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم**، أي ليعلم أولياؤه المنافقَ المرائي والمؤمن المحقّق المخلصَ، وليتبيّن لهم، وكقوله: يُخَادِعُونَ اللّهَ[٧] أي يخادعون أولياءه، إذ الله لا يخادَع ولا ينصر، إذ هو ناصر كل أحد، ولا يخفى عليه شيء، عالمٌ بما يكون في وقت ما يكون. أو أن يكون المراد من العلم[٨] الذي ذكر المعلومَ،[٩] وذلك جائز في اللغة جارٍ، وفي القرآن كثير.

وقوله عز وجل: **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وَلِيجَة**، أي لم يجدوا[١٠] ملجأ يلجئون إليه من دون ما ذكر، ولو وجدوا ذلك لاتخذوا ذلك، ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا، كقوله: وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً،[١١] الآية، أخبر أنهم لو وجدوا ملجأ يلجئون إليه لَوَلَّوْا،[١٢] ولا يُظهِرون ذلك. وقوله:[١٣] **وَلِيجَة**،

---

[١] ن: وجهان.

[٢] سورة محمد، ٤٧/٧.

[٣] ن: أولياءه؛ م – الله.

[٤] ع – أي إن تنصروا أولياء الله ينصركم.

[٥] ن: وإن.

[٦] ن: وإن.

[٧] سورة البقرة، ٢/٩؛ وسورة النساء، ٤/١٤٢.

[٨] ن + العلم.

[٩] م: العلوم. وهو تكرار لما سبق في القول الأول بعبارة مغايرة، أي يوصف الله بالعلم على الحال التي يكون المعلوم -أي الموجودات كلها- عليها، لا على غير تلك الحال، وإن كان يعلم بجميع ما يكون على ما يكون. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٢و.

[١٠] ك: ل[م] يجدون.

[١١] ﴿ويحلفون بالله إنهم لَمِنكُمْ وما هم منكم ولكنهم قوم يَفرَقُونَ لو يجدون مَلْجَأً أو مَغاراتٍ أو مُدَّخلاً لَوَلَّوْا إليه وهم يَجْمَحُون﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٦-٥٧).

[١٢] ك م: ولولوا؛ ن: ولولو.

[١٣] ع – ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي لم يجدوا ملجأ يلجئون إليه من دون ما ذكر ولو وجدوا ذلك لاتخذوا ذلك ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا كقوله ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ الآية أخبر أنهم لو وجدوا ملجأ يلجئون إليه لولوا ولا يظهرون ذلك وقوله.

قال بعض[١] أهل الأدب:[٢] الوَلِيجَة: البِطانة من غير المسلمين، وأصلها من الوُلُوج، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دَخِيلا من المشركين وخَلِيطا وودّا،[٣] وجمعه الوَلَائِج. وقال بعضهم:[٤] الوَلِيجَة أصلها من الدخول، كقوله: حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ،[٥] يقال أيضا: فلان وَلِيجَة فلان، أي خاصّته. وقال بعضهم: الوَلِيجة: الخيانة. وقال بعضهم: الوَلِيجَة ما يُلجَأ إليه.[٦] وقال بعضهم: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وَلِيجَة. وبعضه قريب من بعض. **والله خبير بما تعملون**، هو على الوعيد[٧] خرج.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ما كان للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر**، قال بعض أهل التأويل: نزلت الآية في العباس بن عبد المطلب أنه أُسِر يوم بدر، فأقبل ناس من المهاجرين والأنصار منهم علي بن أبي طالب وغيره، فعيّروه بالكفر بالله والقتال مع النبي[٨] وقطيعة الرحم، فقال: مالكم تذكرون مساوئنا وتذرون محاسننا؟ فقالوا: أولكم[٩] محاسن؟ قال: إي والله، إنّا لَنَعْمُرُ المسجد الحرام، ونَحْجُب البيت، ونسقي الحاج، ونَفُكّ[١٠] العاني،[١١] فأنزل الله [ذلك] ردا عليه.[١٢] لكن في آخر الآية دلالة أنه لا يحتمل أن يكون[١٣] في العباس على ما قالوا،

[١] ن: بعضهم.
[٢] ن – أهل الأدب، صح هـ.
[٣] الودّ بمعنى المُحِبّ، ويجوز في الواو الضم والفتح والكسر (*لسان العرب* لابن منظور، «ودد»).
[٤] ع م: البعض.
[٥] سورة الأعراف، ٤٠/٧.
[٦] ع م – إليه.
[٧] ن ع م: هو الوعيد.
[٨] ن: مع رسول الله.
[٩] م: ولكم.
[١٠] ن ع: ونفد؛ م: ونفل.
[١١] ع: المعاني. والعاني: الأسير (*لسان العرب* لابن منظور، «عنا»).
[١٢] ذكره القرطبي بدون إسناد أو عَزو؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٨٩/٨. لكن روي هذا في سبب نزول الآية الآتية برقم ١٩، وفيها ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله﴾؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٩٥/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٤٥/٤. والسياق واحد. فيحتمل أن تكون هذه الآيات نزلت في نفس القصة. والله أعلم.
[١٣] ك: أن تكون.

لأنه قال: **أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون**، والعباس قد أسلم مِن بَعد، فلا يحتمل هذا الوعيد بعد الإسلام. وقال غيرهم من أهل التأويل: قوله:[1] **ما كان للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله**، أي ما كان بالمشركين[2] عمارة مساجد الله، إنما كان بهم خراب مساجد الله، لأن المساجد[3] إنما تُعْمَر بالذكر فيها والصلاة وإقامة الخيرات، كقوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ،[4] الآية، وهم لم يَعْمُرُوها لذكر[5] اسم الله فيها، إنما عَمَروها لذكر الأصنام والأوثان، فكان بهم خراب المساجد،[6] لا العمارة. وقال بعضهم: قوله: **ما كان**، ينبغي، **للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله**، على ما عندهم، لأن الذي منعهم عن الإيمان بالله حبّهم الدنيا وميلهم إليها، فما ينبغي لهم أن يَعْمُرُوها وينفقوا عليها[7] ويُضيعوا[8] أموالهم فيها ولا ينتفعوا،[9] إذ الذي[10] منعهم عن التوحيد والإيمان بالله[11] حبّهم الدنيا وشهواتهم وميلهم إليها، فعلى ما عندهم ما ينبغي لهم أن يَعْمُرُوها. وقال بعضهم: قوله: / **ما كان للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله**، أي **ما كان**، على، **المشركين أن يعمروا مساجد الله**،[12] لأنهم لا ينتفعون بها في الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، وإنما يُقصَد بعمارة المساجد والإنفاق عليها الثوابُ في الآخرة، وهم لا يؤمنون بها، فتضيع نفقتهم في ذلك، إذ لا مقاصد لهم فيها[13] ولا منفعة، إنما ذلك على المسلمين، ويجوز "له" بمعنى "عليه"، كقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[14] أي فعليها. وقوله: **ما كان للمشركين أن يَعْمُرُوا مساجد الله**، يحتمل هذا؛ [٣٠٠و]

[1] ع م: وقوله.
[2] ك: للمشركين.
[3] ع م: إن المساجد.
[4] ﴿في بيوت أذن الله أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغُدُوّ والآصال. رجالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٦-٣٧).
[5] ن – فيها والصلاة وإقامة الخيرات كقوله في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الآية وهم لم يعمروها لذكر.
[6] ع م: المسجد.
[7] جميع النسخ: وينفقوها.
[8] جميع النسخ: ويضيعون.
[9] جميع النسخ: ولا ينتفعون.
[10] ع: إذا الذي؛ م – إذ الذي.
[11] م – بالله.
[12] ن – أي ما كان على المشركين أن يعمروا مساجد الله.
[13] ع م – فيها.
[14] سورة الإسراء، ١٧/٧.

أي ما كان بالمشرك عمارة[١] مساجد[٢] الله، إنما يكون عمارته بمن آمن[٣] بالله واليوم الآخر، لا بمن أشرك بالله وكفر بالآخرة.

وقوله: **شاهدين على أنفسهم بالكفر**، قال بعضهم: **شاهدين على أنفسهم**، أي على نفس محمد ومن آمن[٤] معه، سماهم أنفسهم لأنهم من قرابتهم وأرحامهم. وقد سمى الله المتصلين بهم بذلك، كقوله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[٥] وقوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[٦] فعلى ذلك الأول يحتمل ما ذكرنا. أو **شاهدين على أنفسهم بالكفر**، عند الضرورات، عند نزول العذاب بهم وعند الهلاك، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[٧] الآية، وغير ذلك من الأحوال التي كانوا [فيها] يقرّون بالكفر ويرجعون[٨] عنه، شهدوا عليهم بالكفر. وقال[٩] بعضهم: قوله: **شاهدين على أنفسهم بالكفر**، أي أنفسهم تشهد بالكفر عليهم،[١٠] لأن خلقتهم تشهد على وحدانية الله، وأنفسهم تشهد على فعلهم بالكفر، وهو كما قال[١١] تعالى: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ،[١٢] قيل: بل الإنسان من نفسه بصيرة، أي [على] بيان من نفسه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أولئك حبطت أعمالهم**، إلى آخر الآية، في قوم ماتوا على الكفر.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[١٨]

وقوله: **إنما يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**، [يحتمل] الوجوه التي ذكرنا[١٣] في قوله: مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ.[١٤] إن لم يكن عليهم فذلك كله على المسلمين،

---

[١] ك + هذا.
[٢] ع م – مساجد.
[٣] ك: ممن آمن.
[٤] ك – آمن.
[٥] سورة التوبة، ١٢٨/٩.
[٦] ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).
[٧] ﴿فلما رَأَوْا بأسنا قالوا آمنا بالله وَحْدَه وكفرنا بما كُنّا به مشركين﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠).
[٨] م: يرجعون.
[٩] ن: وقوله.
[١٠] ك: عليهم بالكفر.
[١١] جميع النسخ: ما قال؛ ك ن + الله.
[١٢] سورة القيامة، ١٤/٧٥.
[١٣] ع: ما ذكرنا.
[١٤] الآية السابقة.

أي عليهم عمارة المساجد، وبهم تُعْمَر[1] المساجد، ولهم ينبغي أن يَعْمُرُوها. **وأقام الصلاة وآتى الزكاة**، قد ذكرنا فيما تقدم.[2]

وقوله عز وجل: **ولم يَخْشَ إلا الله**، قال بعضهم: هو صلة قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾،[3] أمر أن يخشوا الله ولا يخشوا[4] غيره. ثم ذكر هاهنا: **من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله.**[5] وقال بعضهم: الخشية العبادة، كأنه قال: و لم يعبد إلا الله. **فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**، و"عسى"[6] من الله واجب، أي كانوا مهتدين.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٩]

وقوله: **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر.** في الآية إضمار فِعْل أو فاعل لكي تصحّ[7] المقابلة، لأنه إنما يُقابَل فِعْل بفِعْل أو فاعل بفاعل، لا يقابل فِعْل بفاعل ولا فاعل بفِعْل، فهاهنا ذكر السقاية وعمارة المسجد مُقابِل من آمن بالله، **فهو** -والله أعلم- **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام**، كإيمان من، **آمن بالله واليوم الآخر.** أو أن يُقال: أجعلتم القائم بإصلاح سقاية الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن **بالله**، ليكون مقابلة شخص بشخص أو فعل بفعل. ثم لا يصحّ أن يُجمَع[8] بين الكافر **والمؤمن** فيقال: لا يستويان عند الله وإن كان الكافر قد أتى بالمحاسن، إلا أن يقال: أنْ ليس[9] **مَن** فعل محاسن[10] في حال كفره ثم آمن مِن بعد[11] كمن آمن[12] وفعل[13] محاسن[14] وهو مؤمن.

---

[1] ع: تعمير؛ م: بهم يعمر.
[2] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة التوبة، ١١/٩.
[3] سورة التوبة، ١٣/٩.
[4] ع: ولا يخشو.
[5] ن + ثم ذكر هاهنا من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة و لم يخش إلا الله.
[6] جميع النسخ: والعسى.
[7] ن م: لكي يصح؛ ع: لكن يصح.
[8] م: أن تجمع.
[9] م: يقال ليس.
[10] جميع النسخ: محاسنا.
[11] ع م: من بعده.
[12] ع – آمن.
[13] م: كمن فعل.
[14] جميع النسخ: محاسنا.

هذا يجوز أن يُجمَع فيقال: **لا يستوون عند الله**. وأما الكافر الذي مات على الكفر وإن عمل خيرات والمؤمنُ الذي عمل الصالحات فمات على ذلك فيُجمَع فيُقال: لا يستويان، فلا. أو أن يقابل[١] بالجهاد الذي ذكر، لا يستوي من بذل نفسه للقتل والتلف ومن[٢] سقى[٣] الحاجّ وعمر المسجد الحرام و لم يبذل نفسه لذلك. فأما أن يُقال: لا يستوي الكافر والمؤمن، فذلك غير محتمل، لأنه إنما يُقابَل[٤] الشيء بالشيء إذا قَرُب بعضه من بعض، وأما عند[٥] البُعد منه فلا يُقال ولا يُقابَل.

وقوله عز وجل: **والله لا يهدي القوم الظالمين**، مادام وا في ظلمهم، وما داموا اختاروا الظلم لا يهديهم وقت اختيارهم الظلم. أو لقوم[٦] مخصوصين. وقد ذكرنا[٧] معناه في غير موضع.[٨]

﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله**، قوله: **آمنوا**، أي صدّقوا رسول الله في جميع ما يخبر عن الله أنه صادق وفي جميع ما دعا إليه وأمرهم به ونهاهم عنه أنه مُحِق. وإلا كانوا مؤمنين بالله. كقولهم:[٩] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٠] وقولهم: هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١١] كانوا مؤمنين بالله. لكنهم يكذّبون الرسل[١٢] ورسالتهم. [وقوله: **وهاجروا**،] أي فارقوا[١٣] آباءهم وإخوانهم وعشيرتهم وأموالهم ومنازلهم وبلدهم، هاجروا جميع ما تحبه[١٤] أنفسهم وتهواه وتميل إليه القلوب،

---

[١] ع م: أن يقال.
[٢] جميع النسخ: كمن.
[٣] ن: يسقي.
[٤] ع: إنما يقاتل.
[٥] م: وأما عندنا.
[٦] ع: أو القوم.
[٧] ن: وقد ذكرناه.
[٨] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة آل عمران، ٨٦/٣.
[٩] ع: كقوله.
[١٠] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[١١] سورة يونس، ١٨/١٠.
[١٢] ن: للرسل.
[١٣] ع: إذا فارقوا.
[١٤] ن: ما تحبهم.

[وذلك][1] ما ذكر في الآية التي تتلو هذه الآية،[2] وفارقوا ذلك الكل إشفاقا على دينهم لِيَسلَم. ما لو أُعْطُوا قبل الإسلام الدنيا وما فيها أو أُوعِدوا[3] بكل وعيد وخوف ما فارقوا آباءهم[4] وإخوانهم وعشائرهم وأولادهم الذين ذكر في الآية، ثم إذا أسلموا فارقوهم وأجابوا رسول **الله** في ذلك ابتغاء مرضاة[5] الله وطلبا لرضوانه. [أخبرنا بذلك] لِيُعلَم عظيمُ[6] قدرِ الدين **في قلوبهم** / وخطيرُ منزلتِه عندهم، [و]لِيُعلَم أنّ مِحَنَ أصحابِ رسول الله أعظمُ وأشدُّ من **مِحَنِنا،** [٣٠٠ظ] لأن مِحَنَهم كانت على خلاف عادتهم وخلاف ما طُبِعوا [عليه]، لأن الإنسان **مطبوع** على حب ما ذكرنا مجبولٌ عليه، فهم مع ذلك تركوا وفارقوا ذلك وتحمّلوا كراهة ذلك **ابتغاء** مرضاة[7] ربهم،[8] وأما مِحَنُنا فإنها على ما سبق[9] من العادة، فهي[10] أهون وأيسر.[11]

وقوله: **وجاهَدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم،** أي بذلوا لله[12] ألذّ الأشياء وأحبّها، وهي[13] الأموال والأنفس.

وقوله عز وجل: **أعظم درجة عند الله،** قال بعض أهل التأويل: من صدّق بتوحيد **الله** وهاجر إلى المدينة وجاهد العدو بماله ونفسه،[14] **أعظم درجة عند الله،** من الذي افتخر **بعُمْران** البيت وسقاية الحاجّ وهم كفار. وكذلك قالوا في قوله:[15] أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ.[16]

---

[1] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٣و.
[2] ن – الآية؛ ع + التي. لعله يشير إلى الآية رقم ٢٤.
[3] ن ع م: إذ أوعدوا.
[4] ع + وطلبا لرضوانه.
[5] م: مرضات.
[6] ن ع م: عظم.
[7] ن م: مرضات.
[8] ن: الله.
[9] ع م: على سبق.
[10] ك: فهن؛ ن ع م: فهو.
[11] ك: أيسر وأهون.
[12] ع: الله.
[13] ع: واجتهاد بين؛ م: بين.
[14] جميع النسخ: بأموالهم وأنفسهم.
[15] ن: وقوله.
[16] الآية السابقة.

ولكن الوجه في ذلك عندنا[١] ومعنى المقابلة: أولئك الذين ذكر **أعظم درجة عند الله**، من الذين أسلموا مِن بعد[٢] ولحقوا[٣] أولئك.

وقوله: **وأولئك هم الفائزون**، الفوز هو الظفر في اللغة، أي أولئك هم الظافرون[٤] بنعيم الله وكرامته والناجون عن عذاب الله ونِقْمته.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[٢١]

يبشّرهم ربهم برحمة منه، يحتمل قوله: **يبشّرهم ربهم برحمة منه**، أي بالنصر لهم في الدنيا والظفر لهم على عدوهم، كقوله: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ،[٥] إلى آخر ما ذكر، كله إنما كان برحمته. ويحتمل **برحمة منه**،[٦] الثواب لهم في الآخرة والكرامة.

وقوله عز وجل: **ورضوان**، أي يبشّرهم أيضا أن ربكم عنكم[٧] راضٍ. **وجنات لهم فيها نعيم مقيم**، أي يبشّرهم[٨] بجنات **لهم فيها نعيم مقيم**، دائم، وكرامة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢٢]

خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم، قال الحسن:[٩] ما سَمّى الله عظيما فهو عظيم لا يُدرَك عِظَمُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون**، يحتمل الولاية الموافقة لهم في الحقيقة في الدين،

---

[١] ك: عندنا في ذلك.
[٢] ع م – من بعد.
[٣] ن: وسحقوا؛ ع م: ويحقوا.
[٤] م: الكافرون.
[٥] سورة التوبة، ٩/١٤.
[٦] ع م – برحمة منه.
[٧] م: بمسكم.
[٨] ع: أي بشرهم.
[٩] ك: الله.

ومن تولاّهم في الحقيقة فهو منهم، وهو ظالم لا شك.[1] فإن كان هذا فهو ظالم لا شك، فلم يكن لقوله: **ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**،[2] معنى. ويحتمل الولاية إظهار الموافقة لهم في الظاهر على غير حقيقة، لكن [فيه] إظهار[3] على غير حقيقة،[4] [وذلك] يُباح في حال اضطرار عند خوف الهلاك وذهاب الدين. فيجوز أن يكون قوم أسرّوا[5] الإيمان في أنفسهم وكتموه، ويُظهرون الموافقة لهم في الظاهر إشفاقا على دينهم وخوفا على أنفسهم، فيباح لهم ذلك لما ذكرنا. فلمّا أن جعل الله الهجرة وجعل للمؤمنين مأوى وأنصارا يلجئون ويأوُون إليهم لم يُعذَروا في إظهار الموافقة لهم، وإن كانوا في السرّ ليسوا على دينهم، لما ذكرنا. فهذا يدل على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه في غير اضطرار يصير كافرا، على ما جعل هؤلاء أولياء الكفرة حقيقة ظَلَمَةً مثلهم إذا تَوَلَّوْهم[6] في الظاهر وإن لم يكونوا في الحقيقة كذلك.[7] وهذا أشبه. وهو كما قال[8] عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ،[9] الآية، لم يُعذَروا في تركهم الهجرة. فعلى ذلك هؤلاء إذا أظهروا[10] الموافقة لهم بعدما جعل لهم المأوى والأنصار صاروا هم في الحقيقة كذلك. [وقد] نهانا [الله تعالى] عن موالاة[11] الكفرة جملة بقوله: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ،[12] وقال: لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ،[13] هذا النهي لنا في جملة الكافرين.

---

[1] ك – لا شك.

[2] ع – يحتمل الولاية الموافقة لهم في الحقيقة في الدين ومن تولاهم في الحقيقة فهو منهم وهو ظالم لا شك فإن كان هذا فهو ظالم لا شك فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون.

[3] ع: إظهارا.

[4] ع – لكن إظهارا على غير حقيقة.

[5] ن: أمروا.

[6] جميع النسخ: إذا تولاهم.

[7] ن: كذا.

[8] جميع النسخ: ما قال.

[9] ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ (سورة النساء، ٤/٩٧).

[10] ع: إذا ظهروا.

[11] ن: عوالاة.

[12] ع م + كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء. ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تُقَاةً ويحذّركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ (سورة آل عمران، ٣/٢٨).

[13] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقُون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يُخرجون الرسول وإيّاكم أن تؤمنوا بالله ربّكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تُسِرُّون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ (سورة الممتحنة، ٦٠/١).

ثم نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بقوله:[١] لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ.[٢] ثم نهانا أن نوالي المتّصلين من الآباء والأمهات وغيرهم من القرابات لما يقع[٣] الشبه في موالاة المختصّين بهم،[٤] فخص النهي فيه. وكذلك في تخصيص اليهود والنصارى، لما بيننا وبينهم موافقة في التوحيد والكتب، فخص النهي في ذلك. ثم الولاية التي نهانا عنها تخرج على وجوه. أحدها المودة والمحبة، أي لا تودُّوهم ولا تحبوهم. والثاني أن لا نتخذهم موضع سرّنا وبطانتنا،[٥] كقوله: لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً،[٦] الآية. والثالث ولاية الطاعة لهم، أي لا تطيعوهم، كقوله: إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ،[٧] الآية، وقوله: إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ.[٨] نهانا أن نحبهم ونودّهم، ونهانا أيضا أن نتخذهم موضع سرّنا ونفشي إليهم سرائرنا، ونهانا أن نطيعهم فيما يدعوننا إليه[٩] -والله أعلم- للخلاف الذي بيننا وبينهم في الدين. وقوله عز وجل: **إن استحبوا الكفر على الإيمان**، أي اختاروا الكفر على الإيمان، والمحبة هاهنا محبة الاختيار والإيثار.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها**، هو مقابل قوله: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ،[١٠] إلى آخره.*

---

[١] جميع النسخ: كقوله.

[٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥١).

[٣] ك: لما يقع يقع.

[٤] ن: لهم.

[٥] ك: بطانتنا وسرنا.

[٦] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألُونَكم خبالا وَدُّوا ما عَنِتُّم قد بَدَتِ البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدورُهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٨).

[٧] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يَرُدُّوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٠٠).

[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يَرُدُّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٤٩).

[٩] جميع النسخ + ويسرون.

[١٠] ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٠).

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٠ظ/سطر ٣٨-٣٠١و/سطر ١.

ودل ما ذكر في قوله: **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم،** على أن المراد من قوله: لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ، الآباء والأبناء جميعا، وَإِخْوَانَكُمْ،[1] الإخوان وجميع المتصلين بهم، دليله ما ذكر في آخره حيث قال: **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم،** ذكر الأبناء والأزواج والعشيرة.[2] *والله أعلم*.

وقوله: **وأموال اقترفتموها،** قال بعضهم: اكتسبتموها. وقال أبو بكر الأصم: **وأموال اقترفتموها،** أي أموال جعلوها حلالا وحراما، ويقولون: الله أذن لنا في ذلك، كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا [قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ].[3] وقوله عز وجل: **وتجارة تخشون كسادها،** كانوا يخشون فواتها وذهابها، لا الكساد [فقط]، إذ في الهجرة تركها رأسا.

[٣٠٠ظ س٣٨] * وقوله عز وجل: **إن كان آباؤكم وأبناؤكم،** وما ذكر، أي إن كان طاعة هؤلاء ورضاهم، **أحب إليكم من،** طاعة، **الله و** طاعة، **رسوله،** ورضاه، و أحبّ من، **جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره،** هو حرف وعيد، أي انتظروا / [٣٠١و] **حتى يأتي الله بأمره،** أي بعذابه. [٣٠١و س١] قال أهل التأويل: حتى يأتي بأمره في فتح مكة.*

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **لقد نصركم الله في مَواطِنَ كثيرة ويوم حُنَين،** أي **نصركم في** مواضع[4] **كثيرة** كان [فيها] فَزَعُكم إلى الله تعالى، و نصركم **يوم حُنَين** أيضا بعدما هزمكم العدو بإعجابكم الكثرة بصَرفكم الفزعَ إلى الله. و نصركم أيضا **يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتُكم فلم تُغنِ عنكم شيئا،** يعني الكثرة. يُذَكِّرهم[5] عز وجل منته[6] عليهم وفضله أن النُّصْرَة والظفر متى كان إنما كان بالله،[7] لا بكثرتهم وقوتهم، لأنه لو كان بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين قوة و كثرة ما كان[8] يوم حنين،

---

[1] الآية السابقة.

[2] ك: والعشرة.

[3] ك ن ع + ويقولون الله أذن لنا في ذلك؛ م + ويقولون أذن لنا في ذلك. وانظر للآية: سورة يونس، ١٠/٥٩.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٠ظ/سطر ٣٨-٣٠١و/سطر ١.

[4] ع: في مواطن.

[5] ن: يذكر.

[6] ك ن ع: منته.

[7] ك: الله.

[8] ع: وما كان.

ثم كانت الهزيمة عليهم في الابتداء لإعجابهم الكثرة واعتمادهم عليها،[١] لِيُعلَم أن النُّصْرَة والظفر إنما يكون بالله، لا بالقوة والكثرة، لأن لا يعتمدوا على الكثرة ولا يَكِلوا إليها.

فإن قيل: قد أمرنا بأخذ العُدَّة والقوة ما استطعنا بقوله: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ،[٢] الآية، فإنما أمرنا بما يُعْجِبنا، فما معنى النهي عن الإعجاب بالكثرة والقوة؟ وكذلك نهانا عن الأَسَى على ما[٣] فاتنا، ونهانا أن[٤] نفرح بما يؤتينا،[٥] وقد كلّفنا الشكر لما آتانا[٦] والصبر على ما فات عنا،[٧] فلو لم نفرح بما آتانا لم يلزمنا الشكر ولا الصبر بما فاتنا، فما معناه؟

[قيل:] معناه[٨] -والله أعلم- أنه نهانا أن نفرح بما يؤتينا لنفس[٩] الإيتاء وتَأَسّي[١٠] لنفس ما يصيبنا ويفوتنا، إنما علينا أن نفرح بفضل الله ومنّته الذي[١١] منّ علينا وخصّنا به، وعلى ذلك نشكره، وعلى ذلك الصبر بما يصيبنا ويفوتنا، لِما جعل لنا لذلك ثوابا في الآخرة وأجرا عظيما. وكذلك الكثرة أمرنا بها، فإذا آتانا ذلك يُعْجِبُنا فضلُ الله ومنته[١٢] في ذلك الكثرة، لا الكثرة لنفسها والقوة. *والله أعلم*.

فإن قيل: الإعجاب بالكثرة كان من بعضهم لا من الكل، فكيف هُزِم الكل؟ وكذلك العصيان يوم حُنَين إنما كان من بعضٍ، كيف عاقب الجميع؟

قيل: لأن له أن يُتلِف الكل ابتداء؛ ألا ترى في أمر الواحد القيام لاثنين،[١٣] ثم في الأمر بالجهاد أمرا[١٤] على غير وُسْع، ولا كذلك في سائر العبادات، لأنه أَمَر الواحد القيام لاثنين[١٥] منهم،

---

[١] جميع النسخ: بها.

[٢] سورة الأنفال، ٨/٦٠.

[٣] جميع النسخ: التأسي بما. الأسى بمعنى الحزن، والتأسي بمعنى الاقتداء (*لسان العرب* لابن منظور، «أسى»).

[٤] ن: ونهانا عن أن.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لكي لا تَأْسَوْا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كلَّ مُخْتَالٍ فَخُور﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٣).

[٦] ك: لما أتينا.

[٧] م - عنا.

[٨] ن م - معناه.

[٩] ع: النفس.

[١٠] جميع النسخ: ونتأسى.

[١١] ك: التي.

[١٢] ك ن ع: ومننه.

[١٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الآن خَفَّف الله عنكم وعَلِم أنَّ فيكم ضَعْفًا فإن يَكُنْ منكم مائة صابرة يَغلِبوا مائتين وإن يَكُنْ منكم أَلْفٌ يَغلِبوا أَلْفَين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦٦).

[١٤] ك ع م: أمر.

[١٥] ن - ثم في الأمر بالجهاد أمرا على غير وسع ولا كذلك في سائر العبادات لأنه أمر الواحد القيام لاثنين.

وليس في وُسْع أحد القيام لاثنين. فهو -والله أعلم- لِمَا أن له أن يكلّف قتل أنفسهم وإتلافها؛ ألا ترى[1] أنه قال: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ،[2] الآية، ولو لم يجز له أن يكتب قتل أنفسهم لم يكن ليذكره. دلّ أن ذلك له، وأن له أن يميتهم ويهلكهم. فعلى ذلك له[3] أن يأمر بقتل أنفسهم. فإذا كان له ذلك -إذ في وُسْعهم قتلُ أنفسِهم- فعلى ذلك له[4] أن يكلّف[5] الواحد القيام لاثنين ولعدد، وإن كان في ذلك تَلَفُ أنفسِهم. وكذلك أمرنا بمجاهدة الشيطان عدونا، وأخبر أنه يرانا ولا نراه[6] نحن[7] بقوله: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ،[8] والمحاربة مع عدو لا نراه وهو يرانا أمر صعب شديد. لكن الله علّمنا أسباب ما نحارب معه ونجاهده فنغلبه. وقال في الشياطين: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[9] وقال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا،[10] الآية. علّمنا أسبابا نقاتل[11] بها الشيطان فنغلبه ونقهره. وما ذكر مِن ذِكره لا يقوم هو لذلك.[12] وكذلك قال في العدو الذي نراه من البشر، حيث قال: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا،[13] وقال: وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ،[14] قد علّمنا أسباب الجهاد معه[15] وأعلمنا الحيل التي تُجَوِّز لواحدٍ القيامَ لاثنين فصاعدا بالحيل، وإن لم[16] يكن لنا[17] الوُسْع[18] به بالقوة نفسها.

---

[1] ك: ألا يرى.

[2] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يُوعَظون به لكان خيرا لهم وأشدّ تثبيتا﴾ (سورة النساء، ٤/٦٦).

[3] م - له.

[4] ك ع - له.

[5] ع: لا يكلف.

[6] جميع النسخ: ولا نراهم.

[7] ن - نحن.

[8] ﴿يا بني آدم لا يَفتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أبَوَيكم من الجنة يَنزِع عنهما لباسهما لِيُرِيَهما سوآتهما...﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٧).

[9] سورة الأعراف، ٧/٢٠٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٣٦.

[10] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.

[11] ن: نقابل.

[12] أي إن الشيطان لا يستطيع أن يقوم أمام ذكر الله تعالى والتعوّذ به وتزول قوته.

[13] سورة الأنفال، ٨/٤٥.

[14] سورة الأنفال، ٨/٤٦.

[15] أي مع العدو البشري.

[16] م: وإذا لم؛ ع: وإذ لم.

[17] جميع النسخ: له.

[18] م: الواسع.

ثم الفرق[1] بين الجهاد وبين غيره من العبادات لِما يحتمل أنْ جعل[2] الله الجهاد آية من آيات الحق أو الرسالة،[3] ليعلم الخلائق أن النصر والظفر كان بالله لا بغيره، ليظهر الحق من الباطل والمُحِق من المبطل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَتْ**، هذا على التمثيل. يقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغها الغاية والنهاية:[4] ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت، يقال ذلك لِسَعة الأرض في أوهام الخلق.[5]

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ثم أنزل الله سَكِينته على رسوله وعلى المؤمنين**، قال بعضهم: السكينة الملائكة، كقوله: وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ،[6] الآية. وقال بعضهم: أنزل سكينته، أي نصرته، وقيل: وقاره، وقيل:[7] رحمته، وقيل: طُمَأْنِينَته.[8] وأصله: سكنت قلوبهم واطمأنّت بعد شدة الخوف والحزن بأي وجهٍ ما تسكن، بالملائكة أو بغيره. فأَسْكَنَ[9] قلبَ رسول الله لمّا اشتدّ[10] عليه رجوعُ / أصحابِه ومفارقتُهم إيّاه. **وأنزل جنودا لم تروها**، [٣٠١ظ] وهم الملائكة، **وعذّب الذين كفروا**، بالقتال والهزيمة. وذلك جزاؤهم.

وفي قوله: **ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين**، دلالةُ نقضِ[11] قول المعتزلة؛ لأنه[12] سماهم مؤمنين بعدما كان منهم التولّي، والتولّي لم يخرجهم من الإيمان على ما قالوا.[13]

---

[1] ن + بينه.
[2] ك: أن يجعل.
[3] م: والرسالة.
[4] ن ع م – الغاية والنهاية.
[5] ع: أوها لخلق.
[6] ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم مِن فَوْرِهم هذا يُمْدِدْكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمين...﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٢٥-١٢٦).
[7] ع م – وقيل.
[8] ع: طمأنينة.
[9] ك: وأسكن.
[10] ع م: لما اشتدت.
[11] ن – نقض.
[12] ك: لأنهم.
[13] جميع النسخ: ما قال.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٧]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢٨]

[٣٠١ظ س٣٨] * وقوله: **إنما المشركون نَجَسٌ**، أي أفعال المشركين نَجَس، والعبادات التي يأتون فيها نَجَس. [٣٠٢و] وهو ما ذكر حيث قال: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ / الشَّيْطَانِ،[١] صيّر عمل الشيطان رجسا. فعلى ذلك العبادات التي يقيمونها نجسة. فالنهي عن الحج نهي عن إقامة العبادات لغير الله، لأن تلك البقعة نُزِّهت عن إقامة العبادة لغير الله. ثم اختلف في قوله: **إنما المشركون نَجَس**، قال بعضهم: هم[٢] نَجَس الأفعال. وقال بعضهم: هم[٣] نَجَس الأحوال. والأشبه أن يكونوا[٤] نَجَس الأفعال، لأن قوله: **إنما المشركون نَجَس**، يخرج مخرج الذم، ولا يحتمل أن يُذَمُّوا ويُشتَموا بنجاسة الأحوال. دلّ أنه إنما لحقهم ذلك الذم بما اكتسبوا من الأفعال الذميمة. وهو كقوله: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، أخبر[٥] أن عمل الشيطان رجس ونجس؛ فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **إنما المشركون نَجَس**، أي نجسة الأفعال، لأن ذلك من كسبهم، فاستوجبوا المَذَمَّة لكسبهم. [٣٠٢و س٧] وأما الأحوال فلا صنع لهم فيها.*

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**، اختلف فيه. قال بعضهم: النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه. وعندنا أن النهي عن دخول المسجد الحرام نهي عن دخول مكة نفسها[٦] للحج وإقامة العبادات.[٧] دليله وجوه. أحدها قوله: **بعد عامهم هذا**، ولو كان لدخول المسجد لكان ذلك العام أحق عن المنع في دخوله من غيره.[٨] والثاني قوله: **وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يُغنيكم الله من فضله.**

---

[١] سورة المائدة، ٥/٩٠.
[٢] ع م: هو.
[٣] ن – هم؛ م: هو.
[٤] ن: أن يكون.
[٥] ع + أنهم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠١ظ/سطر ٣٨–٣٠٢و/سطر ٧.
[٦] ك ع م: نفسه.
[٧] ع: العباداة.
[٨] م: في غيره.

والثالث قوله: «ألَا لا يحجّنّ بعد العام مشرك».[١] وفي آخر الآية دلالة ذلك، لأنه قال: **وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يُغْنِيكم الله من فضله**،[٢] وخوف العَيْلَة إنما يكون لنفيهم[٣] عن دخول مكة، لأنه لو كان النهي عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم في ذلك، لأنهم يحضرون ويدخلون مكة للتجارة، فلا خوف عليهم في ذلك. أو أنْ يُقال: إنه ذكر المسجد الحرام لِما أنهم كانوا يقصدون البيت والحج به، فيكون النهي عن دخول المسجد نهيا عن الحج نفسه. وهو ما رُوي في الخبر أنه بعث عليا إلى الموسم[٤] بأربع، وأمره أن ينادي في الناس أنْ لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأَجَلُه إلى مدته، فإذا مضى مدته فإن الله[٥] بريء من المشركين ورسوله، ولا يطوفنّ بالبيت عُريان، ولا يحجّ بعد العام مشرك.[٦] فالنهي الذي ورد عن دخول المسجد إنما هو نهي عن الحج نفسه، لأن البيت هو الذي يُقصَد إليه فيه. ألا ترى[٧] أنه قال: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ،[٨] الآية، وقال:[٩] فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ،[١٠] الآية، وقال: وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[١١] ذكر البيت، وهو[١٢] المقصود بالحج في الإسلام والكفر جميعا. فعلى ذلك خرج النهي، لكنه ذكر المسجد لِما أن البيت فيه. فإذا كان ما ذكرنا فإن شئت فاجعل آخرَ الآية تفسيرَ أولِها، وهو[١٣] قوله: **وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يُغْنِيكم الله من فضله**. وهو ما ذكرنا أن النهي لو كان لدخول المسجد نفسه دون غيره من البقعة لكان ليس عليهم خوف العَيْلَة، لأنهم يدخلون مكة ويَتَّجِرون فيها، ولا يدخلون المسجد. وإن شئت فاجعل أول الآية تفسيرَ آخرِها، وهو قوله: **فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**. وهو ما ذكرنا.

---

[١] *صحيح البخاري*، التفسير ٩/٣؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٤٣٥.
[٢] ع م – والثالث قوله ألا لا يحجن بعد العام مشرك وفي آخر الآية دلالة ذلك لأنه قال وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله.
[٣] ن ع م – لنفيهم.
[٤] ع م: في الموسم.
[٥] ع – الله؛ م: فإنه.
[٦] *سنن الترمذي*، الحج ٤٤؛ و*سنن النسائي*، مناسك الحج ١٦١. وحسّنه الترمذي.
[٧] ك: ألا يرى.
[٨] سورة آل عمران، ٣/٩٧.
[٩] ن – وقال.
[١٠] سورة البقرة، ٢/١٥٨.
[١١] سورة الحج، ٢٢/٢٩.
[١٢] ع: هو.
[١٣] ع م – وهو.

فإذا كان ما ذكرنا دل أن المشرك لا يدخل[1] المسجد الحرام. وخبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضا يدل على ذلك. فأما مَن كان مِن أهل الذمة والعبيد منهم فليسوا -والله أعلم- بداخلين في الآية إذا كانوا ممن لا يحجّ. فإن قيل: فقد روي عن علي[2] رضي الله عنه أنه نادى: «أَلَا لا يدخل الحَرَم مشرك»، و لم يذكر الحج. قيل له: روي عنه أنه[3] قال: ناديت أنْ «لا يحجّ بعد العام مشرك»،[4] فيكون قوله: لا يدخل الحَرَم مشرك، على الحج، على ما ذكرنا. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رخّص في دخول المسجد للعبيد والإماء. وروي عن جابر بن عبد الله عن النبي[5] قال: «لا يقرب المشركون المسجد الحرام بعد عامهم هذا، إلا أن يكون عبدا أو أمة».[6] يحتمل استثناء[7] العبد والأمة، لأن العبد لا يدخل للحج ولإقامة العبادة، إنما يدخل لخدمة المولى إذا كان مسلما. وفي بعض الأخبار: «إلا أحدا[8] من أهل الذمة». وعن جابر بن عبد الله موقوفا كذلك: أو أحدا من أهل الذمة.[9] وفيه دلالة لقول[10] أبي حنيفة أنْ لا بأس للكافر أن يدخل المسجد،[11] وقال: أرأيت لو أراد أن يَسمع كلام الله ليؤمن أيُمنَع[12] عن ذلك ويُؤمَر المُسمِعُ[13] إتيانَ ذلك المشرك فيَسمع كلامه،

---

[1] ن م: لا يدخلوا؛ ع: لا يدخلون.

[2] م + بن أبي طالب.

[3] ن – أنه، صح هـ.

[4] ورد في أكثر الروايات ذكر الحج؛ انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٩/٣؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٣٥. وورد في بعضها: «لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا»، وفي بعضها: «ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا»، انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٦٤، ٦٥. وورد في رواية: «ولا يجتمع مسلم ومشرك في الحَرَم بعد عامهم هذا»؛ انظر: *مسند الربيع بن حبيب*، ١٦٨.

[5] ع م – أنه رخص في دخول المسجد للعبيد والإماء وروي عن جابر بن عبد الله عن النبي.

[6] روي بلفظ: «لا يدخل مسجدنا هذا بعد عامنا هذا مشرك إلا أهل العهد وخَدَمهم»؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣٣٩، ٣٩٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٦٤. «وفيه أشعث بن سِوار، وفيه ضَعف، وقد وُثِّق» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٤/١٠).

[7] ع: الاستثناء.

[8] ك: أو أحدا.

[9] ولفظه: ... إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة؛ انظر: *المصنف* لعبد الرزاق، ٦/٥٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/١٠٨؛ وصحيح *ابن خزيمة*، ٢/٢٨٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/١٦٤.

[10] ع: القول.

[11] يقول الجصاص رحمه الله تعالى: «وقوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾، قد تنازع معناه أهل العلم. فقال مالك والشافعي: لا يدخل المشرك المسجد الحرام. قال مالك: ولا غيره من المساجد، إلا لحاجة، مِن نحو الذمي يدخل إلى الحاكم في المسجد للخصومة. وقال الشافعي: يدخل كل مسجد إلا المسجد الحرام خاصة. وقال أصحابنا: يجوز للذمي دخول سائر المساجد...» (*أحكام القرآن* للجصاص، ٤/٢٧٨-٢٧٩).

[12] جميع النسخ: فيمنع.

[13] ع: المستمع؛ م: ويوم المستمع.

فيكون الأمر بإبلاغ المأمن لذلك للمشرك[١] [لا] الإمام؟[٢] دل أنه لا بأس بذلك. وقد ذكرنا أنْ ليس في ظاهر الآية دلالة النهي عن دخول المسجد، بل المراد من ذكر المسجد ما ذكرنا من الحج وإقامة العبادة لغير الله. ألا ترى إلى قول الله: وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ،[٣] وأن سبيل مكة كلها هذا السبيل.[٤] وكذلك قوله: ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ،[٥] والحَرَم كله مَنْحَر.[٦] إلا أن المعنى في ذلك -والله أعلم- ما ذكرنا أنْ لا يدخل المشركون حُجَّاجا. ألا ترى أنّا نعلم[٧] أن المشركين لم يزالوا مقيمين في الحَرَم بعد النداء، ولم يُخْلُوا عنه. ومما يدل على ذلك أيضا[٨] قول الله: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ،[٩] فإن كان يعني به موضع العهد فإن ذلك العهد[١٠] يوم الحديبية عند الشجرة، فقد صار ذلك الموضع من المسجد الحرام، وهو في المسافة بعيد منه؛ وإن[١١] كان[١٢] يعني به الذين عُوهِدوا فإنهم كانوا[١٣] يوم[١٤] نادى علي رضي الله عنه بذلك خارجا[١٥] مِن مكة، لأنّ أهل مكة قد كانوا أسلموا[١٦] قبل ذلك حين فتحها النبي، فحاضرو[١٧] المسجد الحرام هم من كان نازلا[١٨] خارجَ مكة في الحَرَم وما حوله.[١٩]

---

[١] جميع النسخ: المشرك.
[٢] لعل المقصود أنه في هذه الحالة يكون المأمور بإبلاغه مأمنه هو المشرك، لأن المؤمن هو الذي يذهب إلى المشرك ليُسمِعه كلام الله، ولا يكون إمام المسلمين هو المأمور بإبلاغ المشرك إلى مأمنه، فينقلب الأمر الوارد في الآية رأسا على عقب، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (سورة التوبة، ٩/٦).
[٣] سورة الحج، ٢٢/٢٥.
[٤] أي سواء من قدم من خارج مكة ومن هو من أهل مكة من حيث حق الإقامة في مكة.
[٥] سورة الحج، ٢٢/٣٣.
[٦] أي مَحِلّ الذبائح ومكان ذبحها هو الحرم كله، وليس الكعبة نفسها.
[٧] ع م: أنا لا نعلم.
[٨] ك - أيضا.
[٩] سورة التوبة، ٩/٧.
[١٠] ع - فإن ذلك العهد.
[١١] ك ن ع: فإن.
[١٢] م - فإن كان.
[١٣] ن ع م: كان.
[١٤] ع م + بدر.
[١٥] جميع النسخ: فذلك خارج.
[١٦] ع م - أسلموا.
[١٧] جميع النسخ: فحاضري.
[١٨] م - كان نازلا.
[١٩] أي إن كان المراد بقوله تعالى: ﴿عند المسجد الحرام﴾ هو المكان فمكان العهد كان الحديبية، وهي بعيدة عن المسجد الحرام، وإن كان المراد هو أهل المسجد الحرام الذين عُوهِدوا بنداء علي رضي الله عنه يوم الحج الأكبر فيكون المقصود من كان نازلا حول مكة من الحجاج القادمين من خارج مكة، لا أهل مكة، لأنهم كانوا أسلموا قبل ذلك.

وقوله: **إنما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**، يخرج على وجوه. أحدها[1] لا تَدَعوهم يقربوا المسجد الحرام. والثاني قولوا لهم: لا تقربوا[2] المسجد الحرام. والثالث على البِشارة، أي إذا قلتم لهم ذلك فلا يقربوا بعد ذلك.*

وقوله: **وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يُغْنِيكم الله من فضله**، قيل: خافوا من العَيْلة لمَا نُفِي المشركون من مكة، لأن مَعايِش أهل مكة إنما كان من الآفاق، وبأهل[3] الآفاق كان سَعَتُهم وتجارتهُم، لكن الله وعد لهم السَّعَة والغَناء بقوله: **فسوف يُغْنِيكم الله من فضله إن شاء**. قال بعضهم: دل قوله: **إن شاء**، على أنه إنما وعد لهم الإغناء في بعض الأوقات. وقال بعضهم: قوله:[4] **إن شاء**، كان من رسول الله،[5] لأنه أمر رسوله أن يخبرهم[6] أنه[7] يُغْنِيهم إن شاء، وهو مأمور أن يستثني في جميع ما يَعِده،[8] كقوله: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[9] ويحتمل أن يكون قوله: **فسوف يُغْنِيكم الله من فضله إن شاء**، بهؤلاء الذين نُفُوا عنه، لأنه[10] حَبَّب إليهم التجارة والمكاسب وما ينالون من الأرباح[11] بها، يحملهم ذلك على الإسلام، فيُسلِمون،[12] فيدخلون فيه،[13] يحملهم حب التجارة على الإسلام،[14] فيكون لهم بهم غِنى، كما كان يحملهم حب التجارة والربح على [ترك] الهجرة،[15] بقوله:[16] وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا،[17] فعلى ذلك الأول.

---

[1] ك - أحدها.
[2] جميع النسخ: لا يقربوا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠١ظ/سطر ٣٨-٣٠٢و/سطر ٧.
[3] ع: بأهل.
[4] ع - قوله.
[5] ع: كان رسول الله، + لأنه أمر رسول الله.
[6] م - أن يخبرهم.
[7] ع - يخبرهم أنه.
[8] ن ع م: ما بعده.
[9] سورة الكهف، ١٨/٢٣-٢٤.
[10] ك: لأنهم.
[11] ن ع م: ينالون الأرباح.
[12] ن م: مسلمون.
[13] جميع النسخ: فيها.
[14] ع - فيسلمون فيدخلون فيه يحملهم حب التجارة على الإسلام.
[15] جميع النسخ: عن الهجرة.
[16] ع م: وقوله.
[17] سورة التوبة، ٩/٢٤.

وقال بعضهم: قوله: **فسوف يغنيكم الله من فضله**، الجزية التي ذكرها في الآية[١] التي[٢] تتلو[٣] هذه.

وقوله عز وجل: **إن الله عليم**، بما أضمروا من خوف العَيْلَة. أو **عليم**، بما لهم وعليهم، وبمن يكون[٤] لهم الغِنى. **حكيم**، في أمره وحكمه.

وفي قوله:[٥] **وإن خفتم عَيْلَة...**، دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه معلوم أنهم أضمروا ذلك في أنفسهم، ثم أخبرهم رسول الله بذلك، دلّ أنهم علموا[٦] أنه إنما عرف ذلك بالله.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، الآية، ذكر أهل الكتاب اليهود والنصارى، وأخبر أنهم **لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، وهم في الظاهر يقرون بوحدانية الله واليوم الآخر، فما المعنى[٧] منه؟ قيل: هم وإن آمنوا في الظاهر بالله واليوم الآخر فإنما يؤمنون بإله له ولد كما ذكره على إثره، وهو قوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ.[٨] فالإيمان بإله له ولد ليس بإيمان بالله، فهم غير مؤمنين. وكذلك آمنوا بالبعث واليوم الآخر، ولكن لم يؤمنوا بالموعود في الآخرة. فالإيمان باليوم الآخر بغير[٩] الموعود فيه ليس بإيمان به. أو أن يقال: إنهم وإن أقروا بما ذكرنا وآمنوا به فقد استحلّوا أشياء حرّمها الله عليهم، وحرّموا أشياء أحلّها الله لهم، ومن آمن[١٠] بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن بآية منها أو برسول[١١] منهم فهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر ولا مصدِّقٍ له.

---

[١] ع: ذكرها الآية.
[٢] م – التي.
[٣] ع: تتلوا.
[٤] ع م: يكن.
[٥] ع م – وفي قوله.
[٦] ع: عملوا.
[٧] ع م: في المعنى.
[٨] الآية التالية.
[٩] ك: لغير.
[١٠] ن: من آمن.
[١١] ن: أو برسوله.

وقوله: **قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، إلى آخر[1] الآية.

فإن قال لنا ملحد:[2] إنكم تقاتلون[3] الكفرة للكفر، ثم إذا أعطوكم شيئا من المال تركتم مقاتلتهم، فلو كان قتالكم إيّاهم لذلك لا لطمع في الدنيا لكنتم[4] لا تتركون مقاتلتهم لشيء يبذلونه لكم.[5] وكذلك لو كانت المقاتلة للكفر نفسه لكان النساء في ذلك والرجال سواء، إذ هم في الكفر شرعا سواء. وقالوا: لو كانت المقاتلة معهم لما ذكرنا وهو حكمةٌ والآمر بذلك حكيما لكان الناس جميعا[6] في ذلك سواء، ولا يتركون أحدا لشيء[7] من ذلك، بل يقاتلون أبدا ولا ترضون منهم غيره.

فيقال لهم: إنّا لا نقاتل[8] الكفرة للكفر، ولٰكِنّا ندعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا إلى ذلك وإلّا قاتلناهم ليضطرّهم القتل إلى الإسلام، لهذا ما نقاتلهم لا لشيء سواه. فإذًا كان في أخذ الجزية معنى ما ندعوهم إلى الإسلام، فإذا قبلوا ذلك تركناهم على ذلك لعلهم يرغبون في الإسلام إذا رأوا[9] شرائعنا وأحكامنا، لا أنّا تركناهم رغبة فيما نأخذ منهم أو طمعا في ذلك. وأصله المحنة، إذ الدار دار المحنة، ليست بدار الجزاء. والمحنة تكون بمختلف الأشياء، لا بمؤتلفها، مرّة يمتحنهم بالقتال، ومرة بأخذ الأموال، ومرة بالشدائد، كقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ،[10] الآية، وقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ [فِتْنَةً]،[11] وقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[12] ونحو ذلك. فإذا كان ذلك[13] محنةً لا جزاءً جاز[14] ذلك، وكان ذلك حكمة. وأما قولهم بأنّا نقاتل الرجال ولا نقاتل النساء ونسترقّهن، لأنهن[15] أتباع للرجال في جميع الأحوال وخدم لهم،

---

[1] ع م – إلى آخر.
[2] ك ن ع: ملحدي.
[3] ع: قاتلون.
[4] ع: لكنهم.
[5] جميع النسخ: يبذلونكم.
[6] ع – جميعا.
[7] ع م: بشيء.
[8] جميع النسخ: لن نقاتل.
[9] ع: رأو.
[10] ﴿ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونَقْصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٥).
[11] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.
[12] سورة الأعراف، ٧/١٦٨.
[13] ك: كذلك.
[14] ع م: أجاز.
[15] ك: لأنهم.

فإذا أسلموا أسلمن، هذا معروف / فيما بينهم، إذ هن في أيدي الرجال، يفعلون بهن ما شاءوا. [٣٠٢ظ]
وأصله ما ذكرنا أن القتال محنة ليس هو جزاء الكفر، إذ الدار دار محنة،[١] فله أن يمتحن بعضا بالقتل، وبعضا بأخذ المال، وبعضا[٢] لا بذا ولا ذاك. ولو كان جزاء لسوّى بينهم، وهو[٣] التخليد في النار أبدا.

فإن قيل: ما الحكمة في أخذ الجزية من سائر الكفرة إذا كانوا أهل الكتاب أو المجوس، وتَرْكِ الأخذ من مشركي العرب؟

قيل: لوجوه. أحدها أنْ ليس لمشركي العرب دين يدينون به يقاتلون عن ذلك الدين، ولا لهم أصل يعتمدون عليه، أو كتابٌ يَكِلون إليه، إنما هم قوم يقاتلون عن قبائلهم، ويتناصرون بهم. ولغيرهم[٤] من الكفرة دين يدينون به،[٥] وأصل يعتمدون عليه،[٦] ويحاجّون الناس بالحِجاج التي لهم.[٧] فإذا كان كذلك أمكن إقامة الحُجَج[٨] على هؤلاء، وإلزامُ البراهين. ولا كذلك مشركو[٩] العرب، إذ لا دين لهم يُنسَبون[١٠] إليه، ومذهب[١١] يدعون غيرهم إليه بالحِجاج. وأمكن في غيرهم. لذلك افترقا. ***والله أعلم بذلك.***[١٢]

والثاني أنهم تمنّوا[١٣] أن يكون[١٤] لهم رسول[١٥] من جنسهم يتبعونه فيما يدعوهم إليه ونذير يجيبونه، حتى أقسموا على ذلك وأكّدوا[١٦] القول[١٧] في ذلك، كقوله:[١٨] وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[١٩] الآية،

---

[١] ع: المحنة.
[٢] ع م – وبعضا.
[٣] ع م: هو
[٤] ع: لغيرهم.
[٥] ن – به.
[٦] ن – عليه.
[٧] ن – لهم.
[٨] ع: الحج.
[٩] جميع النسخ: مشركوا.
[١٠] ك: ينتسبون.
[١١] ن ع م: ومذاهب.
[١٢] ع – افترقا والله أعلم بذلك.
[١٣] ع – تمنوا.
[١٤] ع م: أن تكون.
[١٥] ن: رسولا.
[١٦] ن – وأكدوا.
[١٧] ن: والقول.
[١٨] م – كقوله.
[١٩] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونُنّ أهدى مِن إحدى الأمم فلمّا جاءهم نذير ما زادهم إلا نُفورا﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٤٢).

ولم يكن من غيرهم من الكفرة ما كان منهم. فإذا كان كذلك فهم يقاتَلون أبدا حتى يوفوا بما وعدوا،[1] كقوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ.[2]

والثالث لفضل رسول الله، إذ كان[3] منهم ومن جنسهم، فلا يُترَك أحد في تلك البقعة على غير دينه. وأمكن أن يكون لوجه[4] آخر، وهو أن مشركي العرب في حد القليل، أمكن المقاتلة معهم والقيام لهم، فلا يُرضَى منهم إلا الإسلام. وأما غيرهم من الكفرة في بقاع مختلفة وهم كثير[5] إذا اجتمعوا لم يكن في وُسْع أهل الإسلام القيامُ لهم والقتالُ معهم، فيلحق المسلمين في ذلك ضرر بَيِّن، لذلك كان ما ذكر.

وقوله: **قاتِلوا الذين لا يؤمنون**، الآية، قد ذكرنا أنهم وإن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر عند أنفسهم، أنهم في الحقيقة غير مؤمنين به،[6] لأن شرط إيمانهم الإيمان بالرسل جميعا والكتب أجمع، فهم قد تركوا الإيمان ببعض الرسل وببعض الكتب، ومن كفر برسول من الرسل أو بكتاب من الكتب أو بحرف[7] منها كان كافرا بالله.

وقوله عز وجل: **ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله**، يحتمل أنهم لا يحرّمون[8] تحريف الكتب وكتمان نعت رسول الله، والله حرّم ذلك عليهم. أولا يحرّمون عبادة الأوثان، والله ورسوله يحرّم ذلك. أو لا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله من الخمر والخنزير وغيره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا يَدِينون دين الحق**، وهو الإسلام، لأنه دين توجبه[9] العقول كلها،[10] وتشهد [به] خِلقةُ الخلائق كلها. أو أن يقول: **لا يَدِينون دين**، الذي له، **الحق**، إنما يَدِينون بدين الذي لا حق له، وهو دين الشيطان، وهو ما يدعوهم إلى عبادة الأصنام فيجيبونه. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: ما وعدوا.
[2] ﴿قل للمُخَلَّفِين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يُسلِمون﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٦).
[3] ع: إذا كان.
[4] ن ع: اوجه؛ م: وجه.
[5] ع: كثر.
[6] ك - به.
[7] ع: أو لحرف.
[8] ع: أنهم يحرمون.
[9] ن ع م: يوجبه.
[10] ك - كلها.

وقوله عز وجل: **حتى يعطوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون**، يحتمل[١] قوله: **يعطوا الجزية**، أي يقبلوها، لا على الإعطاء نفسه. وهو ما ذكرنا في قوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ،[٢] هو على القبول لها، لا على الفعل نفسه. ويحتمل نفس الإعطاء. وهو -والله أعلم- لِما جُعِلت الجزية لحَقْن الدماء، فتُقَدَّم ليُحْقَن بها الدم.[٣]

وقوله: **عن يَدٍ وهم صاغرون**، قال بعضهم: قوله:[٤] **عن يَدٍ**، أي لا يؤخر[٥] قبضها عن وقت قبولها، بل تؤخذ يدا بيد. وقال بعضهم: **عن يَدٍ**، أي عن قهر وغلبة. وقيل: **عن يَدٍ**، أي عن طَوْع[٦] وطِيب. وقيل: عن جماعتهم. لٰكِنا لا ندري ما يعنون بالجماعة.

وقوله: **صاغرون**، قيل: ذليلون، وهو من الذل، يقال: صَغُر الرجل، يَصْغُر صَغَارا، فهو صاغر، أي ذَلّ، فهو ذليل. وقيل: **صاغرون**، أي مذمومون.[٧] وعن ابن عباس رضي الله عنه: يمشون بها مُلَبِّبِين.[٨] وأصله الذلة، وهو الخضوع. وهو[٩] -والله أعلم- الذلة التي ذكر الله في قوله: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا،[١٠] فإذا قبلوا ذلك فقد أذعنوا[١١] بالذل والصَّغار.

وقوله: **قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله**، الآية، أما اليهود[١٢] والنصارى فلا خلاف[١٣] بين أهل العلم في أن من بذل منهم الجزية أُخذت[١٤] منه وأُقر على دينه. وأما المجوس فإنه يؤخذ منهم الجزية،

---

[١] ع م: ويحتمل.

[٢] ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة فخَلُّوا سبيلهم﴾ (سورة التوبة، ٩/٥)؛ ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ (سورة التوبة، ٩/١١).

[٣] ع: الدماء.

[٤] ن ع م - قوله.

[٥] ع: أي يؤخر.

[٦] م: عن طبع.

[٧] ك: صاغرون مذمومون.

[٨] ك ن: متلبيين؛ ع م: متلبين. ولَبَّبَ الرجلَ: جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قبضه وجرّه. وأخذ بتَلْبِيبِه وتَلَابِيبِه كذلك. والمُتَلَبِّب: المتحزم بالسلاح وغيره، وكل مجمِّع لثيابه: متلبِّب. و المتلبَّب: موضع القلادة (*لسان العرب* لابن منظور، «لبب»).

[٩] ع م - وهو.

[١٠] ﴿ضُرِبَتْ عليهم الذلّة أين ما ثُقِفُوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضُربت عليهم المسْكَنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٢). والآية في اليهود.

[١١] ع: اذهنوا؛ م: اذهبوا.

[١٢] ع: وأما اليهود.

[١٣] ن ع م: ولا خلاف.

[١٤] ك: أخذ.

لما روي عن عمر[1] رضي الله عنه أنه قال: ما أدري ما أصنع بالمجوس، فإنهم ليسوا بمسلمين ولا من أهل الكتاب؟ قال عبد الرحمن بن[2] عوف: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب».[3] وفي بعض الروايات: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هَجَر.[4] وعن علي أن أبا بكر وعمر أخذا[5] الجزية من المجوس.[6] وقال علي بن أبي طالب: أنا أعلم الناس بهم، كانوا أهل كتاب يقرءونه، وأهل علم يدرسونه، فنُزِع ذلك من صدورهم.[7] وعن أبي[8] رَزِين[9] عن أبي موسى [عن حذيفة][10] قال:[11] لولا أني رأيت أصحابي أخذوا الجزية من المجوس[12] ما أخذتها.[13] وعن أبي عُبَيدة[14] [عن أبيه عبد الله بن مسعود][15] قال: كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر أنه قال: «من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، ومن أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعليه الجزية».[16] وفي بعض الروايات: «من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا، وعليه ما علينا، ومن ترك ذلك فعليه الجزية».[17]

---

[1] م: من عمر.
[2] ن م: ابن.
[3] انظر: *الموطأ* للإمام مالك، الزكاة ٤٢؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٣٥/٢.
[4] صحيح *البخاري*، الجزية ١؛ وسنن *أبي داود*، الخراج ٣١؛ وسنن *الترمذي*، السير ٣١. وهَجَر موضع بالبحرين.
[5] ع: أخذ.
[6] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢٤٨/٨.
[7] *المصنف* لعبد الرزاق، ٧٠/٦؛ ورواه أبو يعلى أيضا، وإسناده ضعيف؛ انظر: *مجمع الزوائد*، ١٢/٦. وانظر للتفصيل: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٧٤/٣-١٧٥.
[8] ع م: عن أبي.
[9] ن: أبي زرين.
[10] من مصادر الرواية.
[11] م: قالوا.
[12] م – من المجوس.
[13] سنن *الدارقطني*، ١٥٥/٢.
[14] ك ن م + بن الجراح؛ ع: عن أبي عبيدة ابن الجراح.
[15] والتصحيح مع الزيادة من مصادر الرواية.
[16] روي إلى قوله: «...وذمة الرسول» (*المعجم الكبير* للطبراني، ١٥٢/١٠)؛ «وفي إسناده الحسن ابن إدريس الحلواني، ولم أر أحدا ذكره، وهو أيضا من رواية أبي عبيدة عن أبيه، ولم يسمع منه» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٨/١). والمنذر بن سَاوَى الذي كتب إليه النبي كان رأس المجوس بالبحرين؛ انظر: *فتح الباري* لابن حجر، ١٢٨/٨.
[17] ع م – وفي بعض الروايات من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا ومن ترك ذلك فعليه الجزية. والحديث المذكور روي عن الحسن مرسلا؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٩/٦.

وعلى ذلك مضت الأئمة، / و لم ينكره[1] أحد[2] من السلف. حتى قال قوم: إن المجوس إنما أُخذت [٣٠٣ر] منهم الجزية[3] لأنهم أهل كتاب،[4] فأحلّوا ذبائحهم ونساءهم، وذهبوا إلى ما روي عن علي. وقال آخرون: ليسوا من أهل الكتاب، ولكن الجزية تؤخذ[5] منهم اتّباعا لقول[6] رسول الله:[7] «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب، غيرَ ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم»،[8] وما روي عن الصحابة وأئمة الهدى.

ثم المسألة في تقدير الجزية. روي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث معاذا[9] إلى اليمن، فقال له: «خذ من كل حالِمٍ دينارا أو عِدْلَه مَعَافِر».[10] وروي[11] عن عمر رضي الله عنه أنه بعث عثمان بن[12] حنيف إلى السواد، وأمر أن يضع على أهل السواد الخراج، ثمانية وأربعين درهما، وأربعة وعشرين درهما، واثني عشر درهما.[13] وفي بعض الروايات أنه ضرب على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الوَرِق أربعين درهما، مع ذلك أرزاق المسلمين[14] وضيافة ثلاثة أيام.[15] وأصحابنا يجعلونهم ثلاث طبقات: أغنياءَ وأوساطا وفقراء،

---

[1] جميع النسخ: و لم ينكر.

[2] ك: واحد.

[3] ك: الجزية منهم.

[4] ع: الكتاب.

[5] ع م: يؤخذ.

[6] ع – لقول.

[7] ع: لرسول.

[8] روي أنه كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هَجَر يدعوهم إلى الإسلام، فمن أسلم قَبِل منه الحق، ومن أبى كُتِبَت عليه الجزية، ولا تؤكل لهم ذبيحة ولا تُنكَح منهم امرأة. انظر: *المصنف* لعبد الرزاق الصنعاني، ٦٩/٦؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٩/٦. قال البيهقي: «هذا مرسل، وإجماع أكثر المسلمين عليه يؤكده». انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ١٩٢/٩.

[9] ع: معاذ.

[10] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣٣/٥؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٤؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ٥. ولفظ أبي داود يفسر بعض ألفاظ الحديث الغريبة: عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لَمّا وجّهه إلى اليمن أمره أن يأخذ... من كلّ حالِم يعني مُحتلِما، دينارا أو عِدْلَه من المَعَافِر ثياب تكون باليَمَن. وقد تكرر ذكر العِدْل والعَدْل بالكسر والفتح في الأحاديث، وهما بمعنى المِثْل، وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل: العكس (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عدل»).

[11] ن: فروي.

[12] ع م + عفان.

[13] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٩/٦؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٩٦/٩؛ و*فتح الباري* لابن حجر، ٢٦٠/٦.

[14] جميع النسخ: أرزاقا للمسلمين؛ والتصحيح من مصدر الرواية.

[15] *الموطأ* للإمام مالك، الزكاة ٤٣؛ و*المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٩/٦؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٩٥/٩، ١٩٦.

فيؤخذ من الغني المُوسِر[١] ثمانية وأربعين درهما، ومن الوسط أربعة وعشرين درهما، ومن الفقير المحترف[٢] اثني عشر درهما. وفي بعض الأخبار: أربعين درهما أو أربعة دنانير، وضيافة ثلاثة أيام، وعشرين درهما أو دينارين.[٣] وهو[٤] ما ذكرنا، ثمانية وأربعون[٥] بغير الضيافة[٦] وغير مؤنة،[٧] وما روي من أربعين درهما أو أربعة[٨] دنانير[٩] مع الضيافة والرزق الذي ذكر في الخبر. وهذا مِن عُمَرَ بحضرة المهاجرين[١٠] والأنصار، فلم يأت عن أحد منهم النكير[١١] عليه ولا الرد، فهو كالاتفاق[١٢] منهم على ذلك. ثم لا يحتمل أن يكون عمر قدّر ذلك التقدير رأيا منه، لأن المقدّرات[١٣] والمحدودات سبيلُ معرفتِها التوقيفُ والسَّمْعُ لا العقل، فهو كالمسموع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما روي من حديث[١٤] معاذ حين أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من أهل اليمن من كل حالم دينارا، فذلك يحتمل أن يكون أمر بذلك لما كانوا أهل ضَعْف وفقر، على ما روي عن عمر في الضعفاء من أهل مصر والشام.[١٥] وليس هو الحد الذي لا يلزم أكثر من ذلك، لما ذكرنا أن عمر ألزم المياسير[١٦] أكثر من دينار، ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة، فدل فعلهم على ما وصفناه.[١٧]

---

[١] ك: المؤثر.
[٢] ن: المتحرف، صح هـ.
[٣] ك ن: ودينار؛ ع: ودينارا؛ م – ودينار.
[٤] م: أو هو.
[٥] جميع النسخ: وأربعين.
[٦] ع: ضيافة.
[٧] ك: المؤنة.
[٨] ع: درهما أربعة.
[٩] جميع النسخ: دينار.
[١٠] ع: بحضرة من المهاجرين.
[١١] ع: التكبر.
[١٢] ن ع م: كالإنفاق.
[١٣] ع م: المقدورات.
[١٤] جميع النسخ: عن حديث.
[١٥] قارن: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٩/١٩٥، ١٩٦.
[١٦] ع: المياسر.
[١٧] ع: ما صفناه.

ثم المسألة في تمييز أصحاب الطبقات بين الموسر الغني وبين الوسط والفقير. قال[١] بعضهم: الفقير ممن يحترف وليس له مال يجب في مثله الزكاة على المسلمين، وهم الفقراء المحترفون، فمن كان[٢] له أقل من مائتي درهم فهو من أهل هذه الطبقة. والطبقة الثانية[٣] أن يبلغ مال الرجل مائتي درهم. وقال[٤] بعضهم: إذا بلغ ماله أربعة آلاف درهم وزاد[٥] عليها صار من أهل الطبقة الثالثة، واحتجوا من قول علي بن[٦] أبي طالب رضي الله عنه وابن عمر حيث قالا:[٧] أربعة آلاف فما دونها نفقة، وما فوق ذلك كنز.[٨] وقد يجوز أن يُجعَل الطبقةُ الثانية مَن مَلَك مائتي درهم إلى عشرة آلاف درهم، وما زاد على ذلك يُجعَل من الطبقة الثالثة، لحديث روي[٩] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يرويه[١٠] أبو هريرة، قال: «من ترك عشرة آلاف درهم جُعِلت صفائحَ يُعذَّب بها يوم القيامة».[١١]

وقال بعضهم:[١٢] ثم[١٣] في قوله: **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**، دلالة على أن الجزية إنما تؤخذ ممن يجب أن يُقاتَل إن لم يبذلها، والنساء والصبيان لا يُقاتَلون ولا يُقتَلون[١٤] إن ظُهِر بهم، فلا يجب أن توضع[١٥] عليهم الجزية بدليل الكتاب إذ الله[١٦] إنما أمر أن تؤخذ[١٧] الجزية ممن يُقاتَل. وكذلك فعل عمر والأئمة بعده. روي أن عمر[١٨] رضي الله عنه

---

١ ع: وقال.

٢ جميع النسخ: كانت.

٣ ع م – الثانية.

٤ جميع النسخ: فقال.

٥ ك: فزاد.

٦ ع م – علي بن.

٧ ع: حيث قال.

٨ انظر لقول علي رضي الله عنه: *المصنف* لعبد الرزاق ١٠٩/٤؛ و*تفسير الطبري*، ١١٨/١٠، ١١٩.

٩ ع: لحديث ما روي.

١٠ ك: يروريه.

١١ لم أجد من أخرجه؛ وذكره القرطبي بدون عزو؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ١٣١/٨.

١٢ في نسخة ك بياض بمقدار عدة كلمات، وفي الهامش: كذا في الأصل بياض؛ ع م – وقال بعضهم.

١٣ ن – ثم.

١٤ جميع النسخ: ولا يقتلن.

١٥ ن ع م: أن يوضع.

١٦ جميع النسخ: إذا كان الله.

١٧ ن ع م: أن يؤخذ.

١٨ ع: عن عمر.

كتب إلى أمراء[1] الجيوش أن لا تقاتلوا إلّا من قاتلكم، ولا تقتلوا الصبيان والنساء، ولا تقتلوا إلا مَن جَرَتْ عليه المَوَاسِي.[2] وكتب إلى عُمَّاله أن اضربوا[3] الجزية، ولا تضربوها على النساء والصبيان، وفي بعض الروايات أنه كتب إلى أمراء[4] الأجناد أن لا يضربوا[5] الجزية إلا على من جَرَت عليه المَوَاسِي، قال: والجزية أربعون درهما أو أربعة دنانير.[6] وفي خبر[7] معاذ دلالة لذلك، حيث قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وأمرني أن آخذ من كل حالِمٍ دينارا أو عِدْلَه مَعَافِرَ،[8] بيّن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ ذلك من الرجال دون الصبيان، ودون[9] النساء.

فإن قيل: روي عن معاذ [أنه] قال: أمرني رسول الله أن آخذ من كل حالِمٍ وحالِمَةٍ دينارا، وفي بعض الروايات عنه أنه قال: أمرني[10] أن آخذ من كل حالِمٍ ذكرا وأنثى دينارا.[11]

[قيل:] فإن كان هذا مُثْبَتا محفوظا فهو دليل لما يؤخذ من نصارى بني تَغْلِب،[12] ويكون حكمُ نساء العرب من أهل الكتاب فيما يؤخذ منهم خلافَ نساء[13] العجم منهم. أو أن يقال: إنه غير محفوظ، لما عمل[14] الأمة[15] بخلافه، لأن الوفاق قد جرى على أن لا جزية[16] على النساء،

---

[1] ع م: إلى أمير.

[2] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٦/٤٨٣، ٤٨٤. والمواسي جمع المُوسَى، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه كتب أن يقتلوا مَن جَرَت عليه المَوَاسِي، أي نبتت عانته، لأن المَوَاسِي إنما تجري على من أنبت، أراد مَن بلغ الحُلُم من الكفار (*لسان العرب* لابن منظور، «موس»).

[3] ك ن م: ان تضربوا؛ ع: اذ اضربوا.

[4] ع م: إلى أمير.

[5] جميع النسخ: لا يأخذوا؛ والتصحيح من مصدر الرواية.

[6] للروايتين انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٩/١٩٥، ١٩٨.

[7] ك: في خبر.

[8] ع: معاذ. وتقدم تخريجه قريبا.

[9] ع – الصبيان ودون.

[10] ع م – أمرني.

[11] *المصنف* لعبد الرزاق، ٦/٨٩، ١٠/٣٣٠. وانظر للتفصيل: *نصب الراية* للزيلعي، ٣/٤٤٥؛ و*الدراية* لابن حجر، ٢/١٣٣.

[12] ن ع: بني ثعلب. وقد صالح عمر رضي الله عنه نصارى بني تغلب على أن يؤدوا ضِعف مقدار الزكاة، وقال: هذه جزية، فسمُّوها ما شئتم، لأنهم قالوا: نحن عرب، وأنِفوا عن الجزية؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٢/٣٦٢. ولعله كان يؤخذ من نسائهم أيضا.

[13] م: لنساء.

[14] ن ع م: لما علم.

[15] ك: الأئمة.

[16] ع – على أن لا جزية.

ولو كان محفوظا لظهر العمل به.[١] أو أن يكون قوله: «خذ[٢] من كل حالم وحالمة[٣] دينارا»،[٤] أي خذ منهما[٥] دينارا، ولا تأخذ من كل واحد دينارا، كقوله: «لكل[٦] سهو سجدتان»،[٧] لا يلزمه أكثر من ذلك.

ثم تذكر[٨] مسألة ليس في الآية ذكرها، وهي أن الجزية إذا ضُرِبت فدخلت سنة أخرى قبل / أن يؤديها أُخِذت منه للسنة الثانية ولم تؤخذ للسنة الأولى الماضية، ليس كسائر الديون؛ [٣٠٣ظ] لأن مجوسيا لو أسلم بعد مُضِيّ السنة لم يُطالَب بجزية العام الماضي، فلو كانت كسائر الديون لَطُولِب بها المسلم كما يُطالَب بمال يكون عليه إذا أسلم أو بقي على مجوسيته، فلمّا لم يُطالَب دلّ أنها ليست كسائر الديون.[٩] فإن قيل: أليس الخراج يُطالَب به من أخّره من سنة إلى سنة؟ قيل: ليست الجزية مثل الخراج، لأن الخراج[١٠] يجب على المسلم في أرضه، فهو كسائر الديون. فإن قيل: إن المجوسي إذا أسلم بعد مُضِيّ السنة طُولِب بالجزية للسنة الماضية. قيل: روي عن عمر أنه رفع الجزية بالإسلام، فقال: والله إن في الإسلام لمَعَاذا،[١١] إن فعل يرفع عنه الجزية. وروي في بعض الأخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس على مسلم جزية»،[١٢] فمن طالبه بالجزية بعد الإسلام[١٣] فقد خالف الخبر. فإن قال: إنما يزول عن المسلم ما كان عليه من الجزية في حال كفره، لأنه صار إلى حال لا يجوز أن توضع عليه ابتداء.

---

[١] ن – به.
[٢] ع – خذ.
[٣] ع م – وحالمة.
[٤] ن: دينا.
[٥] م: عنهما.
[٦] ع – لكل.
[٧] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٢٨٠؛ و*سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ١٣٦؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ١٩٤–١٩٥. وانظر للتفصيل: *الدراية* لابن حجر، ١/٢٠٧.
[٨] ع م + من ذلك.
[٩] ع م – لأن مجوسيا لو أسلم بعد مضي السنة لم يطالب بجزية العام الماضي فلو كانت كسائر الديون لطولب بها المسلم كما يطالب بمال يكون عليه إذا أسلم أو بقي على مجوسيته فلما لم يطالب دل أنها ليست كسائر الديون.
[١٠] ع م – لأن الخراج.
[١١] ع: لمعاذ. وانظر: *المصنف* لعبد الرزاق، ٦/٩٤، ١٠/٣٣٦.
[١٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٢٣، ٢٨٥؛ و*سنن أبي داود*، الخراج ٣٢–٣٤؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ١١.
[١٣] ن – بعد الإسلام.

قيل: إن الذمي[1] إذا اجتمع عليه جزية سنتين فصار إلى حال لا يجوز أن يُلزَم[2] في الابتداء في مثلها أكثرُ من اثني عشر درهما لفقره لم يجز أن يُلزَم أكثر منها، لأنه جُعِل حكمُ مُستدبَرِ[3] الجزية التي وجبت فأسلم صاحبها حكمَ الابتداء في توظيف الجزية عليه، فوجب أن يُجعَل حكمُ مُستدبَرِ[4] مَن أتت عليه سنتان حكمَ ابتدائه. وأصله أن الجزية إنما جُعِلت لحَقْن الدم،[5] فإذا مضى سنة صار دمه محقونا في السنة الماضية، لذلك لم تؤخذ.

وقوله عز وجل: **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله**، إلى آخره، تضمّنت هذه الآية أحكاما. منها الأمر بقتال من لم يؤمن بالله واليوم الآخر، وهم[6] يقرّون بالأمرين، لكنه يخرج[7] على وجوه ثلاثة. أحدها أنهم[8] مشبِّهة،[9] ومن تشبيههم الله بخلقه احتمل قلوبهم[10] القولَ له[11] بالولد، إذ الذين[12] شَهدوا مِن الخلائق على ذلك وُجِدوا: يُولَد بعضٌ مِن بعض. وإذا كان[13] كذلك فهو غير مؤمن في الحقيقة بالله الذي هو الحق حتى يؤمنوا به،[14] وأنه[15] به يكون الآخرة[16] دون الذي ادَّعَوْه.

والثاني أن الذي جُبِل عليه الخَلْق هو تعظيم رسل الملوك وأجِلَّتِهم، حتى يوجد مِن برّ الرسل [ألفة] بين ملوكٍ قد ظهرت بينهم العداوة، فلما كذّبوا رسول الله مع البراهين التي قد أعجزت[17] الخلائق و[مع] شهادةِ كتبهم به وتَظاهُرِ مَن عرفوا أنهم مكذِّبون بكتبهم وبرسلهم على من صدّق بذلك

---

[1] ع: قيل الذمي.
[2] ك: أن تلزم.
[3] ك ع: مستدير. لعله يقصد بالمستدبَر ضد المستقبل، أي جزية السنة السابقة.
[4] ك ع: مستدير.
[5] ع: الذم.
[6] أي أهل الكتاب.
[7] ع: تخرج.
[8] ن – أنهم.
[9] ن ع: مشبة.
[10] ن – قلوبهم.
[11] ن: لقولهم له.
[12] ع: إذا الذين.
[13] ع: فإذا كان.
[14] أي حتى يكونوا مؤمنين به في الحقيقة.
[15] ك ن: وأن.
[16] ع: يكون في.
[17] ك: التي أعجزت.

ثبت أنهم في الحقيقة مكذِّبون[١] جميع الرسل والكتب وإن أظهروا[٢] الوفاق، وأن ذلك لا يكون إلا لتكذيب منهم بالله. فعلى ذلك إيمانهم بالله يكون بإيمانهم[٣] بالرسل. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد عبدِ قَيْسٍ أنه قال: «آمُرُ بأربع، آمُرُكم بالإيمان بالله»، ثم قال: «أتدرون ما الإيمان بالله؟[٤] أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله».[٥] فلذلك لم يكن إيمانهم بالله إيمانا حتى يؤمنوا برسول الله. وعلى هذا يحارَبون.

والثالث أن يكون نَفَى عنهم الإيمان بنفي منفعة الإيمان عنهم، إذ أقل المنفعة به الإيمان برسله والقبول عنهم بالتعظيم، فإذا ظهرت منه هذه المنفعة يترك[٦] القتال.

ثم الترك على قبول الجزية جائز وإن كان الأمر قد تقدّم بالقتل من غير أن يكون في ذلك[٧] دليل أنّا لأجل[٨] ذلك المال نقاتل؛ كما كُتِب على كل نفس الموت ثم قد يُترَكون على ما هم عليه من اختلاف الأديان وتفرُّق الأهواء وإن كان لا يدل ذلك على الأمر بما هم عليه والرضاء بما اختاروا، فمثله في الأول لا يدل على الرضا بكفرهم ولا على القتال لأخذ تلك الأموال عنهم.

ثم الأصل أن القتال لم يُجعَل ليكون القتل[٩] عقوبة للكفر،[١٠] إذ نوع القتل ومعناه قد يوجد في الأخيار والأشرار جميعا، وهو الموت، ثبت أنه لم يُجعَل لذلك، ولكن لوجهين. أن يضطرّهم على الإجابة[١١] إلى ما فيه نجاتُهم، وبه نَيْلُ كرامة الأبد، وكان ذلك بعد أن ألزمناهم[١٢] كل أنواع الحجج[١٣] فلم يُقنِعهم. قاتلناهم بما كان الذي يمنعهم عن النظر في الحجج حبُّ اللّذّات، وألذُّها الحياة.

---

[١] ن ع م: مكذبين.
[٢] ع: ظهروا.
[٣] ع – بالله يكون بإيمانهم.
[٤] ع – بالله.
[٥] والحديث طويل؛ انظر: *صحيح البخاري*، الإيمان ٤٠؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٤.
[٦] ك ن: تركوا؛ ع م: وتركوا.
[٧] ع م – في ذلك.
[٨] ن ع م: أما لأجل.
[٩] ع م – القتل.
[١٠] ع: لكفر.
[١١] ك: إلى الإجابة.
[١٢] ع: الرضا هم.
[١٣] ن ع: الحج.

قاتلنا حتى يَيْأَسوا[1] عن تلك اللذة المانعة عن النظر في الحجج والصادّة[2] عن الإجابة، [و]تزولَ[3] عنهم. وفي قبول الجزية قبولُ[4] بعضِ الذل والصَّغار الذي تنفر[5] عنه الطباع، ويدعو[6] إلى ما فيه الزوال؛ فينظروا في الحُجَج، ويقبلوا ما دُعُوا إليه، فيكون به نجاتهم، وزيادة لنا في الكرامة.

والثاني أن المِحَن كلها منقسمة على الحسنات والسيئات والخيرات والشرور، ولذلك[7] جُعِل [الامتحان] بالموت والحياة، وعلى ذلك جميع أمور الدنيا، هو التقلُّب على مختلف الأحوال. فمثله الدعاء إلى الإسلام يكون مرة بمحاجّة اليد[8] ومرة باللسان ومرة بالترك، لا أنْ جُعِل شيءٌ من ذلك لشيء، ولكن بما عليه أَمْرُ المِحَن لِيُتَذَكَّر به وجوه[9] الموعود بالآثار له في أحوال المِحَن. فعلى هذا أُمِر القتالُ في قومٍ، والعفوُ عن قومٍ، والدعاءُ إلى الإسلام في قومٍ، وإلى قبول[10] الذل في قومٍ، على ما في علم الله من المصلحة وعلى ما عليه حق الحكمة.

ثم الفرق بين مشركي العرب وغيرهم يخرج على وجوه. أحدها أنهم قد كانوا ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾،[11] فجاءهم فكذّبوه. ثم أقسموا ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾،[12] فجاءتهم آيات فلم يؤمنوا، فاستوجبوا القتال إلى أن يَفُوا بالعهد الذي سبق، والقَسَم الذي جَهَدوا به. وليس لغيرهم هذا. أو على قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾،[13] الآية، فبيّن الإياس عن إيمانهم إلا أن يشاء الله، فهو يخرج على وجهين. أحدهما الإياس عن إيمانهم، / وقبولُ الجزية ليخالطوا أهل شريعة الله، فيسمعوا [٣٠٤و] منهم الحجج ويُعايِنوا الأفعال المحمودة في العقول والأخلاقَ الكريمة التي جاء بها الرسول، فيؤمنوا.

---

[1] ك ع م: حتى يايسوا؛ ن: حتى يئسوا.
[2] ع: والصادمة.
[3] ن ع م: يزول.
[4] جميع النسخ: قيل؛ والكلمة في نسخة ك غير منقوطة.
[5] ن ع م: ينفر.
[6] ع: ويدعوا.
[7] ع: وكذلك.
[8] م: إليه.
[9] ك: وجود.
[10] ع م – الموعود بالآثار له في أحوال المحن فعلى هذا أمر القتال في قوم والعفو عن قوم والدعاء إلى الإسلام في قوم وإلى قبول.
[11] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[12] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.
[13] يقول الله تعالى: ﴿ونُقلِّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّلَ مرّة ونَذَرُهم في طغيانهم يَعْمَهون﴾ (سورة الأنعام، ١١٠/٦).

وهؤلاء قد أيأَس الله عن إيمانهم وأخبرهم أنهم ييأسون أبدا. فلذلك لم يُعطَ لهم عهد. وعلى ذلك ظهر نقضهم العقود مرة بعد مرة. **والله أعلم**.

والثاني أنه استثنى فيهم أن لا يؤمنوا[١] بالآيات إلا أن يشاء الله.[٢] فلعل الله شاء أن يكون إيمانهم بالقتال خاصة، ففرض فيهم ذلك إلى أن يؤمنوا.

ووجهٌ آخر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعِث[٣] فيهم ومنهم،[٤] فأوجبت لهم الفضيلة به أن لا يُقبَل منهم غيرُ الإيمان، كما فُضِّلت البُقعة التي فيها بُعِث رسول الله، ومنها أن لا يُترَك فيها غيرُ المؤمن تفضيلا.

ووجهٌ آخر، أنهم قوم ليس لهم[٥] أُسّ ولا أئمة في الدين إليهم يَرجعون في التأسيس. ومعلوم أنْ لا قِوام[٦] في العقول لأمر الدين إلا بالأئمة كالسياسات كلها والأمور [التي] فيها[٧] القِوام من الملك وغيره.[٨] بل إنما كانوا جَرَوْا على عادة، وقاتَلوا[٩] عن القبائل، فلا يرجعون في الحقيقة إلا إلى عادة خارجة عن التدبير. وغيرُهم يرجعون إلى مذاهب أُسِّست مما أُسِّس أمرُ الديانات، فقد تعلّقوا بضَرْبٍ مِن ذلك، فتُرِكوا إذا خضعوا -لا [إذا] رفعوا- وأذعنوا لهم بحق التَّبَع، فيُترَكون رجاءَ أن يتأملوا، إذ لكل مذهبٍ نَظَر. وليس لأولئك سوى[١٠] العادة وتقليد الآباء، ومَن ذلك وَصْفُه لا يَنظر فيُمْهَلَ للنظر. **والله أعلم**.

وأيضا إن لسائر المذاهب أصول يَتكثَّر[١١] [بسببها] أهلُها، وفي الإقامة على القتال إلى الفناء يَنضمُّ[١٢] بعضٌ إلى بعض فيتناصرون،[١٣] فيُخاف على المسلمين -بما به رجاء التكثُّر- الفناءُ.

---

[١] ع: لا يؤمنون.

[٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١١).

[٣] ك ن: بعث هو؛ ع م: هو بعث.

[٤] ع: ومنها.

[٥] م - لهم.

[٦] قِوَام العيش: عِماده الذي يقوم به، وقِوَام كل شيء: ما استقام به (*لسان العرب* لابن منظور، «قوم»).

[٧] ك: فيما.

[٨] ن - وغيره.

[٩] ع م: على عادتهم وقاتلوهم.

[١٠] ع م: سواء.

[١١] ع: يتكسر.

[١٢] ع م: يتضمن.

[١٣] ك: فيتناصرون؛ ن ع م: فيناصرون.

والعرب يَقِلّ عددهم حتى لم يكونوا يقدرون على المُناوَأة إلّا بمعونة أهل الكتاب وغيرهم، فأمكن أن يُضطرّوا به إلى القتل.

مع ما ليست لهم مذاهب معلومة، إذ لا يُذكَر في شيء من الكتب لهم مذاهب، وقد ذُكِر لجميع الفِرَق،[1] فإنما أمرهم على العادة، وقد تُترَك[2] العادات بما يعترض[3] فيها ما يمنع الاستمرار عليها من القتال والحرب، فيتركونها. وأهل المذاهب عندهم أنهم لَزِموا [مذهبهم] بالحجج، ومثل ذلك لا يُترَك إلا بالحجج، وذلك يكون بقبول الذمة والعهد.

وأيضا إنه يمكن إلزام[4] كل ذي مذهب بما يوجد في مذهبه ما يُثبِت القول بالإسلام، وبالعهد رجاءُ الوصول[5] إليه. وليس لمشركي العرب ذلك، لِما لم يُبْنَ مذهبُهم على الحُجَج أو الشُّبه،[6] إنما هو تقليد وعادة. *والله أعلم*.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وقالت اليهود عُزَير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله**، وقال في آية أخرى: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا،[7] أخبر أن السماوات تكاد أن تنفطر[8] وتنشق الأرض وتخرّ الجبال لعظم[9] ما قالوا في الله سبحانه من البهتان[10] والفرية عليه أن له ولدا. ثم بيّن الذي ذكر ذلك، فقال: **وقالت اليهود عُزَير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله**، فذكر الآية، وأخبر -والله أعلم- أنهم قالوا في الله ما قالوا[11] لوجوه. أحدها فيه[12] دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم،

---

[1] جميع النسخ: بجميع الفريق. والمعنى أي ذُكِر لكل فريق من الناس مذهب يذهبون إليه...
[2] ن: يترك؛ ع م: ينزل.
[3] ع م: بما لا يعترض.
[4] ع م: ألزم.
[5] ك: الموصول.
[6] ن ع م: أو السنة. والشبه: جمع شبهة. ويستعمل لفظ الشبهة بمعنى دليل الخصم، أي كأنه دليل في زعمه وحجة.
[7] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.
[8] م: أن ينفطر.
[9] ع م: لعظيم.
[10] ن: عن البهتان.
[11] ع - في الله ما قالوا.
[12] ن: فيها؛ م - فيه.

لأن هؤلاء المتأخرين لم يقولوا هذا، ولكن إنما قال ذلك أوائلهم، لكن كتموا ذلك، فأخبر رسول الله أن أوائلهم قالوا ذلك، وهم كانوا يكتمون عن رسول الله ذلك، ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالله.

والثاني يخبر رسولَه سفة أوائلِهم ويُصبّره على سفه هؤلاء ليصبر على سفههم وأذاهم.

والثالث يخبر أنهم مشبّهة، لأنهم نسبوا المخلوق إليه، وقالوا: إن فلانا ابنه، لما رأوا منه أشياء، فلولا أنهم عرفوا الله بمثل معرفتهم المخلوق وإلاّ ما قالوا ذلك ولا اعتقدوا ما اعتقدوا[١] من التشبيه وغير ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذلك قولهم بأفواههم**، أي ذلك قول قالوه[٢] بلا حجة ولا برهان كانت لهم في ذلك. أو قالوا ذلك **بأفواههم**، على غير شُبَه[٣] اعترضت لهم تحملهم على ذلك.

وقوله عز وجل: **يُضاهِئون قول الذين كفروا من قبل**، يحتمل هذا أنْ قد كان قبل[٤] هؤلاء من قد قال مثل قول هؤلاء. أو **يُضاهِئون قول الذين كفروا من قبل**، من الشرك والكفر وغير ذلك من الكذب والافتراء على الله، كقوله: تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ،[٥] بالكفر. وكقوله:[٦] كَذٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى،[٧] ليس أنْ يحي الموتى كلهم إحياءً كما أحيا ذلك القتيل بضرب بعضٍ من البقرة، ولكن يحييهم إحياء. فعلى[٨] ذلك قوله: **يُضاهِئون قول الذين كفروا من قبل**، في الكفر نفسه. ويحتمل: ضَاهَأَ قولُ النصارى قولَ اليهود، والمُضاهأة[٩] المشابهة والإشباه. وقوله: **يُضاهِئون قول الذين كفروا من قبل**، أي يشبه[١٠] النصارى بقولهم لعيسى: إنه ابن الله،

---

[١] ع م – ما اعتقدوا.

[٢] ع: قالوا.

[٣] أي دلائل عند ظنهم وإن كانت فاسدة في الحقيقة.

[٤] ع: قيل.

[٥] يقول الله تعالى: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يُكلِّمُنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين مِن قبلهم مِثلَ قولهم تَشَابهت قلوبُهم﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٨).

[٦] ع م – أو يضاهئون قول الذين كفروا من قبل من الشرك والكفر وغير ذلك من الكذب والافتراء على الله كقوله تشابهت قلوبهم بالكفر وكقوله.

[٧] يقول الله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسا فادّارَأتم فيها والله مُخرِجٌ ما كنتم تكتمون. فقُلنا اضربوه ببعضها كذلك يُحْيِي الله الموتى ويُريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٢-٧٣).

[٨] م – فعلى.

[٩] ن: والمضاهات.

[١٠] جميع النسخ: أن يشبه.

قولَ اليهود من قبل: عُزَير ابن[1] الله، فضَاهَأَت[2] النصارى في عيسى اليهود[3] قبلهم في عُزَير.

وقوله عز وجل: **قاتَلهم الله أنَّ يُؤفَكون**، هذه الكلمة كلمةُ اللعن تُستعمَل عند مناكير القول والفعل من غير حصول المنفعة. وقوله: **أنَّ يُؤفَكون**، يحتمل: مِن أين **يُؤفَكون**،[4] ويفترون على الله على غير شبهة اعترضت لهم. ويحتمل **أنَّ يُؤفَكون**، أي كيف **يُؤفَكون**،[5] بلا منفعة تحصل لهم.

﴿اِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهًا وَاحِدًا لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **اتَّخذوا أحبارهم ورُهبانَهم أربابا**، قيل: الأحبار[6] هم العلماء، والرُّهبان العُبَّاد. وقيل: / الأحبار هم أصحاب الصوامع من اليهود، والرُّهبان من النصارى. وقوله: [٣٠٤ظ] **اتّخذوا أحبارهم ورُهبانَهم أربابا من دون الله**، يحتمل أن يكون هذا في السفهاء والأتباع، [وقوله]: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ،[7] في العلماء منهم والرؤساء، فاتّخذ الأتباع أولئك أربابا يتبعونهم في جميع ما يدعونهم إليه، ويَأْتَمِرُونهم[8] في جميع أوامرهم ونواهيهم. لا أنهم عبدوهم، ولكن ذكر **أربابا**، لما ذكرنا من اتباعهم وانتظارهم إياهم فيما هم يدعونهم إليه ويأمرونهم. كقوله: [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ] يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ،[9] وقول إبراهيم لأبيه: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[10] ولا أحد يَقصِد قَصْدَ[11] عبادةِ الشيطان وطاعته، ولكن[12] نسب العبادة إليه لما يجيبونه في كل ما يدعوهم إليه ويأمرهم به، فعلى ذلك هذا.

---

[1] ع – ابن.
[2] م: فمضاهاة.
[3] م: اليهو.
[4] ع – من أين يؤفكون.
[5] ن + أي كيف يؤفكون.
[6] ن + العلماء.
[7] الآية السابقة.
[8] يأتمرونهم أي يُشاوِرونهم (*لسان العرب* لابن منظور، «أمر»). وإن كان المقصود "يطيعونهم" فينبغي أن يقال: ويأتمرون بأمرهم.
[9] سورة يس، ٣٦/٦٠.
[10] سورة مريم، ١٩/٤٤.
[11] ك – قصد.
[12] ن: لكن.

ويحتمل ما روي في الخبر -إن ثبت- أنهم لم يعبدوهم،[١] ولكنهم أحلّوا لهم أشياء حرّمها [الله] عليهم فاستحلّوها، أو حرّموا لهم أشياء أحلّ الله ذلك[٢] لهم، فحرّموا ذلك، فقيل: اتّخذوهم **أربابا**. *والله أعلم*. يخرج هذا في الأحبار والرُّهبان على التمثيل، أي اتخذوا[٣] في الطاعة لهم والاتباع لأمرهم، لأنهم[٤] اتّخذوهم **أربابا** لا على التحقيق. وهو[٥] ما ذكر[٦] من عبادتهم الشيطان،[٧] لا أحد يَقصِد قَصْدَ عبادةِ الشيطان، لكن صاروا بالطاعة للشيطان والاتباع لأمره كأنهم عبدوه. وأما في المسيح فهو على التحقيق، لأنهم قالوا: إنه إله،[٨] وقالوا: ابن الإله[٩] إله،[١٠] فهو يخرج[١١] في المسيح على التحقيق، وفي الأحبار والرهبان على التمثيل.

وقوله عز وجل: **وما أُمِروا إلّا ليعبدوا إلها واحدا**، يحتمل إلّا ليُوَحِّدوا **إلها واحدا**، الذي، **لا إله إلا هو**. ويحتمل أي ما أُمِروا أن يعبدوا آلهة على ما يعبدون من الأصنام والأوثان، ولكن[١٢] أُمروا أن يعبدوا[١٣] إلها واحدا.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم**، قيل: **نور الله**، ذكر الله وتوحيده.

---

[١] عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلّوه وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه»، قال أبو عيسى [الترمذي]: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغُطَيف بن أَعْيَن ليس بمعروف في الحديث (*سنن الترمذي*، التفسير ٩؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/١١٤). وروي موقوفا على حذيفة وابن عباس رضي الله عنهما؛ انظر: *سنن سعيد بن منصور*، ٥/٢٤٥؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ١٠/١١٦؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/١١٤-١١٥.

[٢] ن – ذلك.

[٣] م: أي اتخذونها.

[٤] جميع النسخ: كأنهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٦ظ.

[٥] ع – وهو.

[٦] ع: وما ذكر.

[٧] م – الشيطان.

[٨] ع + وقالوا إنه إله.

[٩] ن ع م – الإله.

[١٠] ع: له.

[١١] ع: المخرج.

[١٢] ن: لكن.

[١٣] ن – أن يعبدوا، صح هـ.

وقيل: **نور الله**، القرآن؛ وقيل: **نور الله**، دينه، وهو الإسلام. فإن[1] كان النور هو الذكر والتوحيد **فهو** -والله أعلم- أنهم[2] لم يكونوا[3] يعرفون ذكر الله ولا يذكرونه، إنما كانوا يعرفون ذكر الأصنام وإياها يذكرون،[4] وبحق القرابة والرحم يتناصرون فيما[5] بينهم. فلما أنْ بعث الله رسوله محمدا بذكر[6] **الله** وتوحيده وأمر بالتناصر بحق الدين أرادوا أن يطفئوا ذلك النور.[7] ومن قال: أراد بنور الله القرآن،[8] [فقد][9] أرادوا إطفاءه كقوله:[10] مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[11] و إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[12] و لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ،[13] ونحوه، أرادوا إطفاءه بنحو[14] ما ذكرنا،[15] [وقولهم:] **مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى**،[16] وقولهم: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[17] الآية. ومن قال: **نور الله**، هو الدين، فهو[18] كقوله: **أَفَمَنْ** شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ،[19] وقال:[20] اَللّٰهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ.[21]

---

[1] ع: وإن.

[2] ك - أنهم.

[3] ع: أنهم يكونوا؛ م: أنهم ليكونوا.

[4] جميع النسخ: يذكرونها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.

[5] ن ع م: فيها.

[6] ع: يذكرون.

[7] ن: نور الله.

[8] ن - القرآن.

[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٦ظ.

[10] ك ن: كقولهم.

[11] يقول الله تعالى: ﴿والذي قال لوالديه أفٍّ لكما أتَعِدانِني أن أُخرَج وقد خلَتِ القرونُ مِن قَبلي وهما يستغيثان الله وَيلَكَ آمِنْ إنّ وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ سورة الأحقاف، ١٧/٤٦. وورد وصفهم للقرآن بأنه "أساطير الأولين" في آيات أخرى كثيرة، انظر: سورة الأنفال، ٣١/٨؛ وسورة النحل، ٢٤/١٦؛ وسورة الفرقان، ٥/٢٥؛ وسورة القلم، ١٥/٦٨؛ وسورة المطففين، ١٣/٨٣.

[12] سورة سبأ، ٤٣/٣٤؛ وسورة الصافات، ١٥/٣٧.

[13] سورة فصلت، ٢٦/٤١.

[14] ع: وبنحو.

[15] ن: ما ذكروا.

[16] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.

[17] سورة النحل، ١٠٣/١٦.

[18] ع م - فهو.

[19] سورة الزمر، ٢٢/٣٩.

[20] ع م: فقال.

[21] يقول الله تعالى: ﴿ اَللّٰهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصباحٌ المِصباحُ في زُجاجةٍ الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتُها يضيء ولو لم تَمْسَسْه نارٌ نورٌ على نورٍ يهدي الله لِنُورِه مَن يشاء ويَضرب اللهُ الأمثالَ للناس والله بكل شيء عليم﴾ (سورة النور، ٣٥/٢٤).

وفي حرف[١] أُبَيّ: مَثَلُ نور المؤمن؛[٢] أرادوا إطفاء هذا النور[٣] لِتَسْلَمَ[٤] لهم المنافع التي كانت لهم.

وقوله: **يريدون أن يطفئوا**، يحتمل وجهين. **يريدون**، أي يجتهدون أن يطفئوه،[٥] فما يقدرون على إطفائه. ويحتمل **يريدون**، أي يحتالون أن يطفئوه[٦] بأسباب يتكلّفون ويحتالون.

وقوله عز وجل: **ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره**، بالحجج والبراهين، أو بالنشر والإظهار. وقد أتمه، كقوله: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.[٧]

وقوله عز وجل: **ولو كره الكافرون**، وقد كره الكافرون.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**، يحتمل قوله: **بالهدى**، هُدًى يهديهم إلى ما به يكون جميع المحاسن والخيرات محاسنَ وخيراتٍ، لأن المحاسن والخيرات[٨] إنما تقوم[٩] بالإيمان، وبه يُنتفَع بها، بعثه لذلك.[١٠] ويحتمل قوله: **بالهدى**،[١١] القرآن، يهديهم ويبيّن لهم المحاسن من المساوئ والحسنات من السيئات،[١٢] وهو هدى يهديهم إلى ذلك.[١٣]

وقوله عز وجل: **ودينِ الحق**، وهو دين الحق،[١٤] أي الإيمانُ الذي يُصيّر المحاسن محاسن والخيرات خيرات هو **دين الحق**. ويحتمل قوله: **ودين الحق**، أي أرسله بالهدى وبدين الحق.

---

[١] م: في حرف.

[٢] جميع النسخ + ومثله. وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه في ذلك قراءات أخرى: "كذلك مثل المؤمن"، أو "مثل نور من آمن به"؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١٣٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦/١٩٦، ١٩٧. ولعل ذلك تفسير وليس بقراءة.

[٣] ن: نور الله.

[٤] ن ع م: ليسلم.

[٥] ع: أن يطفئوا.

[٦] ع: أن يطفئوا.

[٧] يقول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا﴾ (سورة المائدة، ٥/٣).

[٨] ع – لأن المحاسن والخيرات.

[٩] ن م: إنما يقوم؛ ع: وإنما يقوم.

[١٠] ع: كذلك.

[١١] جميع النسخ + وهو.

[١٢] ع م: والسيئات.

[١٣] ع – ذلك.

[١٤] م – وهو دين الحق.

ويحتمل قوله: **ودين الحق،**[1] أي دين الله، كقوله: وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.[2]

وقوله عز وجل: **لِيُظهره على الدين كله،** يحتمل وجوها. يحتمل[3] لِيُظهر **رسوله على** أهل **الدين كله،** بالحجج والآيات. فقد أظهره بحمد الله على الأديان كلها بالحجج والبراهين، حتى لم يتعرّض أحد [لإثارة] الشُّبَه[4] [في] ذلك فضلا أن يتعرّض لإبطاله.[5] ويحتمل **لِيُظهره على** أهل[6] **الدين كله،** بالقهر والغلبة والإذلال. فقد كان حتى خضعوا له كلهم وذلّوا، حتى لم يَبْقَ في جزيرة العرب مشركٌ ولا كافر إلا خضع له، وصار أهل الكتاب ذليلين صاغرين في أيدي المسلمين. فإن[7] كان المراد من قوله: **ليظهره على الدين كله،** [ظهورَ دينه على غيره بالحجج والبراهين] فهو [ظاهر] بالحجج[8] والبراهين كلها، وإن كان أراد به الدين أن **يُظهره**[9] على الأديان كلها [من حيث القهر والغلبة][10] فبَعدُ لم يكن، ويكون إن شاء الله هو الظاهر على الأديان كلها يوم القيامة.[11]

وقوله عز وجل: **على الدين كله،** ولم يقل: على الأديان كلها، فالدين يتناول الأديان كلها، كقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،[12] يدخل فيه كل إنسان. وجائز أن يكون [سمّى ذلك دينا لأنه وإن كان][13] أديانا مختلفة فهو واحد، لأن الكفر كله ملة واحدة، وهو دين الشيطان، فسماه بذلك.

---

[1] ن – وهو دين الحق أي الإيمان الذي يصير المحاسن محاسن والخيرات خيرات هو دين الحق ويحتمل قوله ودين الحق أي أرسله بالهدى وبدين الحق ويحتمل قوله ودين الحق؛ ع م – أي أرسله بالهدى وبدين الحق ويحتمل قوله ودين الحق.

[2] سورة النور، ٢٤/٢٥.

[3] ك – يحتمل؛ ع: ويحتمل.

[4] جميع النسخ: أحد في شبه.

[5] جميع النسخ: في إبطاله.

[6] ك: ليظهر أهل.

[7] ك ن م: وإن.

[8] ع: وبالحجج.

[9] ع: ليظهره.

[10] الزيادات الثلاثة من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٧و.

[11] انظر تفسير الآية ٤٨/٢٨ من سورة الفتح، وتفسير الآية ٦١/٩ من سورة الصف. فعبارات المؤلف رحمه الله في ذَينك الموضعين أتم مما هنا.

[12] سورة الانفطار، ٨٢/٦؛ وسورة الانشقاق، ٨٤/٦.

[13] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٧و.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣٤]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرُّهبان**، أما **الأحبار والرهبان**، قد ذكرنا.[١]

وقوله عز وجل: **لَيأكلون أموال الناس بالباطل**، لأنهم كانوا يأكلون أموالهم بما يحرّفون[٢] كتاب الله ويبدّلونه، كقوله: / يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ،[٣] وقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ [٣٠٥و] أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ،[٤] الآية. فهم إنما حرّفوا ذلك وبدّلوه لِتَسلَم[٥] لهم تلك الأموال، فذلك أكل بباطل، لأنهم خافوا ذهاب تلك المنافع والأموال إذا أسلموا. فيجوز أن يكون إنما سماهم أربابا في الآية الأولى[٦] لما أنهم جعلوا أموالهم أموالا[٧] لأنفسهم وأنفسهم عبيدا لهم، فهم كالأرباب لهم.

وقوله عز وجل: **والذين**[٨] **يَكنِزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله**، يحتمل أن يكون هذا صلة ما قال: **لَيأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله**، أي أخذوا أموالهم لِصدّ الناس عن سبيل الله وكَنَزوها و لم ينفقوها[٩] في سبيل الله، إنما أنفقوها لِصدّ الناس عن سبيله. ومن الناس من حمل الآية على منع[١٠] الزكاة، روي في الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أن «كل مال أُدِّيَ الزكاة عنه فهو ليس بكنز وإن كانت تحت[١١] سبع أَرَضِين، وكل مال لم يُؤَدَّ[١٢] الزكاة [عنه]

[١] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ٩/٣١.
[٢] ك: بما يحرفونه.
[٣] سورة النساء، ٤/٤٦؛ وسورة المائدة، ٥/١٣.
[٤] سورة آل عمران، ٣/٧٨.
[٥] جميع النسخ: ليسلم.
[٦] أي في سورة التوبة، ٩/٣١.
[٧] ن: أموا.
[٨] ك – أنهم جعلوا أموالهم أموالا لأنفسهم وأنفسهم عبيدا لهم فهم كالأرباب لهم وقوله عز وجل والذين، صح هـ.
[٩] ك: و لم ينفقونها.
[١٠] جميع النسخ: في منع.
[١١] ع – تحت.
[١٢] ك: لم تود.

فهو كنز وإن كان على وجه الأرض».[1] ومن أصحابنا من استدل بلزوم ضمّ الفضة والذهب بعضه إلى بعض في الزكاة بهذه الآية، لأنه ذكر كنز الذهب والفضة[2] جميعا، وألحق الوعيد بترك الإنفاق من الفضة بقوله: **ولا ينفقونها في سبيل الله**، فلولا أن الضمّ واجب ويكون[3] المؤدي عن أحدهما مؤديا[4] عن الآخر[5] وإلاّ[6] لم يكن لذلك[7] معنى. ثم في مُتعارَف الناس أنهم يؤدّون من الفضة عن الذهب، لأن الذهب أعزّ عندهم والفضة دونه. ثم إن كانت الآية في الكفرة فهو[8] في القبول، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ **فَخَلُّوا** سَبِيلَهُمْ،[9] وقوله: الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ،[10] وذلك على القبول لا في الأداء نفسه.

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **يوم يُحمَى عليها في نار جهنم فتُكوَى بها جِباهُهم وجُنُوبهم وظهورهم**، الآية، جعل الله تعذيب الكفرة في الآخرة بالأسباب التي منعتهم[11] عن طاعة الله ودعتهم إلى مخالفة أمره، ويجمع بينهما في النار، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ،[12] وقوله: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ] يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ،[13]

---

[1] أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٧٧/٤. وروي مختصرا أن ما أدي زكاته فليس بكنز؛ انظر: سنن *أبي داود*، الزكاة ٤. والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة؛ انظر: *الموطأ* لمالك، الزكاة ٢١؛ وصحيح *البخاري*، التفسير ٧/٩؛ *وتفسير الطبري*، ١١٨/١٠-١١٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٧٧/٤-١٧٩.

[2] م: ووالفضة.

[3] م: أو يكون.

[4] ك ن م: مودي.

[5] ع: مودي الآخر.

[6] ك: وإنما.

[7] ع م: كذلك.

[8] ك: فهي.

[9] سورة التوبة، ٥/٩.

[10] سورة فصلت، ٧/٤١.

[11] ع م: منعهم.

[12] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.

[13] سورة الزخرف، ٣٨/٤٣.

وقوله:[١] أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[٢] ونحو ذلك. فعلى ذلك ما كنزوا **يُحمَى عليها... فتُكوَى بها جِباههم وجُنُوبهم وظهورهم،** يعذبهم[٣] بها لما منعتهم تلك الأموال عن طاعته[٤] ودعتهم إلى صدّ الناس عن سبيل الله، يجعل عذابهم في الآخرة بها.[٥] ويحتمل قوله: **جِباههم،** كناية عن التقديم إلى الآخرة، أي لم يقدّموها ولم ينفقوها في سبيل الله، وقوله: **وجُنُوبهم،** لما أخذوها مما يحلّ ومما لا يحلّ من كل جهة، وقوله: **وظهورهم،** لما أنفقوها في الصدّ عن سبيل الله. ويحتمل ذكر هذا [كناية عن][٦] إحاطة العذاب بهم من كل الجهات، كقوله: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ،[٧] وقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[٨] أي يحيط العذاب بهم، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*. وكقوله: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[٩] أي يحيط بهم حتى لا يقدروا على رفعه عن وجوههم.

وقوله: **يوم يُحمَى عليها في نار جهنم،** الآية. وروي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من[١٠] صاحب ذهب ولا فضة[١١] لا يؤدّي حقها إلا جُعلت له يوم القيامة صفائح، ثم أُحمي عليها في نار جهنم، يُكوَى[١٢] بها جنبُه وجبهتُه وظهرُه، [كلّما بَرَدَتْ أُعيدت له][١٣] في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضَى بين الناس، فيرى سبيله إمّا إلى الجنة، وإما إلى النار، وما من صاحب بقر ولا غنم لا يؤدّي حقها إلا أُتي بها يوم القيامة تطؤه بأظلافها وتنطحه[١٤] بقرونها»، ثم ذكر فيه ما ذكر في الأول. قالوا: يا رسول[١٥] الله، فصاحب الخيل؟

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الصافات، ٢٢/٣٧.
[٣] ع: يعذب.
[٤] ك: من طاعته.
[٥] ن – بها.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٧و.
[٧] سورة الأعراف، ٤١/٧.
[٨] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[٩] سورة الزمر، ٢٤/٣٩.
[١٠] ع: قال من.
[١١] ك: وفضة.
[١٢] ع: تكوى.
[١٣] من مصادر الرواية.
[١٤] ع م: وتنطحها.
[١٥] ك: يرسول.

قال: «هي لثلاث:[1] لرجلٍ أجْرٌ،[2] ولرجلٍ سِتْرٌ، ولرجلٍ وِزْرٌ. فأما من ربطها عُدّةً في سبيل الله فإنه لو أنه طَوّل لها في مَرْجٍ[3] خصب أو في روضة كتب الله له عدد ما أكلتْ حسناتٍ وعدد أرواثها حسناتٍ، ولو انقطع طِوَلُها[4] ذلك فاسْتَنّتْ[5] شَرَفا أو شَرَفين[6] كتب الله له عدد آثارها حسناتٍ، ولو مرت بنهر عَجّاج[7] لا يريد السَّقْي به فشربتْ كتب الله له عدد ما شربتْ حسناتٍ،[8] ومن ارتبطها فَخْرا وعِزّا على المسلمين كان له وزرا إلى يوم القيامة، ومن ارتبطها تغنِيا وتعفُّفا ثم لم ينس حقّ الله في رقابها وظهورها كانت له سترا من النار يوم القيامة».[9] فإن ثبت هذا الخبر عن رسول الله ففيه دلالة وجوب الزكاة في الخيل، وهو حجة لأبي حنيفة، لأنه قال: «ثم لم ينس حق الله في رقابها»، والحق الذي في رقابها هو الزكاة، والذي في ظهورها هو الجهاد عليها. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **إنّ عِدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله**، من الناس من يقول: إن الشهور كانت التبست عليهم واختلطت لكثرة ما كانوا يؤخرونها ويقدّمونها، حتى لم يكونوا[10] يعرفون الشهور بعينها، كل شهر على حدة. فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم / بمكة [٣٠٥ظ] بالموسم، فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته[11] يوم خلق الله[12] السماوات والأرض،

---

[1] ك: لثلث.

[2] ع: أحر.

[3] المَرْج: الفَضاء، وقيل: المَرْج أرض ذات كلإ ترعى فيها الدواب، وقيل: أرض واسعة فيها نبت كثير تَمْرُج فيها الدواب، والجمع مُرُوج (*لسان العرب* لابن منظور، «مرج»).

[4] ن – طولها، صح هـ. الطِّوَل: الحبل الذي يُطَوَّل للدابة فترعى فيه (*لسان العرب* لابن منظور، «طول»).

[5] ع: فاسنت.

[6] «وفي حديث الخيل: "استنت شَرَفا أو شَرَفين"، استنّ الفرس يستنّ استِنانا، أي عَدَا لِمَرَحه ونشاطه شوطا أو شوطين ولا راكب عليه» (*لسان العرب* لابن منظور، «سنّ»).

[7] نهر عَجّاج: تسمع لمائه عَجِيجا أي صوتا، وقيل: كثير الماء، وفي حديث الخيل: "إن مرت بنهر عَجّاج فشربت منه كتبت له حسنات"، أي كثير الماء كأنه يَعِجّ من كثرته وصوت تدفّقه (*لسان العرب* لابن منظور، «عجّ»).

[8] ن – حسنات.

[9] صحيح *البخاري*، الزكاة ٣، والشرب ١٢؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ٢٤.

[10] ع: لا يكونوا.

[11] ن م: كهيئة.

[12] ع م – الله.

السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم،[١] ورجب[٢] الذي[٣] بين جُمادَى وشعبان».[٤] ثم قال لهم: «أيُّ[٥] بلد هو، وأي شهر هو، وأي يوم هو؟»[٦] قالوا: «بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرامٌ»، فقال:[٧] «ألا هل بلّغتُ؟»، قالوا: بلى، فقال: «اللهم اشهد».[٨] وفي بعض الأخبار زيادة: فقال: «[ألَا] وإنّ النسيء[٩] زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا،[١٠] الآية».[١١] وقالوا: وذلك أنهم كانوا يجعلون صفر عاما حراما وعاما حلالا، ويجعلون[١٢] المحرّم عاما حراما وعاما حلالا، فكان النسيء من الشيطان. وصف رسول الله في هذه الأحاديث الأشهر الحُرُم وبيّنها فدل ذلك على أن النبي[١٣] كان يحرّم القتال فيها على ما كان أهل الجاهلية يحرّمونه، وزاد ذلك بيانا بِعَيب[١٤] أصحاب النسيء، إذ كانوا يستحلّون القتال في المحرّم ويؤخرونه إلى صفر، فيحرّمون صفر مكان المحرّم، فعاب الله عليهم تحليل ما حرّم من الشهر، وجعله زيادة في الكفر. وقال: يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ،[١٥] أي عِدّة الأشهر الأربعة التي حرّمها الله، وقال: فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ.[١٦] ومنهم من قال: إن الله جعل عِدّة الشهور اثني عشر شهرا بالأهلّة على ما عرفته العرب، لما وُفِّقوا[١٧] إلى معرفة[١٨] ذلك ولم يُوَفَّق غيرُهم،

---

[١] ع: ذي القعدة وذي الحجة ومحرم.
[٢] ن: رجب.
[٣] ك + هو.
[٤] ن + وشعبان.
[٥] ن: هو.
[٦] ن – هو.
[٧] ع م: وقال.
[٨] روي نحوه عن أبي بكرة رضي الله عنه؛ انظر: *صحيح البخاري*، المغازي ٧٧؛ و*صحيح مسلم*، القسامة ٢٩.
[٩] ع: إنما النسيء.
[١٠] الآية التالية.
[١١] أخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٣/٤؛ وأخرج نحوه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عمر؛ انظر: نفس المصدر، ١٨٨/٤.
[١٢] ع: يجعلون.
[١٣] ع م: أن النسيء.
[١٤] ك: لعيب.
[١٥] الآية التالية.
[١٦] الآية التالية.
[١٧] ك: لما وقفوا.
[١٨] جميع النسخ: على معرفة.

وإنما يعدّون السنة بالأيام، والعرب تعرفها بالأهلّة على ما خلقها[1] الله **يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حُرُم.**

[٣٠٥ظ س١٩ *وقوله عز وجل: **في كتاب الله**، يحتمل **كتاب الله**، اللوح[2] المحفوظ على ما[3] قيل. ويحتمل **في كتاب الله**،[4] أي في حكم الله ذلك. وقوله: **عند الله**، يحتمل ما ذكرنا من اللوح المحفوظ، أنّ ذلك عند الله لم يَطّلِع عليه غيره. ويحتمل **عند الله**، أي[5] في علمه على ما عرفته العرب. *والله أعلم*.* ٣٠٥ظ س٢١]

[٣٠٥ظ س١٧ *وقوله: **ذلك الدين القيّم**، قيل: ذلك الحساب حساب الأشهر قيّم، أي صحيح مستقيم على ما خلقه الله. وقيل: ذلك الحِساب هو القضاء العدل.* ٣٠٥ظ س١٩]

فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم، قال بعضهم: في الأشهر كلها، لِما جعل هذه الأشهر شهودا عليهم تشهد[6] بما يعملون فيها من المعاصي والخيرات، وبها تنقضي آجالهم. يخبر[7] أنْ لا تظلموا[8] في هذه الأشهر التي تأتي[9] لكم[10] بكل خير وبكل نعمة، فإنها تنصرف بما تعملون فيها من الخير والشر. وقال بعضهم: قوله: **فلا تظلموا فيهن أنفسكم**، أي في الأربعة الحُرُم.[11] خصّ الأربعة وإن كان الظلم في الأشهر كلها لا يحلّ[12] على ما خصّ مكة بترك الظلم فيه[13] وإن كان الظلم حراما في الأماكن كلها، كقوله: سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ،[14] الآية. أي لا تقاتلوا فيها، إذ كلُّ ظُلْم.

---

[1] ع م + خلقها.
[2] ع: في اللوح.
[3] ع – على ما.
[4] ع – في كتاب الله.
[5] ك – أي.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٥ظ/سطر ١٩-٢١.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٥ظ/سطر ١٧-١٩.
[6] جميع النسخ: يشهدون.
[7] ن ع: بخير.
[8] ع م: لا تظلمون.
[9] ع: يأتي.
[10] ن ع م: بكم.
[11] ن ع: الحرم.
[12] ع: كله ألا يحمل؛ م: كله لا يحمل.
[13] ع م – فيه.
[14] يقول الله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويَصُدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ ومَن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذِقْه من عذاب أليم﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢٥).

وقوله عز وجل: **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**، يحتمل قوله: **كافة**، أي مجتمعين،[1] أي قاتلوهم مجتمعين على ما يقاتلونكم هم مجتمعين.[2] ويحتمل **كافة**، أي جماعة. ويحتمل **كافة**، إلى الأبد، إلى يوم القيامة، أي قاتلوهم إلى الوقت الذي يقاتلونكم كما يقاتلونكم. **واعلموا أن الله مع المتقين**، في النصر والمعونة.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٣٧]

[٣٠٦و س١٢ * قال أبو عَوْسَجة: **النَّسِيء**،[3] التأخير،[4] يقال:[5] نَسَأت الشهر، أي أخرته، ويقال: أنْسَأ الله في أجلك، أي أخر الله. وقوله: **لِيُواطِئوا**، والمُواطأة أن يُدخِلوا شهرا مكان شهر، وهو التتابُع، يقال: تواطأ القوم على حديث كذا وكذا، أي تتابعوا، وواطأتُ فلانا، أي تابعتُه. وقال القُتَبي: **النَّسِيء**، التأخير، وكانوا يؤخرون تحريم المحرّم منها سنة، ويحرّمون غيره مكانه لحاجتهم إلى القتال فيه، ثم يردّونه[6] إلى التحريم في سنة[7] أخرى، كأنهم يَستَنْسئون ذلك.[8] **لِيُواطِئوا**، أي ليوافقوا **عِدّة ما حرّم الله فيُحِلّوا ما حرّم الله**، يقول: إذا حرّموا من الشهور عدد الشهور المحرّمة لم يُبَالُوا[9] أن يحلّوا الحرام ويحرّموا الحلال.* ٣٠٦و س١٨]

[٣٠٦و س٣ * وقوله: **إنما النسيء زيادة في الكفر**، أي لمّا أحدث أولئك الملوك من تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ[10] الله [أحدثوا] زيادةً في كفر أولئك[11] مِن وقتِ إحداثهم. وقوله عز وجل: **يُضَلّ به الذين كفروا**، يحتمل وجهين. يحتمل **يُضَلّ به الذين كفروا**، أي يُهلَك به الذين كفروا،

---

[1] ن: أي يجتمعون؛ ع م: أي مجتمعون.
[2] ع – على ما يقاتلونكم هم مجتمعين.
[3] م – النسيء.
[4] ن – التأخير، صح هـ.
[5] ع – يقال.
[6] ن: ثم يرونه.
[7] ع م: في صفة.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٦.
[9] ن ع م: لم ينالوا.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ١٢-١٨.
[10] ك: ما حلل.
[11] جميع النسخ + أحدثوا.

أي الذين أحدثوا. ويحتمل **يُضَلّ به الذين كفروا**، أي ما أحدث أولئك الملوك إنما أحدثوا ليُضَلّ به الأتباع. **يحلّونه عاما ويحرّمونه عاما**، على ما ذكر في القصة أنهم كانوا[1] يستحلّون المحرّم عاما فيصيبون فيه الدماء والأموال، **ويحرّمونه عاما**، فلا يستحلّون فيه الدماء والأموال.

وقوله عز وجل: **لِيُواطِئوا عِدّة ما حرّم الله**، قيل: ليوافقوا عدد ما حرّم الله. كان عندهم أن التحريم إنما كان لعدد[2] الأشهر لا للأشهر[3] لما في الأشهر [من زيادة معنى يقتضي الحرمة]،[4] فحفظوا عدد الأشهر ولم يحفظوا[5] الوقت. وذلك تأويل قوله: **لِيُواطِئوا عِدّة ما حرّم الله فيُحِلّوا ما حرّم الله زُيِّن لهم سوءُ أعمالهم**، أي زُيِّن تأخيرُ المحلَّل وتقديمُ المحرّم. **والله لا يهدي القوم الكافرين**، قيل: لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر، أو لا يهديهم في الآخرة طريق[6] الجنة لكفرهم في الدنيا. وقد ذكرنا تأويله في غير موضع.[7]* [٣٠٦و س١٢]

وقوله عز وجل: **إنما النسيء زيادة في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا**، الآية، كأن هذه الآية والآية[8] التي قبلها [وهو] قوله: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا،[9] في مشركي العرب، وسائرَ الآيات التي قبلها وهو قوله: اِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ،[10] وقوله: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ،[11] في أهل الكتاب، يخبر أن ملوك العرب اتخذوا أنفسهم أربابا والأتباع عبيدا من دون الله حتى [إنهم] يتبعونهم في جميع ما يحلّونه ويحرّمونه، كما أن اليهود والنصارى اتخذوا أنفس أولئك عبيدا. فكأنه[12] قال للمؤمنين: إن ملوك العرب وأحبار اليهود ورهبان النصارى اتخذوا أنفسهم أربابا والأتباع عبيدا،[13]

---

[1] ك: كا.
[2] ع م: بعدد.
[3] ع م: الأشهر للأشهر.
[4] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٨و.
[5] ع – عدد الأشهر ولم يحفظوا.
[6] ع م: طريقة.
[7] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة آل عمران، ٨٦/٣.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ٣-١٢.
[8] ع م – والآية.
[9] الآية السابقة.
[10] سورة التوبة، ٣١/٩.
[11] سورة التوبة، ٣٤/٩.
[12] ع: فكافة.
[13] ن + فكأنه قال للمؤمنين.

فأنتم يا معشر المؤمنين لا تتخذوا أنفسكم أربابا والأتباع عبيدا. ألا ترى أنه قال في الآية التي تتلو[١] هذه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ.[٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣٨]

* وقوله: **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله**، الآية، عاتب المؤمنين [٣٠٦و س٢] بالتثاقل بالخروج إلى الأرض ونهاهم عن الركون إلى الدنيا.* قال بعضهم: الآية في المنافقين [٣٠٦و س٣] الذين تخلّفوا عن رسول الله في غزوة تبوك، كقوله: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ،[٣] الآية، ففيهم[٤] ذكر ذلك الوعيد. وقال بعضهم: الآية في المؤمنين، أُمِروا أن ينفروا في سبيل الله. **اثاقلتم إلى الأرض**، قيل: استثقلتم النَّفْر[٥] في سبيل الله وأقمتم. ويحتمل التثاقل هو أن يُرُوا مِن أنفسهم الثقل من غير أن أقاموا، كما يقال: يتصامم ويتعامى من غير أن كان به الصمم أو العمى،[٦] ولكن لما يُري مِن نفسه ذلك.[٧] وقال بعض[٨] أهل الأدب: قوله: **اثاقلتم**، أي تثاقلتم وركنتم إلى المُقام، وذلك في القرآن كثير، كقوله: حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا،[٩] أي تداركوا.

وقوله: **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل**، أي ما مَتَّعكم في الدنيا قليل بما وعد[١٠] أن يُمَتِّعكم في الآخرة. أو أن يقال: **متاع الحياة الدنيا**، من أولها إلى آخر ما تنتهي،[١١] **قليل**، من متاع الآخرة وكراماتها، لأن كرامات الدنيا على شرف الزوال،

---

[١] ن ع م: تتلوا.

[٢] الآية التالية.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ٢-٣.

[٣] سورة التوبة، ١٠١/٩.

[٤] جميع النسخ: فيفهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤٨و.

[٥] ن: النفس.

[٦] ك ع: والعمى.

[٧] ن + ذلك.

[٨] ع: بعضهم.

[٩] سورة الأعراف، ٣٨/٧.

[١٠] ك: وعدكم.

[١١] ن ع م: ما ينتهي.

[٣٠٦و] وكرامات الآخرة على الدوام أبدا. أو أن يقول: **متاع الحياة الدنيا** قليل من متاع / الآخرة، لأن متاع الدنيا ومنافعها تشوبه[١] الآفات والمَضَرّات، ومتاعَ الآخرة ومنافعَها[٢] لا تشوبه[٣] الآفات والمَضَرّات.*

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **إلّا تنفروا يعذّبكم عذابا أليما**، أي إن لم[٤] **تنفروا يعذِّبكم عذابا أليما**.[٥] فإن كانت الآية في المنافقين فهو ظاهر. وإن كانت في المؤمنين فيحتمل قوله: **يعذِّبكم عذابا أليما**،[٦] يَحِلّ بهم ولم يبيّن ما ذلك العذاب. وقال بعضهم: شدد الله الوعيد في تركهم النَّفْر والخروج في سبيل الله على ما شدّد[٧] ببدر في تولية[٨] الدُّبُر[٩] بقوله:[١٠] ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾،[١١] الآية. غير أنه شدّد يوم بدر[١٢] لما لم يكن ملجأ، وكان نِفارهم نِفار نفاق، وهاهنا شدّد لغير ذلك لوجوه. أحدها لما[١٣] في تخلُّف المؤمنين عنه موضع العذر للمنافقين بالتخلُّف عنه، أنهم إن تخلّفوا[١٤] للعذر فنحن نتخلّف أيضا للعذر، ولنا في ذلك عذر.

---

[١] جميع النسخ: يشوبه.
[٢] ع م – ومنافعها.
[٣] جميع النسخ: لا يشوبه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ٢-٣. ووقع هنا مقطعان طويلان من تفسير الآية السابقة، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٦و/سطر ٣-١٢، وسطر ١٢-١٨.
[٤] ن: أي لم.
[٥] ن – أليما.
[٦] م – أي إن لم تنفروا يعذبكم عذابا أليما فإن كانت الآية في المنافقين فهو ظاهر وإن كانت في المؤمنين فيحتمل قوله يعذبكم عذابا أليما.
[٧] ع: على شدد.
[٨] ك ع م: في التولية.
[٩] ع: الدر.
[١٠] ع: بقولهم؛ م: يقولهم.
[١١] ﴿... فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ (سورة الأنفال، ٨/١٦).
[١٢] م – بدر.
[١٣] ع: الما.
[١٤] ع م – إن تخلفوا.

والثاني يكون للكفار موضع الاحتجاج عليهم. يقولون: إنهم يُرغِّبوننا في الآخرة ويحثّوننا في ذلك ثم إنهم ينفرون عن ذلك ويَرغبون عنه. والثالث يكون في تخلّفهم الشَّوْكَة على المؤمنين، إذ يَقِلّون إذا تخلّفوا.

وقوله عز وجل: **ويستبدلْ قوما غيركم**، قيل بوجوه. قيل: يستبدل الملائكة فينصروا رسول الله على ما استبدل يوم بدر ويوم حُنين ويوم الأحزاب. وقيل: **ويستبدلْ قوما غيركم**،[1] على ما استبدلكم يا أهل مكة، فينصرونه. وقال بعض أهل[2] التأويل: **يستبدل قوما غيركم**، أي ينشئ قوما غيركم. لكن تأويل الأول أشبه. ألا ترى أنه قال في آخره: إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ.[3]

وقوله: **ولا تضرّوه شيئا**، هو ما ذكرنا، أي لا تضرّوا رسول الله بالتخلّف عنه. وقال بعضهم: لا تضرّوا الله شيئا. والأول أشبه لما ذكرنا.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إلّا تنصروه فقد نصره الله**، يقول: إن لم تنصروا[4] رسول الله فالله ينصره على ما نصره في الوقت الذي كان في الغار، لم يكن معه أحد من البشر إلا واحد. فإن لم تنصروه فالله كافيه[5] في نصره على ما كفاه ونصره في الحال التي لم يكن معه من البشر[6] إلا واحد، فاليوم لا ينصره ومعه من الأنصار والأعوان ما لا يحصى؟ وكان ما استنفرهم رسول الله وأمرهم بالخروج إلى العدو لم يكن يستنفرهم لمكان نفسه، إذ يعلم أن الله كافيه[7] في نصره، ولكن إنما كان[8] يستنفرهم[9] ويأمرهم بالخروج لمكان أنفسهم،

---

[1] ع م – قيل بوجوه قيل يستبدل الملائكة فينصروا رسول الله على ما استبدل يوم بدر ويوم حنين ويوم الأحزاب وقيل ويستبدل قوما غيركم.
[2] ك: بعض من أهل.
[3] الآية التالية.
[4] ع م: لم تنصره.
[5] ع: كان فيه.
[6] ك + أحد.
[7] ع م: كافية.
[8] ن – كان.
[9] ع م: يستنفر.

ليكتسبوا بذلك[1] قربا وثوابا عند[2] الله وزُلْفَى. ألا ترى أنه قال: **إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** -وقال- **وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا**،[3] أي إن لم تنفروا و لم تنصروا رسول الله فلا تضروه شيئا، إذ الله كافيه[4] في نصره. وإنما[5] عاتبهم بترك النَّفْر والخروج لئلا يَركَنوا إلى الدنيا ولا يَرضَوْا **بالحياة الدنيا من الآخرة** على ما رَكَن أولئك الكفرة؛ لأن ركونهم إلى الدنيا وحُبَّهم إياها[6] هو الذي منعهم عن اتباع محمد، وهو الذي حملهم على الكفر بالله والتكذيب لرسوله وترك الإجابة له فيما يدعوهم إليه. فيقول[7] -والله أعلم- للمؤمنين: لا تَركَنوا[8] إلى الدنيا ولا تَرضَوْا بها من الآخرة لِيَمنعكم ذلك عن النَّفْر والخروج إلى ما يأمركم رسول الله، على ما منع أولئك الكفرة على ما ذكرنا. وأصله أنه إنما استنصرهم لا لحاجة له[9] إلى نصرهم، إذ هو قادر أن ينصر رسوله بما شاء، لكن طلب منهم / النصر له ليكسبوا[10] بذلك ثوابا[11] لأنفسهم وذِكْرا[12] في الآجل. وكذلك ما طلب منهم الشكر له على نِعَمه لا لحاجة له[13] في ذلك، ولكن ليستديموا[14] النعمة ويَصِلوا إلى الباقية الدائمة. [٣٠٦ظ]

وقوله عز وجل: **إذ أخرجه الذين كفروا**، أي اضطرّوه إلى الخروج حين همّوا بقتله حتى خرج من بين أظهرهم.

وقوله عز وجل: **ثانيَ اثنين إذ هما في الغار، ثانيَ اثنين**، أي لم يكن معه من البشر[15] إلا واحد، لِيَعلموا أن النصر لم يكن بأحد[16] من البشر، إنما كان بالله تعالى؛ إذ بالواحد

[1] ن ع م - بذلك.
[2] ع: وثوابا من عند.
[3] الآية السابقة.
[4] ن: كافية.
[5] ك: إنما.
[6] ع: إياه.
[7] ن ع م: فنقول.
[8] ع: ولا تركنوا.
[9] ك - له.
[10] ك م: ليكتسبوا.
[11] ن - ثوابا.
[12] ك ع م: وذكر.
[13] ع م - له.
[14] م: يستديموا.
[15] ع: من اليسر.
[16] ع: ماجد.

لا تكون النُّصرة والحفظ مِن أُلوف. أو يَذكر فضل أبي بكر، وكان[1] هو[2] ثانِيَه في كل أمره.

وقوله عز وجل: **إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا،** لم يكن حزن أبي بكر[3] خوفا[4] على نفسه، ولكن إشفاقا على رسول الله أن يُصاب. وكذلك روي في الخبر أنه قال لرسول الله: يا رسول الله، إنك إن تُصَبْ[5] يَذهب دين الله ولن يُعبَد الله على وجه الأرض. وفي بعض الأخبار أن أبا بكر[6] كان يبكي إشفاقا على رسول الله، فقال له رسول الله: «ما يُبكيك؟»، فقال ما ذكرنا، فقال له: «يا أبا بكر،[7] ما ظنُّك[8] باثنين ثالثهما الله؟». وقيل: إنهما لمّا[9] أتيا باب الغار سبق أبو بكر فدخل الغار، وكان الغار معروفا بالهوامّ، فألْقَمَها[10] أبو بكر قَدَمَيْه فأطال ذلك، فقال: إن كان فيه[11] شيء بدا لي، أو كلام نحو هذا.[12] *والله أعلم*. وقوله: **[لا تحزن] إن الله معنا،** ليس بنهي عن الحزن والخوف على رسول الله،[13] ولكن على تخفيف الأمر عليه وتيسير الحال التي هو عليها.

---

[1] ع: وكا.

[2] ن – وكان هو.

[3] ن + الصديق.

[4] ع م – خوفا.

[5] جميع النسخ: إن تصاب.

[6] ن + الصديق.

[7] م: با بكر.

[8] ك: ما ما ظنك.

[9] ع م – لما.

[10] أي سدَّ جحور الهوام بقدميه لمنع خروجها، مأخوذ من لَقَمَ الطريق وغيره بمعنى سدّه. انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «لقم». ويفسر ذلك بعض الروايات الآتية.

[11] ك: فيها.

[12] روى أبو نعيم عن أنس بن مالك أنه قال «لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني فلأدخل قبلك فان كانت حية أو شيء كانت لي قبلك. قال: أُدْخُل. فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جُحْرا جاء بثوبه فشقه ثم ألْقَمَه الجُحْر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي جُحْر فوضع عَقِبَه عليه ثم أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع. فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال: اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة. فأوحى الله تعالى إليه إن الله قد استجاب لك (*حلية الأولياء* لأبي نعيم، ٣٣/١). وعن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق حدّثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (*صحيح البخاري*، المناقب ٢؛ *وصحيح مسلم*، فضائل الصحابة ١). وانظر لمجموع الروايات في ذلك: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٩٦/٤-٢٠٤.

[13] ن ع م – والخوف على رسول الله.

وقوله عز وجل: **فأنزل الله سَكِينته عليه**، قيل:[1] أنزل سَكِينته على أبي بكر حين قال له رسول الله: «ما ظنُّك باثنين ثالثهما الله؟»، حتى[2] سكن قلب أبي بكر من الحزن والخوف على رسول الله. وقال بعضهم: أنزل السَّكِينة على رسول الله. فهو يخرج على وجهين. أحدهما أنه أنزل السَّكِينة عليه حتى رأى هو جنودا لم يَرَوْها هم، حيث قال: **وأيَّده بجنود لم تروها**. والثاني أنزل سَكِينته[3] بالحجج والبراهين. لكنه إن كان ما ذكر فهو قد أنزل السَّكِينة عليه في البدء، لأنه كان رسول الله لا يخاف[4] سوى الله ويعلم أنه ينصره. وكذلك روي عن ابن عباس [أنه] قال: **فأنزل الله سكينته**، على أبي بكر،[5] لأن النبي لم تَزَل السَّكِينة معه.[6] وهو أشبه.

وقوله: **وأيَّده بجنود لم تَرَوْها**، يحتمل في ذلك الوقت. ويحتمل في الغزوات التي نصره بالملائكة يوم بدر وغيره. يخبر أنه قادر أن ينصره لا بالبشر، لِيَعلموا أنه إنما يأمرهم بالنَّفْر لا لنصر رسول الله، ولكن ليكتسبوا بذلك ما ذكرنا من الثواب.

وقوله عز وجل: **وجعل كلمةَ الذين كفروا السُّفلى**، يحتمل **كلمة الذين كفروا**،[7] ما مكروا برسول الله وهمّوا بقتله. جعل مكرهم ومكيدتهم واجتماعهم على ذلك هي **السُّفلى**.[8] **وكلمةُ الله هي العُليا**، أي مَكْرُ الله بهم ونُصرةُ رسوله **هي العُليا**، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[9] الآية. ويحتمل قوله: **كلمة الذين كفروا**، دينهم الذي يدينون به ومذهبهم الذي ينتحلونه، **السُّفلى**، أي جعل ذلك **السُّفلى**، بالحجج، وجعل دين محمد[10] **العُليا**،

---

[1] ع: وقيل.
[2] ك: حين.
[3] ن: السكينة؛ ع: سكينة.
[4] ع: فلا يخاف.
[5] ع - بكر.
[6] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في *دلائل النبوة* وابن عساكر في *تاريخ دمشق* عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٠٧.
[7] ك ن + وهو.
[8] ع م - يحتمل كلمة الذين كفروا ما مكروا برسول الله وهموا بقتله جعل مكرهم ومكيدتهم واجتماعهم على ذلك هي السفلى.
[9] يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[10] ن ع م + هو.

بالحجج والبراهين على[1] ما كان. ويحتمل قوله: **كلمة الذين كفروا السُفلى**، أي جعل أهل الكلمة الذين كفروا هم **السُفلى**، وأهلَ[2] دين الله هم الأَعْلَوْن، كقوله: وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ.[3]

وقوله عز وجل: **والله عزيز**، لا يُعجِزه شيء، **حكيم**، في أمره.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **انفروا خِفافا وثِقالا**، اختلف فيه. قيل: شُبَّانا[4] وشيوخا. وقيل: مرضى وأصِحّاء. وقيل: مَشاغيل وغير مَشاغيل. وقيل: فقراء وأغنياء. وقيل: نَشَاطا وغير نَشَاط.[5] وأصله: **انفروا**، مُستخِفِّين ومُستَثْقِلين، أي **انفروا**، خَفَّ عليكم الخروج أو ثَقُل. وما ذكر أهل التأويل من الشيخوخة والتشغّل والفقر والمرض لأن ذلك بالذي يُثقِل الخروج والنَّفر. وأصله ما ذكرنا أنْ **انفروا**، خَفَّ[6] عليكم ذلك أو ثَقُل. وقوله: **انفروا خِفافا وثِقالا**، **انفروا** خَفَّ على النفس أو ثَقُل، أو خَفَّ على الطبع أو ثَقُل، أو خَفَّ على العقل أو ثَقُل.[7]

وقوله عز وجل: **ذلكم خير لكم**، في الدنيا والآخرة، أي اعلموا أن **ذلك خير لكم**، من المُقام[8] وترك النَّفْر،[9] **إن كنتم تعلمون**.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **لو كان عَرَضا قريبا وسفرا قاصدا لاتّبعوك**، قال بعض أهل التأويل: **لو كان عَرَضا قريبا**، أي غنيمة قريبة، **وسفرا قاصدا**، أي هَيِّنا، **لاتّبعوك**، في غَزَاتِك،[10]

---

[1] ع م + ذلك.

[2] ن: فأهل.

[3] يقول الله تعالى: ﴿ولا تَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٩)؛ ويقول تعالى: ﴿فلا تَهِنُوا وتدعوا إلى السَّلْم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يَتِرَكُم أعمالَكم﴾ (سورة محمد، ٣٥/٤٧).

[4] ن ع م: شبابا.

[5] من باب الوصف بالمصدر، كما يقال: رجل عَدْل.

[6] ن: واخف.

[7] ك – وقوله انفروا خفافا وثقالا انفروا خف على النفس أو ثقل أو خف على الطبع أو ثقل أو خف على العقل أو ثقل، صح هـ.

[8] ع: في المقام.

[9] ك: النفير.

[10] ك: في غزواتك؛ ن: في غزايك.

ولكن بَعُدت عليهم الشُقَّة، يعني المسير. وقيل: العَرَض: الدنيا، **وسفرا قاصدا**، ليس فيه مشقة. وأصل قوله: **لو كان عَرَضا قريبا**، أي منافع حاضرة، **وسفرا قاصِدا**، أي منافع غائبة. والعَرَض هو المنافع. يقول: لو كانت لهم منافع حاضرة أو منافع غير حاضرة، **لاتّبعوك**، فيما استتبعتهم،[1] لأن عادتهم اتباع المنافع، يعني المنافقين. كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ.[2] أخبر أنهم يعبدون الله على حرف، وهو ما ذكر: فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، فمِن عادتهم أنهم إنما يتبعون المنافع وإليها يميلون. وأما المؤمنون فإنهم يعبدون الله في كل حال في حال السَّعة وفي حال الضِّيق، ويتبعون رسول الله ولا يفارقونه، كانت لهم منافع أو لم تكن، أصابتهم مشقة أو لا، هم لا يفارقون رسول الله على كل حال.

وقوله عز وجل: **وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم**، أي لو كان لنا ظَهْر [٣٠٧و] وسلاح **لخرجنا معكم**، ولو كان [لنا] / زادٌ وما نشتري ما نحارب به **لخرجنا معكم**. ثم أخبر أن لهم استطاعة على ذلك، وأنهم كاذبون أنه لا استطاعة لهم، حيث قال: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً.[3]

وقالت المعتزلة: دل قوله: **لو استطعنا لخرجنا معكم**، أن الاستطاعة تتقدم[4] الفعل، لأنه أخبر أنهم كاذبون فيما يقولون: إنه ليس معنا[5] ما نُنفق وما نشتري به السلاح. لكنا نقول: إن الاستطاعة على وجهين. استطاعة الأسباب والأحوال، واستطاعة الأفعال. واستطاعة[6] الأسباب والأحوال يجوز أن تتقدم،[7] وهذه الاستطاعة هي استطاعة[8] الأسباب والأحوال. ألا ترى أنه قال: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً. ومن قولهم أيضا: إن استطاعة الأفعال لا تبقى أوقاتا، ثم إن هذه [الآية] أخبرت[9] أنها كانت باقية أوقاتا. دل أنها هي استطاعة الأسباب والأحوال.

---

[1] ع: استتبعهم؛ م: استبقتهم.
[2] سورة الحج، ١١/٢٢.
[3] سورة التوبة، ٤٦/٩.
[4] ع م: يتقدم.
[5] ع: معناه.
[6] ن: والستطاعة؛ ع: والاستطاعة.
[7] ع م: أن يتقدم.
[8] ع: الاستطاعة.
[9] جميع النسخ: أخبر.

وقوله عز وجل: **يُهلِكون أنفسهم**، قيل: **يُهلِكون أنفسهم**، بأيمانهم الكاذبة أنهم لا يستطيعون. وقيل: **يُهلِكون أنفسهم**، بتركهم الخروج، لأنهم يُقتَلون إذا تركوا الخروج، كقوله: مَلْعُونِينَ،[١] الآية. ويحتمل: **يُهلِكون أنفسهم**، في الآخرة بنفاقهم في الدنيا.

﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **عفا الله عنك لم أَذِنتَ لهم**، بالتخلّف، **حتى يتبيّنَ لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين**، يحتمل قوله: **حتى يتبيّنَ لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين**، أي يُطلِعك الله على نفاقهم، فيكون ذلك آية من آيات النبوة إن لم تأذن لهم بالتخلُّف. أو إن لم تأذن لهم يتبيّن لك نفاقهم، لأنهم يتخلّفون ويفارقونك وإن لم تأذن لهم، والذين صدقوا لا يفارقونك، فيتبيّن لك[٢] هؤلاء من هؤلاء، ويَظهر كذب هؤلاء مِن صدق هؤلاء المؤمنين.[٣]

وفي قوله: **عفا الله عنك لم أَذِنتَ لهم**، دلالة أن النبي إنما أذن لهم بالتخلّف بلا أمر، وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد،[٤] لأنه لو كان أذِن لهم بالتخلّف بالأمر لم يكن لِيُعاتِبَه على الإذن. دلّ أنه إنما أذن لهم بالتخلّف بالاجتهاد لِما ظنّ أنهم إنما يستأذنونه[٥] بالقعود[٦] للعذر.

فإن قيل: كيف عاتب رسوله بما أذن لهم بالقعود[٧] وقد أخبر أنه إنما كان يحكم بما أراه الله، بقوله: لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ؟[٨]

قيل: يحتمل أنه إنما عاتبه على ترك الأفضل، لأن ترك الإذن[٩] لهم بالقعود[١٠] أفضل من الإذن، إذ به[١١] يتبيّن له[١٢] الصادق من الكاذب، ويكون فيه آية من آيات الرسالة.

---

[١] يقول الله تعالى: ﴿لَئِنْ لم يَنْتَهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمُرْجِفُون في المدينة لَنُغْرِيَنَّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا. ملعونين أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تَقْتِيلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦٠-٦١).

[٢] ع م – لك.

[٣] ك: ويظهر صدق هؤلاء من كذب هؤلاء.

[٤] ن + وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد.

[٥] ك: تستأذنونه.

[٦] م: بالعقود.

[٧] م: بالعقود.

[٨] يقول الله تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق...﴾ (سورة النساء، ٤/١٠٥).

[٩] ك: الآن.

[١٠] م: بالعقود.

[١١] ك: لأن به.

[١٢] ك – له.

ويجوز أن يعاتب على ترك الأفضل. ويحتمل أن يكون قوله: **عفا الله عنك لم أَذِنتَ لهم**، تعليم من الله أنْ كيف يُعامِل الناسُ بعضُهم بعضا، ليس على العتاب.

ومن الناس من استدل على تفضيل رسول الله على غيره من الأنبياء[1] صلوات الله عليهم بهذه الآية، لأنه بدأ[2] بذكر العفو. وكذلك في جميع ما ذكر من العتاب لم يذكر زلّته [أولاً]، وذكر في سائر[3] الأنبياء الزلاّت.

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[٤٤] ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر**، الآية، أي **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله**، بالتخلّف لغير عذر، إنما يستأذنونك[4] لعذر.[5] **إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر**، بالقعود لغير عذر، **وارتابت قلوبهم فهم في رَيبِهم يتردّدون**، أي عن شكّهم يتردّدون. وعن[6] الحسن قال: **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله**[7] -إلى قوله- **يتردّدون**،[8] نسختها الآية التي في سورة النور: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.[9] لكن[10] هذا لا يحتمل، لأنه ذكر أن سورة التوبة من آخر ما نزلت. أو إنهم إذا كانوا في أمر[11] جامع لم يذهبوا إلا بعد الاستئذان، لأنهم كانوا يُظهِرون الموافقة للمؤمنين في الأمور الجامعة، وأما في الخَلَوات[12] فلا.

---

[1] ن: ومن الأنبياء.

[2] ن ع م - بدأ.

[3] ع: في رسائر.

[4] ك ع م: يستأذنك.

[5] ن - إنما يستأذنونك لعذر.

[6] ع: أو عن.

[7] م - واليوم الآخر بالقعود لغير عذر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون أي عن شكهم يترددون وعن الحسن قال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله.

[8] ك - أي عن شكهم يترددون وعن الحسن قال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله إلى قوله يترددون.

[9] سورة النور، ٦٢/٢٤. وانظر لقول الحسن: *تفسير الطبري*، ١٤٣/١٠.

[10] ع - لكن.

[11] ن: من أمر.

[12] ع م: في الحلوان.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **ولو أرادوا الخروج لأَعَدُّوا له عُدّة**، يحتمل أن يكون هذا في غزوة تبوك على ما قاله أهل التأويل. أُمِروا بالخروج والتأهُّب للغزو، فعزموا أن لا يخرجوا، فعُوتِبوا[١] على ذلك. ويحتمل أن يكون في جميع الغزوات[٢] عزموا واعتقدوا أن لا يخرجوا ولا يتأهَّبوا له قطّ، فقالوا: لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ،[٣] فأكْذَبهم الله تعالى أنهم كَذَبَة وأنهم أغنياء، لكنهم عزموا أن لا يخرجوا[٤] ولا يُعِدّوا له عُدّة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولكن كَرِه الله انْبِعاثَهم**، يحتمل قوله: **كَرِه الله انْبِعاثَهم**، أي لم يرض الله[٥] بخروجهم[٦] وانبعاثهم. ثم بيّن الوجه الذي لم يرض ما ذكر في قوله: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا،[٧] أي فسادا، أي[٨] لم يُرِد الله خروجهم لما علم منهم أنه[٩] لا يزيد خروجهم[١٠] في الجهاد إلا ما ذكر من الخبال والفساد.

وقوله عز وجل: **فثَبَّطَهم**، قيل: حبسهم، أي إذ علم منهم أن خروجهم وانبعاثهم لم يزدهم إلا فسادا حبسهم. ويحتمل أنْ خلق منهم الفعل الذي كان منهم من الكسل والتثاقل. وفيه دلالة خَلْقِ الله فِعلَ الشر،[١١] ويكون في ذلك خيرٌ[١٢] لغيره وإن كان شرا لهم. فعلى ذلك خلق فعل[١٣] المعصية من العاصي[١٤] وهو شر له، ويكون ذلك خيرا لغيره.

---

[١] م: فعوتوا.
[٢] جميع النسخ: الغزاة.
[٣] سورة التوبة، ٤٢/٩.
[٤] ع: لا تخرجوا.
[٥] ك – الله.
[٦] ع: يخرجهم.
[٧] الآية التالية.
[٨] ن ع م – أي.
[٩] ك: أن، + خروجهم وانبعاثهم.
[١٠] ك – خروجهم.
[١١] ك: البشر.
[١٢] جميع النسخ: خيرا.
[١٣] ن – فعل.
[١٤] ن ع م: من المعاصي.

[٣٠٧ظ س٤ * والانبعاث هو الخروج. وكذلك في[١] حرف ابن مسعود: "ولكن كره الله خروجهم". والتَّثْبِيط
٣٠٧ظ س٥] الحبس.[٢] وأصل التثبيط: التثقيل. وقال أبو عَوْسَجَة: الانبعاث هو القيام.*

وقوله عز وجل: **وقيل اقعدوا مع القاعدين**، يحتمل قوله: **قيل اقعدوا**، لمّا استأذنوا رسول الله بالقعود أذن لهم في ذلك على ما وقع عنده أن لهم عذرا[٣] في ذلك. وإن كان من الله [٣٠٧ظ] عز وجل فهو على التهدُّد / والتوعُّد. ويحتمل أن يكون من الشيطان وسوس إليهم أن اقعدوا ترغيبا منه إياهم بالقعود والتخلّف. *والله أعلم*.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَالا**، قوله: **لو خرجوا فيكم، أي** لو كانوا[٤] خرجوا فيكم؛[٥] ألا ترى أنه قال: وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ،[٦] دلّ هذا أنهم لم يكونوا خرجوا، ولو كانوا خرجوا لم يكن يُثَبِّطهم، دلّ أنه ما ذكرنا.* والخَبَال قيل: الفساد والشر. وقيل: الغَي. وهو[٧] واحد. وقوله: **ما زادوكم إلا** كذا، يحتمل زيادة الخَبَال وجوها. يحتمل أن يكونوا[٨] عيونا للعدو ويخبروهم عن عورات المسلمين. أو كانوا يُجَبِّنون[٩] أهل الإسلام، كقولهم: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[١٠] ونحوه. [ويحتمل ما ذكر من الإيضاع بعد هذا بقوله: **وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكم**.][١١]

---

[١] ع - في.
[٢] ثَبطْتُ الرجلَ ثَبطا: حَبَسْتُه... وثَبَّطَه عن الشيء تَثْبِيطا: إذا شَغَله عنه... والتَّثْبِيط هو التَّعْوِيق والشُّغْل عن المراد (*لسان العرب* لابن منظور، «ثبط»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٧ظ/سطر ٤-٥.
[٣] جميع النسخ: عذر.
[٤] ع: لو كان.
[٥] ن - أي لو كانوا خرجوا فيكم، صح هـ.
[٦] الآية السابقة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٧ظ/سطر ٤-٥.
[٧] ع: هو.
[٨] ك: أن يكون.
[٩] ع م: يجيبون.
[١٠] سورة آل عمران، ١٧٣/٣.
[١١] من *الشرح*، ورقة ٣٥٠و.

وقوله عز وجل: **وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُم**، قيل: هو من إيضاع الإبل، **خِلَالَكُم**، تتخلّل[1] فيما بينكم. وقيل: **وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُم**، أي رَوَاحِلَهم حتى[2] يدخلوا بينكم حتى لا يصيبهم[3] الأذى. كانوا يستترون بالمسلمين لئلا يصيبهم شيء من البلاء والشدة. وقال القُتَبِي: **وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُم**، من الوَضْع،[4] وهو سرعة السير.[5] وقال أبوعَوْسَجَة: هو من الإيضاع[6] يكون على الإبل. وهو عندي مِن عَدْوِ الإبل، يقال: أَوْضَعْتُ البعيرَ، ورَكضتُ الفرس، وأَجريتُ الحمار. **خِلَالَكُم**:[7] بينكم. وقيل: الخِلَال: القتال. وهو ما ذكرنا، أنهم يُدخِلون فيهم النقصان والقتال[8] والفشل.

وقوله عز وجل: **يَبغُونكم الفتنة**، قيل: يَبغُون منكم **الفتنة**، وهو الشرك الذي كانوا هم عليه. ويحتمل ما ذكرنا من القتال[9] وإدخال الفشل والجبن فيهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وفيكم سمّاعون لهم**، هذا يحتمل وجهين أيضا. يحتمل أن هؤلاء المنافقين يكونون سمّاعين للكفرة[10] وعيونا[11] يخبرونهم عن عورات المسلمين وضَعْفهم. ويحتمل قوله: **وفيكم**، من المؤمنين، **سماعون لهم**، لأنه[12] قيل: إنه[13] كان في أصحاب النبي أهل محبّة لهم وطاعة لشرفهم فيهم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **يَبغُونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم**، كان الرجل يرى الجماعة من المسلمين فيضرب دابته حتى يدخل بينهم، ثم يقول: أُبلغكم ما بلغني، بلغني[14] أن العدو أمامكم قد غَوّروا المياه وفعلوا كذا وهيّئوا.

---

[1] جميع النسخ: يتخلل.

[2] ك: خلالكم رواحلهم أي حتى. الوَضْع: أَهْوَنُ سَيْرِ الدوابّ والإبل، وقيل: هو ضَرْب مِن سَيْرِ الإبل دون الشَّدّ... يقال: وَضَع البعير، إذا عَدَا، وأَوْضَعْتُه أنا، إذا حملته عليه... وقيل: الإيضاع السَّيْر بين القوم (*لسان العرب* لابن منظور، «وضع»).

[3] ع م: لا يصيبكم.

[4] ع: من الموضع.

[5] ك: المسير. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٧.

[6] ع: هو الإيضاع.

[7] ع: خلال.

[8] ن: والقتل.

[9] ن ع م: من القتل.

[10] جميع النسخ: سماعا لهم وخبرا؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٠و.

[11] م: وعيوبا.

[12] ع م: الآية.

[13] ع: إنهم.

[14] ع م – بلغني.

ويحتمل قوله: **وفيكم سمّاعون لهم**، أي فيكم من المنافقين الذين قعدوا و لم يخرجوا يُسمِعون للمؤمنين الذين لم يخرجوا أيضا ما يكرهون، يقولون: الدَّبْرة[1] على المؤمنين، ونحو ذلك من الهزيمة.

وقوله عز وجل: **والله عليم بالظالمين**، أي لا عن جهلٍ أمْهَلَهم[2] على ما هم عليه، ولكن أخرهم ليوم، كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا،[3] الآية.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **لَقَدِ ابْتَغَوُا الفتنة من قبل**، تحتمل[4] الفتنة الوجهين اللذين ذكرتهما.[5]

وقوله عز وجل: **وقَلَّبوا لك الأمور**، أي تكلّفوا واجتهدوا لِيُطفئوا هذا النور. **وظهر أمر الله**، قيل: دين الله الإسلام. ويحتمل حُجج الله وأدلته. وهو ما ذكر: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.[6] ويحتمل قوله: **وقَلَّبوا لك الأمور**، ظَهْرًا لِبَطْن ليمكروا برسول الله ويقتلوه، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ،[7] الآية؛ وقوله:[8] **وظهر أمر الله**، ما ذكرنا[9] من دين الله وحُججه. **وهم كارهون**، لذلك،[10] كقوله: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ،[11] فظهر دين الإسلام وهم كارهون له.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **ومنهم من يقول ائْذَنْ لي**، فيه دلالة أنه[12] لا كل المنافقين قالوا [ذلك]، إنما قال ذلك بعضهم، وبعضهم قالوا غير هذا.

---

[1] ع: الدابرة.
[2] ع م: مهلهم.
[3] يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عمّا يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليومٍ تَشْخَص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[4] ن ع م: يحتمل.
[5] انظر تفسير الآية السابقة.
[6] سورة التوبة، ٣٢/٩.
[7] سورة الأنفال، ٣٠/٨.
[8] ن ع م – وقوله.
[9] ع: ما ذكر.
[10] ع: كذلك.
[11] يقول الله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولو كَرِهَ المشركون﴾ (سورة التوبة ٣٣/٩؛ وسورة الفتح، ٢٨/٤٨؛ وسورة الصف، ٩/٦١).
[12] ك – أنه.

وقوله عز وجل: **ولا تَفْتِنِّي**، قيل: لا تُؤَثِّمْنِي، وقيل: لا تُخرِجْني،[١] وقيل: لا تُكَفِّرْنِي.[٢] وهو[٣] واحد. يقول من قال: **ولا تَفْتِنِّي**، أي لا تكن سبب فتني ومعصيتي:[٤] أي لا تأمرني بالخروج، ولكن ائذن لي بالقعود، لأنك إن أمرتني بالخروج ولم[٥] تأذن لي[٦] بالقعود والتخلّف فقعدت وتخلّفت كنت عاصيا تاركا لأمرك، فكنت أنت سبب عصياني وفتني. والثاني قوله: **ولا تَفْتِنِّي**، أي لا تأمرني بالمشقّة[٧] والشدة، ولكن بالدَّعَة[٨] والسَّعة. هم كانوا عُبّاد السَّعة والرخاء حيث كانوا[٩] مالوا إليهم، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[١٠] الآية، يقول: لا تكن سبب إثمي وانقلابي. ومنهم من قال: إن رجلا منهم[١١] يقال له الجدّ بن[١٢] قيس [قال]: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أَفْتَتِن، ولكن أُعِينك بمال، ففيه نزل[١٣] قوله:[١٤] قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ.[١٥] وهو قول ابن عباس، يقول: لا تأمرني بالخروج، فإني مُولَع بالنساء لا أصبر إذا رأيتهن.[١٦] ولا ندري كيف كانت القصة. لكن الوجه فيه ما ذكرنا آنفا. وقوله: **ولا تَفْتِنِّي**، أي ولا تمتحنّي[١٧] بالمحنة التي فيها الهلاك والمشقة.

---

[١] ك ن: ولا تخرجني؛ ع م: لا تخرجني. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ١٠/١٤٩. أي لا تُوقِعني في الحَرَج، وهو الإثم.

[٢] ك ن: ولا تكفرني.

[٣] ك: والكل.

[٤] ك + أي لا تكن سبب فتني ومعصيتي.

[٥] ع: وإن لم.

[٦] ك: ولم تأمرني؛ ع م – لي.

[٧] جميع النسخ: المشقة.

[٨] جميع النسخ: الدعة.

[٩] ك ن ع: كان.

[١٠] يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فإن أصابه خير اطْمَأَنَّ به وإن أصابته فتنة انْقَلَبَ على وجهه خَسِر الدنيا والآخرة ذلك هو الخُسْرَان المبين﴾ (سورة الحج، ٢٢/١١).

[١١] ك م + قال؛ ن + من قال؛ ع – إن رجلا منهم.

[١٢] ن ع: ابن.

[١٣] ن ع: ترك.

[١٤] م – قوله.

[١٥] سورة التوبة، ٩/٥٣.

[١٦] *تفسير الطبري*، ١٠/١٥٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٧. والمشهور أن قوله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾، نزلت في الجدّ بن قيس، ويحتمل أن يكون مجموع الآيات نزلت في نفس القصة. انظر لمجموع الروايات: *تفسير الطبري*، ١٠/١٤٨-١٤٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٣-٢١٥.

[١٧] ن: لا تمتحني؛ ع: ولا تمتحن.

فقال: **ألا في الفتنة سقطوا**، أي ألا في المشقة[1] والبلاء والهلاك **سقطوا**.[2] هذا يدل أن أهل النفاق هم كَفَرَة. وقوله عز وجل: **ألا في الفتنة سقطوا**، أي[3] ألا في الشر والإثم **سقطوا**، على تأويل من تأوّل قولَه: **ولا تَفتِنِّي**: لا تُؤَثِّمْنِي ولا تخرجني. وعلى تأويل من قال: **ولا تَفتِنِّي**: لا تَشُقَّ عليّ،[4] ولا تأمرني بالمشقة والشدة والضِّيق، يقول: ألا في الشدة والضِّيق يسقطون.[5]

[٣٠٨و] وقوله عز وجل: / **وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**، أي تحيط[6] بهم حتى لا يجدون منفذا ولا مَخْلَصا. أو تحيط بهم من تحت وفوق[7] وأمام وخلف ويمين وشمال، تحيط بهم حتى تصيب كل جارحة[8] منهم، كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ،[9] الآية، أخبر أنها تحيط بهم. وفيه دلالة أن المنافقين هم كُفَّار، لأنه ذكر في أول الآية صفة المنافقين، ثم أخبر أن جهنم تحيط بالكافرين.

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **إن تُصِبك حسنة تَسُؤْهم وإن تُصِبك سيئة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل**، قيل: **إن تُصِبك حسنة**، أي الغنيمة والنصر والظفر[10] على الأعداء،[11] يَسُؤْهم ذلك، **وإن تُصِبك مصيبة**، النكبة والهزيمة فَرِحوا بها، يقولون:[12] **قد أخذنا أمرنا من قبل**، أي أخذنا أمرنا بالوثيقة والاحتياط حيث لم نخرج معهم حتى يصبنا[13] ما أصابهم.

---

[1] ك + والفتنة.
[2] ك ع م + الآية.
[3] ن – أي.
[4] ع – علي.
[5] ك: تسقطون.
[6] ع: أي يحيط.
[7] ن ع م: ومن فوق.
[8] ع: خارجة.
[9] يقول الله تعالى: ﴿لهم مِن فوقهم ظُلَلٌ مِن النار ومِن تَحْتِهِم ظُلَلٌ ذلك يُخَوِّفُ الله به عباده يا عبادِ فاتَّقُونِ﴾ (سورة الزمر، ٣٩/١٦).
[10] ع م: والظفر والنصر.
[11] ك – والظفر على الأعداء، صح هـ.
[12] ك ع م: يقولوا.
[13] ع: حتى يصيبنا.

ويحتمل أن يكون قوله: **قد أخذنا أمرنا من قبل**، أي قد أظهرنا الموافقة للمؤمنين في الظاهر، وكنا مع الكافرين في السر ووَالَيْنَاهم[١] في الحقيقة. وهو ما ذكر من انتظارهم أحدَ أمرَين في قوله: ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ،[٢] الآية.

ويَتولَّوْا وهم فَرِحون، يحتمل يتولَّوْا أولئك الكفرة **وهم فَرِحون**. وفي الآية دلالة إثبات رسالة محمد ونبوته، لأنه معلوم أن ما يَسُوءُهم كانوا يُضمِرون ويُسِرّون عنهم، ثم أخبر عما أسرّوا وأضمروا، دل أنه[٣] إنما عَلِم ذلك بالله.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**، قال بعضهم: **إلا ما كتب الله لنا**،[٤] أي قضى الله لنا، أي **لن يصيبنا إلا ما** قضى **الله لنا**. وقال بعضهم: **إلا ما كتب الله لنا**، أي ما جاء به القرآن، وهو قوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا.[٥] ويحتمل قوله: **لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**، من الكرامة والمنزلة والنعيم الدائم[٦] في الآخرة، أي **لن يصيبنا إلا** ذلك، وإن كنتم أنتم تفرحون بذلك. فذلك الذي **كتب الله لنا هو مولانا**، أي هو[٧] ربنا، ونحن عبيده، يكتب لنا ما يشاء من الخير والشر، أي ما أكرمنا الله،[٨] أو ما[٩] أحلّ لنا وأباح. وأما القضاء فإنه قَلَّ ما يقال[١٠] فيما يكون لهم، وإنما يقال فيما قضى عليهم. وأما الكتاب لهم هو فيما[١١] [يكون لهم وعليهم][١٢] ويُحِلّ[١٣] لهم ويُبيح.

---

[١] ن ع م: والبناهم.

[٢] يقول الله تعالى: ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ١٤١/٤).

[٣] م – أنه.

[٤] م – قال بعضهم إلا ما كتب الله لنا.

[٥] سورة التوبة، ١١١/٩.

[٦] ن ع م: الدائمة.

[٧] ك – هو.

[٨] جميع النسخ + لنا.

[٩] جميع النسخ: أي ما.

[١٠] ع م: ما يقابل.

[١١] في ك ن ع بياض بمقدار عدة كلمات، ك هـ: كذا بالأصل بياض.

[١٢] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٠ظ.

[١٣] م: يحل.

وقوله: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، يحتمل وجهين. يحتمل على الإخبار، أي على الله يتوكل المؤمنون، لا يتوكلون على غيره. ويحتمل أن يكون على الأمر، أي[1] على الله توكلوا أيها المؤمنون.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **قل هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَين**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال:[2] **هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيين**، يعني الشهادة والحياة والرزق الدائم والكرامة،[3] كقوله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا،[4] الآية. ويحتمل قوله:[5] **إلا إحدى الحُسْنَيين**، في الدنيا الغنيمة والظفر، يقول: **هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيين**، إما الحياة الدائمة في الآخرة والرزق الحسن والكرامة، وإما الغنيمة والنصر في الدنيا، هذا تتربصون[6] بنا.

ونحن نتربّص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ مِن عنده، العذاب في الآخرة إن قُتِلتم، **أو بأيدينا**، أي القتل بأيدينا. **فتربّصوا**، بنا الشر، **إنّا معكم مُتربّصون**، العذاب بكم. هم كانوا لا يتربّصون بنا إلا الدوائر والهلاك، وهو ما ذكر في آية أخرى حيث قال: وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ،[7] هم كانوا لا يتربّصون بنا الحسنى، ولكن ما ذكرنا من الدوائر، لكن ذلك[8] وإن كان عند أولئك المنافقين هلاكا[9] ودائرة فهو للمؤمنين الحسنى في الآخرة.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **قل أنفقوا طَوْعا أو كَرْها لن يُتَقَبَّل منكم**، قال بعضهم: الآية في الجهاد،

---

[1] ن – أي.

[2] ع م: قل.

[3] عن ابن عباس: قوله: ﴿هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَيْن﴾، يقول: فَتْحٌ أو شهادة. وقال مرة أخرى: يقول: القتل، فهي الشهادة والحياة والرزق، وإما يخزيكم بأيدينا. انظر: *تفسير الطبري*، ١٥١/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢١٧/٤.

[4] ﴿... بل أحياء عند ربهم يُرْزَقون﴾ (سورة آل عمران، ١٦٩/٣).

[5] ك ع م – قوله.

[6] ن ع: تربصون؛ م: يتربصون.

[7] يقول الله تعالى: ﴿ومِن الأعراب مَن يتخذ ما يُنفق مَغْرَما...﴾ (سورة التوبة، ٩٨/٩).

[8] «ولكن الذي تربصوا بنا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٠ظ).

[9] جميع النسخ: هلاك.

وإن المنافقين[١] كانوا يؤمرون[٢] بالجهاد والقتال مع الكفرة على ما أُمِر[٣] أهل الإيمان بذلك. ثم منهم من كان يخرج للجهاد، ومنهم من كان يُجَهِّز غيره ويقعد، ومنهم من كان يخرج[٤] كارها، ونحوه، فنزل قوله: **قل أنفقوا طَوْعا أو كَرْها**، أي خوفا، **لن يُتَقَبَّل منكم**. ومنهم من قال: الآية في الزكاة، أنّ الله[٥] عز وجل فرض الزكاة في أموال المؤمنين، والمنافقون قد أظهروا الإيمان، وكانوا ينفقون ويؤدّون الزكاة، لكن منهم من كان يؤدي **طَوْعا**، ومنهم من يؤدي[٦] **كَرْها**، فقال: **قل أنفقوا طَوْعا أو كَرْها لن يُتَقَبَّل منكم**، لأنهم كانوا لا يَرون قُرْبَة، وكانوا ينفقون وهم كارهون في الباطن؛[٧] ألا ترى أنه قال: وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،[٨] دلّ أنهم كانوا ينفقون جميعا وهم كارهون لذلك في الباطن.[٩] ثم بيّن ما به لم تُقبَل[١٠] نفقاتهم، وهو ما ذكر: **إنكم كنتم قوما فاسقين**.

* وقوله عز وجل: **إنكم كنتم قوما فاسقين**، أي إنكم كنتم فاسقين. ويحتمل قوله: **كنتم**، أي صِرْتم **فاسقين** بما أنفقتم وأنتم كارهون. إذ هم قد أظهروا الإيمان ثم تركوه،[١١] كقوله: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا،[١٢] أخبر أنهم آمنوا ثم كفروا، فعلى ذلك الأول.* [٣٠٨ظ س٣ - ٣٠٨ظ س٥]

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٥٤]

وقال: **وما منعهم أنْ تُقبَلَ منهم نفقاتهم**،[١٣] الآية، في الآية وجهان. أحدهما دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أنهم **لا يأتون الصلاة إلا وهم كُسَالَى**،

---

[١] ك ن ع: ان المنافقين.
[٢] ن ع م: يأمرون.
[٣] ك: ما أقر.
[٤] ن – يخرج للجهاد ومنهم من كان يجهز غيره ويقعد ومنهم من كان يخرج.
[٥] أي لأن الله...
[٦] ع: ومنهم يؤدي.
[٧] ع: في الباطل.
[٨] الآية التالية.
[٩] ع: في الباطل.
[١٠] ك: لن تتقبل؛ ع م: لم يتقبل.
[١١] ك + هم.
[١٢] سورة المنافقون، ٦٣/٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٨ظ/سطر ٣-٥.
[١٣] ن – وهو ما ذكر إنكم كنتم قوما فاسقين وقال وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم.

وهم في الظاهر كانوا يأتون الصلاة على ما كان يأتي المؤمنون، ثم أخبر أنهم يأتونها **كُسَالَى**؛ دلّ أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. وكذلك أخبر أنهم ينفقون **وهم كارهون** لذلك، وكانوا ينفقون في الظاهر مُراآة لموافقتهم، ثم أخبر أنهم كانوا كارهين / لذلك في السر. دلّ أنه إنما علم ذلك بالله تعالى. [٣٠٨ظ]

والثاني أنْ لا تقومُ قُرْبَة ولا تُقبَل إلا على حقيقة الإيمان. الإيمان[1] هو شرط قيام هذه العبادات وقبول القرب، لا أنّ أَنفُسَها إيمان، لأنهم كانوا يُظهِرون الإيمان ويُسِرّون الكفر، دلّ أنه ما ذكرنا.[2] *وبالله التوفيق*.*

وقوله عز وجل: **ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسَالَى**، وكَسْلى[3] وكَسَالى فيه لغات ثلاثة،[4] والمعنى واحد، وهو أنهم **لا يأتون الصلاة إلا** مستثقلين، لأنهم كانوا لا يرونها[5] قُربة.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا**، قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه قال: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقال بعضهم: هو على ما ذكر: **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها**، في الآخرة[6] وفي الحياة الدنيا. والتعذيب في الدنيا هو ما فرض عليهم الجهاد وأُمِروا بالخروج للقتال، فكان يشقّ ذلك عليهم ويشتدّ، فذلك التعذيب لهم. وهو ما ذكر في آية أخرى: أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ،[7] الآية. أو التعذيب في الدنيا هو القتل، يُقتَلون إن لم يَخرجوا.

---

[1] ع م – الإيمان.
[2] م: ما ذكر.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٨ظ/سطر ٣-٥.
[3] ع: وكشلى.
[4] وفيه لغة أخرى أيضا، وهي كِسَالى (*لسان العرب* لابن منظور، «كسل»).
[5] م: لا يردونها.
[6] ك – وقال بعضهم هو على ما ذكر فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.
[7] ﴿... ينظرون إليك تَدُور أَعْيُنُهم كالذي يُغْشَى عليه مِن الموت فإذا ذهب الخوف سَلَقُوكم بأَلْسِنَةٍ حِدادٍ **أَشِحَّةً** على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾ (سورة الأحزاب، ١٩/٣٣).

وفي الآية دلالة الرد على المعتزلة، لأنهم يقولون: لا يعطي [الله] أحدا شيئا إلا ما هو أصلح له في الدين. ثم قال لرسول الله: **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم**، ولو كان لم يعطهم الأموال[١] والأولاد إلا للخيرات والصلاح فكأنه قال: لا يعجبك[٢] ما أعطيتُهم من الخيرات والصلاح، فذلك بعيد. فدل أنه قد يعطي خلقه ما ليس بأصلح لهم في الدين. وكذلك في قوله: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ، الآية، دلالة الرد على قولهم، لأنه قال: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ[٣] -ثم قال- بَل لَّا يَشْعُرُونَ،[٤] أنه[٥] يمدهم به لا للخيرات. دل أنه قد يعطي خلقه ما ليس هو بأصلح لهم في الدين. وفي قوله: **إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا**، دلالة الرد على المجبرة[٦] أيضا، لأنه أخبر أنه يعذبهم في الدنيا والآخرة، ولا يعذبهم مَجَّانًا[٧] فيما لا فعل لهم في ذلك. دل أن لهم صُنعًا[٨] في ذلك، وأنه إنما يعذبهم بفعل اكتسبوه. وفي قوله: **إنما يريد الله ليعذبهم بها**، دلالة أنْ ليس كل ما يعطيهم إنما يعطيهم ليرحمهم به، ولكن يعطيهم لِما علم منهم. فإن كان علم منهم أنهم يستعملون ما أعطاهم من الأموال وغيرها فيما فيه هلاكهم أعطاهم لذلك، ومن علم منهم أنه يستعمله لنجاته أعطاهم[٩] ليرحمهم به. فإنما أعطى كُلًّا ما علم أنه يكون منهم، لأنه لو أعطاهم على غير ما علم منهم فإنه[١٠] يكون في إعطائه مخطئا.

وقوله عز وجل: **وتزهق أنفسهم وهم كافرون**، قيل: تخرج أنفسهم وتهلك خوفا. قال أبو عَوْسَجَة: يُقال: خرج نفسه من فمه. وقيل: تذهب أنفسهم، كقوله: وَزَهَقَ الْبَاطِلُ،[١١] أي ذهب.

---

[١] ع: الأموالهم.
[٢] ع: فلا يعجبك.
[٣] ك – الآية دلالة الرد على قولهم لأنه قال أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات.
[٤] سورة المؤمنون، ٢٣/٥٥-٥٦.
[٥] م: انما.
[٦] جميع النسخ: عليهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥١و.
[٧] المَجَّان: عطيّة الشيء بلا مِنّة ولا ثمن. وقيل: المجان: الباطل. ويقال: ماء مَجّان وتمر مَجّان، يريدون أنه كثير كافٍ (*لسان العرب* لابن منظور، «مجن»).
[٨] جميع النسخ: صنع.
[٩] ك ن م: أعطاه.
[١٠] جميع النسخ: انه.
[١١] سورة الإسراء، ١٧/٨١.

وكذلك قال أبو عُبَيدة: زهق،[١] أي ذهب.[٢] وفي الآية دلالة إثبات رسالة[٣] رسول الله، لأنه أخبر أن أنفسهم تزهق وهم كافرون، فكان ما ذكر. دلّ أنه علم ذلك بالله.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **ويحلفون بالله إنهم لمنكم**، في الباطن في الدين، لأنهم كانوا منهم[٤] في الظاهر. وقال: **وما هم منكم**، في الباطن في الدين، **ولكنهم قوم يَفْرَقون**، أي يخافون القتل، فيُظهِرون الموافقة لهم.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **لو يجدون مَلْجَأً أو مَغَاراتٍ أو مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إليه**، قيل: لو وجدوا حِرْزا، **أو مَغَارَاتٍ**، يعني الغِيران في الجبال، **أو مُدَّخَلًا**، أي[٥] سِرْبا في الأرض،[٦] **لَوَلَّوْا إليه**، أي رجعوا[٧] إليه، **وهم يَجْمَحُون**، أي يَسْعَوْن. وعن ابن عباس قال: المَلْجَأ: الحِرْز في الجبال، والمَغَارات: الغِيران، والمُدَّخَل: السِّرْب.[٨] قال أبو عَوْسَجة: المَغَارات مثل المَلْجَأ، وهو شيء يتحصّنون فيه، ومُدَّخَلا هو موضع يدخلونه أيضا، **وهم يَجْمَحُون**، أي يُسرِعون، يقال: جَمَحت الدابة، تَجْمَح[٩] جِماحا،[١٠] فهي[١١] جامح،[١٢] وهو من الإسراع.[١٣] وكذلك قال القُتَبي.[١٤]

---

[١] ن ع م: أبو عبيد تزهق.

[٢] يقول أبو عبيدة: «﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي تخرج وتموت وتهلك، ويقال: زهق ما عندك أي ذهب كله» (*مجاز القرآن* لابن قتيبة، ١/٢٦٢).

[٣] ع – رسالة.

[٤] ن: منكم.

[٥] ن: يعني.

[٦] جميع النسخ + في الجبال؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥١و.

[٧] ع: أي يرجعوا.

[٨] تفسير *الطبري*، ١٠/١٥٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٨.

[٩] ك: تجمع.

[١٠] م – جماحا.

[١١] جميع النسخ: فهو.

[١٢] والذكر والأنثى في هذا الوصف سواء (*لسان العرب* لابن منظور، «جمح»).

[١٣] ع: من الأسرع.

[١٤] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٨٨.

وقال أبو معاذ:[١] الجَمُوح: الراكبُ رأسَه وهَواه. وقال بعضهم: قوله: **أو مُدَّخَلا**، لو يجدون[٢] ناسا يدخلون بينهم، **لَوَلَّوْا إليه**، دونكم. وأصله[٣] أنهم[٤] لو وجدوا مأمنا يأمنون به،[٥] **لَوَلَّوْا إليه**، أي لصاروا إليه مسرعين ولا يُظهِرون لكم الإيمان، ولكن ليس لهم ذلك. ***والله أعلم***.

﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **ومنهم**، يعني المنافقين، **من يَلْمِزُك في الصدقات**، اختلف فيه. قال بعضهم: **يَلْمِزُك**، يزورك لمكان الصدقات طمعا فيها لتعطيهم الصدقات. و[قيل:] **يَلْمِزُك**، أي يزورك ليسألك من الصدقات، أي إنما يزورونك لمكان الصدقات لتعطيهم، لا يزورونك ولا يأتونك لمكان الرسالة أو رغبةً في الدين، ولكن لمكان الصدقات. **فإن أُعْطُوا** / **منها** [٣٠٩ر] **رَضُوا**، عنك ويعظّمونك، وإن لم تعطهم[٦] **إذا هم يَسْخَطون**، لأن إتيانهم رسول الله وزيارتهم إياه لمكان الصدقة، فإذا لم يُعْطَوْا منها شيئا سَخِطوا. ومنهم من قال: قوله: **ومنهم من يَلْمِزُك في الصدقات**، أي يطعن عليك في الصدقات، أي في قسمة الصدقات. روي عن أبي سعيد الخدري قال: بَيْنَا رسول الله يقسم قَسْمًا له فجاءه رجل يقال له: ابن ذي الخُوَيْصِرة التميمي، فقال: اعْدِلْ يا رسول[٧] الله، فقال له النبي: «وَيْلَكَ! ومَن يعدل إذا لم أعدل أنا؟»، فقال عمر: ائذن لي يا رسول[٨] الله فأضرب عنقه، فقال له النبي: «دَعْه، فإن له أصحابا[٩] يحتقر أحدكم صلاته إلى صلاته وصيامه إلى صيامه - [أي] لحسن صلاته وصيامه، فيحتقر صلاته عند صلاة أولئك- يَمْرُقون من الدين كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيَّة»،

[١] بُكَير بن معروف الأسدي أبو معاذ أو أبو الحسن النيسابوري ويقال الدامغاني (ت. ١٦٣هـ/٧٨٠م)، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور، ثم سكن دمشق، روى الحديث عن أبي حنيفة ومقاتل وغيرهم. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤٣٤/١؛ وطبقات المفسرين للسيوطي، ٤٢/١.
[٢] ع م: لا يجدون.
[٣] ع + أنكم.
[٤] ك: أنه.
[٥] ع م - به.
[٦] ع: أو إن لم يعطهم؛ م: وإن لم يعطهم.
[٧] ك: يرسول.
[٨] ك: يرسول.
[٩] م - أصحابا.

ذكر[1] حديثا طويلا.[2] كان[3] [هذا الرجل][4] من الخوارج، وهو الذي قتله علي بن[5] أبي طالب رضي الله عنه.[6]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **ولو أنهم رَضُوا ما آتاهم الله ورسوله، ما آتاهم الله**، من الرزق، **ورسوله**، من الصدقات، **وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله**. وقيل: **ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله**، من فضله، أي من دينه، **ورسولُه وقالوا حسبنا الله**، كان خيرا لهم مما طمعوا في هذه الصدقات وطعنوا رسول الله في ذلك. وقال بعضهم: **رَضُوا ما آتاهم الله**، من فضله مما رزقهم[7] لكان خيرا لهم[8] مما فعلوا. وقال بعض أهل التأويل: **ولو أنهم رَضُوا ما آتاهم الله**، من فضله، أي من الصدقات التي كان أعطاهم رسول الله منها وإلى الله رغبوا لكان خيرا لهم[9] مما طمعوا في تلك الصدقات وطعنوا رسول الله وسَخِطوا عليه. ويُقرأ: يَلْمِزك، ويَلْمُزك، برفع الميم.[10] قال أبو عَوْسَجة: اللَّمز: العيب، يقال:[11] لَمَّاز ولامِز، وهَمَّاز وهامِز. وقال القُتَبي: **يَلْمِزك**، أي يعيبك ويطعن عليك، يقال: هَمَزت فلانا ولَمَزته، إذا اغتبته وعِبْته، وكذلك قول الله: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ.[12]

---

[1] ن – ذكر.

[2] جميع النسخ + وهو كأنه.

[3] ن: قال.

[4] من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥١و.

[5] ن: ابن.

[6] وفي آخر الحديث: «... آيتهم رجلٌ إحدى يديه –أو قال: ثدييه– مثل ثدي المرأة... يخرجون على حين فُرقة من الناس»، قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن عَلِيا قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فنزلت فيه: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ (*صحيح البخاري* استتابة المرتدين ٧؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١٤٨؛ و*تفسير عبد الرزاق*، ٢/٢٧٧-٢٧٨؛ و*تفسير الطبري*، ١٠/١٥٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٩). فالرجل المقتول إذًا هو غير ذي الخويصرة.

[7] ك ع: رزق لهم.

[8] ن – مما طمعوا في هذه الصدقات وطعنوا رسول الله في ذلك وقال بعضهم رضوا ما آتاهم الله من فضله مما رزقهم لكان خيرا لهم.

[9] ع م – لهم.

[10] قرأ يعقوب البصري من الأئمة العشرة بضم الميم، والباقون بكسرها؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٧٩.

[11] ك ع م: + له.

[12] سورة الهمزة، ١٠٤/١. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٨٨.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **إنما الصدقات للفقراء والمساكين**، يشبه أن تكون الآية في بيان موضع الصدقة[١] على ما تقدم من الذكر بقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا،[٢] الآية، [على] ما ذُكِر أن المنافقين كانوا يأتون[٣] رسول الله ويسألونه من الصدقات، فإن أعطاهم منه رَضُوا،[٤] وإن لم يعطهم طعنوا فيه وعابوا عليه، فبيّن أن الصدقات ليست لهؤلاء، ولكن للفقراء من المسلمين والمساكين من المسلمين، وكذلك ما ذكر من الأصناف المكاتَبين والغارمين، أنها لهؤلاء من المسلمين لا لهم. ويدل على ذلك ما جاء من الأخبار. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وضع صدقات بأعيانها حُمِلت إليه في صنف واحد. فروي[٥] أنه أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى فلانا كذا.[٦] وروي عن الصحابة أنهم[٧] وضعوا الصدقة في صنف واحد. روي عن حذيفة أنه قال: هؤلاء أهلها، ففي أي صنف وضعتها أجزأك.[٨] وعن ابن عباس أنه قال كذلك.[٩] وعن عمر أنه كان إذا جمع[١٠] صدقات المواشي والبقر والغنم[١١] نظر ما كان مُنتِجة للَّبَن، فيعطي لأهل البيت على قدر ما يكفيهم، فكان يعطى العشرة[١٢] للبيت الواحد، ثم يقول:[١٣] عطية تكفي خير من عطية لا تكفي، أو كلام نحو هذا.

---

[١] يقول السمرقندي رحمه الله تعالى: «يشبه أن تكون الآية في بيان موضع الصدقة، لا لإثبات الشركة من الأصناف الثمانية. وإنما ذكرها لبيان أسباب الاستحقاق والتي ترجع إلى معنى واحد، وهو الحاجة. يدل على ذلك ما ذكرنا من سبب نزول الآية أن المنافقين كانوا يأتون...» (شرح *التأويلات* ورقة ٣٥١ظ). والقول المذكور هو قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

[٢] سورة التوبة، ٥٨/٩.

[٣] ع: يأتوك.

[٤] ن ع م: رضوا منه.

[٥] جميع النسخ: ما روي.

[٦] ن – كذا. وانظر للحديث: صحيح *البخاري*، فرض الخمس ١٩؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١٤٠.

[٧] ن ع م: أنه.

[٨] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٠٥/٢؛ وتفسير *الطبري*، ١٦٦/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢١/٤.

[٩] تفسير *الطبري*، ١٦٧/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢١/٤.

[١٠] ع – جمع.

[١١] ن – والغنم.

[١٢] جميع النسخ + شاة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥١ظ.

[١٣] ك: ويقول.

وقد روي عنه أنه سئل عن ذلك فقال: والله لأردّنّ عليهم الصدقة حتى يروح على أحدهم مائة ناقة أو مائة بعير.[1] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أُتي بصدقة، فبعثها إلى أهل بيت واحد. هؤلاء نجباء[2] الصحابة استجازوا وضع الصدقة في صنف واحد، ولو كان حق كل صدقة أن تُقسَم بين هؤلاء الأصناف الذين ذكر بالسَّوِيّة على ما قال القوم لكان[3] قال الله عز وجل: إنما الصدقات بين الفقراء وبين من معهم من الأصناف. كما يقال: الميراث لقرابة فلان، أي ليس للأجنبيين في ذلك حق، وإذا قيل: الميراث بين قرابة فلان، كان لكلٍّ في ذلك حقا، لأن حرف "بين" يقتضي التسوية لجميعهم،[4] وقوله:[5] "لهم" يقتضي أنه لا حق فيه لغيرهم. ألا ترى أنه يقال:[6] الخلافة لولد العباس، يُراد أنه لا حظ فيها لغيرهم، والسِّقاية لبني هاشم، ونحوه، ليس يُراد ذلك بينهم[7] بالسَّوِيّة، وإنما يُراد بذلك[8] أنْ لا حق لغيرهم فيها. وبَعْدُ فإنه لو كان في الآية: إنما الصدقات بين الفقراء وبين من ذكر معهم، لكان لا يجب قسمة كل صدقة بين هؤلاء الأصناف المذكورة في الآية، لأنه ليس للصدقات انقطاع، بل لها مَدَد،[9] إذا دفع صدقة واحد إلى صنف واحد فإذا أُتي بصدقة أخرى دفع إلى صنف آخر، هكذا يعمل في الأصناف كلها. وبَعدُ، فإنه لم يُذكَر عن أحد من الأئمة أنه تكلّف طلب هؤلاء الأصناف فقسمها بينهم. وكذلك لم يُذكَر عن أحد من أرباب الأموال أنهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء الذين ذكروا.[10] فدل أنه خرج على ما ذكرنا، لأنه لو كان على تسوية كل صدقة بينهم لم يجز[11] أن لا يقسموها كذلك ويُضيعوا[12] حق البعض من هؤلاء.

---

[1] روي عن عمرو بن مُرّة عن أبيه قال: سئل عمر عمّا يؤخذ من صدقات الأعراب كيف يصنع بها؟ فقال عمر: والله لأردّنّ عليهم الصدقة حتى تروح على أحدهم مائة ناقة أو مائة بعير؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٢/٢.

[2] ن: نجبار.

[3] ن ع م: لمكان.

[4] ع م: بجميعهم.

[5] ع: وقولهم.

[6] ك: قال.

[7] ن – بينهم.

[8] ع م: ذلك.

[9] ن: مددا.

[10] ع م: ذكر.

[11] ن – الأموال أنهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء الذين ذكروا فدل أنه خرج على ما ذكرنا لأنه لو كان على تسوية كل صدقة بينهم لم يجز.

[12] جميع النسخ: ويضيعون.

وبَعُدُ، فإنه لو تكلّف الإمام أن يظفر بهؤلاء الثمانية ما قدر على ذلك. دل أنه لم يخرج الخطاب على ما توهّم / خصومنا. ولأن الحق لو كان التسوية بينهم في كل صدقة لكان إذا لم يجد [٣٠٩ظ] في بلدة مُكاتَبين[1] أو واحدا من هؤلاء الأصناف فيجب[2] أن يسقط مقدار حصة[3] من لم يجد عن أربابها، فذلك بعيد. فقد[4] جاء في الخبر أنه بعث معاذا إلى اليمن، فقال له: «خُذْ من أغنيائهم، ورُدّ في فقرائهم».[5] ويكره إخراج صدقة كل بلد إلى غيره من البلدان.

ثم تحتمل[6] الآية جميع الصدقات التي يُتصدّق[7] بها على الفقراء والمساكين من الفيء وغيره. فبيّن أنّ هؤلاء موضعٌ لذلك كله، من نحو قوله: وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ،[8] وقوله: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا.[9] ويحتمل زكاة الأموال[10] المفروضة. والوجه فيه ما ذكرنا.[11]

فإن قيل: إن الرجل إذا أوصى فقال: ثلث مالي لفلان وفلان وفلان،[12] أليس هو مقسوما[13] بينهم بالتّسوية، ما منع أنّ الأول مثله؟[14]

قيل: لا يشبه الصدقات الوصايا. وذلك أن الوصية إنما[15] وقعت في مال معلوم لا يزيد فيه بعد موت الميت شيء،[16] ولا يُتوهّم لها مَدَد، والصدقات يزيد بعضها بعضا، وإذا فني مال جاء مال آخر، وإذا مضت سنة جاءت سنة أخرى بمال جديد. فإذا دفع الإمام صدقة بجميع ما عنده إلى الفقراء ثم حضره غارمون فتُحمَل إليه صدقة أخرى يجعلها فيهم،

[1] ع – مكاتبين.
[2] ك ن: ليجب.
[3] ك: حصته.
[4] ك ن: وقد.
[5] روي نحوه؛ انظر: صحيح *البخاري*، الزكاة ١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣١.
[6] ن ع م: ثم يحتمل.
[7] ن + التي يتصدق.
[8] سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[9] سورة التوبة، ١٠٣/٩.
[10] ك: المال.
[11] أي إن الآية في الزكاة.
[12] م – وفلان.
[13] ن ع م: مقسوم.
[14] جميع النسخ: بمثله.
[15] ك – إنما.
[16] جميع النسخ: شيئا.

فيصلح بذلك أحوال الجميع لِما لا انقطاع للأموال إلى يوم القيامة. وكيف يقسم الصدقة على ثمانية أسهم ولا خلاف في أن للعاملين[1] [عليها حصتهم] بقدر عَمَالَتِهم، زاد ذلك على الثُّمُن[2] أو نقص منه؟[3] فإذا زالت القسمة في أحد الأصناف زالت في الجميع، فأُعطي كل صنف منهم بقدر حاجته[4] كما أُعطي العاملون. وكيف يصنع بسهم المؤلفة قلوبهم وقد ارتفع ذلك ونُسِخ، وعلى ذلك[5] جاء عن بعض الصحابة من نحو أبي بكر وعمر أنهم لم يعطوهم[6] شيئا؟ أليس يُرَدّ ذلك على سائر السهام؟ فإذا جاز أن يُزاد على الثُّمُن في وقت جاز أن يُنقَصوا[7] منه في وقت.*

ثم اختلف في الفقراء والمساكين. قال بعضهم: الفقراء هم من المهاجرين، كقوله: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ،[8] والمساكين من الذين لم يهاجروا. وقال بعضهم: الفقير الذي به زَمَانة، والمسكين الذي ليست به زَمَانة وهو محتاج. وقال بعضهم: الفقراء هم المُتَعَفِّفُون الذين لا يخرجون ولا يسألون الناس،[9] كقوله تعالى: يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ،[10] والمساكين هم الذين يسألون. وكذلك قال الحسن.[11] وعن عمر قال: ليس المسكين الذي لا مال له، ولكن المسكين الذي[12] لا يصيب المَكْسَب. وعن ابن عباس قال: الفقراء فقراء المسلمين، والمساكين الطّوّافون.[13] وهو قريب مما قاله الحسن. وعن الأصم قال: الفقير الذي لا يسأل -وهو ما ذكرنا بَدْءً- والمسكين الذي يسأل إذا احتاج ويُمْسِك إذا استغنى.

[1] ك: أن العاملين؛ ن ع: أن للعالمين.
[2] ن – الثمن.
[3] ك: عنه.
[4] ع م: حاجة.
[5] ن – ذلك، صح هـ.
[6] جميع النسخ: لم يعطهم.
[7] ع: أن ينقضوا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٠٩ظ/سطر ١٥-١٧.
[8] سورة الحشر، ٨/٥٩.
[9] م + إلحافا.
[10] يقول الله تعالى: ﴿للفقراء الذين أُحصِروا في سبيل الله لا يستطيعون ضَرْبًا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفُّف تَعرفهم بِسِيمَاهم لا يسألون الناس إلحافا﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٣).
[11] *تفسير الطبري*، ١٠/١٥٨.
[12] ع: المسلمين الذين.
[13] *تفسير الطبري*، ١٠/١٥٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٢١.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [في حديث] يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «ليس المسكين هذا الطّوّاف الذي يطوف على الناس، تَرُدُّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان»، قيل: فما المسكين يا رسول[١] الله؟ قال: «الذي لا يجد ما يُغنِيه ولا يُفطَن به فيُتصدَّق عليه ولا يقوم فيسأل[٢] الناس».[٣] فهذا لو حُمِل على ظاهره لدفع قول من قال: إن المسكين هو الذي لا يسأل الناس، ولكن يجوز أن يكون معناه -والله أعلم- أن الذي يسأل[٤] وإن كان عندكم مسكينا فإن الذي لا يسأل أشدّ مَسكنةً منه. ولا يُحمَل على غير ذلك، لأن الله قد سمّى الذين لا يسألون الناس فقراء، ولا يجوز أن يُجعَل الحديث مخالفا للآية ما أمكن أن يكون موافقا لها. قال الله تعالى: يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ،[٥] فقوله: ذَا مَتْرَبَةٍ، قيل: هو الذي لا حائل بينه وبين التراب لفقره. فدل بذلك -والله أعلم- على أن المسكين هو الشديد الفقر، والفقير هو الذي لا يملك[٦] شيئا و لم يبلغ في الفقر والضرورة حال المسكين. ويدل لذلك قول عمر: ليس المسكين من لا مال له، ولكن المسكين من لا مكسب له، كأنه يقول: إن الذي لا مال له وله مكسب هو فقير، والمسكين أشدّ حالا من الفقير، وليس له مال ولا مكسب. وإن حُمِل قول النبي عليه السلام: «ليس المسكين الذي[٧] يسأل، ولكن المسكين الذي لا يُفطَن به ولا يَسأل»، على أن ذلك الذي لا يُفطَن به هو أشدّ مَسكنةً من الآخر وإن كان الآخر مسكينا أيضا، كان موافقا للمعنى الذي ذكرنا؛ لأنّا قلنا: إن المسكين هو الشديد الفقر، وقد يكون فقيرا[٨] وإن لم يبلغ به[٩] الضر مبلغ الضر[١٠] الأول. وقد يخرج قول من قال: إن المسكين [هو] الذي[١١] يخرج هذا المخرج، لأن من شأن المسلم الفقير أنه يتحمّل ما كانت له حيلة ويتعفّف،

[١] ك: يرسول.
[٢] ن: ويسأل.
[٣] *صحيح البخاري*، الزكاة ٥٣؛ *وصحيح مسلم*، الزكاة ١٠١.
[٤] ع م: لا يسأل.
[٥] سورة البلد، ٩٠/١٥-١٦.
[٦] ك: الذي يملك.
[٧] ن + الذي.
[٨] ن: شديدا.
[٩] ن: فيه.
[١٠] ن – مبلغ الضر.
[١١] ع: الذين.

ولا يخرج[1] فيسأل وله حيلة،[2] فخروجه يدل على شدة ضيقه وعلى الزيادة في سوء حاله.
[٣١٠و] فكان القولان جميعا يرجعان إلى معنى واحد. وإذا كان الفقير أحسن حالا / من المسكين لما ذكرنا فقد يجوز أن تُدفَع[3] الصدقة إلى من له مال قليل، لأنه فقير،[4] وإن لم يكن حاله في فقره حال المسكين الذي لا يملك شيئا. **والله أعلم.**

[٣١١و س٩] * والفقير الذي يجوز أن يُعطَى من الصدقة روي [فيه] عن الحسين[5] بن[6] علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للسائل[7] حق وإن جاء على فرس».[8] وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس».[9] وجاء في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يسأل عبد -أو قال: أحد- مسألة وله ما يُغنِيه إلا جاءت [مسألته][10] يوم القيامة خُدُوشا -أو كُدُوحا- في وجهه»،[11] قال: يا رسول الله، وماذا يُغنِيه؟ -أو ما غناه؟-[12] قال: «خمسون درهما أو حسابها من الذهب».[13] وفي بعض الأخبار يقول: «من سأل وله أربعون درهما فقد أَلْحَف».[14]

---

[1] ك: فلا يخرج.
[2] ع م: حيل.
[3] ن ع م: أن يدفع.
[4] ن: قليل.
[5] ن: من الحسن؛ ع م: عن الحسن.
[6] م: ابن.
[7] ع: المسائل.
[8] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٠١؛ وسنن *أبي داود*، الزكاة ٣٣. وسنده جيد؛ انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ١٩٣/٢.
[9] *الموطأ* لمالك، الصدقة ٣، عن زيد بن أسلم مرسلا.
[10] من مصادر الرواية.
[11] كُدُوح جمع كَدْح بمعنى خَدْش (*لسان العرب* لابن منظور، «كدح»).
[12] ع م: ما أغناه.
[13] سنن *ابن ماجة*، الزكاة ٢٦؛ وسنن *أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ وسنن *الترمذي*، الزكاة ٢٢.
[14] في الحديث: «وله أُوقِيَة»، وكانت الأوقية أربعين درهما على عهد الرسول؛ انظر: سنن *أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ وسنن *النسائي*، الزكاة ٨٩. الإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة. وفي التنزيل: ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ (سورة البقرة، ٢٧٣/٢). وقد أَلْحَف عليه. ويُقال: وليس للمُلْحِف مِثلُ الردّ. وألحف السائل: ألحّ... روي عن النبي أنه قال: «من سأل وله أربعون درهما فقد ألحف»، وفي رواية: «فقد سأل الناس إلحافا»... ومعنى ألحف: أي شَمِل بالمسألة وهو مستغنٍ عنها، واللِّحَاف مِن هذا اشتقاقُه، لأنه يَشمل الإنسان في التغطية (*لسان العرب* لابن منظور، «لحف»).

وعن علي وعبد الله قالا: لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما أو عِوَضُها من الذهب.[١] وعن عمر كذلك. وعن ابن عباس قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي أربعون درهما، أمُستكثِرٌ[٢] أنا؟ قال: «نعم». وفي بعض الأخبار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[٣] «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سَوِيّ»،[٤] وفي بعض الأخبار: «ولا[٥] لقوي مُكتسِب».[٦] وإنما يُحْمَل قولُه: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سَوِيّ»، [أنه] خرج على الزجر[٧] عن التعرُّض للصدقة والمسألة لها.[٨] ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الصدقة لا تحل[٩] إلا في إحدى ثلاث»، فذكر أحدها:[١٠] «أو فقر مُدْقِع»،[١١] فذلك يُبيح لذي المِرّة السَّوِيّ أن يَقبل. ألا ترى أن الرجلين[١٢] اللذين سألا رسول الله قال لهما: «إن شئتما أعطيتكما»،[١٣] فلو كان حراما عليهما[١٤] ما أعطاهما الحرام، ولكن ذلك على الزجر عن المسألة. وروي عن سلمان أنه حمل إلى رسول الله صدقة، فقال لأصحابه: «كلوا»، ولم يأكل هو.[١٥] ولا يتوهَّم متوهِّم أن أصحابه كانوا زَمْنَى، فهذا يبيّن أن النبي إنما[١٦] أراد الزجر عن المسألة والتعرُّض لها إلا في[١٧] حال الضرورة، لا على التحريم لها،

---

[١] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٠٣/٢؛ وروي ذلك مرفوعا عن عبد الله بن مسعود؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٦٦/١.

[٢] ع م: مستكثر.

[٣] ن ع + قال.

[٤] *سنن ابن ماجة*، الزكاة ٢٦؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ٢٣. وحسّنه الترمذي. المِرّة: القوة وشدة العقل أيضا. ورجل مَرِير، أي قوي ذو مِرّة. وفي الحديث: ﴿لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سَوِيّ﴾، المِرّة: القوة والشدة، والسَّوِيّ: الصحيح الأعضاء (*لسان العرب* لابن منظور، «مرر»).

[٥] ع م – ولا.

[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢٤/٤، ٣٦٢/٥؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ و*سنن النسائي*، الزكاة ٩١.

[٧] ع م: عن الزجر.

[٨] جميع النسخ: عن العرض على الصدقة والمسألة عليها.

[٩] ن – لا تحل.

[١٠] ك: ثلث فقد ذكر إحداها.

[١١] يأتي تخريجه قريبا.

[١٢] ع م: أن الرجل.

[١٣] وهو الحديث الذي فيه: «ولا تحل لغني ولا لقوي مكتسب».

[١٤] ن: عليها.

[١٥] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣٨/٥، ٤٣٩، ٤٤٣.

[١٦] م – إنما.

[١٧] ع م: لها في.

وأن من أخذها وله أقل من مائتي درهم أو قيمتها فله فيما يملك سَدادٌ مِن عَيْش، فذلك مكروه. ألا ترى أنه روي عن الحسن أنه قال: كان أصحاب رسول الله يأخذون الصدقة ولأحدهم من السلاح والكُراع[1] والعقار قيمة عشرة آلاف درهم. فهذا حسن. والتعفُّف عنها أحسن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استغنى أغناه الله، ومن استَعَفّ[2] أَعَفَّه الله»،[3] وقولِه: «لَأَنْ يأخذَ أحدكم حبلا فيحتطب[4] خير له من أن يسأل الناس شيئا أعطَوْه أو منعوه».[5]* ‎[٣١١و س٢٧]

وقوله عز وجل: **والعاملين عليها**، اختلف فيه. قال بعضهم:[6] يعطى لهم الثُّمُن. وقال بعضهم: يعطى لهم قدر عُمَالتهم.[7] وقال بعضهم: يعطى لهم قدر كفايتهم وعيالهم. أما قول من قال: يعطى لهم الثُّمُن، لا معنى له، لِما يجوز[8] أن يبلغ الثُّمُن الوفاء، وعُمَالته لا تبلغ عُشْرَ عَشِيرِ[9] ذلك. ومن قال: يعطى لهم قدر كفايتهم[10] وكفاية عيالهم، فهو -والله أعلم- إذا كان هو[11] يُسلِم نفسه لذلك واستعمله الإمام في جميع أمور المسلمين، فإذا كان كذلك يعطى له عند ذلك الكفاية له ولعياله، وأمّا إذا تولى شيئا من ذلك العُمَالة في وقتٍ فيعطى له الكفاية فلا. والأشبه عندنا أن يعطى لهم قدر عُمالتهم، وهكذا الإمام إذا استعمل أحدا في عمل من أعمال اليتيم فإنه يعطى له قدر أجر عمله.

‎[٣٠٩ظ س١٥] * وفي قوله: **والعاملين عليها**، دلالة أنْ لا بأس للأئمة والقضاة [في] أخذ الكفاية من بيت المال، ولكل عاملٍ لِلمسلمين أخذُ كفايتِه ورزقِه من ذلك إذا فرّغ نفسه لذلك وكفّها عن غيرها من المنافع والأعمال.* ‎[٣٠٩ظ س١٧]

---

[1] الكُراع: اسم يجمع الخيل. وقيل: السلاح. وقيل: هو اسم يجمع الخيل والسلاح... (*لسان العرب* لابن منظور، «كرع»).

[2] ن + أغناه الله.

[3] *سنن أبي داود*، الزكاة ٢٤؛ و*سنن النسائي*، الزكاة ٨٩.

[4] ع: فيخطب.

[5] روي نحوه؛ انظر: صحيح *البخاري*، البيوع ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١٠٧.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١١و/سطر ٩-٢٧.

[6] ن ع م - بعضهم.

[7] العُمالة بالضم: رزق العامل الذي جُعل له على ما قُلِّد من العمل، ويجوز فتح العين وكسرها أيضا (*لسان العرب* لابن منظور، «عمل»).

[8] ع م: لما لا يجوز.

[9] ع م: عشر. والعُشر والعَشِير بمعنى واحد (*لسان العرب* لابن منظور، «عشر»).

[10] ن - وعيالهم أما قول من قال يعطى لهم الثمن لا معنى له لما يجوز أن يبلغ الثمن الوفاء وعمالته لا تبلغ عشر عشير ذلك ومن قال يعطى لهم قدر كفايتهم.

[11] ك: إذا هو.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٠٩ظ/سطر ١٥-١٧.

وقوله عز وجل: **والمُؤَلَّفَةِ قلوبُهم**، قد ذكرنا فيما تقدم أن النبي[١] عليه السلام كان يعطي الرؤساء من المنافقين من الصدقات يتألّف به قلوبَهم ليُسلِموا،[٢] على ما روي أنه كان أعطى[٣] فلانا مائة من الإبل وفلانا[٤] كذا.[٥] وروي[٦] أنه قسم ذَهَبَةً[٧] في أَدِيم مَقْرُوظٍ[٨] بعثها علي رضي الله عنه من اليمن بين الأقرع بن حابس وبين فلان وفلان.[٩] والحديث في هذا كثير أن النبي كان يخصّ به الرؤساء منهم بالصدقة يتألّفهم والإسلامُ في ضَعْف وأهلُه في قِلّة، وأولئك كثير ذو قوة وعُدّة. فأمّا اليوم فقد كَثُر أهل الإسلام وعَزّ الدين وصار أولئك أَذِلّاء بحمد الله،[١٠] فقد ارتفع ذلك وذهب إذ قَوِي المسلمون وكَثُروا، فيُقاتَلون حتى يُسلِموا. وعلى ذلك جاء الخبر عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مما دل[١١] على ما ذكرنا. روي أن الأقرع بن حابس وعُيَيْنَة بن فلان جاءوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: يا خليفة رسول الله، إن عندنا أرض سَبِخَة ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تُقْطِعَناها، فأَقْطَعَهما إياها،[١٢] وكتب لهما عليها كتابا، وأشهد[١٣] عمر رضي الله عنه وليس في القوم،[١٤] فانطلقا إلى عمر ليُشهِداه. فلمّا سمع عمر ما في الكتاب تناوله[١٥] من أيديهما، ثم نظر فيه فمحاه، فتذمّرا[١٦] وقالا له مقالة سيئة. وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألّفكما

---

[١] ع م: أنه.
[٢] ع: ليسكموا.
[٣] ع – أعطى؛ م: يعطي.
[٤] ع: فلانا.
[٥] تقدم تخريجه قريبا.
[٦] جميع النسخ: روي.
[٧] الذَهَبَة: القطعة من الذَهَب (*لسان العرب* لابن منظور، «ذهب»).
[٨] القَرَظ: شجر يُدبَغ به. وقيل: هو ورق السَّلَم يُدبَغ به الأَدَم. ومنه: أَدِيم مَقرُوظ، أي مدبوغ بالقَرَظ (*لسان العرب* لابن منظور، «قرظ»).
[٩] صحيح *البخاري*، المغازي ٦١؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١٤٤.
[١٠] ع: لله.
[١١] جميع النسخ: ما دل.
[١٢] جميع النسخ: فأقطعنا إياها؛ والتصحيح من من مصادر الرواية.
[١٣] ع: وأشد.
[١٤] ع م: في قوم.
[١٥] جميع النسخ: فتناوله.
[١٦] تَذَمَّر: لام نفسه... وسمعت له تَذَمُّرا أي تَغَضُّبا. وفي حديث موسى عليه السلام أنه كان يتذمّر على ربه، أي يجتريء عليه ويرفع صوته في عتابه... ويقال: ظَلّ يتذمّر على فلان، إذا تَنَكَّر له وأَوْعَدَه (*لسان العرب* لابن منظور، «ذمر»).

والإسلامُ يومئذٍ قليلٌ،[1] وإن الله[2] تعالى قد أعزّ الإسلام، اذهبا فاجْهَدا جَهْدَكما، لا أَرْعَى الله عليكما إن أَرْعَيتما.[3] ونحن نذهب إلى هذا الحديث، لأن أبا بكر لم ينكر على عمر قوله وفعله، فصار ذلك وِفاقا منه له، فكفى بقولهما حجة لنا. ولنا في ذلك وجوه من الحجج. أحدها أن النبي عليه السلام كان يُعاهِد قوما وهو إلى مداراتهم[4] ومعاهدتهم[5] محتاج لما ذكرنا من قلة أهل الإسلام وضَعْفهم، فلما أعزّ الله الإسلام وأكثر أهله رُدّ إلى أهل العهود عهودُهم ثم أُمِر بمحاربتهم جميعا. والثاني ما قال الله تعالى: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ،[6] فكانت الحالُ الثانية التي فيها الإسلام وقَوِي أهلُه وعَزُّوا مخالفةً للحال الأولى[7] في هذه الأشياء، فكذلك أمر المنافقين جائزٌ [دفع] الرِّشَا[8] [إليهم] في الحال الأولى،[9] محظور[10] في الحال الثانية. **والله أعلم.**
وفي الآية دلالة جواز النسخ بالاجتهاد لارتفاع[11] المعنى الذي به كان، لِيُعلَم أن النسخ قد يكون بوجوه. وفي خبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما دلالة أنّ إذن الإمام شرط في إحياء أرض[12] المَوَات لا تُملَك إلا بالإذن، لأن ذانك الرجلين اللَّذَين أتيا أبا بكر قالا:[13] أرض لا كلأ فيها، وذلك صورة أرض المَوَات.

وقوله عز وجل: **وفي الرقاب**، اختلف فيه. قال بعضهم: معناه العتق، ويجوز أن يُعتق عن الزكاة. وقال بعضهم: هم المكاتَبون يَستأدُونهم في كتابتهم، وقالوا: لا يشبه الإعتاق

---

[1] ع: فيومئذ قيل.
[2] ن: والله.
[3] ع م: إن رعيتما. وانظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢٠/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٤/٤. وأرْعَى عليه: أبقى عليه ورحمه. وأرعى: انتظر الشيء وراقبه (*لسان العرب* لابن منظور، «رعى»). فلعل معناه: لا أبقى الله عليكما إن انتظرتما شيئا.
[4] ن: وهو مداراتهم؛ م: إلى مدارتهم.
[5] م: ومعادتهم.
[6] سورة الأنفال، ٦٧/٨.
[7] ن ع م: الأول.
[8] ك: الرساء؛ ن: الرؤساء؛ ع م: الرؤساء؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ١٦٣/١٠. والرشا بضم الراء وكسرها جمع رشوة (*لسان العرب* لابن منظور، «رشو»).
[9] جميع النسخ: الأول.
[10] جميع النسخ: محظورا.
[11] ع: ولارتفاع.
[12] ع: المرض؛ م: الأرض.
[13] ك ن م: فقالا؛ ع: فقال.

ما يدفع إلى المكاتَب فيؤدّي فيعتق، لأن العتق ليس بتمليك، وإنما هو إبطالُ مِلك، وما يدفع[1] إلى المكاتَب فهو تمليك، فذلك مختلف، وإنما تكون[2] الزكاةُ زكاةً إذا زالت من مالك إلى مالك. والثاني أن العتق يوجب الولاء[3] للمعتق، فحقه فيه باقٍ، والذي يدفع فيه الزكاة إلى مكاتَب لغيره[4] لا يرجع[5] إليه بذلك حق ولا يجب فيه ولاء، فهما مختلفان. والثالث وهو أن الله تعالى قال:[6] **والغارمين**، ولو أن رجلا قضى عن غارمٍ[7] دينَه بغير أمره لم يُجْزِه[8] من زكاة ماله، وإنما يكون زكاةً إذا دفعها إلى الغارم. فعِتْقُ[9] المزكّي العبدَ بمنزلة قضاء[10] دين الغارم، لأنه لا يحتاج في واحد منهما إلى قبول من الغارم[11] والعبد، وإعطاؤه المكاتَب في الزكاة[12] كدفعه إياها إلى الغارم، لأنه قد دفعها[13] في كلا الحالين إلى مَن قَبِلها منه من زكاة وقبضها. وفي ذلك وجه آخر؛ وذلك [أنّي] إن اشتريتُ[14] عبدا من رجل لأعتقه فقد صار ثمنه دينا في ذمتي قبل أن أنقد[15] المال، فإذا قضيته فإنما قضيته عن ذمتي دينا قد لزمني،[16] ولا يجوز [في الزكاة] أن أقضي عن ديني.

* بقية من الآية الأولى: وقوله:[17] **والغارمين**، جعل الله الغارم موضعا للصدقة، وهو الذي عليه [٣١٠ظ س ٢٤] الدَّيْن والغُرْم من أي وجهٍ لحِقَه. وعلى ذلك[18] روي في الخبر. روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] ع: ما يدفع.
[2] ع: يكون.
[3] ع: الو.
[4] ن – لغيره.
[5] جميع النسخ: ولا يرجع.
[6] ك – قال.
[7] ع م: من غارم.
[8] م: لم يجز.
[9] ك: فيعتق.
[10] ك: قضائه.
[11] ع م: من الغارمين.
[12] ن + في.
[13] جميع النسخ + إليه.
[14] جميع النسخ: إن اشترى.
[15] ن: أن أنفذ.
[16] ن – قد لزمني.
[17] ك: قوله.
[18] ع م: على ذلك.

قال: «إن المسألة لا تحل إلا بإحدى ثلاث: من فقرٍ مُدْقِع[1] أو غُرْمٍ مُفْظِع[2] أو لذي[3] دم مُوجِع».[4] وفي بعض الأخبار: «إن الصدقة لا تحل إلا لخمس: للعاملين[5] عليها، أو رجلٍ اشتراها،[6] أو غارمٍ، أو غازٍ في سبيل الله، [أو لرجل كان له جار مسكين فتُصُدِّق على المسكين فأهداها المسكين للغني]».[7] وروي عن الحسن والحسين وابن عمر وابن جعفر أن رجلا سألهم شيئا، فقالوا: إن كانت مسألتك في إحدى ثلاث[8] فقد وجب حقك: في فقرٍ مُدْقِع أو غُرْمٍ مُفْظِع[9] أو دم مُوجِع.[10] هذه الأخبار كلها تدل على أن الغارم موضع للصدقة قَلّ دَينُه أو كَثُر.[11] فإن قيل: في الخبر: «أو غُرْم مُفْظِع»؟[12] قيل: لا خلاف بينهم[13] في أنّ مَن دَينُه غير مُفْظِع[14] فله أن يأخذ بقدر دينه من الصدقة، فهذا يدل أن الذي روي في الخبر إنما هو لكراهة المسألة، لا على التحريم.

٣١٠ظ س٣٢] وهكذا نقول: إن المسألة لا تحل له إذا كان غُرمه غير مُفْظِع،[15] ولكن يحل وَضْعُه فيه وأَخْذُه له.*

[٣١٠ظ] وقوله عز وجل: **وفي سبيل الله**، / قيل: هم[16] الغُزاة. ويحتمل **في سبيل الله**، أي في طاعة الله، أنّ كل مَن سعى في طاعة الله وسبيل الخيرات فإنه داخل في ذلك.

---

[1] فقر مُدْقِع: أي مُلْصِق بالدَّقْعاء أي التراب (*لسان العرب* لابن منظور، «دقع»).

[2] فَظُع الأمر يَفْظُع فَظَاعَة فهو فظيع وفَظِع... وأَفْظَعَ الأمر: اشتدّ وشَنُع وجاوز المقدار... فهو مُفْظِع. وفي الحديث: «لا تحل المسألة إلا لذي غُرْمٍ مُفْظِع»، المُفظِع: الشديد الشنيع... (*لسان العرب* لابن منظور، «فظع»). والغُرْم: الدَّين... وفي الحديث: «لا تحل المسألة إلا لذي غُرْمٍ مُفْظِع: أي ذي حاجة لازمة من غَرامة مُثْقِلة (*لسان العرب* لابن منظور، «غرم»).

[3] ن ع: والذي.

[4] *سنن ابن ماجة*، التجارات ٢٥؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٢٦؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ٢٣.

[5] ع: المعاملين.

[6] أي لرجل اشترى الشيء المتصدَّق به ممن تُصُدِّق عليه.

[7] *الموطأ* لمالك، الزكاة ٢٩؛ و*سنن ابن ماجة*، الزكاة ٢٧؛ و*سنن أبي داود*، الزكاة ٢٥.

[8] ك م: ثلث.

[9] ع: مقطع.

[10] *المصنف* لابن أبي شيبة، ٤٢٦/٢.

[11] م: أو أكثر.

[12] ن ع: مقطع.

[13] ع + أو غرم مقطع قيل لا خلاف بينهم.

[14] ن ع: مقطع.

[15] ن ع: مقطع.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٠ظ/سطر ٢٤-٣٢.

[16] ن + هم.

* مسألة: قوله: **وفي سبيل الله**، هو ما ذكرنا[١] أنه المنقطع عن ماله، جعله الله موضعا للصدقة [٣١٠ظ س٣٢]
وإن[٢] كان غنيا في مقامه للحاجة التي بدت له. وعلى ذلك روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحل الصدقة لغني إلا في سبيل الله أو ابنِ السبيل أو رجلٍ له جارٌ مسكينٌ تُصُدِّق عليه فأهدى له».[٣] وفي بعض الأخبار عنه ما ذكرنا، قال: «لا تحل الصدقة إلا لخمس -وفيه- أو فقيرٍ تُصُدِّق عليه فأهداها للغني». وقد يكون الرجل غنيا بأن يكون له دار[٤] يسكنها ومتاع يتهيّأه وثياب، [فإذا][٥] عزم على الخروج في سفرِ غزوٍ احتاج -من آلاتِ سفرِه وسلاحٍ يستعمله في غزوه[٦] ومركبٍ يغزو عليه وخادمٍ يستغني بخدمته- إلى ما لم يكن محتاجا إليه في حال إقامته، فيجوز أن يُعطَى من الصدقة ما يستغني به في حوائجه التي يُحدِثها لسفره، فهو في مُقامه غني بما يملكه،[٧] لأنه غير محتاج حينئذ إلى ما وصفنا، وهو في حال سفره غير غني. فيحتمل أن يكون معنى قوله: «لا تحل الصدقة لغني / إلا في سبيل الله»، [٣١١و] على من كان غنيا في حال مقامه، فيُعطَى بعضَ ما يحتاج إليه لسفره لما أَحدث له[٨] السفرُ من الحاجة. ألا ترى أن الرجل قد يكون له المتاع لا يحتاج إليه أو الدابة[٩] لا يركبها، فإذا صار ذلك مائتي[١٠] درهم لم يجز له أن يأخذ من الزكاة، فإن عرض له مرض أو سفر فاحتاج إلى دابة ليركبها أنه يخرج من الغَناء بما حدث له من الحاجة إلى الركوب، وكان له أن يأخذ من الصدقة عندنا؛ لأنه[١١] لا يَستغني عما هو له،[١٢] وإنما[١٣] الغني من استغنى عمّا[١٤] يملكه.

---

[١] أي في تفسير قوله تعالى: ﴿وابن السبيل﴾، الآتي قريبا.
[٢] ع م: فإن.
[٣] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣١، ٩٧؛ وسنن *أبي داود*، الزكاة ٢٥.
[٤] ن: ار؛ ع: أدار.
[٥] من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٥٣و.
[٦] ك ن: في غزوة.
[٧] ع: بما لا يملكه.
[٨] م – له.
[٩] م: والدابة.
[١٠] م: ماتي.
[١١] ع م – لأنه.
[١٢] ك ن: هو ماله.
[١٣] ك: وأما.
[١٤] ك: عمن.

فكذلك العازم على الغزو[1] قد يحدث له الحاجة إلى أكثر مما يملك، وصار ممن يجوز أن يُعان وإن كان ملكه الذي كان به غنيا قبل ذلك لم ينقص. فهذا[2] -والله أعلم- يحتمل.* ‎[٣١١و س٦]

وقوله: **وابن السبيل**، قيل: الضيف يَنزل به. وقيل: هو المارّ عليك -وإن كان غنيا- المنقطعُ عن ماله.* **وابن السبيل**، أيضا [على] ما ذكرنا من الخبر أنْ «لا تحل الصدقة لغني إلا لابن السبيل»، ومن ذكر معه. وعلى ذلك اتفاق الأمة. وهو ما قيل: المجتاز من أرض إلى أرض. وعن ابن عباس رضي الله عنه في تأويل قوله: إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ،[3] هو المسافر.[4] وهو ما ذكرنا أنه المنقطع عن ماله وإن كان غنيا في مقامه.* ‎[٣١١و س٦] ‎[٣١١و س٩]

وقوله: **فريضة من الله**، يحتمل بيانا من الله، وإعلاما أهلَ الصدقات منهم[5] من غيرهم. ويحتمل قوله: **فريضة من الله**، أي واجبا من الله وفرضا. **والله عليم حكيم**.

﴿وَمِنهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **ومنهم الذين يؤذون النبي**، أخبر أنهم **يؤذون النبي**، و لم يبين بما كانوا **يؤذون**، فيحتمل **يؤذون النبي**، بتكذيبهم إياه وتركهم الإجابة له والطاعة فيما يدعوهم إليه. ويحتمل يؤذونه بكلماتٍ يُسمِعونه وطَعْنٍ يطعنونه ويعيبون عليه.[6] **ويقولون هو أُذُن**،[7] قيل: **الأُذُن** هو الذي يقبل العذر ممن اعتذر إليه ويسمع من كل أحد يعتذر إليه ويقبل. وكذلك كان النبي[8] صلى الله عليه وسلم يقبل العذر ممن اعتذر إليه[9] ويسمع منه سواء كان له عذر أو لا عذر[10] له

[1] جميع النسخ: الغارم على العرف؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٣و.
[2] ك: فهذ.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٠ظ/سطر ٣٢-ورقة ٣١١و/سطر ٦.
[3] سورة النساء، ٤/‏٤٣.
[4] *تفسير الطبري*، ٥/‏٩٧.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١١و/سطر ٦-٩.
[5] ك + منهم.
[6] ع + ويقولون عليه.
[7] ن + قيل أذن.
[8] ك - النبي.
[9] ع - ويسمع من كل أحد يعتذر إليه ويقبل وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل العذر ممن اعتذر إليه.
[10] ع: أو عذر.

لكرمه وشرفه وحسن خلقه، فظنّ أولئك لمّا رأوه أنه كان يعاملهم معاملة أهل الكرم والشرف والمجد أنه إنما يعاملهم هذه المعاملة لسلامة قلبه وصغر همّته وقصور يده، وهم كانوا أهل كبر وأَنَفَة، قالوا: **هو أُذُن**، نقول ما شئنا ثم نحلف[1] ونعتذر إليه فيصدّقنا ويقبل عذرنا. قال الله تعالى: **قل**، يا محمد، **أُذُنُ خيرٍ لكم**، أي الذي يقبل العذر ويسمع خير لكم مِن الذي لا يقبل ولا يسمع، فكيف تؤذونه وتطعنون وتعيبون[2] عليه ولا تصدّقونه ولا تؤمنون به؟ يخبر عن سفههم. قال أبو عَوْسَجَة: الأُذُن الذي من قال له شيئا أو حدّثه حديثا صدّقه واستمع منه. وكذلك كان[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدّق كل من قال له شيئا أو حدّثه حديثا واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه، لا لما ظنّ[4] أولئك. وقيل: **يقولون هو أُذُن**، أي يُسِرّ[5] في نفسه ويكتم ولا يكافئ من أذاه ولا يجازيه، قال الله: **قل**، هو، **أُذُنُ خيرٍ لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**. قال بعضهم: **يؤمن بالله**، أي يصدّق **بالله**، [أي] بما ينزل عليه من آياته،[6] **ويؤمن للمؤمنين**، أي يصدّقهم فيما بينهم من شهاداتهم وأيمانهم على حقوقهم وفروجهم وأموالهم. ويحتمل قوله: **يؤمن بالله**، ويصدّقه بما يخبره من سرّ المنافقين وما استكتموه منه من الكيد له والمكر به، **ويؤمن للمؤمنين**، بما يخبرونه مِن قِبَل أولئك المنافقين من الطعن فيه والعيب عليه. والإيمان بآخر هو التصديق بجميع ما فيه، والإيمان له مِن خبرِه وحديثه. و[يحتمل] قوله: **يؤمن للمؤمنين**، فيما يشهدون في الآخرة[7] له[8] بالتبليغ إليهم، كقوله: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ.[9] أو أن يكون قوله: **ويؤمن للمؤمنين**، أي يؤمن بالمؤمنين فيما بينهم بالأخوة في الدين،[10] كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ.[11]

---

[1] ك: ثم يحلف؛ نع: ثم نخلف.

[2] ع: وتعينون؛ م – وتعيبون.

[3] ن – كان.

[4] ع: لما لا ظن.

[5] م: أي ليس.

[6] ع: من آية.

[7] م: يشهدن وفي الآخرة.

[8] ن – له.

[9] سورة الأعراف، ٧/٦.

[10] أي يؤمن بالأخوة التي هي للمؤمنين وبين المؤمنين.

[11] سورة التوبة، ٩/١١.

وقوله عز وجل: **ورحمة للذين آمنوا منكم**، كان النبي[١] صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لِما استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ومن الهلاك إلى النجاة، يشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا. **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**، في الآخرة.*

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **يحلفون بالله لكم لِيُرْضُوكم**، بما حلفوا عليه. ذكر بعض أهل التأويل أن الأنصار مشت إليهم، يعني إلى المنافقين، فقالوا: قد عُيِّرنا بما[٢] نزل فيكم، حتى متى؟ فكانوا يحلفون للأنصار: والله[٣] ما كان شيءٌ مِن ذلك، فأكذبهم الله، فقال: **يحلفون بالله لكم**، ما كان الذي بلغكم، **لِيُرْضُوكم**، بما حلفوا. **والله ورسوله أحق**، منكم يا معشر الأنصار، **أن يُرْضُوه**، حيث اطَّلَع على ما حلفوا وهم كَذَبَة، **إن كانوا مؤمنين**، يقول: ولكن ليسوا بمصدِّقين. والأشبه أن تكون الآية نزلت في معاتبةٍ جَرَت بين المؤمنين والمنافقين باستهزاءٍ كان منهم برسول[٤] الله أو طعنٍ فيه أو استهزاءٍ بدين الله، فاعتذروا إليهم وحلفوا على ذلك لِيُرضوهم،[٥] فقال الله: **والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه إن كانوا مؤمنين**، حقيقة، ولكن[٦] ليسوا بمؤمنين. وأما ما قاله بعض أهل التأويل: إن رجلا من المنافقين قال: والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرّ من الحُمُر.[٧] فسمعها رجل من المسلمين، فأخبر بذلك رسول الله. فدعاه فقال: «ما حملك على الذي قلت؟» فحلف والْتَعَن ما قاله، فنزل قوله: **يحلفون بالله لكم لِيُرْضُوكم**،[٨] هذا لو كان ما ذكر لكانوا يحلفون لرسول الله، لا يحلفون لهم.[٩] دل أن الآية في غير ما ذكر.

---

[١] ك م – النبي؛ ع: رسول الله.

* وقعت هنا أربعة مقاطع من تفسير الآية متأخرة عن مواضعها، فقدمنا كلا منها إلى المواضع المناسبة من تفسير الآية؛ انظر على الترتيب: ورقة ٣١٠ظ/سطر ٢٤-٣٢؛ وورقة ٣١٠ظ/سطر ٣٢-ورقة ٣١١و/سطر ٦؛ وورقة ٣١١و/سطر ٦-٩؛ وورقة ٣١١و/سطر ٩-٢٧.

[٢] جميع النسخ: وما؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٣ظ.

[٣] ن + أعلم.

[٤] ع: رسول.

[٥] ع م: ليرضوا.

[٦] م – ولكن.

[٧] ن: من الحمير؛ ع: من الخمر.

[٨] روي عن قتادة نحوه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٧٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٢٨.

[٩] ن: لكم.

ويذكر عن ابن عباس أن الآية نزلت في ناس من المنافقين تخلّفوا عن رسول الله في غزوة تبوك، فجعلوا يحلفون لرسول الله حين رجع أنهم لا يتخلّفون عنه أبدا.[١] وكذلك قال غيره من أهل التأويل. ولكن لو كان ما قالوا لكانوا[٢] يحلفون لرسول الله ويُرْضُونه، لا للمؤمنين. دل أن الأشبه ما ذكرنا. / وفيه وجوه. أحدها أن فيه دلالة تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم [٣١١ظ] ليعلموا أنه حق حيث أَطْلَعَه على ما أسرّوا[٣] في أنفسهم وكتموا من المكر به وأنواع السفه. والثاني ليحذروا ويمتنعوا عن مثله والمعاودة إليه لما علموا أنه يَطَّلِع على جميع ما يسرّون عنه ويكتمون. والثالث تنبيها للمؤمنين وتعليما لهم منه بأنه إذا وقع لهم مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف طلبا إرضاءَ بعضِهم بعضا، ولكن يتوبون إلى الله ويطلبون به مرضاته.

وقوله[٤] عز وجل: **والله ورسوله أحقّ أن يُرْضُوه**، ذكر نفسه ورسوله ثم أضاف الرضاء إلى رسوله بقوله: **أحق أن يُرْضُوه**، و لم يقل: أحقّ أن يُرْضُوهما. فهو -والله أعلم- لأنهم إذا أَرْضَوْا رسولَه رضي الله عنهم، وكان في إرضائهم رسولَه إرضاءُ الله.[٥] وهو ما ذكر أنهم إذا دُعُوا[٦] إلى الله ورسوله ليحكم بينهم،[٧] ثم أضاف الحكم إلى رسوله، لأنهم إنما دُعُوا إلى أن يحكم الرسول بينهم. وقوله: **والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه**، لأن الخلاف والخيانة كان[٨] في حق الله وفي حق[٩] رسوله، لم يكن في حق المؤمنين، لذلك قال: **والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه**، من المؤمنين. ثم ذكر مُحادَّة[١٠] الله[١١] ورسوله،[١٢] ثم اقتصر على رضى[١٣] رسوله،

[١] ذُكر ذلك عن مقاتل والكلبي؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٠/١٢٨.
[٢] ن – لكانوا.
[٣] ك ع م: حيث أطلع عليه بما أسروا؛ ن: حيث أطلع عليه بما أمروا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٤و.
[٤] ن: قوله.
[٥] ك ن: لله.
[٦] ن ع م: أنهم دعوا.
[٧] ن ع م – ليحكم بينهم. يقول الله تعالى: ﴿وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله لِيَحكم بينهم إذا فريقٌ منهم مُعرِضون. وإن يَكُنْ لهمُ الحقُّ يأتوا إليه مُذْعِنين﴾ (سورة النور، ٢٤/٤٨-٤٩).
[٨] م: كانت.
[٩] ك: وحق.
[١٠] ن ع م: مخادعة.
[١١] م – الله.
[١٢] أي في الآية التالية.
[١٣] ن ع م: على رضاء.

لأنهم لم يقصدوا قصد مخالفة الله، وإنما قصدوا قصد مخالفة[1] رسوله. أو أن يكون ذكر إرضاء أحدهما لأن في رضى[2] رسوله رضى[3] الرب، كقوله: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.[4]

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله**، في الآية دلالة أنهم علموا أنهم معاندون[5] في صنيعهم، وعلموا أن من عاند وكابر بغير حق، **فأن له نار جهنم**. وقوله: **يحادد الله**، يحتمل يعاند الله. وقيل: **يحادد الله**، يشاقق الله ويخالف الله. وهو واحد. ثم قوله:[6] **ألم يعلموا**، يخرج على وجهين. أحدهما أي قد علموا، **أنه من يحادد الله ورسوله فأن له**، ما ذكر، لكنهم عاندوا [في] الخلاف والمحادّة له مع علمهم. والثاني أي اعلموا،[7] **أنه من يحادد الله ورسوله فأن له**، ما ذكر، على ما ذكرنا[8] أن حرف الاستفهام من الله يخرج على الإيجاب والإلزام.[9]

وقوله عز وجل: **ذلك الخزي العظيم**، يحتمل وجهين. يحتمل **الخزي**، أي الفضيحة العظيمة في الدنيا. ويحتمل **ذلك الخزي العظيم**، في الآخرة، أي نار جهنم خزي عظيم.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾[٦٤]

وقوله[10] عز وجل: **يحذر المنافقون أن تُنَزَّلَ عليهم سورةٌ تُنَبِّئُهم بما في قلوبهم**، يحتمل قوله: **يحذر المنافقون**، أي الحقّ عليهم أن يحذروا، لِما أَطْلَعَ اللهُ رسولَه[11] مرارا على ما[12] أسرّوا وكتموا.

---

[1] ع م – الله وإنما قصدوا قصد مخالفة.
[2] ن ع م: في رضاء.
[3] ن ع م: رضاء.
[4] سورة النساء، ٨٠/٤.
[5] ن ع م: معاندين.
[6] ن: ثمة وقوله؛ ع: ثم وقوله.
[7] ع: أي علموا.
[8] ن: ما ذكر.
[9] انظر: تفسير الآية من سورة الأنعام، ٩٣/٦.
[10] ن: قوله.
[11] ع: ورسوله.
[12] ك ن ع: بما.

ويحتمل على الخبر، أنهم كانوا يحذرون **أن تُنَزَّلَ عليهم سورةٌ تُنَبِّئُهم بما في قلوبهم**،[١] لكثرة ما أَطْلَعَ الله رسولَه[٢] على سرائرهم[٣] وسفههم.

وقوله عز وجل: **قل استهزئوا إن الله مخرجُ ما تحذرون**، فهو -والله أعلم- ليس على الأمر، ولكن على الوعيد، يقول: **استهزئوا**، فإن الله مظهر ومبين ما أسررتم وكتمتم من العيب والاستهزاء برسوله والطعن فيه.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[٦٥]

وقوله[٤] عز وجل: **ولئِن سألتهم لَيقولُنّ إنما كنا نخوض ونلعب**، ذكر السؤال ولم يبين[٥] ممّ يسألهم. ولكن في الجواب بيان أن السؤال إنما كان عن الاستهزاء،[٦] حيث قال: **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**. ذكر أن نفرا من المنافقين كانوا اختفَوْا في بعض الطريق ليمرّ رسول الله ويرجع من الغزو فيقتلونه، فأَطْلَعَ الله نبيّه على اجتماعهم[٧] في ذلك أنه لماذا، فقال: **ولَإن سألتهم لَيقولُنّ إنما كنا نخوض ونلعب**. وذكر بعض أهل التأويل أن النبي لما رجع من غزوة[٨] تبوك بينا هو يسير إذا هو برهطٍ يَسيرون بين يديه يضحكون ويستهزئون، فأَطْلَعَ الله رسولَه[٩] أنهم يستهزئون بالله وكتابه ورسوله، فقال: **ولَإن سألتهم لَيقولُنّ إنما كنا نخوض ونلعب**.[١٠] وقيل بغير ذلك. وقيل: **ولَإن سألتهم لَيقولُنّ إنما كنا نخوض**، أي لو سألتهم ما تقولون، فيقولون لك: ممّا يخوض[١١] فيه الرَّكْب إذا ساروا.

---

[١] م - يحتمل قوله يحذر المنافقون أي الحق عليهم أن يحذروا لما أطلع الله رسوله مرارا على ما أسروا وكتموا ويحتمل على الخبر أنهم كانوا يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم.

[٢] ع م: ورسوله.

[٣] جميع النسخ: من سرائرهم.

[٤] ع - وقوله.

[٥] ن: ولم يقل.

[٦] م: على الاستهزاء.

[٧] ن: عن احتماعهم؛ ع م: عن اجماعهم.

[٨] ن: عن غزوة.

[٩] ع: ورسوله.

[١٠] روي عن قتادة وسعيد بن جبير نحوه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٧٢-١٧٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٣٠-٢٣١.

[١١] ع: مما نخوض.

وليس لنا إلى معرفة كيفية استهزائهم حاجةٌ ولا مائيّتِه[١] سِوَى أنّ فيما ذكر لنا من خبر المنافقين تنبيها[٢] للمؤمنين وتحذيرا[٣] لهم ليحذروا أسرار ما لم يُظهِروا على ألسنتهم، ليعلموا أن الله مُطَّلِعٌ على ما يسرّون ويُضمِرون.

وقوله: **قل أ بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**، قوله: **أ بالله**، يحتمل الإضافة إلى نفسه إضافةً إلى أنفس المؤمنين، لأنه لا أحد يقصد قصد الاستهزاء بالله، ولكنهم كانوا يستهزئون برسول الله وبالمؤمنين، فأضاف إلى نفسه، كقوله: يُخَادِعُونَ اللّٰهَ[٤] وكذلك قوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ[٥] الآية، فعلى ذلك الأول، كانوا يستهزئون برسول الله وبالمؤمنين، فأضاف الله إلى نفسه تعظيما لهم وإكراما.

وقوله: **وآياته**، يحتمل أنهم كانوا يستهزئون بالأحكام التي لها آيات، فاستهزءوا بتلك الأحكام، فأضاف الاستهزاء إلى الآيات، كقوله: وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا -الآية- وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّٰهِ هُزُوًا،[٦] هم لم يتخذوا آيات الله هُزُوا، ولكن هَزِئُوا بالأحكام التي لها آيات. أضاف الهزء إلى **آياته**، ولكن من استخفّ بحكم من الأحكام[٧] التي لها[٨] آيات كان ذلك استخفافا بآياته. *والله أعلم*.

[٣١٢و س ١٠] * وقوله: **قل أ بالله وآياته ورسوله**، يحتمل وجهين. أحدهما على الإيجاب، أي يفعلون بالله ورسوله ذلك. ويحتمل على التوعيد والتوبيخ: أبالله يفعلون هذا؟ *والله أعلم*.* [٣١٢و س ١١]

﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**، أي **لا تعتذروا**، فإنه لا يُقبَل اعتذارُكم لِما لا عذر لكم فيما تعتذرون[٩] بعدما قلتم: إنه أُذُن، لِما ظهر منكم الخلاف والكذب في ذلك،

[١] ع: ولا مائية.
[٢] ك ن م: تنبيه؛ ع: وتنبيه.
[٣] جميع النسخ: وتحذير.
[٤] سورة البقرة، ٩/٢؛ وسورة النساء، ١٤٢/٤.
[٥] سورة محمد، ٧/٤٧.
[٦] سورة البقرة، ٢٣١/٢.
[٧] جميع النسخ: من أحكام.
[٨] ن + لها.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٢و/سطر ١٠-١١.
[٩] ع م: يعتذرون.

كقوله: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ / إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ،[1] [٣١٢و] أخبر أنه لا يصدقهم[2] فيما اعتذروا لِما ظهر كذبهم وتبيّن خلافهم.

وقوله: **قد كفرتم بعد إيمانكم**، يحتمل **كفرتم**، في الباطن بعدما أظهرتم باللسان. ويحتمل **قد كفرتم بعد إيمانكم**، حقيقةً، قد كفروا بعدما آمنوا.

وقوله عز وجل: **إن نَعْفُ عن طائفة منكم نُعَذِّبْ طائفة**، قال بعضهم: قوله: **إن نَعْفُ عن طائفة**، وذلك أن المنافقين[3] [منهم من] قد آمن[4] بعد النفاق وتاب، فأخبر أنه إن يَعْفُ عنهم يُعَذِّب الطائفة الذين لم يؤمنوا و لم يتوبوا. وقيل: **إن نَعْفُ عن طائفة منكم نُعَذِّبْ طائفة**،[5] لأن من المنافقين[6] من قد ماتوا على الإيمان، ومنهم من قد مات على الكفر، فوعد العفو عمّن مات على الإيمان، كقوله: وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ،[7] أخبر أنه إن شاء تاب عليهم، فقوله:[8] **إن نَعْفُ عن طائفة منكم**، الطائفة التي يتوب الله[9] عليهم.*

﴿اَلْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض**، ذَكر في أهل الإيمان أن[10] بعضهم أولياء بعض بقوله: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[11] وذكر في الكافرين ولايةَ بعضِهم لبعض[12] بقوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[13] وقال في المنافقين: **بعضهم من بعض.**

---

[1] سورة التوبة، ٩/٩٤.
[2] ع م: لا تصدقهم.
[3] ك: أن من المنافقين.
[4] جميع النسخ + منهم.
[5] م + وذلك أن المنافقين قد آمن منهم بعد النفاق وتاب فأخبر أنه إن يعف عنهم يعذب الطائفة الذين لم يؤمنوا و لم يتوبوا وقيل إن يعف عن طائفة منكم يعذب طائفة.
[6] ع م: لأن المنافقين.
[7] سورة الأحزاب، ٣٣/٢٤.
[8] ك: وقوله.
[9] ن ع م – الله.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣١٢و/سطر ١٠-١١.
[10] ع م – أن.
[11] سورة التوبة، ٩/٧١.
[12] جميع النسخ: الولاية لبعضهم ببعض.
[13] سورة الأنفال، ٨/٧٣.

فهو -والله أعلم- أنّ لأهل الإيمان دينا[1] يَدِينون به ويتناصرون، ويدعون الناس إليه، وأهل الكفر يَدِينون أيضا بدين ويتناصرون به، ويُعاوِن[2] بعضهم بعضا. فصار لكل واحد من الفريقين مُوالاةٌ[3] فيما بينهم موالاةَ[4] الدين. وأما المنافقون فإنه لا دينَ لهم يَدِينون به ولا مذهبَ يَنْتَحِلونه،[5] ولا يُناصِر بعضُهم بعضا ولا يُعاوِن بعضُهم [بعضا]، ولا يجري بينهم التناصر والتعاون، فإنما هم[6] عُبّادُ النعمة والسَّعَة، مالوا حيثما[7] مالت النعمة والسَّعَة، فلا موالاة[8] فيما[9] بينهم لما ذكرنا.

وفي قوله: **والمنافقات**، دلالة أنّ مَن نافق بالتقليد لآخر أو كفر بالتقليد لآخر[10] أو نافق لا بتقليد سواءٌ في استيجاب الاسم[11] والتعذيبِ في ذلك والوعيدِ، لأن النساء هنّ أتباعٌ[12] وأهلُ تقليدٍ للرجال، ثم سَوّى بينهم وبين النساء في الاسم والوعيد.

وقوله عز وجل: **يأمرون بالمنكر**، يحتمل قوله: **يأمرون بالمنكر**، أي ما ينكره العقول، وهو الشرك بالله والخلاف له، **وينهون عن المعروف**، أي ينهون عمّا تعرفه[13] العقول وتستحسنه، وهو التوحيد لله والإيمان به. ويدخل في ذلك كل خير وحسن، وفي المنكر يدخل فيه الشرك وكل معصية.

وقوله عز وجل: **يقبضون أيديهم**، قيل: **يقبضون أيديهم**، من الإنفاق في سبيل الخير. لكن يحتمل أن يكون على التمثيل، لا على تحقيق قبض اليد، ولكن على كفّ النفس ومنعِها عن الاشتغال[14] بالخيرات وخوضِها فيها وفي جميع الطاعات. لكنه ذكر اليد[15] لِما بالأيدي يُعمَل،[16]

---

[1] جميع النسخ: دين.
[2] جميع النسخ: ويتعاون.
[3] ن ع: موالات.
[4] ن: موالات.
[5] ن: ينتحلون به.
[6] ن: فإنهم؛ ع – هم.
[7] ك: حيث.
[8] ن ع: موالات.
[9] ك – فيما.
[10] م – أو كفر بالتقليد لآخر.
[11] ن: الإثم.
[12] ن ع م: من أتباع.
[13] ن ع م: يعرفه.
[14] ع م: من الاشتغال.
[15] جميع النسخ: باليد.
[16] جميع النسخ + بها.

وبها يُكتسَب الخيرات والسيئات، كقوله: وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[١] وذلك مما لم تُقدِّمه[٢] الأيدي ولا كسبت، إنما ذلك كسب القلب، لكنه ذكر اليد لما ذكرنا أنه باليد [يُقدّم] ما يُقدّم، وبها يقبض في الشاهد. وجائز أن يكون ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة إنفاقهم في الجهاد، كقوله: وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ.[٣]

وقوله عز وجل: **نسوا الله فنسيهم**، قيل: جعلوا الله عز وجل كالشيء المنسي، لا يذكرونه أبدا، **فنسيهم**، أي جعلهم كالمنسيّين في الآخرة من رحمته، لا ينالونها. ويحتمل **نسوا الله**، أي **نسوا**، نِعَم، الله، التي أنعمها عليهم[٤] فلم يشكروها، **فنسيهم**، على المجازاة لذلك وإن لم يكن نسيانا،[٥] كما سمّي جزاء السيئة سيئة وإن لم يكن الثاني سيئة، فعلى ذلك ذكر النسيان على مجازاة النسيان وإن لم يحتمل النسيان. والثالث **نسوا الله**، أي بسؤال المعونة والنُّصْرَة[٦] وسؤال التوفيق، **فنسيهم**، الله، أي لم ينصرهم و لم يوفقهم.

وقوله عز وجل: **إن المنافقين هم الفاسقون**. فإن قيل: اسم النفاق أشرّ وأقبح من اسم الفسق،[٧] فما معنى[٨] ذكر الفسق لهم؟ فهو[٩] -والله أعلم- لأنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين باللسان فأخبر أنهم ليسوا على ما أظهروا. *والله أعلم*. أو أن يكون[١٠] اسم النفاق أشرّ وأقبح عند الناس من اسم الفسق،[١١] فعندهم يحتمل[١٢] أن يكون اسم الفسق أكبر في القبح. أو سماهم فاسقين لِما أن كل أهل الأديان يأْنَفون عن النسبة إلى[١٣] الفسق والتسمية به. أو أن يكونوا يعلمون[١٤] في أنفسهم أنهم أهل نفاق ولا يعرفون أنهم فَسَقَة. وأصل الفسق هو الخروج عن أمر الله.

---

[١] سورة الأنفال، ٨/٥٠-٥١.
[٢] ن ع م: لم يقدمه.
[٣] سورة التوبة، ٩/٥٤.
[٤] ك: عليكم.
[٥] ع م: نسيا.
[٦] ع: والنصر.
[٧] ع - الفسق.
[٨] ك: فما ينبغي.
[٩] ن - فهو.
[١٠] ع م: وأن يكون.
[١١] ع: النفاق.
[١٢] ك: فيحتمل عندهم.
[١٣] ك - النسبة إلى.
[١٤] ك: يعملون.

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم**، وعد لهم **نار جهنم**، كأنّ **جهنم** هي المكان الذي يُعذَّبون فيه، والنارُ فيه بها يُعذَّبون. **خالدين فيها هي حَسْبُهم**، أي **هي حَسْبُهم**، جزاءً لصنيعهم. يقول الرجل لآخر: حَسْبُك / كذا، أي كفاك ذلك جزاءً [٣١٢ظ] لك. وقوله: **ولعنهم الله**، قيل: اللعن هو الطرد في اللغة، أي طردهم عن رحمته. **ولهم عذاب مُقِيم**، لا يفارقهم ألبتّة.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **كالذين من قبلكم كانوا أشدّ منكم قوة**، أي هؤلاء المنافقون[١] والكفرة **كالذين من قبلكم**، و لم يبيّن كأولئك في ماذا، ولكن يحتمل قوله: **كالذين من قبلكم**، أي صرتم إلى العذاب **كالذين** صاروا **من قبلكم**، و **كانوا أشد منكم قوة**، وبطشا، **وأكثر أموالا وأولادا**. وفي الشاهد إنما يُدفَع العذاب أو العقوبة بهذا، وبه يتناصر[٢] بعضهم من بعض. ثم لم يقدروا على دفع ذلك عن أنفسهم، فأنتم دونهم في القوة وما[٣] ذكر، كيف تقدرون على دفع ذلك؟ هذا قد قيل. وقيل: **كالذين من قبلكم**، أي صرتم بما اخترتم[٤] من الأعمال كما صار[٥] أولئك بما اختاروا[٦] من الأعمال وكلِّ أنواع الخلاف لله وتكذيبِ الرسل وتعاطي ما لا[٧] يحل، **فصرتم** أنتم كما صاروا هم. **فاستمتعوا بخَلَاقهم فاستمتعتم بخَلَاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخَلَاقهم**، قيل: انتفعوا **بخَلَاقهم**، أي أكلتم أنتم الدنيا بدينكم كما أكل[٨] أولئك الدنيا بدينهم.

[١] جميع النسخ: المنافقين.
[٢] ع: وبه يتناصرون.
[٣] ك: وكيف ما.
[٤] جميع النسخ: ما اخترتم.
[٥] ك: ما صار.
[٦] جميع النسخ: ما اختاروا.
[٧] ع: وتعاطي لا.
[٨] ن – أكل.

وقيل: **فاستمتعوا بخَلَاقهم**، أي بنصيبهم من الدنيا، و لم[١] يقدِّموا[٢] شيئا للآخرة،[٣] **فاستمتعتم**، بنصيبكم من الدنيا و لم تقدِّموا للآخرة شيئا، **كما استمتع** أولئك، أي بنصيبهم[٤] من الدنيا و لم يقدموا شيئا للآخرة.[٥] والخَلاَق: النصيب، كقوله: أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ،[٦] أي لا نصيب لهم. وقال أبو هريرة: الخَلَاق: الدين.[٧] وكذلك قال الحسن في قوله:[٨] **بخلاقهم**، أي بدينهم.[٩]

وقوله عز وجل: **وخُضْتُم كالذي خاضوا**، أي خُضْتُم أنتم في الباطل والتكذيب كالذي خاض أولئك من الأمم الخالية. قال أبو عبيدة: قوله: **وخُضْتُم**، أي لعبتم، **بالذي خاضوا**، أي لعبوا بالتكذيب. **أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**، فلا ثواب لها في الدنيا والآخرة، لأنها كانت في غير إيمان، فثواب الأعمال إنما يكون في الآخرة بالإيمان. **وأولئك هم الخاسرون**، خُسْرانا بيّنا. وبطلانُ أعمالهم في الدنيا لِما لم يَقبل[١٠] واحد من الفريقين من المؤمنين والكفار صنيعَهم، لأنهم يُرُون من أنفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا مع واحد من الفريقين، كقوله: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ.[١١]

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد**، إلى آخره، يحتمل هذا وجهين. أحدهما قوله: **ألم يأتهم**، أي قد أتاهم خبر الذين من قبلهم وما حلّ بهم وما انتقم الله منهم بتكذيبهم الرسل وسَعيِهم في قتلهم وإهلاكهم، وهم من جنس أنفسكم وأشد قوة وبطشا منكم،[١٢]

---

[١] ع - و لم.
[٢] ك ن: لم يقدموا.
[٣] ك: من الآخرة.
[٤] ن: أي نصيبهم.
[٥] ك: للآخرة شيئا؛ ع م - فاستمتعتم بنصيبكم من الدنيا و لم تقدموا للآخرة شيئا كما استمتع أولئك أي بنصيبهم من الدنيا و لم يقدموا شيئا للآخرة.
[٦] سورة آل عمران، ٧٧/٣.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٣٣/٤.
[٨] ك ن: في قولهم.
[٩] *تفسير الطبري*، ١٧٦/١٠.
[١٠] ع م: لما يقبل.
[١١] سورة النساء، ١٤٣/٤.
[١٢] ك: من أنفسكم.

وأنتم تقلدونهم في ذلك. ثم حلّ بهم ما حلّ بتكذيبهم الرسل[١] والخلاف[٢] لهم. فأنتم دونهم في كل شيء، وأقلُّ منهم في القوة والبطش، فأولى[٣] بذلك أن يصيبكم. ويحتمل قوله: **ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم**، أي يأتيهم،[٤] **نبأ الذين من قبلهم**، وما حلّ بهم، كقوله: ألم تر كذا،[٥] أي سترى، فعلى ذلك هذا يحتمل. وهو حرف وعيد، يحذّرهم ما حلّ بأولئك ليمتنعوا عن مثل صنيعهم.

وقوله[٦] عز وجل: **والمُؤْتَفِكاتِ أتتهم رسلهم**، قال أهل التأويل: هي قَرَيات لوط، مُؤْتَفِكات، أي مُنقلِبات. قال القُتَبي: ائتفكت، أي انقلبت.[٧] وقال أبو عَوْسَجَة: المُؤْتَفِكات، هي من الأَفْك،[٨] وهو الصَّرْف، أَنَّى يُؤْفَكُونَ،[٩] أي يُصرَفون. وقال بعضهم: **المُؤْتَفِكات**: المكذِّبات، **أتتهم رسلهم بالبينات**، فكذّبوهم فأُهلِكوا، وهو من الانقلاب، كأنه أشبه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فما كان الله ليظلمهم**، بتعذيبهم إياهم، أي لا يعذّبهم[١٠] وهم غير مستوجبين لذلك العذاب، **ولكن**، هم[١١] ظلموا أنفسهم حيث كذّبوا رسله وردّوا ما جاءوا به[١٢] من البيّنات والبراهين.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**، يحتمل قوله: **بعضهم أولياء بعض**، على الإيجاب والإخبار، أنّ الدين الذي اعتقدوا وتمسّكوا به يوجب لهم الولاية،

---

[١] ع م – الرسل.
[٢] ع: والخلاق.
[٣] جميع النسخ: أولى.
[٤] ع: أي يأتهم.
[٥] ن – كذا، صح هـ.
[٦] ن: قوله.
[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٠.
[٨] الأَفْك بالفتح: مصدر قولك: أَفَكه عن الشيء يَأْفِكه أَفْكا: صرفه عنه وقلبه. وقيل: صرفه بالإفك (*لسان العرب* لابن منظور، «أفك»).
[٩] انظر مثلا: سورة المائدة، ٥/٧٥.
[١٠] ع م: ولا يعذّبهم.
[١١] ن – هم.
[١٢] ن ع م: بهم.

ويصير **بعضهم أولياء بعض**، كقوله: إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ،[١] الآية، وقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ،[٢] ونحوه، فهي أخوّة الدين وولايته. ويحتمل قوله: **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**، على الأمر، أي اتَّخِذوا بعضكم[٣] أولياء بعض ولا تَتَّخِذوا غيركم[٤] أولياء، كقوله: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ،[٥] وقوله:[٦] لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ.[٧] نهى المؤمنين أن يتخذوا[٨] أولياء من غيرهم، فكأنه أمر أن يتّخذ[٩] المؤمنون بعضهم بعضا أولياء،[١٠] ولا يتّخذوا من غيرهم. ثم تحتمل[١١] الولاية وجهين. ولاية روحانية، وهي ولاية في الدين توجب مراعاةَ حقوقٍ تَحْدُث[١٢] بالدين الذي جمعهم وحِفْظَها.[١٣] والثانية ولاية نفسانية، وهي الولاية التي تكون في الأنفس والأموال من نحو ولاية النكاح والميراث وغيره، فهذه الولاية هي الولاية النفسانية التي كانت بالرحم والنسب، فإذا اجتمعوا في دين واحد وجبت تلك الولاية لهم، وهي الولاية نفسها. والولاية[١٤] الروحانية هي المحبة والمودة، فيجب مراعاتها[١٥] بالدين وتعاهدُها.[١٦] وهذا كما تقول: حياة روحانية وحياة جسدانية.[١٧] فالحياة[١٨] الروحانية هي العلم والآداب،[١٩] تَرى[٢٠] [بها] أشياء وتعرفها[٢١] مِن بُعد.

---

[١] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[٢] سورة الحجرات، ١٠/٤٩.
[٣] جميع النسخ: بعضهم.
[٤] جميع النسخ: غيرهم.
[٥] سورة المائدة، ٥١/٥.
[٦] ك: وكقوله.
[٧] سورة الممتحنة، ١/٦٠.
[٨] ع: أن تتخذوا.
[٩] ن ع: أن يتخذوا.
[١٠] ن – أولياء.
[١١] ن ع م: ثم يحتمل.
[١٢] ع م: تحديث.
[١٣] ع: واحفظها.
[١٤] جميع النسخ: وولاية.
[١٥] جميع النسخ: مراعاته.
[١٦] جميع النسخ: وتعاهده.
[١٧] ن + وهي الروح الذي به يحي الجسد.
[١٨] جميع النسخ: وحياة.
[١٩] ك: والادات.
[٢٠] جميع النسخ: يرى.
[٢١] جميع النسخ: ويعرفها.

[٣١٣و] والحياة[1] الجسدانية هي[2] الروح الذي[3] / به يحيى[4] الجسد، وبذهابه يموت الجسد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يأمرون بالمعروف**، يحتمل المعروف الذي يوجبه العقول، وهو التوحيد لله والإيمان به. **وينهون عن المنكر**، أي ينهون عمّا تُنكِره[5] العقول، وهو الشرك بالله والتكذيب له. وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو[6] فيما بين الكفرة، يأمرهم المؤمنون بذلك ويدعونهم إلى ذلك وينهونهم[7] عن ضد ذلك. وإن كان فيما بين المؤمنين فهو أمرُ شرعٍ ونهيُ شرعٍ،[8] يأمر بعضهم بعضا بما جاء به الشرع، وينهاه عمّا لم يجئ به الشرع، أو يأمر بعضهم بعضا بكل خير وبِرّ، وينهى عن كل شرّ ومعصية. **ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله**، في كل أمره ونهيه. **أولئك سيرحمهم الله**، وعد أنه يرحمهم. **إن الله عزيز حكيم**، قيل: **عزيز**،[9] يُرَى آثارُ عِزِّه في كل شيء، **حكيم**، يُرَى آثارُ حكمتِه وتدبيرِه في كل شيء.

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن**. وقوله عز وجل: **ورضوان من الله أكبر**، أي رضاء الله عنهم **أكبر**،[10] مِن كلّ ما أعطاهم، لأن فيه حياةَ الروح ولذّته، وما أعطاهم من الجنة والمساكن الطيبة ففيه حياة[11] الجسد ولذّته، وحياة الروح أرفع وأكبر من حياة الجسد، لأنه لا يؤثِّر زيادةً في الجسد. وكذلك العِزّ والحَمْد والذكر[12] الحَسَن فيه حياة الروح ولذّته،

---

[1] جميع النسخ: وحياة.
[2] جميع النسخ: وهي.
[3] يجوز في الروح التذكير والتأنيث (*لسان العرب* لابن منظور، «روح»).
[4] ك: تحيى.
[5] ن ع م: عما ينكر به.
[6] ن - هو.
[7] جميع النسخ: وينهاهم.
[8] ن ع م - ونهي شرع.
[9] ن ع م: حكيم.
[10] م + أي رضاء الله عنهم أكبر.
[11] ك: فهو حياة؛ ن ع م: في حياة.
[12] جميع النسخ: وذكر.

إذ ليس فيه زيادة في الجسد، إنما هو فرح وسرور يدخل فيه. وإذا أصابه شيء من الذل أو سمع مكروها حزن واهتمّ من غير أن يتألم جسده، أو يجد ألما وشدة في نفسه، وذلك لِما أصاب[١] روحَه لم يصب جسده. وأصله أن العمل في الدنيا لطلب مرضاة[٢] الله ورضائِه[٣] أكبر من العمل لطلب[٤] ثوابه، لأن العمل لطلب[٥] رضائه أَمَرُّ عليه، والعمل لطلب[٦] الثواب أَمَرُّ له. فالذي قام بأداء ما عليه أعظمُ درجةً وأكبرُ فضلاً من الذي قام بعمل ما له؛ لأن كل أحد يعمل ما له وله فيه نَفْعٌ، ولا كل أحد يعمل لغيره، لذلك كان ما ذكر. وقوله عز وجل: **ذلك هو الفوز العظيم**، لأنه فوز ونجاة لا خوفَ بعده ولا هَوان ولا ذل.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**، يحتمل الأمر بالجهاد [مع] الفريقين جميعا جهادا بالسيف، ويحتمل مجاهدةً بالحُجج والبراهين [مع] الفريقين جميعا. ويحتمل أيضا الأمر بالمجاهدة [مع] الكفار، يجاهدهم بالسيف، ويُغلِظ القول ويشدِّده على المنافقين ويقيم عليهم الحدود. فإن كان على مجاهدة الفريقين جميعا[٧] بالسيف فهو -والله أعلم- في المنافقين الذين انفصلوا من المؤمنين وخرجوا من بين أظهرهم وأظهروا الخلاف للمؤمنين بعدما أظهروا الموافقة لهم. فأمثال هؤلاء يجاهَدون بالسيف ويقاتَلون به. وهو كقوله: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ -إلى قوله- مَلْعُونِينَ،[٨] الآية، أخبر أنهم يؤخَذون ويُقتَلون أينما وُجِدوا، فيشبه أن تكون الآية في الأمر بالجهاد في هؤلاء المنافقين. ويحتمل وجها آخر، وهو أن المنافقين كانوا يطعنون في رسول الله ويعيبون عليه، فأطلع الله رسوله على ذلك، وهم قد علموا أن الله أطلعه على ما يطعنون فيه ويذكرونه بسوء، فيقول -والله أعلم- جاهِدْهم إذا طعنوا فيك وذكروك[٩] بسوء بعد ذلك.

---

[١] ن: ما أصاب.

[٢] ك: مرضات.

[٣] ك: ورضاؤه؛ ع: ورضيا به؛ م: ومرضاته.

[٤] م: يطلب.

[٥] ع - ثوابه لأن العمل لطلب.

[٦] م - رضائه أمر عليه والعمل لطلب.

[٧] ك - جميعا.

[٨] يقول الله تعالى: ﴿لئن لم يَنْتَهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمُرْجِفُون في المدينة لَنُغْرِيَنَّك بهم ثم لا يُجَاوِرُونك فيها إلا قليلا. مَلْعُونِين أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تقتيلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦٠-٦١).

[٩] ن: وذكروا.

وإن كان الأمر على المجاهدة[1] مجاهدةً[2] بالحُجج فهو صلى الله عليه وسلم قد كان حاجَ[3] الفريقين **جميعا** بالحُجج. وخاصّةً سورةُ براءة إنما نزلت[4] في محاجّة المنافقين. ويحتمل الأمر بالجهاد في الكفار خاصة، وفي المنافقين تغليظُ القول والتشديدُ وإقامةُ الحدود [على] الذي ذكرنا، والتعزير إذا ارتكبوا **شيئا** مما يجب فيه الحد والتعزير - والله أعلم بذلك- لِما أقاموا بين أظهر المؤمنين مُظهِرين لهم الموافقة.

وقوله: **ومأواهم جهنم وبئس المصير**، هذا في المنافقين الذين ماتوا على النفاق.[5]

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر**، قال بعض أهل التأويل: الآية نزلت في شأن رجل منافق، قال يوما: والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرّ من الحمير. فسمع[6] ذلك غلامٌ وهو رَبِيبُ ذلك القائل، فقال له: تُبْ إلى الله. وجاء الغلام إلى النبي فأخبره. فأرسل إليه النبي، فأتاه فجعل يحلف ما قال ذلك، فنزلت الآية فيه: **يحلفون بالله ما قالوا.**[7] لكن غير هذا كأنه أشبه، لأن [في] الآية: **ولقد قالوا كلمة الكفر**، وقول الرجل: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرّ من الحمير، هذا القول نفسُه ليس هو كلامَ كُفر، إنما [هو] كلامُ[8] ذَمٍّ ذَمَّ به نفسه. وبَعدُ، إن في الآية: **يحلفون بالله**، فهو قول جماعة. وقيل: نزل في شأن عبد الله بن أُبيّ، قال لأصحابه: فوالله ما مثلنا ومثل[9] محمد إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كلبَك يَأكلْك، وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.[10] فأُخبِر النبي بذلك.

---

[1] ن: بالمجاهدة.

[2] ن - مجاهدة.

[3] ع: خاج.

[4] م: أنزلت.

[5] ع م - وقوله ومأواهم جهنم وبئس المصير هذا في المنافقين الذين ماتوا على النفاق.

[6] ن ع: فسمعه؛ م: فسمه.

[7] *تفسير الطبري*، ١٠/١٨٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٤٠.

[8] ع م - كفر إنما كلام.

[9] ع م - ومثل.

[10] يقول الله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ ولله العِزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ (سورة المنافقون، ٦٣/٨).

فدعاه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله.[١] لكن يشبه أن تكون[٢] الآية صلة قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ،[٣] الآية، كانوا يستهزئون بالله وبآياته وبرسوله، والاستهزاء بذلك كفر. أو إن قالوا قول كفر لم يبيّن الله[٤] / لنا ذلك، فلا نفسره أنهم قالوا كذا، لِما ليس لنا إلى معرفة ذلك القول الذي قالوه حاجة. [٣١٣ظ]

وقوله عز وجل: **وكفروا بعد إسلامهم**، يحتمل كفروا[٥] بعدما أسلموا إسلام حقيقة. ويحتمل قوله: [**بعد إسلامهم**]، بعد ما أظهروا الإسلام، أي رجعوا عما أظهروا من الإسلام. وفي الآية دلالة أن الإسلام والإيمان واحد، لأنه[٦] قال: **وكفروا بعد إسلامهم**، وقال في آية أخرى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ –ثم قال– كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ،[٧] وقال في آية أخرى: كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا،[٨] فدل أن الإسلام والإيمان واحد.

وقوله عز وجل: **وهَمُّوا بما لم يَنالوا**، قيل: هَمُّوا بقتل رسول الله والمكرِ به، فلم يَنالوا ما هَمُّوا به. وفيه دلالة إثبات الرسالة له،[٩] لأنهم أسرّوا ما هَمُّوا به، ثم أخبر عن ذلك، وهو غيب، دل أنه بالله علم ذلك.[١٠]

وقوله عز وجل: **وما نَقَموا إلّا أنْ أغناهم الله ورسوله من فضله**، قال بعض أهل التأويل: إن الرجل الذي قال ذلك تاب عن ذلك، فقبل منه ذلك، وكان له قَتِيل[١١] في الإسلام، فوَدَاه[١٢] رسول الله، فأعطاه ديته، فاستغنى بذلك.[١٣] وقال ابن عباس رضي الله عنه:

---

[١] *تفسير الطبري*، ١٠/١٨٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٤١.

[٢] ن ع م: أن يكون.

[٣] سورة التوبة، ٩/٦٥.

[٤] ن ع م – الله.

[٥] ن – كفروا، صح هـ.

[٦] ع م – لأنه.

[٧] ن – وقال في آية أخرى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ثم قال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم. وانظر: سورة آل عمران، ٣/٨٥-٨٦.

[٨] سورة آل عمران، ٣/٩٠.

[٩] ك – له.

[١٠] ع م: بذلك.

[١١] ن ع م: قتل.

[١٢] ن: قواده.

[١٣] *تفسير الطبري*، ١٠/١٨٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٤١-٢٤٢، ٢٤٤-٢٤٥. وروي عن ابن عباس قال: قَتل رجل رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ديته اثني عشر ألفا، فذلك قوله: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾، بأخذهم الدية (*سنن ابن ماجة*، الديات ٦؛ و*سنن الدارمي*، الديات ١١).

وما نَقَموا منهم إلّا أنْ أغناهم الله ورسوله من فضله، كان رسول الله يعطي المنافقين من الغنائم والصدقات، يقول: ما نَقَموا إلّا ما أعطاهم رسول الله من الغنيمة والصدقة.[1] وقوله:[2] **نَقَموا**، قال بعض أهل الأدب، أبو معاذ وغيره: **نَقَموا**، أي طعنوا. فيه لغتان، نَقِموا بالخفض،[3] ونَقَموا بالنصب، يُقال:[4] نَقَم يَنْقِم ونَقِم يَنْقَم بكسر القاف. فهو -والله أعلم- يقول: ما طعنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذكروه بسوء **إلّا أن أغناهم الله**،[5] لأنهم لو كانوا أهل فقر وحاجة ما اجْتَرَءُوا[6] على الطعن على رسول الله وما ذكروه بسوء، ولكن طعنوا عليه لما أغناهم الله. ويحتمل قوله: **ورسولُه مِن فضلِه**، ما عاملهم رسول الله معاملةَ الكِرام وبَسَط إليهم، حتى قالوا: إنه أُذُن يَقبل العذر، فذلك الذي[7] حملهم على الطعن.

وقوله عز وجل: **فإن يتوبوا يك خيرا لهم**، فيه أن المنافق يُقبَل منه التوبة. **وإن يَتولَّوْا يُعذِّبْهم الله عذابا أليما**، يحتمل قوله: **يَتولَّوْا**، بعد ما أسلموا. ويحتمل قوله: [**يَتولَّوْا**]، أي داموا على الكفر والنفاق، **يُعذِّبهم الله عذابا أليما**[8] **في الدنيا والآخرة**، بما ذكرنا، في الدنيا **الأمر** بالجهاد والقتل والخوف، هذا التعذيب في الدنيا، والتعذيب في الآخرة ظاهر.

وقوله عز وجل: **وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير**، قد ذكرنا هذا في غير موضع.[9]

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل:[10] **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ**، قال بعضهم: نزلت الآية في ثعلبة بن حاطب،[11] سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو[12] الله[13] ليرزقه مالا،

---

[1] ذكر نحو ذلك عن الكلبي؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٠٨/٨؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ١٤٠/١٠.
[2] ن + وقوله.
[3] ن + وما نقموا بالخفض.
[4] ع: فقال.
[5] ك – الله.
[6] ع: ما اجروا.
[7] م – الذي.
[8] ك – يحتمل قوله تولوا بعد ما أسلموا ويحتمل قوله أي داموا على الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا أليما.
[9] ع م: هذا في موضع غير هذا. واتظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ١٢٠/٢.
[10] ع م + وما لهم في الأرض.
[11] ن: الحاطب؛ م: خاطب.
[12] ع: أن يدعوا.
[13] ن: يدعو إلى الله.

وقال: **لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ولنكوننّ من الصالحين.**[١] ومنهم من قال: إنها نزلت في حاطب[٢] بن أبي بَلْتَعة، أنّه كان له أموال في الشام، فقال: لئن آتاني [الله] تلك الأموال لأَصَّدَّقَنّ[٣] وأَكُنْ من الصالحين، فقد آتاه الله تلك الأموال، فبَخِل ومنع ما وعد.[٤] ومنهم من قال: نزلت في المنافقين جملةً، ليست في شأنٍ واحدٍ منصوصٍ مُشارٍ إليه، ولكن في المنافقين جملة. وهكذا كانت عادتهم أنهم إذا وعدوا شيئا أخلفوا و لم يوفوا الوعد.

ثم يحتمل قوله: **ومنهم من عاهد الله**، أنه كان منافقا وقت ما وعد الله لئن آتاه من فضله ليصَّدَّقَنّ. ويحتمل أنه لم يكن منافقا في ذلك الوقت، لكنه صار بما بخل[٥] وكذّب واعتقد[٦] الخلاف واستحل الخُلْف لما وعد منافقا. فإن كان إنما صار منافقا بما بخل واستحلّ الخلاف[٧] له والمنع فيكون قوله: فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ،[٨] أي صار في قلوبهم نفاقا. وإن كان منافقا في ذلك الوقت فيكون قوله: فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ،[٩] أي أعقبهم الدوامَ على النفاق إلى يوم القيامة ببخلهم ومنعهم ما وعدوا، فيكون هذا كقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ،[١٠] الآية. وفي قوله: **ومنهم من عاهد الله** -إلى قوله- بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ،[١١] دلالة أنّ النذور تَلزم أهلَها، ويجب[١٢] الوفاء بها، ويؤاخذون بها إن تركوا الوفاء، ويكفرّون إن استحلّوا[١٣] نقض ما عَهِدوا.[١٤]

---

١ والرواية طويلة مشهورة؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٨٩/١٠-١٩٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٤٦/٤-٢٤٧. وضعّف ابن عبد البر هذا الحديث، وأيده القرطبي مبينا أن ثعلبة من أهل بدر، وقد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٢١٠/٨. وقد ضعّف ابن حجر أيضا هذا الحديث، وذكر أنه إن صح هذا الخبر فتكون الآية نزلت في شخص آخر يوافقه في الاسم، وهو ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب، من بني أمية بن زيد، وليس هو البَدْرِي، لأنه قد استشهد بأُحُد رضي الله تعالى عنه؛ انظر: *الإصابة* لابن حجر، ٤٠٠/١.

٢ م: في خاطب.

٣ ع: الأصدقن.

٤ نُقِل ذلك عن ابن عباس وغيره بلا إسناد؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٠٩/٨؛ *وروح المعاني* للآلوسي، ١٤٤/١٠. لكن حاطب رضي الله عنه أيضا من أهل بدر. فلعل الآية نزلت في غيره من المنافقين كما رجحه القرطبي؛ انظر: المصدر السابق، ٢١٠/٨.

٥ ع: يحل.

٦ ع: واعتقه.

٧ ع م - الخلاف.

٨ سورة التوبة، ٧٧/٩.

٩ ك - أي صار في قلوبهم نفاقا وإن كان منافقا في ذلك الوقت فيكون قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم.

١٠ سورة التوبة، ٥٨/٩.

١١ سورة التوبة، ٧٧/٩.

١٢ ك - ويجب.

١٣ ع: إن استحلبوا.

١٤ ع: مما عهدوا.

وقوله عز وجل: **ولنكوننّ من الصالحين**، قال بعضهم: من المؤمنين، فهو على تأويل من قال: إنه كان منافقا وقتئذ. ويحتمل **ولنكوننّ من الصالحين**، أي من الشاكرين. وكذلك ذكر في الخبر أنّ ثعلبة لما سأل رسول الله أن يسأل الله له مالا، فقال له: «قليلٌ تُؤَدِّي شُكرَه خيرٌ مِن كثيرٍ لا تُؤَدِّي حقّه»،[1] أو كلام نحو[2] هذا.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٧٦]

وقوله:[3] **فلمّا آتاهم مِن فضله بخلوا به وتَوَلّوْا وهم مُعرِضون**، يحتمل **تَولَّوْا**، عن وفاء ما وعدوا. أو **تولَّوْا**، عن طاعة الله، **وهم مُعرِضون**، أيضا عن طاعة الله،[4] أو **مُعرِضون**، عمّا وعدوا وعهدوا أن يوفوا.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **فأَعْقَبَهم نفاقا في قلوبهم إلى يومِ يَلْقَوْنه**، قال بعضهم: أثابهم **نفاقا**، بما بخلوا، إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: أَعْقَبَهم الدوامَ على النفاق، **بما أَخْلَفُوا اللهَ ما وعدوه وبما كانوا يَكذِبون**. ينبغي للمسلم أن يجتنب الكذب والخُلْف في الوعد، فإنه سبب النفاق أو نوع من النفاق. **وعلى ذلك**[5] روي في الخبر أنْ «اجتنبوا الكذب، فإنه باب من النفاق، وعليكم بالصدق فإنه باب من الإيمان».[6] [٣١٤و] وفي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم: / «أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقا: إذا[7] حَدَّث كذب، وإذا وعد أَخلَف، وإذا عاهد[8] غدر، وإذا خاصم فَجَر»، وفي بعضها: «وإذا اؤْتُمِن خان».[9]

---

[1] سبق تخريج الرواية المتعلقة بذلك قريبا.

[2] ع م: كلام من نحو.

[3] ن – وقوله.

[4] ع م – وهم معرضون أيضا عن طاعة الله.

[5] ك: على ذلك.

[6] لم أجده بهذا اللفظ؛ لكن روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق، فإن الصِدق يهدي إلى البِرّ، وإن البِرّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يَصْدُق ويتحرى الصدق حتى يُكتَب عند الله صِدّيقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتَب عند الله كذّابا» (*صحيح مسلم*، البر والصلة ١٠٣؛ *وسنن أبي داود*، الأدب ٨٠؛ *وسنن الترمذي*، البر والصلة ٤٦).

[7] ك ع م: منافقا من إذا.

[8] ع م: خلف وإذا عهد.

[9] أي ورد في بعض الروايات: «وإذا اؤتمن خان» بدلا من: «وإذا وعد أخلف»؛ فانظر: *صحيح البخاري*، الإيمان ٢٤، الجزية ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٠٦-١٠٨.

فإن قيل: إن أولاد يعقوب اؤتُمِنوا فخانوا، وحدَّثوا فكَذَبوا بقولهم: فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ،[1] ووعدوا فأَخْلَفُوا، فترى أنهم نافقوا؟

قيل: ما روي أنّ مَن «إذا حَدَّث كَذَب»، أي كَذَب في أمر الدين، وأما الكذب في غير أمر الدين فإنه لا يوجب النفاق. وفي الآية دلالة أنْ لا يَنُصّ[2] بالسؤال في شيء على غير طلب الخِيَرة[3] في ذلك من الله؛ ألا ترى أن ثعلبة لمّا أَلَحّ على رسول الله في السؤال أن يسأل ربه ليرزقه مالا ففعل فأَعْقَبَه اللهُ النفاقَ إلى يوم القيامة. ولأنّ أولاد يعقوب قد قدّموا التوبة والإصلاح قبل صنيعهم الذي صنعوا على خوف منهم بما فعلوا، فلم يصيروا منافقين.[4] وأصله أن اعتقاد الكذب، واستحلالَ الخلاف لِما عَهِد، والخُلْفَ[5] في الوعد هو الموجبُ للنفاق، فأمّا تركُ[6] فعلِ الوفاء على غير استحلالٍ منه فلا يُوجب ما ذكر.[7] **والله أعلم.**

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **ألم يعلموا أن الله يعلم سرّهم ونجواهم**، يحتمل هذا وجهين. أنْ قد عَلِموا **أن الله يعلم سرّهم ونجواهم**، لكثرة ما يُطْلِع رسولَه على ما أسرّوا من الخلاف له وذِكرِهم[8] السوءَ في رسول الله. والثاني **ألم يعلموا**، أي **ألم** يَأْنِ لِلذين نافقوا، **أن**[9] **يعلموا**[10] **أن الله يعلم سرّهم ونجواهم**، فيُطْلِع[11] رسولَه على **سرّهم ونجواهم**، فيتركون[12] الطعنَ في رسول الله وذِكرَ السوءِ فيه والخلافَ له.

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿قال إنّي لَيَحْزُنُني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون. قالوا لئن أكله الذئب ونحن عُصْبَةٌ إنّا إذًا لخاسرون... قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نَسْتَبِق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٣-١٤، ١٧).

[2] النَّصّ أصله منتهى الأشياء ومَبلغ أقصاها. ومنه قيل: نَصَصْت الرجل، إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده (*لسان العرب* لابن منظور، «نصص»).

[3] الخِيَرة أي الخير أو الاختيار (*لسان العرب* لابن منظور، «خير»).

[4] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «ولأنّ أولاد يعقوب قد قدّموا العَزْم على التوبة والإصلاح قبل صنيعهم الذي صنعوا على خوفٍ منهم بما فعلوا، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿[اقتلوا يوسف أو اطرَحُوه أرْضًا] يَخْلُ لكم وَجْهُ أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾، فلم يصيروا منافقين» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٥٦و).

[5] ع: الخلف.

[6] ن ع م: نزل.

[7] ع: ذكره.

[8] م: وذكر.

[9] ع م - يأن للذين نافقوا أن.

[10] ن: أن لم يعلموا.

[11] ن ع م: يطلع.

[12] جميع النسخ: فاتركوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.

[٣١٤و س٣١ *والسر هو ما يُسِرّ المرء في نفسه. والنَّجْوَى هو اجتماع جماعة على نَجْوَة[1] من الأرض،
٣١٤و س٣٢] أي المرتفع من المكان.*

وقوله عز وجل: **وأن الله علّام الغيوب**، أي **علّام** بالغيوب[2] التي غابت[3] عن الخلق، وإلا ليس شيء يغيب عنه. ما غاب عن الخلق وما لم يَغِب بمحل واحد عنده.[4] أو **علّام الغيوب**، أي **علّام**[5] بما يكون أبدا في الأوقات التي يكون. وفيه دلالة أنه لم[6] يَزَلْ علّاما، لأن علم الغيب هو ما علم أنه يكون، لا ما علم وهو كائن، دل أنه كان لم يَزَلْ عالما لما ذكرنا.

﴿اَلَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **الذين يَلْمِزون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات**، الآية، يشبه أن تكون الآية صلة قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ -إلى قوله- وَتَوَلَّوْا.[7] إن أهل النفاق كانوا أهل بخل لا ينفقون إلا مُراءاة وسُمْعةً، فظنّوا بمن أنفق من المسلمين وتصدّق ظنَّهم[8] بأنفسهم، فقالوا: إنهم أنفقوا وتصدقوا مُراءاةً وسُمْعةً. ذُكر في بعض القصة أن عبد الرحمن بن عوف أتى بنصف ماله في غزوة تبوك يتقرّب به إلى الله، وقال: يا نبي الله، هذا نصف مالي أتيتك به، وتركت نصفه لعيالي. فدعا له نبي الله أن يُبارَك له[9] فيما أعطى وفيما أمسك. فلَمَزه المنافقون وقالوا: ما أعطى إلا رياء وسُمْعةً. وجاء رجل آخر من فقراء المسلمين بصاع من تمر، فنَثَره[10] في تمر الصدقة، فقال له نبي[11] الله خيرًا ودعا له. فقال المنافقون: إن الله لَغَنِيّ عن صاع هذا. فذلك لَمْزُهم.

---

[1] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «نجو».

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٤و/سطر ٣١-٣٢.

[2] ن م: الغيوب؛ ع – بالغيوب؛ ع م + أو علام بما يكون.

[3] ع م: غائب.

[4] جميع النسخ: عنده بمحل واحد.

[5] ع م: أو علام.

[6] ع: أن لم.

[7] ﴿ومنهم مَن عاهد الله لئن آتانا مِن فضلِه لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنكونَنّ من الصالحين. فلمّا آتاهم مِن فضلِه بَخِلُوا به وتَوَلَّوْا وهم معرضون﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٦).

[8] جميع النسخ: ظنا.

[9] ع م – له.

[10] م: فنشره.

[11] ع: له يا نبي.

فأنزل الله تعالى: **الذين يَلْمِزون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جُهدهم**، يعني الذي[١] جاء بصاع.[٢] قال القُتَبي: **الذين يلمزون المُطَّوِّعين**، أي يَعيبون المتطوعين بالصدقة، **والذين لا يجدون إلا جُهدهم**، أي طاقتهم. والجُهد: الطاقة -قال- والجَهد: المشقّة.[٣] وقال أبو عَوْسَجَة: الجُهد: إنفاق الرجل من الشيء القليل. يقال: جُهِد الرجلُ، إذا كان من الضَّعْف أو من الفقر. ويقال: جَهَد في العمل يَجْهَد جَهْدا، فهو إذا بالغ[٤] في العمل. قال أبو عُبَيد: الجُهد مثل الوُسع، والجَهد: الطاقة.[٥] وكذلك قال[٦] أبو معاذ.[٧] وفي الآية معنيان. أحدهما دلالة إثبات رسالة رسول الله، لأنه معلوم أن ما كان منهم[٨] من اللَّمْز لم يكن ظاهرا ولكن كان سرا، ثم أخبرهم رسوله بذلك. دل أنه إنما عرف ذلك بالله. والثاني أن الأمور التي فيما بين الخلق إنما يُنظَر[٩] إلى ظواهرها وإن كان في الباطن على خلاف الظواهر، حيث عُوتِبوا هم[١٠] بما طعنوا فيهم بالرياء والسُّمْعة، لِيُعلَم[١١] أن الأمور التي فيما بين الخلق تُحمَل على ظواهرها ولا يُنظَر فيها إلى غير ظاهرها. والحقيقة هو ما بَطَن وأُسِرّ، وبه[١٢] يَخْلُص العمل لله.*

وقوله عز وجل: **فيَسخَرون منهم سَخِر الله منهم**، قال بعضهم:[١٣] إن من اعتذر إلى[١٤] آخر فقَبِل[١٥] عذرَه على علمٍ مِن المعتذَر إليه أنه لا عذر له فيما يعتذر[١٦] وأنه كاذب في ذلك

---

[١] ع: الذين.

[٢] *تفسير الطبري*، ١٠/١٩٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٤٩-٢٥٠. وروي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لمّا أُمِرنا بالصدقة كُنّا نَتَحامَل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه. فقال المنافقون: إن الله لَغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاء. فنزلت: ﴿الذين يَلْمِزون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جُهدهم﴾ الآية (*صحيح البخاري*، التفسير ٩/١١، و*صحيح مسلم*، الزكاة ٧٢).

[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٠.

[٤] ع م: إذا بلغ.

[٥] ك + والجهد الطاقة.

[٦] ن - قال.

[٧] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «جهد».

[٨] جميع النسخ: منه.

[٩] ن ع م: ينظروا.

[١٠] ن ع: عوتبوهم.

[١١] ع م: ليعلموا.

[١٢] ن ع م: وأسروا به.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣١٤و/سطر ٣١-٣٢.

[١٣] ن - بعضهم.

[١٤] ن - إلى.

[١٥] جميع النسخ: فيقبل.

[١٦] جميع النسخ + إليه.

فقبول المعتذَر إليه ما يُعتذَر من المُعتذِر سُخرية مِن المعتذرَ[1] إليه بالمعتذِر.[2] وقال بعضهم: قوله: **سَخِرَ الله منهم**، أي يجزيهم جزاء السُّخرية، فسمّى جزاءه باسم السخرية وإن لم يكن[3] الجزاء سخرية، كما سمّى جزاء السيئة سيئة وإن لم تكن الثانية سيئة.[4] وكذلك سمّى جزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الثاني اعتداء.[5] فعلى ذلك سمّى جزاء السُّخرية سُخرية وإن لم يكن[6] سخرية. ويحتمل قوله: **سَخِرَ الله منهم**، أي سَخِر[7] أولياءُ الله منهم، فأضيف إليه. وكذلك يحتمل قوله: ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ،[8] أي يستهزئ بهم[9] أولياؤه، وهو قوله:[10] ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا،[11] فذلك استهزاؤهم بهم. وذلك جائز في اللغة، إضافةُ الشيء إلى آخر والمرادُ منه غير المضاف إليه.

﴿اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٨٠]

[٣١٤ظ] وقوله عز وجل: **استغفر لهم / أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم،** قال عامة أهل التأويل: إنه لمّا مات عبد الله بن أُبَيّ أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه، فقال: ما أمرك الله بهذا، قال: **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم.** فقال: «قد خيّرني ربي، فقال:[12] افعل أو لا تفعل». وفي بعض الروايات قال له عمر: لا تستغفر، فإن الله قد نهاك عن هذا.

---

[1] ع – سخرية من المعتذر.

[2] جميع النسخ: إلى المعتذر. أي من اعتذر إلى آخر فقبل عذره وهو يعلم أنه كاذب في ذلك فقبول عذره –بأن لم يعامله بالرد أو بالجزاء العاجل– يكون سخرية من المعتذر إليه بالمعتذر. فهذا معنى قوله: ﴿سخر الله منهم﴾.

[3] ع: لم تكن.

[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠).

[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).

[6] ن ع م: لم تكن.

[7] ع: أي سخروا.

[8] سورة البقرة، ٢/١٥.

[9] ع م – أي يستهزئ بهم.

[10] ع م: وقوله.

[11] ﴿يومَ يقول المنافقون والمنافقات لِلذين آمنوا انْظُرونا نَقتبِس مِن نورِكم قيل ارجعوا وراءكم فالْتَمِسُوا نورا فضُرِب بينهم بِسُورٍ له باب باطنُه فيه الرحمة وظاهِرُه مِن قِبَلِه العذاب﴾ (سورة الحديد، ٥٧/١٣).

[12] ك – فقال.

فقال: «يا عمر، أفلا أستغفر إحدى[1] وسبعين مرة؟»، أو كلاما[2] نحو هذا. فأنزل الله عند ذلك: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ.[3] لكن هذا يَبْعُد: يَفهَم رسولُ الله من الآية التخيير، وعمر يمنعه عن ذلك! ولا يجوز أن يُفهَم التخيير في ذلك أو يخرج ذلك على التحديد[4] أو تكون هذه منسوخة بالتي في [سورة] المنافقين، لأنه وعيد، والوعيد لا يحتمل النسخ.[5] والوجه فيه -والله أعلم- [أنك] إن استغفرت[6] لهم فإنّ استغفارك ليس بالذي يُرَدّ فلا يجاب. لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله، وقد تَعلم مِن حُكمي أنْ لا أغفر[7] لمن[8] مات على ذلك. يخرج على الاعتذار لرسوله في ذلك والنهيِ له عن الاستغفار لهم، كقوله: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى.[9] وقد عَلم شرك المنافقين وكفرهم بالله ورسوله، فنهاه عن الاستغفار لهم. إذ لا يحتمل أن يكون ذلك قبل أن يُطْلِع رسولَه على كفرهم، فدل أنه بعد العلم بذلك نهاه. وفيه دلالة نقض قول المعتزلة في قولهم: إن صاحب الكبيرة لا يُغفَر له.[10] لأنه أخبر أنه لا يغفر لهم بما كفروا بالله ورسوله. فدل أن من لم يكن كَفَر بالله ورسوله فإنه يُغفَر له، وأن له الشفاعة، و[أن] صاحب الكبيرة ليس بكافر. دل أنه ما[11] ذكرنا.

---

[1] جميع النسخ: احد.

[2] جميع النسخ: أو كلام.

[3] سورة المنافقون، ٦٣/٦. وروي عن ابن عمر قال: لمّا تُوفي عبد الله [بن أُبيّ بن سَلُول] جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله، فسأله أن يعطيه قميصه يُكفِّن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ليصلي، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله، فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله: «إنما خيّرني الله، فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾، وسأزيد على السبعين». قال: إنه منافق -قال- فصلى عليه رسول الله. فأنزل الله: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ (*صحيح البخاري*، التفسير ٩/١٣؛ و*صحيح مسلم*، فضائل الصحابة ٢٥؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٩). أما عن نزول قوله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾، بسبب هذه القصة وغير ذلك من الروايات فانظر: *تفسير الطبري*، ١٠/١٩٩-٢٠٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٥٣-٢٥٥.

[4] م: على التحذير.

[5] قال الشارح رحمه الله تعالى: «ولا يجوز أن يُفهَم التخيير في ذلك ويخرج ذلك على التحديد في السبعين. ولا يحتمل أن لو كان نُسِخ بقوله: ﴿سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾، لأن ذلك وعيد، والوعيد لا يحتمل النسخ. دل أن ما حمل الآية عليه أهل التأويل لا يستقيم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٥٦ظ).

[6] ع: إن تستغفرت.

[7] ع: أن لأغفر.

[8] جميع النسخ: من.

[9] سورة التوبة، ٩/١١٣.

[10] م - له.

[11] م: أن ما.

ثم طلبُ المغفرة من الله والشفاعةُ لغيرٍ يجيء أن لا يكون إلا للخواص[1] من الخَلْق، وهم الرسل والأنبياء، على ما يكون في الشاهد لا يَرفع إلى ملوك الأرض الحاجةَ لغيرهم إلا الخواصُّ لهم، ولا يُشَفِّعون[2] إلا أهلَ الشرف عندهم والمنزلة. لكن الله تعالى أذن لنا في الاستغفار لغيرنا[3] بقوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.[4] وقولُه: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ؛[5] يحتمل قوله: عَلَيْهِمْ، أي سواء عندهم، أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ. ويكون طلبُ استغفارِهم مِن رسول الله استهزاءً منهم به[6] حيث قال: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا؛[7] يخرج قولهم: فَاسْتَغْفِرْ لَنَا، مخرج الاستهزاء على هذا التأويل. ويحتمل قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ، أي سواء عند الله، أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، فإنه لا يغفر لهم بكفرهم بالله ورسوله.

ثم قوله: **إن تستغفر لهم سبعين مرة**، يحتمل ذكر السبعين لأن السبعين[8] هو النهاية والغاية في الاستغفار، على ما روي أنه كان يستغفر في كل يوم سبعين استغفارا،[9] فأخبر: إنك وإن انتهيت النهاية فيه لا يغفر لهم ولا ينفعهم ذلك.

وقوله عز وجل: **والله لا يهدي القوم الفاسقين**، وَقْتَ اختيارهم الفسق. أو لا يهديهم طريق الجنة في الآخرة لفسقهم في الدنيا إذا ماتوا على ذلك.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[٨١]

وقوله عز وجل: **فرح المُخَلَّفون بمَقْعَدهم خِلافَ رسول الله**، الآية، جمعوا -أعني المنافقين-

---

[1] ن: يكون للخواص.

[2] أي لا يقبلون الشفاعة إلا من أهل الشرف.

[3] جميع النسخ: استغفار غيرنا.

[4] سورة الحشر، ٥٩/١٠.

[5] سورة المنافقون، ٦٣/٦.

[6] جميع النسخ: له.

[7] سورة الفتح، ٤٨/١١.

[8] م - لأن السبعين.

[9] م: مرة. روي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (صحيح *البخاري*، الدعوات ٣). وفي رواية: «سبعين مرة» (سنن *الترمذي*، التفسير ٤٧).

جميع خصال الشر بالتي[١] فعلوا. أحدها ما ذكر من فرحهم بالتخلّف عن رسول الله. والثاني كراهتهم الجهاد مع رسول الله وبخلهم بأموالهم. والثالث صدّهم الناس عن الجهاد والخروج في سبيل الله بقولهم: **لا تَنفِروا في الحَرّ**. جمع الله جميع خصال المنافقين في هذه الآية. وقوله عز وجل: **فرح المُخَلَّفون**، ذُكر "**المُخَلَّفون**" وهم كانوا "متخلّفين" في الحقيقة. لكنه يحتمل وجهين. مُخَلَّفون [أي] خلّفهم الله لِما ذَكر أن خروجهم لا يزيدهم إلا خَبَالا وأنهم يَبْغُون الفتنة.[٢] خلّفهم عن ذلك، كقوله: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ،[٣] قيل: حبسهم. فعلى ذلك هم[٤] مُخَلَّفون، خلّفهم الله لِما علم أن خروجهم لا يزيدهم إلا خَبَالا وفسادا. ويحتمل مُخَلَّفون [أي] خلّفهم أصحابُ رسول الله، لأنهم لو أرادوا أن يُخرجوهم كَرْها لَقَدروا على ذلك، فهم كالمُخَلَّفين من هذا الوجه لِما لو أرادوا إخراجهم أَخرجوهم وإن كانوا[٥] متخلِّفين في الحقيقة. وقوله: **بمَقْعَدهم خِلافَ رسول الله**، أي مخالفةَ رسول الله. وقُرِئ: خَلْفَ رسول الله،[٦] أي فرحوا بقعودهم بعد خروج رسول الله. وقوله: **بمَقْعَدهم**، يحتمل القعود، أي بقعودهم خلفه. ويحتمل **بمَقْعَدهم**، أي موضع قعودهم، وهو منازلهم وأوطانهم.

وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم، ببخلهم[٧] وخِلافهم الذي في قلوبهم.

وقوله عز وجل: **[وقالوا] لا تَنفِروا في الحَرّ**، هذا في الظاهر يخرج على إظهار الشفقة للمؤمنين، ولكن لم يكن أرادوا ذلك، إنما أرادوا حبسهم عن الخروج في سبيل الله. لكن المؤمنين[٨] لا يمتنعون عن الخروج في سبيل الله إذا قالوا لهم مطلقا: **لا تَنفِروا في الحَرّ**. وهو كقوله: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[٩] كانوا يُجَبِّنون[١٠] المؤمنين عن الخروج إلى العدو،[١١]

---

[١] جميع النسخ: التي.
[٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَالا ولأَوْضَعُوا خِلالكم يَبْغُونَكم الفتنة﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٧).
[٣] سورة التوبة، ٩/٤٦.
[٤] ن ع م – هم.
[٥] م: كان.
[٦] رُويت هذه القراءة عن أبي حَيْوَة شُريح بن يزيد (ت. ٢٠٣هـ/٨١٩م). وهي قراءة شاذة. انظر: *تفسير القرطبي*، ٢١٦/٨؛ و*فتح القدير* للشوكاني، ٣٨٨/٢.
[٧] ك م: بخلهم. أي بسبب بخلهم.
[٨] ع م: المؤمنون.
[٩] ﴿الذين قال لَهمُ الناسُ إنّ الناسَ قد جمعوا لكم فَاخْشَوْهم فزادهم إيمانا﴾ (سورة آل عمران، ١٧٣/٣).
[١٠] ع: يجتنبون.
[١١] ع: إلى الغلو.

وكانوا يحتالون في منعهم المؤمنين عن الخروج في سبيل الله. ولو أطلقوا القول في المنع وصرّحوه لَفهم المؤمنون[1] / ذلك، ويظهر[2] نفاقهم. وجائز أن يكون قولهم: **لا تَنفِروا في الحَرّ**، قالوا ذلك لأتباعهم لا للمؤمنين، كقوله: وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى.[3] [٣١٥و]

وقوله عز وجل: **قل نار جهنم أشدّ حَرّا لو كانوا يفقهون**، أي **لو كانوا يفقهون**، ما أنزل على رسول الله لعلموا أن، **نار جهنم أشدّ حَرّا**، من حَرّ الدنيا. أو **لو كانوا يفقهون**، أنهم لم يُخلَقوا في الدنيا للدنيا خاصّة، ولكن خلقهم فيها ليمتحنهم، لعلموا[4] أن الموعود في الآخرة أشدّ ممّا امتحنوا في الدنيا. ***والله أعلم***.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا**، يشبه أن يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور، والبكاء[5] كناية عن الحزن. يقول: افرحوا وسُرّوا قليلا، وتحزنون في الآخرة طويلا كثيرا. وأمكن أن يكون على حقيقة الضحك، لأنهم كانوا يضحكون ويستهزئون بالمؤمنين في الدنيا. يقول: ضَحِكوا قليلا لأن الدنيا قليلة تنقطع، ويَبكون كثيرا في الآخرة لأنها لا تنقطع.[6] **جزاء بما كانوا يكسبون**.

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **فإن رَجَعَك اللهُ إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج**، دل قوله: **رجعك الله إلى طائفة منهم**، أنْ ليس كل من تخلّف عنه في ذلك فهو منافق، ولا كل المنافقين امتنعوا وتخلّفوا عنه. وقوله عز وجل: **فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا**، لأنه أخبر أن خروجهم معهم لا يزيدهم إلا خَبَالا وفسادا،[7]

---

[1] ع م: المؤمنين.

[2] ك: ويظهرون.

[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلُوا لِيَجعلَ اللهُ ذلك حسرةً في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٦).

[4] جميع النسخ: ليعلموا.

[5] ع: والنكا.

[6] ع: لا ينقطع.

[7] يشير إلى قوله تعالى: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَالا ولأَوْضَعُوا خِلالَكم يَبْغُونَكم الفتنة﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٧).

فيقول: **لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة**، أي عوقبوا بالقعود أول مرة لنفاقهم. وقوله: **فقل لن تخرجوا معي أبدا**، أي لن آذن لكم أن تخرجوا معي[١] أبدا، ولن آذن لكم أن تقاتلوا معي عدوا[٢] أبدا. ويحتمل **لن تخرجوا**، أي وإن أذنت[٣] لكم بالخروج فلن تخرجوا أبدا.

فاقعدوا مع الخالفين، قيل: مع المتخلّفين، وهم المنافقون [على] ما ذكر. ويحتمل أنْ اقعدوا مع أصحاب الأعذار. وقال بعضهم: مع النساء والزَّمْنَى. وهو واحد.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبدا**، يعني المنافقين، **ولا تَقُمْ على قبره**. ذُكر في بعض[٤] القصة أنه لمّا مات عبد الله بن أُبيّ فجاء ابنه إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن أبي مات، وأوصانا[٥] أن يُكَفَّن في قميصك[٦] وأن تصلي عليه. فخلع النبي قميصه فأعطاه، ومشى فصلّى وقام على قبره.[٧] وروي في بعض الأخبار أنه صلّى عليه وألبسه قميصه، وقيل له:[٨] تُلبِس عدوَّ الله قميصَك؟ وقال: «إني[٩] لأرجو[١٠] أن يُسلِم بقميصي من بني الخزرج أَلْفٌ». فذُكر أنه لمّا فعل ذلك أسلم ألف رجل من المنافقين.[١١] وروي أنه لم يصل عليه.[١٢]

---

[١] ن – معي.
[٢] ن ع م – عدوا.
[٣] م: أي وأذنت.
[٤] ك: في في بعض.
[٥] م: وأوصاني.
[٦] ع م: يكفن قميصك.
[٧] تقدم تخريجه قريبا. لكن لم يُذكَر فيه أن عبد الله بن أبي أوصى بذلك. وذكر ذلك في بعض الروايات. انظر: *سنن ابن ماجة*، الجنائز ٣١؛ و*تفسير الطبري*، ٢٠٦/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٥٨/٤-٢٥٩.
[٨] ن: أنه.
[٩] ن – إني، صح هـ.
[١٠] ن ع: لأرجوا.
[١١] روي عن قتادة مرسلا، وليس في آخره: فذكر أنه لما فعل ذلك... انظر: *تفسير الطبري* ٢٠٦/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٥٩/٤.
[١٢] روي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أُبي، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه وقال: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾. انظر: *مسند أبي يعلى*، ١٤٥/٧؛ و*تفسير الطبري* ٢٠٥/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٥٩/٤. ومن رواته يزيد الرَّقَاشِي، وهو ضعيف. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣٨٠/٢.

فلا ندري كيف كان الأمر بعد أن جاء النهي عن الصلاة على المنافقين بقوله: **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تَقُمْ على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون،** سمّاهم فَسَقَة، واسم الكفر[1] أقبح وأذمّ، لكنهم جمعوا مع الكفر أنواع الفسق، لِيُعلَم أنّ اعتقادهم الكفرَ والمذهبَ الذي يذهبون إليه إنما اعتقدوا لهواهم. إذ الفسق[2] مما يحرّمه كل ذي[3] مذهب ودين، وكلٌّ يَأنَف عن الفسق ويتبرّأ[4] منه. ولا كذلك الكفر، لأن كل من آمن بشيء كفر بضده. وأصل الفسق هو الخروج عن الأمر. *والله أعلم*.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا،** قال بعض أهل[5] التأويل: إنه على التقديم والتأخير، كأنه قال: **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم،** في الدنيا، **إنما يريد الله أن يعذبهم بها،** في الآخرة. وفيه نقض قول المعتزلة في الأصلح. وقد ذكرنا الوجه الذي يدل على نقض قولهم فيما تقدم.[6] ويحتمل قوله: **إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا،**[7] القتال والحروب[8] التي أُمروا بها،[9] [فكان يشقّ ذلك عليهم ويشتدّ، فذلك التعذيب لهم. وهو ما ذكر في آية أخرى: أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ،[10] الآية. أو التعذيب في الدنيا هو القتل، يُقتَلون إن لم يَخرجوا][11] كقوله:[12]

---

[1] ع م: الكفرة.
[2] ع: إذا الضيق.
[3] ن ع م - ذي.
[4] ع: عن الضيق وتبرأ.
[5] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[6] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ٩/٥٥.
[7] جميع النسخ + وهو.
[8] ع م: والحروف.
[9] جميع النسخ: فيها.
[10] ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون إليك تَدُور أَعْيُنُهم كالذي يُغْشَى عليه مِن الموت فإذا ذهب الخوف سَلَقُوكم بأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾ (سورة الأحزاب، ١٩/٣٣).
[11] الزيادة من تفسير سورة التوبة، ٩/٥٥.
[12] ع م - كقوله.

مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا،[1] وهو التعذيب الذي ذكر، لأنهم يَصيرون[2] مقتولين.
وقوله عز وجل: **وتَزْهَقَ أنفسهم،** قيل: تذهب وتهلك، **وهم كافرون.**

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **وإذا أُنزلت سورة أنْ آمِنوا بالله وجاهِدوا مع رسوله،** أي إذا أُنزلت سورة فيها **أنْ آمِنوا بالله،** لا أنها تنزل سورة بهذا الحرف، ولكن فيها ذِكرُ **أنْ آمِنوا بالله وجاهِدوا مع رسوله.** وهو كقوله: فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ.[3] وقولُه: **أنْ آمِنوا بالله،** بقلوبهم، لأنهم قد أظهروا الإيمان باللسان،[4] وهم لم يكونوا مؤمنين بالله حقيقة.

وقوله عز وجل: **استأذنك أُولُوا الطَّوْل منهم،** قيل:[5] **أُولُوا الطَّوْل،** هم أهل الغَناء والسَّعة. وقيل: **أُولُوا الطَّوْل،** أهل الفضل والشرف الذين كانوا يَصْدُرون لآرائهم وينظرون إلى تدبيرهم. وقد كان في أهل النفاق أهل السَّعة والغَناء وأهل النظر والتدبير.

وقوله: **وقالوا ذَرْنا نَكُنْ مع القاعدين،** استأذنوا القعود عن الجهاد -والله أعلم- لِما كانوا يُوالون أهل الكفر سرا، فكرهوا القتال مع الأولياء. أو كانوا يتخلّفون ويمتنعون عن الخروج إلى القتال لِفَشَلهم وجُبْنهم، لأنهم كانوا لا يعملون لِعواقبَ تُتأمَّل، إنما كانوا يعملون لمنافعَ حاضرة. لذلك كانوا يمتنعون عن الخروج إلى القتال.[6] وأما أهل الإيمان فإنهم إنما يعملون للعواقب. وكذلك أهل الكفر إنما يقاتلون أهل الإيمان إما [لِنَيْل] غنيمة في العاقبة يتأمّلون [أو لدفع الشر عن أنفسهم لِلحال].[7] لكنهم كانوا يستأذنون / القعود ويكونون مع [٣١٥ظ] القاعدين، يُرون مِن أنفسِهم أنّ لهم العذر في القعود. ثم قوله: **ذَرْنا نَكُنْ مع القاعدين،**

---

[1] ﴿لَئِن لم يَنْتَهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمُرْجِفُون في المدينة لَنُغْرِيَنَّك بهم ثم لا يُجاوِرُونك فيها إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦٠-٦١).

[2] ك: يصيروا.

[3] ﴿فإذا أُنزلت سورة مُحْكمة وذُكر فيها القتال رأيتَ الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نَظَرَ المَغْشِيِّ عليه مِن الموت﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٠).

[4] ك + أو أن آمنوا بالله؛ ن + أو أن أن آمنوا بالله.

[5] ع: قبل.

[6] ع م – لفشلهم وجبنهم لأنهم كانوا لا يعملون لعواقب تتأمل إنما كانوا يعملون لمنافع حاضرة لذلك كانوا يمتنعون عن الخروج إلى القتال.

[7] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.

يحتمل **مع القاعدين**، من الضعفاء والمرضى[1] والصبيان، حتى إذا أتاهم العدو مِن بَعد ما خرج الرجال منهم إلى قتال العدو يقومون[2] لدفع العدو عن هؤلاء. أو يكون قولهم: **ذَرْنا نَكُنْ مع القاعدين**، من أهل العذر. يُرون من أنفسهم[3] أنهم أهل العذر، ولم يكن لهم عذر في ذلك، كقوله:[4] إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ،[5] الآية.[6] فعلى ذلك الأول يحتمل هذا.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **رَضُوا بأن يكونوا مع الخَوالِف**، قيل: مع النساء. فهذا حرف تعيير وتوبيخ، أي **رضوا بأن يكونوا** في مَشاهد[7] النساء دون مَشاهد الرجال.

وقوله عز وجل: **وطُبِع على قلوبهم فهم لا يفقهون**؛ إن للإيمان نورا يُبصَر به عواقبُ الأمور ويُرفَع الحجاب والسِتْر[8] من القلوب ومن الأمور، فيُرِيها[9] باديةً ظاهرة. وللكفر[10] ظُلمةٌ تَستر[11] الظاهر من الأمور والباديَ منها، فتَستر تلك الظُّلمة قلبَه، فذلك الطبع. وقد ذكرنا الوجه فيه في غير موضع.[12] *والله أعلم*. **فهم لا يفقهون**، ما يلحقهم من التعيير[13] برضاهم بالقعود مع الخَوالِف. والفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدالّ[14] على نظيره. مَنعت[15] تلك الظلمةُ أن تُعرَف الأشياءُ بمعانيها وبنظائرها[16] للحجاب الذي ذكرنا.

---

[1] ع: والرضى.
[2] ع م: ويقومون.
[3] ع م: يرون أنفسهم.
[4] ن: كقولهم.
[5] ﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يَثْرِبَ لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ (سورة الأحزاب، ١٣/٣٣).
[6] ن – الآية.
[7] م: في مشاهدة.
[8] ع: والسر.
[9] ك ن م: فتريها.
[10] ك: والكفر.
[11] ك: يستر.
[12] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأعراف، ١٠٠/٧.
[13] ع: من التعبير.
[14] ن – والله اعلم فهم لا يفقهون ما يلحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف والفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال.
[15] جميع النسخ: منع.
[16] ك: وتظائرها؛ ن م: وبنظارها؛ ع: بنظارها.

﴿لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **لكنِ الرسولُ والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم**، يقول -والله أعلم- إن الرسول والذين حقّقوا الإيمان والتصديق **جاهدوا بأموالهم وأنفسهم**، أي بذلوا أنفسهم وأموالهم لنصر دين الله وإظهار سبيله، و لم يبخلوا كما بخل أهل النفاق في بذل أموالهم وأنفسهم في نصر دينه بالمجاهدة مع أعدائه و لم يحقّقوا الإيمان والتصديق.

ثم أخبر أنّ لِلمؤمنين الذين حققوا الإيمان والتصديق وبذلوا أنفسهم وأموالهم وجاهدوا بها في نصر دين الله وإظهار سبيله **لهم الخيرات**، قال بعضهم: **لهم الخيرات**، الذِّكْر في الدنيا والثناء الحَسَن وسلوك الناس طريقهم،[١] وفي الآخرة الثواب والجزاء. وقيل: **لهم الخيرات**، في الآخرة لِما بذلوا أنفسهم وأموالهم في نصر دينه والمجاهدة مع عدوه. وقيل: **لهم الخيرات**، الحور العين، كقوله: فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ.[٢] *والله أعلم*.

وأولئك هم المفلحون، المفلح هو الذي يظفر بحاجة. يقال: أفلح.[٣] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٤]

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **أَعَدّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم**، لِيُعلَم أن العِظَمَ[٥] ليس يقع فيما فيه الغِلَظ والكثافة ولكن القَدْر والمنزلة.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٩٠]

وقوله: **وجاء المُعَذِّرون من الأعراب لِيُؤْذَنَ لهم**، قال بعض أهل[٦] التأويل: **المُعَذِّرون**، هم الذين يستأذنون القعود ولا عذر لهم في ذلك. وقال الكَلْبي: **المُعَذِّرون**، هم الذين لهم عذر وبهم علة.

---

[١] ك: طريقتهم.

[٢] ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فبأي آلاء ربكما تكذبان. حُورٌ مَقصُوراتٌ في الخِيام﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٧٠-٧٢).

[٣] ك: يقال قد أفلح.

[٤] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٥.

[٥] م: أن العظيم.

[٦] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

وبعضهم قال: **المُعَذِّرون،** هم المعتذرون. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ: المُعْذِرون، بالتخفيف، وقال: لعن الله المُعَذِّرين.[1] كأنه ذهب إلى أن المُعْذِر هو الذي[2] له عذر، والمُعَذِّر بالتشديد الذي لا عذر له، لذلك لعن المُعَذِّر. قال أبو معاذ: وأكثر كلام العرب المُعْذِر: الذي له عذر، وهو قولهم: قد أَعْذَر مَن أَنْذَر.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: المُعَذِّر بالتشديد الذي لا يُناصِح،[4] إنما يريد أن يُعذَر. ويقال: عَذَرتُ في الأمر، إذا لم يبالغ فيه، وأَعْذَرت في الأمر، أي بالغت فيه. وقال القُتَبي: **المُعَذِّرون،** بالتشديد، هم الذين لا يَجِدُّون، إنما يَعرِضون ما لا يريدون أن يفعلوه. يقال: عَذَّرت في الأمر، إذا قصّرت، وأَعْذَرت: جَدَدْت.[5] ثم قال بعض أهل التأويل: دل هذا على أن أهل النفاق كانوا صنفين: صنف كانوا يستأذنون القعود، وصنف لا يستأذنون، ولكن يقعدون، بقوله: **وجاء المُعَذِّرون من الأعراب لِيُؤْذَنَ لهم وقعد الذين كَذَبوا الله ورسولَه سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم.** دل قوله: **الذين كفروا منهم عذاب أليم،** على أنّ مِن أهل النفاق مَن قد آمن[6] وتاب، وأنّ مَن تاب يُقبَل ذلك منه، لأنه قال: **سيصيب الذين كفروا منهم،** و لم يقل: سيصيبهم عذاب أليم. وقال بعضهم: المُعْذِرون، بالتخفيف، هم المؤمنون الذين لهم عذر التخلّف،[7] أتوا رسول الله لينظر[8] في أمرهم الأَوْفَق، إن كان الخروج لهم أَوْفَق يخرجون، وإن كان القعود أَوْفَق يقعدون. يدل على ذلك الآية التي تتلو هذه، وهو قوله[9] عز وجل: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ، الآية.

---

[1] أخرجه ابن الأنباري في *كتاب الأضداد*؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٦٠. وروي عن الضحاك قال: كان ابن عباس يقرأ: وجاء المُعْذِرُون، مخفَّفة، ويقول: هم أهل العذر. انظر: *تفسير الطبري*، ١٠/٢١٠. وقراءة التخفيف المذكورة من القراءات المتواترة، قرأ بها يعقوب من الأئمة العشرة؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٠.

[2] ن + هو.

[3] «أعذر من أنذر: أي من أنذرك ما يحل بك فقد أعذر إليك أي صار معذورًا عندك» (*فرائد الأدب* للويس معلوف، «عذر»).

[4] أي لا يخلص في اعتذاره.

[5] ك ن ع: جدوت. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩١. وانظر: *لسان العرب* لابن منظور، «عذر».

[6] ك: من آمن.

[7] ع م: والتخلف.

[8] ك: لينظروا.

[9] ن: وقوله.

فإن قيل: كيف احتمل أن تكون[١] آية واحدة في فريقين[٢] مختلفين، إذا قرئ بالتخفيف فهي في الذين لهم عذر، وإذا قرئ بالتشديد كانت في الذين لا عذر لهم؟

قيل: تصير على اختلاف القراءة كآيتين[٣] في حالتين ووقتين مختلفين إن كان تأويل المُعَذِّر بالتشديد هو الذي يَعتذر ولا عذر له والمُعْذِر بالتخفيف هو الذي له عذر، أو كان تأويل إحدى القراءتين على ضد[٤] الأخرى، [أي] كان لهم عذر في حالٍ ولا عذر لهم في حالٍ أخرى. وإلّا لا يحتمل / أن تكون[٥] القراءتان[٦] جميعا في وقت واحد وتأويلهما على الاختلاف [٣١٦و] الذي ذكروا. وهو كقوله: فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[٧] وربُّنا -بالرفع- بَاعَدَ بين أسفارنا،[٨] أحدهما على الدعاء، والآخر على الإيجاب، هما آيتان، فصارتا[٩] آية واحدة لاختلاف القراءة. *والله أعلم.*

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٩١]

وقوله: **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرَج،** لو لم يذكر[١٠] **المرضى،** ولا **الذين**[١١] **لا يجدون ما ينفقون،** لكان المفهوم من قوله: **ليس على الضعفاء،** المريض[١٢] والذي لا يجد ما ينفق. وكذلك إذا ذُكِر المريض كان في ذكره ما يُفهَم منه كلُّ ضعيف وكلُّ من[١٣] لا يجد ما ينفق. وفي كل حرف من هذه الحروف ما يُفهَم منه معنى الآخر. فلمّا ذكر دل أن المراد مِن ذِكر **الضعفاء** الزَّمْنَى، مِن نحو الأعمى والأعرج،

[١] ع م: أن يكون.
[٢] جميع النسخ: في الفريقين.
[٣] ن م: كائنين.
[٤] م: على ضدي.
[٥] ع م: أن يكون.
[٦] ع: القراناان.
[٧] سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[٨] وهي قراءة متواترة، قرأ بها يعقوب من الأئمة العشرة؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٣٥٠/٢.
[٩] جميع النسخ: صارت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧ظ.
[١٠] ك: لم تذكر.
[١١] ن: ولا على الذين.
[١٢] ك: المرضى.
[١٣] جميع النسخ: وكل ما.

فكان كقوله: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ.[1] فتكون الآيتان واحدة، أعني معناهما واحد.

وفيه دلالة أنْ ليس في ذكر عدد من الأشياء حَظْرُ دخولِ غير المذكور في حكم المذكور[2] إذا كان في معناه. ولهذا قال أصحابنا أنْ ليس فيما ذكر رسول الله عددا [معينا] في الربا بقوله: «الحنطة[3] بالحنطة، والذهب بالذهب، والفَضْلُ ربا»،[4] على أنه لا لمعنى وَرَدَ[5] ولا يَدْخل[6] فيه ما لم يَذْكر. لِما ذكرنا أنه لو ذُكِر الضعفاء لِذِكْرِ المريض والأعمى والأعرج وجميع من ضَعُف عن الخروج[7] من أنواع الأعذار ثم لم يَدلّ ما ذُكِر من العدد وتخصيصِه على أنه لا لمعنىً ذُكِر، فعلى ذلك خبر[8] الربا.[9]

ثم جُعِل العَمَى والعَرَج والمرض وعدم النفقة ونحوه عذرا في ترك الخروج، ولم يُجعَل شدة الحر وبُعد المسافة ونحوه عذرا، بقوله: وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا.[10] وأصله -والله أعلم- أنّ كل ما لم يَعمل في المنع عن الخروج كشهوة أو طمعٍ[11]

---

[1] ﴿قل للمُخَلَّفين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قومٍ أُولي بأس شديد تُقاتلونهم أو يُسْلِمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولَّوا كما تولَّيتم من قبل يعذِّبكم عذابا أليما. ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولَّ يعذِّبه عذابا أليما﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٦-١٧).

[2] م - في حكم المذكور.

[3] ع م: والحنطة.

[4] روي في هذا المعنى أحاديث كثيرة. فمن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبُرّ بالبُرّ والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مِثلا بِمِثل يَدا بِيَد، فمَن زاد أو استزاد فقد أَرْبَى، الآخذ والمعطي فيه سواء» (*صحيح البخاري*، البيوع ٧٨؛ وصحيح *مسلم*، المساقاة ٨٢). وهذا لفظ مسلم.

[5] ن ع: وزد.

[6] ن ع م: ولا تدخل.

[7] ع: على الخروج.

[8] ك: جزاء.

[9] ذكر الله تعالى فيمن يقبل عذرهم في التخلف عن الجهاد الضعفاء والمرضى ومن لا يجد النفقة، فعدّدهم وخصه بالذكر. ولكن مع هذا التخصيص بالذكر فقد دخل في معنى "الضعفاء" جميع أصحاب الأعذار ممن يضعف عن الخروج وإن لم يُذكَروا في الآية، ولم يدل التخصيص بالذكر على تخصيص الحكم بهؤلاء المذكورين في الآية. فدل ذلك على أن الأموال التي خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر في حديث الربا لا يختص حكم الربا بها، بل يتعداها إلى غيرها إذا وجد نفس المعنى في أموال أخرى.

[10] سورة التوبة، ٩/٨١.

[11] جميع النسخ: لشهوة أو لطمع.

يرجو[1] نَيْلَه من التجارة ونحوها لم يكن ذلك عذرا في ترك الخروج؛ إذ شدة الحر وبُعد السفر وخوف العدو مما لا يمنعهم عن الخروج للتجارة، فلم يَصِر ذلك عذرا في التخلّف عن الخروج للجهاد. وأمّا حال المرض والزَّمَانة وعدم النفقة فيمنعهم[2] ويُعجِزهم عن الخروج في كل ما يَهْوون[3] ويشتهون، فصار[4] ذلك عذرا لهم بالتخلّف عن الخروج للجهاد. والثاني أنّ كل ما يُقدّر على دفعه بحالٍ[5] لم يُجعَل ذلك عذرا في التخلّف، وكل ما لا سبيل لهم إلى دفعه فهو عذر. والحر وبُعد السفر وخوف العدو يجوز[6] أن يُدفَع، فيصير كأنْ ليس [بمُقابِله ما هو أعظم منه].[7] وهو ما ذكر: قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا. فإذا ذكر شدة حر جهنم وبُعد سفر الآخرة وأهواله هان عليه الخروج وسَهُل فارتفع ذلك. فلذلك[8] صار أحدهما عذرا والآخر لا. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **إذا نصحوا لله ورسوله**، قيل: لم يخدعوا أحدا في دينه ولم يَغُشُّوا [أحدا] في دنياه. وقيل: **إذا نصحوا لله ورسوله**، أي أطاعوا الله[9] ورسوله في الحَضْرَة[10] ولم يتركوا طاعته.

وقوله:[11] **ما على المحسنين من سبيل**، أي **ما على المحسنين من سبيل**، في تركهم الخروج إذا لم يقدروا على الخروج لِما ذكرنا من الزَّمَانة وعدم ما ينفقون.[12]

وقوله[13] عز وجل: **والله غفور رحيم**، بتركهم الخروج وتخلّفهم عن الجهاد مع الأعذار.

---

[1] ن ع: يرجوا.
[2] جميع النسخ: يمنع.
[3] ك: كل يهوون.
[4] جميع النسخ: صار.
[5] ك: بمال.
[6] ع: ويجوز.
[7] مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٥٨و.
[8] ع: ولذلك.
[9] ع م: الله.
[10] أي لأنهم لم يستطيعوا السفر إلى الجهاد.
[11] ن: قوله.
[12] ع م – وقوله ما على المحسنين من سبيل أي ما على المحسنين من سبيل في تركهم الخروج إذا لم يقدروا على الخروج لما ذكرنا من الزمانة وعدم ما ينفقون.
[13] ن: قوله.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[٩٢]

وقوله عز وجل: **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه،** ذُكِر في بعض الأخبار عن النبي[١] صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أن أشق[٢] على أمتي -أو قال: على المؤمنين- وإلّا لخرجت في كل سَرِيّة بعثتها، لأنهم لا يجدون ما ينفقون فيخرجون، ولا أجد ما أحملهم عليه فيشقّ عليهم مفارقتهم إيّانا».[٣] فلا حرج[٤] عليهم[٥] بتركهم الخروج إذا لم يجدوا ما ينفقون ولا ما يُحمَل عليه.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٩٣]

ثم قال: ولكن السبيل على الذين يجدون ما ينفقون فيتركون الخروج، بقوله: **إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رَضُوا بأن يكونوا مع الخَوَالِف،** يعني النساء، **وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون.**[٦] قد ذكر[٧] ههنا: **وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون،** وذكر في الآية الأولى: وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ،[٨] والفقه هو معرفة الشيء بغيره، والعلم هو وقوع العلم لا بغيره. ولذلك يقال لله: عالم، ولا يجوز أن يقال: فقيه. فأخبر عز وجل أنهم لا عرفوا الشيء بغيره[٩] ولا بنفسه عنادا منهم ومُكابَرة.

---

[١] ع: أن النبي.

[٢] ع م: لولا أشق.

[٣] روي الحديث بألفاظ مختلفة قريبة بعضها من بعض، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد في يده، لولا أنْ أَشُقَّ على المؤمنين ما قعدت خلف سَرِيَّة تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سَعَةً فأَحْمِلُهم، ولا يجدون سَعَةً فيَتَّبِعُوني، ولا تَطِيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي» (*صحيح البخاري*، الجهاد ٧؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ١٠٦). وهذا لفظ مسلم.

[٤] ع: فلا حرج.

[٥] ن ع م – عليهم.

[٦] ن ع م + هذا.

[٧] ع: ما ذكر.

[٨] سورة التوبة، ٨٧/٩.

[٩] ك – بغيره.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٩٤]

وقوله عز وجل: **يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم**، فيه إنباءٌ عما يقول لهم المنافقون إذا رجعوا إليهم، وتعليمٌ من الله لرسوله والمؤمنين ما يقول لهم وماذا يجيبون لهم. فقال: **يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم**، أي لن نصدقكم بما تعتذرون، أي بما تُظهرون لأنفسكم من العذر. وقوله: **لا تعتذروا**، ليس على النهي، ولكن على التوبيخ والتعيير.

وقوله[١] عز وجل: **قد نبأنا الله من أخباركم**، يحتمل قوله: **قد نبأنا الله من أخباركم**،[٢] أنكم لا تَصلُحون أبدا، كما قال: إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ،[٣] الآية، أخبر أنهم رجس وأن مأواهم جهنم. وقيل: **قد نبأنا الله من أخباركم**، حين قال لهم: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا –إلى قوله– يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ،[٤] وقالوا: هذا[٥] الذي نبأنا الله من أخباركم.

وقوله عز وجل: **وسيرى الله عملكم ورسوله**،[٦] قال بعضهم: سيرى[٧] الله عملكم ورسوله فيما تستأنفون. ويحتمل قوله: **وسيرى الله عملكم ورسوله**، أي سيرى[٨] الله ورسوله / عملكم باطلا. أو يقول: [٣١٦ظ] **وسيرى الله عملكم**، أي يجزيكم[٩] جزاء عملكم، **ورسوله**[١٠] **والمؤمنون**، يشهدون عليكم بذلك.

وقوله[١١] عز وجل: **ثم تُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة**، قد ذكرنا أنْ ليس شيءٌ يَغِيب عنه أو يكون[١٢] شيءٌ عنده أَظْهَرَ مِن شيء، ولكن ما يَغيب عن الخلق وما لا يَغيب عنده بمحلّ واحد.

وقوله: **فينبّئكم بما كنتم تعملون**، يخرج على الوعيد.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن – يحتمل قوله قد نبأنا الله من أخباركم.
[٣] الآية التالية.
[٤] سورة التوبة، ٤٧/٩.
[٥] جميع النسخ: وهذا.
[٦] ن + أي يجزيكم جزاء عملكم.
[٧] ع: سير.
[٨] ع: أي سير.
[٩] ع: أي يخرجكم.
[١٠] ع + عملكم باطلا أو يقول سير الله عملكم أي يجزيكم جزاء عملكم ورسوله.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ع: أو أن يكون.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٩٥]

وقوله[1] عز وجل: **سيحلفون بالله لكم إذا انْقَلَبْتم إليهم لِتُعرِضوا عنهم فأَعرِضوا عنهم**، يحتمل قوله: **لِتُعرِضوا**، أي لتتجاوزوا[2] عنهم ولا تُكافئوهم، فيكون قوله: **فأَعرِضوا عنهم**، لِما سألوا من المجاوزة عنهم وتركِ المكافأة.[3] ويحتمل قوله: **لِتُعرِضوا عنهم فأَعرِضوا عنهم**، أي لا تُحَاجّهم ولا تشتغل[4] بهم، فإنهم لا يصلحون أبدا، و **إنهم**[5] **رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٩٦]

وقوله: **يحلفون لكم لِتَرْضَوْا عنهم**، وتقبلوا[6] منهم ما يُظهِرون من العذر. ثم أخبر أنكم إن رضيتم عنهم[7] وقَبِلتم ما يذكرون من عذرهم **فإن الله لا يرضى** عنهم لِما يَعلم أنه لا عذر لهم فيما يُظهِرون لكم من العذر. ***والله أعلم***. ليس على النهي عن إرضاء أولئك، لأن إرضاء الخلق بعضهم لبعض إنما يكون بالحَلِف[8] وما يكون من الظاهر، ولكن النهي عن ترك الموافقة في الباطن، وفيه يتحقّق رضاء الله.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: طائفة من **الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا**.[9] وهو أن رسول الله دعا كفّار المدينة ومنافقيها، فأَيْأَس [الله] عن إيمانهم بقوله: فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ،[10] الآية، فلمّا أُويِس عن إيمان هؤلاء

---

[1] ن: قوله.
[2] ك ن: أي لتجاوزوا؛ ع م: أي ليتجاوزوا.
[3] ع: المكافات.
[4] م: ولا يشتغل.
[5] ن: أو إنهم.
[6] ن ع م: وتقبلون.
[7] ن: منهم.
[8] ع م: بالخلف.
[9] ن ع م – يحتمل هذا وجهين يحتمل طائفة من الأعراب أشد كفرا ونفاقا.
[10] سورة التوبة، ٩/٩٥.

أقبل نحو طائفة من الأعراب، الذين كانوا بقرب المدينة وحواليها، فأخبر أنهم **أشدّ كفرا ونفاقا،** من أهل المدينة. ويحتمل أنه أراد بالأعراب **الأعراب**[١] جملةً، أنهم **أشدّ،** أي الكفّار منهم وأهل النفاق، **كفرا ونفاقا،** من أهل الأمصار والمدن. فهو لوجهين. أحدهما أن أهل الأمصار والمدن كانوا يسمعون الآيات والحجج ويُخالِطون أهلَ رحمةٍ ورأفةٍ وأهلَ مودةٍ، وأمّا الأعراب وأهل البادية كانوا لا يسمعون الآيات والحجج، ولا خالطوا أهلَ رحمةٍ ورأفةٍ، فهؤلاء أقسى قلوبا وأَضْيَق صدورا، وأهل المدن والأمصار أَلْيَن قلوبا وأوسع صدورا، فهم أسرع للإجابة، وأولئك أَبْعَدُ وأَبْطَأُ إجابة. والثاني أنهم وُصِفوا بفضل الجهل ما لم يُوصَف أهل المدن والأمصار بذلك. فروي[٢] عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَؤُمَّنَّكم أعرابي»، وفي بعضها: «لا يَؤُمَّنَّ أعرابي مهاجرا».[٣] وفي بعض الأخبار: «مَن بَدا جَفا».[٤] وذلك -والله أعلم- لأنهم كانوا لا يَدخلون الأمصار والمدن ليتأدّبوا ويتعلموا[٥] الآداب، فإذا كانوا كذلك فهم أَجْهَل. والإيمان هو التصديق، والتصديق إنما[٦] يكون بعد العلم، لأنه ما لم يَعلم لم يُصدِّق. فإذا كانوا من الجهل[٧] [على] ما وصفنا كانوا أشد إنكارا وتكذيبا من غيرهم. وهو ما ذكر: **وأَجْدَرُ أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله،** وصفهم بالجهل، وبالجهل يكون التكذيب، وبالعلم [يكون] التصديق. وهو ما ذكرنا. **وأَجْدَر،** وأَخْلَق وأَحْرَى واحد. وقوله عز وجل: **حدودَ ما أنزل الله على رسوله،** قال بعضهم: هم أقلّ علما بالسنن،[٨] وقيل: بالفرائض. ويقال: الحدود ما بيّن مِن طاعة الله ومعصيته. وأصله أنهم أهل جهل بجميع الأوامر والنواهي[٩] وجميع الآداب وما لا يحلّ وما يحلّ.[١٠]

---

[١] ع م - الأعراب.

[٢] جميع النسخ: ماروي.

[٣] ورد بلفظ: «ولا يؤم أعرابي مهاجرا»، خلال حديث طويل؛ انظر: *سنن ابن ماجة*، إقامة الصلاة ٧٨. وإسناده ضعيف جدا؛ انظر: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ٢/٣٢-٣٣.

[٤] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٣٧١، ٤٤٠، ٤/٢٩٧؛ *وسنن أبي داود*، الضحايا ٢٤-٢٥؛ *وسنن الترمذي*، الفتن ٦٥. وصححه الترمذي. وانظر للتفصيل: *كشف الخفاء* للعَجْلُوني، ٢/٣٠٩، ٣٣٨.

[٥] ك ن م: ويتعلمون.

[٦] ع: أيما.

[٧] جميع النسخ: بالجهل.

[٨] م: بالسنين.

[٩] ن م: والمناهي.

[١٠] ع م - وما يحل.

[٣١٦ظ س٣٤ * وقوله: وأَجْدَر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، ليس على حقيقة الإنزال من موضع، ولكن على خلق ذلك، كقوله: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ كذا،[١] [وقوله:] ٣١٦ظ س٣٥] يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا.[٢]*

والله عليم، أي على علم بما يكون منهم خلقهم، **حكيم**، حيث وضع الخلائق بموضع يدل على وحدانية الله وألوهيته[٣] لو تدبّروا فيه ونظروا.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مَغْرَما**، أي كان لا ينفق حِسبة. وقال بعضهم: ينفق ولا يراه حقا، إنما يراه غُرْما يَلحقه وغُرْما يَغْرَمه. وأصله أنهم لو كانوا علموا حقيقة أنهم وما حوته أيديهم لله ليس[٤] لهم لم يَعُدّوا ذلك غُرْما غَرِموا وتَبِعَةً لَحِقَتْهم، ولكن لمّا لم يَرَوا[٥] لله[٦] تعالى في أموالهم حقا ولم يعلموا أن أموالهم لله حقيقة لا لهم عَدُّوا ذلك غُرْما وتَبِعَة.

وقوله عز وجل: **ويتربّص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء**، قيل: الدوائر هو انقلاب الأمر، وهو من الدَّوَران. ثم يحتمل[٧] قوله: **يتربّص بكم**، ما قال بعضهم: موت محمد. وقيل: دوائر[٨] الزمان وحوادثها. **عليهم دائرة**، أي عليهم انقلاب الأمر، وعليهم ما تربّصوا[٩] على المؤمنين.*

وقوله: **والله سميع**، لِما قالوا،[١٠] **عليم**، بما أسرّوا وأضمروا.

---

[١] ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦).
[٢] ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يُواري سَوْآتِكم وريشا﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٦).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣١٦ظ/سطر ٣٤-٣٥.
[٣] ع م: على وحدانيته وأولوهيته.
[٤] ن – ليس.
[٥] ن ع م: لما يروا.
[٦] م: الله.
[٧] ع: ويحتمل.
[٨] م: الدوائر.
[٩] ع: ما يتربصون؛ م: ما تربصون.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣١٦ظ/سطر ٣٤-٣٥.
[١٠] ع م: لما قال.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قُرُباتٍ عند الله**، ذكر في الآية أن من الأعراب **من يؤمن بالله واليوم الآخر**، لِيُعلَم أن قوله: ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا،[١] كان في طائفة مُشارٍ إليها لا كل الأعراب؛ لأنه ذكر هاهنا أن منهم من قد آمن، وذكر أيضا أن منهم[٢] من ينفق **ويتخذ ما ينفق قُرُباتٍ عند الله**، وذكر في الآية الأولى أن منهم مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا،[٣] أي لا يراه حقا واجبا، ولكن غُرْما يَلحقه. / فمنهم[٤] من يرى ذلك حقا لله [٣١٧و] واجبا في أموالهم فيجعلون ذلك قُربة لهم عند الله، وأولئك يرون [ذلك] غُرْما لَحِقهم لا قربة.

ثم في الآية[٥] خوفُ دخولِ المؤمنين في وعيد هذه الآية، الذين لا يؤدّون الزكاة ولا ينفقون، وخوفُ لحوقِ النفاق؛ لأنه أخبر أنهم يتخذون ما ينفقون مَغْرَما، فمن ترك أداءه إنما يَترك لأنه[٦] لا يرى ذلك حقا. لأنه لو رأى ذلك حقا[٧] واجبا لأدّاه على ما أدّى غيره من الحقوق، أو لو كان موقنا بالبعث لأنفق وجعل ذلك قُربة له عند الله؛ لأن المؤمن إنما ينفق ويعمل للعاقبة، فإذا ترك ذلك يُخاف دخولُه في وعيد الآية ولُحُوقُ اسم النفاق به وإن كنا لا نشهد على[٨] ذلك.

وقوله: **ويتخذ ما ينفق قُرُباتٍ عند الله وصَلَوَات الرسول**، قال بعضهم: جعلوا ما أنفقوا **قُرُباتٍ عند الله** بصلوات الرسول، لأنهم إذا أنفقوا كان الرسول يدعو لهم بذلك ويستغفر، فكان ذلك لهم **قُرُباتٍ**[٩] **عند الله** باستغفار الرسول ودعائه. وقال بعضهم: جعلوا ما أنفقوا **وصَلَوَات الرسول** قُرُباتٍ عند الله،[١٠] ويكون لهم ما أنفقوا قربةً عند الله، **وصلوات الرسول** طُمأنينةً لهم وبراءةً من النفاق؛ لأن الرسول كان لا يدعو[١١] لأهل الكفر والنفاق،

---

[١] سورة التوبة، ٩٧/٩.
[٢] ع م – من قد آمن وذكر أيضا أن منهم.
[٣] الآية السابقة.
[٤] جميع النسخ: ومنهم.
[٥] أي في كل من الآية السابقة وفي هذه الآية.
[٦] ن + إنما.
[٧] ن – حقا.
[٨] ن ع م: عليه.
[٩] ك: قربات لهم.
[١٠] ك – باستغفار الرسول ودعائه وقال بعضهم جعلوا ما أنفقوا وصلوات الرسول قربات عند الله.
[١١] ع م: لا يدعوا.

فإذا دعا لهؤلاء[1] وصلّى عليهم كان ذلك طُمأنينةً لقلوبهم وعَلَما لهم بالبراءة[2] من النفاق. وعلى ذلك يخرج قوله: إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ،[3] أي تَسكن[4] قلوبهم بصلاة الرسول وتطمئنّ بأنهم ليسوا من أهل النفاق وأنهم بُرَآءُ[5] من ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ألَا إنها قُربةٌ لهم**، ذَكر هذا مقابل ما ذَكر في الآية الأولى، وهو قوله: وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ،[6] أخبر[7] أن ما يتربّصون هم بهم من الدوائر عليهم ذلك، وهاهنا أخبر أن ما ينفق المؤمنون ويطلبون بذلك قُربة عند الله أنها قُربة لهم.

ثم وعد[8] لهم الجنة بقوله: **سيُدخِلهم الله في رحمته**، أي جنته،[9] سمّى جنته رحمة لِما برحمته يدخلون لا استيجابا لهم منه بذلك، بل رحمةً منه وفضلا.

إن الله غفور، لِما كان منهم من المساوئ والشرك إذا تابوا وآمنوا، **رحيم**، حيث لم يؤاخذهم بذلك.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان**، يحتمل هذا أن يكون مربوطا معطوفا على قوله: سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ،[10] [أي] مع السابقين الأولين، أي أولئك الذين آمنوا مِن بعدِ أولئك المهاجرين والأنصار يُدخِلهم في الجنة مع السابقين الأولين. ويحتمل أن يكون على الابتداء لا على العطف على الأول. ثم اختُلف فيه. قال بعضهم: **والسابقون الأوّلون**، في الإسلام والنصرة. وقال بعضهم: **الأوّلون**، في الهجرة والنصرة. **والذين اتّبعوهم بإحسان**، أي والذين اتبعوا أولئك في الإسلام،[11] على تأويل من جعل المسابقة في الإسلام.

[1] ن: لهم.
[2] ك ن: للبراءة؛ ع: للبرأة.
[3] سورة التوبة، ١٠٣/٩.
[4] ن ع م: أي يسكن.
[5] ن:براة؛ ع م: براءة.
[6] الآية السابقة.
[7] ك ن م + هاهنا؛ ع + أنهم هاهنا.
[8] ع: لهم وعد.
[9] ن: أي جنة.
[10] الآية السابقة.
[11] ع م – أي والذين اتبعوا أولئك في الإسلام.

وعلى تأويل من جعل [المسابقة] في الهجرة[1] [أي] اتّبعوهم [في الهجرة] بإحسان. وذُكر عن عمر أنه قرأ على طرح الواو: والأنصارِ الذين اتّبعوهم بإحسان،[2] يجعلهم فريقَين المهاجرين والأنصار، ولا يجعل طبقة ثالثة.[3] وأما قراءة العامة من القراء[4] فهي على إثبات الواو، وجَعْلِ طبقة ثالثة. ثم منهم مَن قال مِن أهل التأويل: **والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار**، هم الذين بايعوا بيعة الرضوان. وقال بعضهم: هم الذين صلَّوا القبلتين. وقال بعضهم: **والسابقون**، إلى الإسلام، **الأوّلون من المهاجرين والأنصار**، الذين صلَّوا القبلتين، **والذين اتّبعوهم**، على دينهم إلى يوم القيامة، **بإحسان**. ثم خصوصُ تسميةِ أهل المدينة أنصارا وإن كانوا هم والمهاجرون[5] جميعا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أنصارا له فهو –والله أعلم– لأنهم نصروا المهاجرين حيث آوَوْهم وأنزلوهم في منازلهم وأوطانهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم لهم، وإن كانوا جميعا في النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شَرْعا[6] سواء.

ثم في الآية دلالة الرد على الروافض؛ لأنهم يجعلون أبا بكر وعمر وهؤلاء رضي الله عنهم ظَلَمة لا[7] على الحق بتولِّيهم أمر الإمامة والخلافة. لأنه معلوم أنهم كانوا فيما ذَكر عز وجل بقوله: **من المهاجرين والأنصار**، ثم أخبر أن الله راضٍ عنهم وأنهم راضُون عنه. دل أنهم كانوا على حق وصواب من الأمر، وأنّ مَن وصفهم بالظلم والتعدّي هو الظالم والمتعدّي [و]واضع الشيء غير موضعه.

وفيه دلالة[8] جواز تقليد الصحابة والاتّباع لهم والاقتداء بهم؛ لأنه مدح عز وجل مَن اتّبع المهاجرين والأنصار بقوله: **والذين اتّبعوهم بإحسان**، ثم أخبر عن جملتهم أن الله راضٍ عنهم. دلّ –والله أعلم– أن التقليدَ لهم لازم، والاقتداءَ بهم واجب، وإذا أخبروا بخبر أو حدّثوا[9] بحديث يجب العمل به ولا يسع تركه. ***والله أعلم بذلك.***

---

[1] ن ع م: على الهجرة.

[2] ع م – وذكر عن عمر أنه قرأ على طرح الواو والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان.

[3] لكن رجع عمر رضي الله عنه عن هذه القراءة عندما علم أن أبي بن كعب يقرؤها بالواو. انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٦٨-٢٦٩.

[4] م: من القراة.

[5] م: والمهاجرين.

[6] نحن في هذا شَرَعٌ سواء وشَرْع واحد: أي سواء لا يفوق بعضنا بعضا، يُحرَّك ويسكَّن (*لسان العرب* لابن منظور، «شرع»).

[7] ك – لا.

[8] ع م – دلالة.

[9] ع م: أو أحدثوا.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[١٠١]

وقوله: **ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النفاق**، أخبر أنّ مِن حولهم من الأعراب ومن أهل المدينة أيضا منافقون مَرَدُوا على النفاق. فقال بعضهم: المُرُود على الشيء[١] هو [بلوغ] النهاية في الشيء.[٢] وقال بعضهم: **مَرَدُوا على النفاق**،[٣] أي ثبتوا عليه وداموا. وقال بعضهم: **مَرَدُوا**، أي عَتَوْا عليه وبالغوا فيه.

أخبر أنهم لشدة مكرهم وخداعهم وعُتُوِّهم **لا تعلمهم**، أنت، **نحن نعلمهم**؛ لأن من المنافقين من كان يعرفهم الرسول / في لَحْن القول، كقوله: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ،[٤] ومنهم من كان يعرفهم في صلاته، كقوله: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى،[٥] ومنهم من كان يعرف نفاقه في تخلّفه عن رسول الله، يعني عن الغزو، فأخبر عز وجل أن هؤلاء لشدة عُتُوِّهم ومكرهم وفضل خداعهم لا تعرف نفاقهم، نحن نعرف[٦] نفاقهم. [٣١٧ظ]

ثم أخبر أنه يعذبهم **مرتين**. قال بعضهم: القتل والسَّبْي. وعن الحسن قال: عذاب في الدنيا وعذاب في القبر.[٧] وقال بعضهم: يعذبهم بالجوع مرتين. وقال أبو بكر الأصم: قوله: **سنعذبهم مرتين**، القتل والسَّبْي قبل[٨] الموت، والعذاب الآخر يُعذَّبون في القبر، **ثم يُرَدُّون إلى عذاب عظيم**. ويشبه أن يكون تعذيبه[٩] إياهم مرتين حيث أُخِذوا بالإنفاق على المؤمنين وبينهم وبين المؤمنين عداوة، وأُمِروا أيضا بالقتال مع الكفار وهم أولياؤهم. هذا أحد العذابين. لأنهم أُمِروا بالإنفاق على أعدائهم، وأُمِروا أيضا أن يقاتلوا أولياءهم. والعذاب الثاني القتل في القتال.

---

[١] ن ع م: المرد في الشيء. مَرَدَ على الأمر بالضم يَمْرُد مُرُودا ومَرَادة، فهو مارد ومَريد، وتَمَرَّد: أقبل وعَتَا. وتأويل المُرُود أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف. والمُرُود على الشيء: المُرُون عليه. ومَرَد على الكلام، أي مَرَن عليه، لا يَعبأ به (*لسان العرب* لابن منظور، «مرد»).

[٢] ن ع م: في الشر.

[٣] ك – فقال بعضهم المرود على الشيء هو النهاية في الشيء وقال بعضهم مردوا على النفاق.

[٤] سورة محمد، ٤٧/٣٠.

[٥] سورة النساء، ٤/١٤٢.

[٦] ن – نعرف.

[٧] *تفسير الطبري*، ١١/١١.

[٨] ك ع: قيل.

[٩] ن: تعذيبهم.

فإن قيل: لم يُذكَر أن منافقا قُتِل.[1] قيل: لم يُذكَر لِعلّة أنهم كانوا لا يعرفونهم، لقوله: **لا تعلمهم**، فإذا لم[2] يُعرَفوا فيُقتَلون كما يُقتَل غيرُهم من المؤمنين. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **سنعذبهم مرتين**، عند الموت ضَرْبُ الملائكة الوجوهَ والأدبار، كقوله: يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ،[3] وفي القبر [ضرب] مُنْكَر ونَكِير. **ثم يُرَدُّون إلى عذاب عظيم**، في الآخرة.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **وآخَرون اعترفوا بذنوبهم خَلَطُوا عملا صالحا وآخَرَ سيّئا**، قال عامة أهل التأويل: الآية نزلت في أبي لُبَابة وأصحابه، تخلّفوا[4] في غزوة[5] تبوك عن رسول الله، فندموا على ذلك واعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا، فقبل الله توبتهم ووعد لهم المغفرة بقوله: **عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم**. وذُكر في بعض القصة أنه لمّا رجع رسول الله عن غزوته[6] تلك جاء هؤلاء الذين تخلّفوا عنه بأموالهم إلى رسول الله، فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي تَخَلَّفْنا عنك، فخُذْها فتصدَّقْ بها عنّا، فكره أن يأخذها، فقال: «لم أؤمر بذلك». فنزل قوله:[7] خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ.[8] وهذا الوعد لكل مسلم ارتكب ذنبا لم يخرجه من الإيمان ثم ندم على ذلك وتاب يُرجَى -والله أعلم- أن يكون في وعد[9] هذه الآية؛ لأنه ذكر المؤمنين وما هم عليه، وذكر المنافقين وما هم عليه، ثم ذكر الذين خَلَطُوا أعمالهم الصالحة بأعمالهم السيئة ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا، فوعد[10] لهم قبول التوبة والمغفرة.

---

[1] ن: قتيل؛ وفي نسخة ك و ن بياض بمقدار عدة كلمات.
[2] ن ع م: إذا لم.
[3] ﴿ولو ترى إذ يَتَوَفَّى الذين كفروا الملائكةُ يَضربون وجوهَهم وأدبارَهم وذوقوا عذابَ الحريق﴾ (سورة الأنفال، ٥٠/٨).
[4] ع م: تخلفون.
[5] جميع النسخ: عن غزوة.
[6] ع: في غزوته.
[7] ك ع م - قوله.
[8] الآية التالية. وانظر للروايتين السابقتين: *تفسير الطبري*، ١١/١٢-١٤، ١٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧٥/٤.
[9] ع م: في عد.
[10] جميع النسخ: وعد؛ ن ع م + الله.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **خذ من أموالهم صدقة تُطهّرهم وتُزكّيهم بها**، اختُلف في هذه الصدقة التي أمر الله رسوله بأخذها من أموالهم. قال[١] بعضهم: هي صدقة فريضة. ثم اختُلف فيها أيّةُ فريضةٍ هي. فقال بعضهم: فريضة زكاة الأموال. وقال بعضهم: هي فريضة كفارة المآثم. وذلك أن أولئك الذين تخلّفوا عن رسول الله في غزوة[٢] تبوك ندموا على تخلّفهم. فلمّا رجع رسول الله جاءوا بأموالهم فقالوا له: تصدّقْ بأموالنا عنّا، فإن أموالنا[٣] هي التي خلّفَتْنا عنك. فأمر الله رسوله أن يأخذ منهم ذلك ويتصدّق بها كفارةً لِما ارتكبوا.[٤] ومن قال هي فريضة زكاة المال [فذلك] لِما روي عن أبي أُمامة قال: إن ثعلبة بن حاطب[٥] أتى رسول الله فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا. قال رسول الله: «ويحك يا ثعلبة، قليلٌ تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه». ثم جاءه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا.[٦] فقال:[٧] «ويحك يا ثعلبة، أما ترضى أن تكون مثل رسول الله، لو سألتُ الله أن يُسِيل الجبال عليّ[٨] ذهبا[٩] لسالَتْ». ثم أتاه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا، فوالله لَئِن[١٠] آتاني الله مالا لأوتِيَنَّ كلَّ ذي حقٍ حقَّه. فدعا له فقال: «اللهم ارزق ثعلبة مالا»،[١١] ثلاث[١٢] مرات. وذُكر أنه اتخذ غَنَما، فنَمَت كما يَنْمُو[١٣] الدُّود حتى ضاقت عليه أَزِقَّةُ المدينة، فتنحّى بها. وكان يصلي الصلوات كلها مع رسول الله، ويخرج إليها. ثم ضاقت عليه مَراعي المدينة فتنحّى بها، فكان يصلي الظهر والعصر مع رسول الله، ثم يتبعها.

---

[١] ع: وقال.
[٢] جميع النسخ: عن غزوة.
[٣] ع – عنا فإن أموالنا.
[٤] تقدم تخريجه قريبا.
[٥] م: خاطب.
[٦] م – مالا.
[٧] ن ع م: قال.
[٨] ك: علي الجبال.
[٩] ن: ذهب.
[١٠] ك: لو.
[١١] ع م – مالا.
[١٢] ك: ثلث.
[١٣] ع م: ينموا.

ثم تنحَى[١] بها فكان يصلي الجمعة مع رسول الله ثم يتبعها. ثم بلغ أمرُه إلى أنْ ترك الجمعة والجماعات، فتنحَى بها. و[كان] يتلقَى الرُّكبانَ فيسألهم عن الخبر وعما أُنزِل[٢] على رسول الله. فأنزل الله:[٣] **خذ من أموالهم صدقة**، الآية. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة رجلَين، فكتب لهما فرائض الصدقة،[٤] وأمرهما أن يَسعيا في الناس ويأخذا صدقاتهم، وأن يمرّا[٥] بثعلبة ورجلٍ من بني سُلَيم فيأخذا صدقاتهما. فخرجا يُصَدِّقان[٦] الناس، فمرّا بالسُّلَيْمي، فأَقْرَآه كتابَ رسول الله، فأطاع بالصدقة. ومرّا بثعلبة، فأَقْرَآه كتابَ رسول الله، فقال: والله ما أدري، ما هذه إلا جزية أو أُخت الجزية، فإذا فرغتما فمُرّا بي حتى أرى رأيي. فلما فرغا من الناس مرّا به، فقال لهما مثل مقالته الأولى، وقال: انطلِقا، فإني سَأَلْقَى رسول الله. فأنزل الله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ -إلى قوله- فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ.[٧] إلى هذا ذهب / عامة أهل التأويل، أنها نزلت في شأن ثعلبة. ومنهم من قال ما ذكرنا: [٣١٨و] إنها نزلت في شأن أهل تبوك الذين تخلّفوا عن رسول الله.

ومنهم من قال: إن الصدقة[٨] التي أمر الله رسولَه[٩] أن يأخذها من أموالهم هي صدقةُ تطوُّع وتبرُّع.[١٠] وهو ما ذُكر أن رسول الله كان يحثّ الناس على الإنفاق في غزوة تبوك، فجاء عبد الرحمن بن عوف بكذا، وفلانٌ بكذا، فأخذها منهم، وفيه نزل قوله: اَلَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ.[١١] ومنهم من قال: هو في كل صدقةِ تطوُّع، قَلَّت الصدقة أو كَثُرت. أَمر رسولَه أن يأخذ[١٢] من أموالهم ما رأى، [و]لا يأخذ الكل؛ لأنّ أَخذَ الكل يُحْوِجهم ويشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات، ولكن أَمر أن يأخذ قَدْرًا منها وطائفةً مقدارَ ما يكفّر ما ارتكبوا من المآثم.

---

[١] ن: ثم يتنحى؛ ع م: ثم ينحي.
[٢] ع م: عما أنزل.
[٣] ع م – فأنزل الله.
[٤] ع م – الصدقة.
[٥] ك: وأن يمروا.
[٦] أي يأخذان الصدقات.
[٧] سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٧. وقد مضى تفسير هذه الآيات قريبا، ومر هناك تخريج الحديث المذكور.
[٨] ع م: قال الصدقة.
[٩] ع م: ورسوله.
[١٠] ك: تبرع وتطوع.
[١١] سورة التوبة، ٩/٧٥. ومضى تخريج الرواية المذكورة في تفسير هذه الآية قريبا.
[١٢] ك: أن يأخذوا.

وقوله:[1] **تُطهّرهم وتُزكّيهم بها**، إن كان صدقةَ الزكاة فهي تطهّر[2] آثامهم، وتزكّي أخلاقهم حتى يتيسّر عليهم إخراج الصدقة وأداؤها إلى أهلها. وإن كان صدقةَ كفارةٍ لمن تخلّف عن غزوة تبوك فهي تكفّر آثامهم التي لحِقَتهم بذلك. **وتزكّيهم**، قيل: وتصلحهم.[3] وهو ظاهر. وإن كان صدقةَ تطوُّعٍ فهي مما يطهّرهم[4] أيضا ويزكّيهم لِما يَنفي عنهم البخل ويؤدّي[5] إلى الجود والكرم؛ ألا ترى[6] أنه مدح من أعطى، وذمّ من بخل ومنع، بقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى –الآية– وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ،[7] الآية.

وقوله: **وصلّ عليهم إن صلاتك سَكَنٌ لهم**، قال بعضهم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى أحدٌ بصدقةٍ دعا له ويستغفر، وكان لا يستغفر لأهل النفاق، وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي لِما علموا بذلك أنهم ليسوا من أهل النفاق. هذا يحتمل.[8] ويحتمل وجها آخر، وهو أن الله أمر رسوله أن يستغفر لهم ويصلي عليهم، ثم لا يحتمل أن يأمره بذلك فلا يفعل، أو يفعل[9] فلا يجيبه، فكانت قلوبهم تسكن[10] وتطمئنّ باستغفار النبي لهم[11] لِما قُبِلت توبتهم وكُفِّرت سيئاتهم. *والله أعلم*.

والله سميع عليم، قد ذكرنا هذا غير مرة.

وفي قوله: **خذ من أموالهم صدقة تُطهّرهم**، دلالة أنّ الصدقة إذا وقعت في يد المتولّي والعاملِ عليها سقطت عن أربابها وإن لم تقع في أيدي الفقراء ولم تَصِلْ إليهم؛ لأن النبي كان لا تَحِلّ[12] له الصدقة، ثم أخبر أنه إذا أخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية.

---

[1] ن: قوله.

[2] ع: تطهير.

[3] م: ويصلحهم.

[4] جميع النسخ: يطهر.

[5] ن ع: وتودي.

[6] ع م: ألا يرى.

[7] ﴿فأما من أعطى واتّقى. وصدّق بالحسنى. فسنيسّره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذّب بالحسنى. فسنيسّره للعُسرى. وما يُغني عنه مالُه إذا تَرَدّى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-١١).

[8] ك: محتمل.

[9] جميع النسخ: أو فعل.

[10] ك: فكان تسكن قلوبهم.

[11] جميع النسخ: إياهم.

[12] ن ع م: لا يحل.

وفيه استدلال لمحمد بن الحسن في الوقف أن الواقف إذا وَقَف وأخرجه من يده وجعله في يَدَيْ آخر ممن[1] لا حق له في ذلك كان ذلك[2] جائزا، ويكون وقفا صحيحا.

ومن الناس من استدل بهذه الآية على أن للإمام أن يُطالب[3] بزَكَوَات الأموال. وكذلك مَضَت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث المُصَدِّقين إلى أحياء العرب والبلدان والآفاق لأخذ صدقات الأنعام والمواشي[4] في مواضعها. وعلى ذلك فَعَل الأئمةُ مِن بعدِه[5] أبو بكر وعمر والأئمة الراشدون، وظهر العمل بذلك مِن بعدِهم إلى هذا الوقت. حتى قال أبو بكر لمّا امتنعت العرب من إعطائه الزكاة: والله لو منعوني عِقَالاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله حاربتُهم عليها.[6] فذلك يؤيّد ما ذكرنا من مطالبة الإمام أصحابَ الأنعام والمواشي بزكاة أنعامهم ومواشيهم. وقد بيّن الله تعالى وجوب ذلك بيانا شافيا بقوله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،[7] الآية، فجعل للعامِلين عليها حقّا، فلو لم يكن على الإمام أن يطالب صدقات الأنعام في أماكنها وكان أداءُ ذلك إلى أرباب الأموال ما كان لِذِكر العاملين[8] وجه. و لم يبلغنا أن النبي بعث في مطالبة المسلمين بزَكَوَات[9] الوَرِق وأموال التجارة. ولكن الناس كانوا يعطون ذلك. أو مَن حمله منهم إلى الأئمة يقبلون ما يُحمَل إليهم[10] منه، ولا يسألون أحدا عن مَبلَغ مِلْكِه ولا يطالبونه به إلّا ما كان من توجيه عُمَر العُشّار في الأطراف. وكان ذلك منه عندنا -والله أعلم- للتخفيف عمّن بَعُد عن داره وشقّ عليه أن يحمل صدقته إلى إمامه. فجعل في كل طَرَف من الأطراف عاشر التجّار أهلِ الحرب والذمة، وأمر أن يأخذوا من تجار[11] المسلمين ما يدفعونه إليه. وكان ذلك من عُمَر تخفيفا على المسلمين،[12]

---

[1] جميع النسخ: من.
[2] ن: له؛ م – ذلك.
[3] ع م: أن يطلب.
[4] م: والموشي.
[5] ع: من بعد.
[6] *صحيح البخاري*، الاعتصام ٢؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢.
[7] ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠).
[8] ع م: العالمين.
[9] ع: بزكوة.
[10] ك: اليهم.
[11] ع: من تجارة.
[12] ن: للمسلمين.

لا أنّ على الإمام مطالبة أرباب الأموال أموالِ العين وأموالِ التجارة بأداء الزكاة **إليهم**[1] -سِوَى المواشي والأنعام، فإن مطالبة ذلك إلى الأئمة- إلّا أن[2] يأتي أحد منهم الإمام **بشيء** من ذلك، فيقبله منه، ولا يتعدّى ما جرت به السنة إلى غيره. *والله أعلم*.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده**، يحتمل قوله: **ألم يعلموا، أي قد** علموا **أن الله يقبل** توبة من تاب. ويحتمل على الأمر، أي اعلموا **أن الله هو يقبل التوبة**،[3] ممن تاب.

ويأخذ الصدقات، قيل: يقبل. ويشبه إضافة الأخذ إلى نفسه إضافتَه إلى رسوله[4] **بقوله**: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً.[5] وذلك كثير في القرآن.

وقوله عز وجل: **وأن الله هو التواب الرحيم**، قال أبو بكر الأصم: **التواب**: هو صفة العافي، وهو اسم للتائب. والتواب عندنا / هو الموفِّق للتوبة. [٣١٨ظ]

ثم الكافر إذا أسلم وتاب لم يلزم مع التوبة كفارة أخرى سِوى التوبة[6] وإن كان ارتكب مَساوِئ وفواحش[7] سِوى الشرك والكفر. والمسلم إذا ارتكب مَساوِئ[8] لزمته[9] التوبة والكفارة جميعا. وذلك **لأن** المسلم لمّا أسلم[10] اعتقد حِفْظَ ما لزمه من الشرائع، فإذا ارتكب ما ذكرنا جَرَح[11] شرائعَه وأدخل **نقصانا** فيما اعتقد حِفْظَه. فإذا ترك حِفْظَه وأدخل[12] فيه النقصان لزمته الكفارة، يَجْبُر بها النقصان الذي **أدخل** فيه. وأما الكافر فليس عليه شيء من الشرائع، إنما عليه أن يتوب عن الشرك[13] ويأتي بالإيمان. **لذلك افترقا**.

---

[1] ع م - إليهم.
[2] ع: لا أن.
[3] م + عن عباده يحتمل قوله ألم يعلموا أي قد علموا أن الله.
[4] ن: إلى رسول الله.
[5] الآية السابقة.
[6] م: للتوبة.
[7] جميع النسخ: مساوئا وفواحشا.
[8] جميع النسخ: مساوئا.
[9] ك: لزمه.
[10] ع: إذا أسلم.
[11] جميع النسخ: خرج؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٠و.
[12] ن ع م: فأدخل.
[13] ك: من الشرك.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**، اختلف فيه. قال بعضهم: ذلك في الذين كانوا[١] تخلّفوا عن تبوك ثم ندموا وتابوا عن ذلك، فتاب الله عليهم. يقول: **اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**، أي إن عُدتم إلى ما عنه[٢] تُبتم -وهو التخلّف- يُطلِع اللهُ رسولَه[٣] والمؤمنين على ذلك، **وستُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة**، أي تُرَدُّون إلى ما أعدّ لكم **عالم الغيب والشهادة**.[٤] وقال بعضهم: الآية في المنافقين. يقول: **اعملوا**،[٥] فيما تستأنفون، فإن الله يُطلِع رسولَه والمؤمنين على نفاقكم، فتفتضِحون[٦] حيث يَطَّلِعون على سرائركم، **وستُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة**، أي تُرَدُّون إلى ما أعدّ لكم **عالم الغيب والشهادة**، **فينبّئكم بما كنتم تعملون**، أي يجزيكم جزاء ما **كنتم تعملون**. يخرج ذلك على الوعيد. وذُكر في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد جنازةً، والمؤمنون[٧] أيضا شهدوها، فأُثْنِيَ عليها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ».[٨] فقيل: يا رسول الله، ما وجبت؟[٩] قال: «الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، فإذا شهدتم وجبت»،[١٠] ثم قرأ قوله: **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**.[١١] فإن ثبت هذا ففيه دلالة جواز حجّة[١٢] الإجماع، لأنه قال: «الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، فإذا شهدتم وجبت»،[١٣] فإذا شهدوا على شر فهو شر، وإذا شهدوا على خير فهو خير، فعلى ذلك إذا شهدوا على حكم يلزم العمل به.

---

[١] ك - كانوا.
[٢] ن: ما عته.
[٣] ع: ورسوله.
[٤] ن ع م - أي تردون إلى ما أعد لكم عالم الغيب والشهادة.
[٥] ع - اعملوا.
[٦] م: فتفضحون.
[٧] ع: المؤمنون.
[٨] ع: وحيت.
[٩] ع: ما وحيت.
[١٠] ع: وحيت.
[١١] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مَرْدَوَيْه عن سلمة بن الأكوع؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٣/٤. وروي الحديث نحو ذلك بدون قراءة الآية؛ انظر: صحيح *البخاري*، الجنائز ٨٦؛ وصحيح *مسلم*، الجنائز ٦٠.
[١٢] ك: جوا حجية.
[١٣] ع: وحيت.

وقوله: **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**، ليس على الأمر، أنْ يقولُ لهم جميعا: **اعملوا**، كذا، ولكن أنْ كلُّ مَن بَلغته[1] هذه الآية يتفكّر فيها ويتدبَر، فلا يُقْدِم على عمل لا يستحسنه [خَشْيَةَ] أن يكون رسول الله والمؤمنون بحضرته، فإذا خَلَا به لا يعمله. وكذلك قوله: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ،[2] ليس على الأمر بالسير في الأرض، ولكن على الأمر[3] بالتفكّر والتدبر فيما نزل بهم بالتكذيب. وكذلك قوله: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،[4] ليس على الأمر، أنْ يقولُ لهم ذلك، ولكن يتفكّر كلٌّ فيه فيعرف[5] أنه واحد.

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **وآخَرُون مُرْجَوْن لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم**، قال بعضهم: هو صلة قوله: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا.[6] كانوا موقوفين محبوسين لا يدرون ما يحكم الله فيهم، أيعذّبهم[7] أو يتوب عليهم، فنزل قوله: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا. وقال بعضهم: هو صلة قوله: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا.[8] كانوا اتخذوا مسجدا، وكانوا **مُرْجَوْن لأمر الله**. ثم بيّن أن اتخاذهم المسجد [كان] ضِرارا[9] وكفرا وتفريقا. وقال بعضهم: قوله: **وآخَرُون مُرْجَوْن لأمر الله**،[10] هم الثلاثة[11] الذين خُلِّفوا.[12] وقال أبو عَوْسَجَة: **وآخَرُون مُرْجَوْن لأمر الله**، أي محبوسون. يقال: أَرْجَيْته، أي حبسته. وقال القُتَبي: **مُرْجَوْن لأمر الله**، أي **مُرْجَوْن** على أمره.[13] كأن هذه الآية نزلت في الذين تخلّفوا عنه للركون إلى الدنيا ورغبةً فيها، وهم المؤمنون، والآيةَ التي كانت قبل هذه الآية في المنافقين الذين تخلّفوا للركون في الدنيا وكُفرا ونفاقا.

---

[1] ع: ما بلغته.
[2] سورة الأنعام، ١١/٦.
[3] ن - بالسير في الأرض ولكن على الأمر.
[4] سورة الإخلاص، ١/١١٢.
[5] ع م - فيعرف.
[6] سورة التوبة، ١٠٢/٩.
[7] ن ع م: أو يعذبهم.
[8] الآية التالية.
[9] ع م - كانوا اتخذوا مسجدا وكانوا مرجون لأمر الله ثم بين أن اتخاذهم المسجد ضرارا.
[10] جميع النسخ + قال.
[11] ك: الثلثة.
[12] وتأتي قصتهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا﴾ (سورة التوبة، ١١٨/٩).
[13] يقول ابن قتيبة: «مُرْجَوْن لأمر الله، أي مؤخَّرون على أمره» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٢).

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١٠٧]

وقوله: **والذين اتخذوا مسجدا ضِرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين**، عن ابن عباس رضي الله عنه أن المنافقين **اتخذوا مسجدا**، فلمّا فرغوا منه جاءوا إلى نبي الله، وهو يتجهّز لغزوة تبوك، فقالوا: يا رسول الله، بنينا مسجدا لِذِي العِلّة والحاجة والليلة المَطِيرة،[1] وإنا نحب يا رسول[2] الله أن تأتينا فتصلي فيه. قال رسول الله: «أنا على سفر وحالِ شُغْلٍ، ولو قَدِمْنا من سفرنا أتيناكم فصلّينا لكم[3] فيه إن شاء الله». فأنزل الله على رسوله: **والذين اتخذوا مسجدا ضِرارا**، الآية.[4] أخبر فيه أنهم لم يقصدوا ببناء مسجدهم ذلك ما ذكروا: إنّا بنينا لِذِي[5] العِلّة والحاجة والليلة المَطِيرة، والإشفاق على الدين، وحِفظَ الصلاة بالجماعة، ولكن يقصدون به **ضِرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين**.

وقوله: **ضِرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين**، يكون قوله: **تفريقا بين المؤمنين**، تفسيرا لقوله: **ضِرارا**، يقصدون ببناء المسجد الذي بَنَوْا رِيبَةً، أنْ يفرّقوا بين المؤمنين وبين رسول الله، حتى إذا جاءهم العدو وجدهم متفرّقين، فيكون أيسر وأهون عليهم في الكسر عليهم والظفر بهم مِن أنْ كانوا مجموعين. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن يُغلَب اثنا عشر ألفا كلمتهم واحدة».[6] / وقوله: وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ،[7] جعل الاجتماع في الدين [٣١٩ر] نعمة، ونهاهم عن التفرّق،[8] وهم كانوا[9] يقصدون قَصْدَ التفريق بينهم لِما ذكرنا. أو كانوا يقصدون بذلك أن يفرّقوا بين ضَعَفَةٍ مِن المؤمنين وبين رسول الله، فيُلبِسوا[10] عليهم الدين، لأنهم كانوا أهل لسان وجَدَل. وذلك كله كُفْر على ما ذكر.

---

[1] ن: المطرة. والمطيرة أي كثيرة المطر.

[2] ك: يرسول.

[3] ع: فصليناكم.

[4] *تفسير الطبري*، ١١/٢٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٨٦.

[5] ع: الذي.

[6] عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... ولن يُغلَب اثنا عشر ألفا مِن قِلّةٍ» (*سنن أبي داود*، الجهاد ٨١؛ و*سنن الترمذي*، السير ٧). وحسّنه الترمذي.

[7] ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٠٣).

[8] ع: عن التفريق.

[9] ن – كانوا.

[10] ع م: فيلبسون.

وفيه دلالة إثبات رسالة نبينا[1] محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه معلومٌ أنهم أسرّوا وأضمروا فيما بينهم من الضِرار والكفر والتفريق بين المؤمنين، فأطلع الله نبيه على ما أسرّوا، لِيُعلَم أنه إنما عرف ذلك[2] بالله تعالى.[3]

وقوله عز وجل: **وإرصادا لمن حارب الله ورسوله**، أي بَنَوْا ذلك المسجد إرصادا لمن حارب الله ورسوله. قال عامة أهل التأويل: هو أبو عامر.[4] ذُكر أن أبا عامر حارب رسول الله، ثم فرّ منه. فقال للمنافقين: ابنوا مسجدا، واستعدّوا، فإني ذاهب إلى قيصر بالشام، فآتي بجند، فنُخرِج محمدا وأصحابه من المدينة. فذهب إلى قيصر بالشام.[5] فبَنَوْا مسجدا إرصادا لمن حارب الله ورسوله، يعني أبا عامر.[6]

قال القُتَبي: **ضِرارا**، أي مُضارّة، **وإرصادا**، أي ترقُّبا بالعداوة.[7] وقال أبو عَوْسَجَة: **ضِرارا**،[8] أي مُضارّة، **وإرصادا لمن حارب الله ورسوله**، أي وقوفا وانتظارا للفرصة،[9] **لمن حارب الله ورسوله**، على المؤمنين.[10]

وقوله عز وجل: **وليَحْلِفُنَّ إنْ أردنا**، أي حلفوا[11] ما أردنا باتخاذ المسجد، **إلا الحسنى**، والخير. **والله يشهد إنهم لكاذبون**. فيه ما ذكرنا من الدلالة على إثبات الرسالة.[12]

---

[1] ك – نبينا.

[2] ع م: بذلك.

[3] ع + والله أعلم.

[4] هو أبو عامر عبدُ عَمْرو بن صَيْفِي، من قبيلة الأوس. وكان أبو عامر قد تَرَهَّب في الجاهلية ولبس المُسُوح (جمع المِسْح، وهو الكساء من الشَّعر). وكان يقال له: الراهب. ولكنه أبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام. فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا: الراهب، ولكن قولوا: الفاسق».فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج الى الطائف. فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها. انظر: *السيرة النبوية* لابن هشام، ٣/١٢٧-١٢٨.

[5] ك – فآتي بجند فنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذهب إلى قيصر بالشام.

[6] ع م: عمر. وانظر: *تفسير الطبري*، ١١/٢٤-٢٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٨٤-٢٨٥.

[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٢.

[8] ك: ضرار.

[9] ك ن م: لفرصة؛ ع: لفرضة.

[10] ك – على المؤمنين.

[11] ع: أي خلفوا.

[12] ك: رسالة محمد.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **لا تَقُمْ فيه أبدا**، قيل: لا تُصَلِّ[1] فيه، لأنهم سألوه أن يصلي فيه.[2] وقيل: **لا تَقُم**، أي لا تأته ولا تدخل. وهو واحد.

لمَسجدٌ أُسِّس على التقوى من أول يوم أحقّ أن تقوم فيه، قال بعضهم: هو مسجد قباء، وقال بعضهم: هو مسجد رسول الله. روي عن أبي سعيد الخدري أنه[3] قال: اختُصِم -أو قال: اختصمنا- في المسجد[4] الذي **أُسِّس على التقوى**. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هو مسجدي هذا».[5] وعن أبي بن[6] كعب قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم سئل[7] عن المسجد الذي **أُسِّس على التقوى**، فقال: «هو مسجدي هذا».[8] وظاهر ما ذكر أن يكون مسجد قباء؛ لأنه ذُكر [أنه] لمّا نزل: **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطّهّرين**، قال لأهل قباء: إن الله قد أحسن عليكم[9] الثناء في الطُّهُور، فماذا تصنعون؟ قالوا: إنا نغسل عنا أثر الغائط والبول.[10] وفي بعض الأخبار: قالوا: يا رسول[11] الله، إنا نجد مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء، فلا نَدَعُه. فقال: «لا تَدَعُوه».[12]

وقوله عز وجل: **فيه رجال يحبون أن يتطهروا**، يحتمل أي **فيه رجال**، يؤثرون التطهّر بالإيمان والتوحيد والصلاة فيه. وكلُّ مسجدٍ هذا فيه فهو مؤسَّس[13] **على التقوى**،

---

[1] ن - قيل لا تصل، صح هـ.
[2] ع م + لأنهم سألوه.
[3] ن ع م - أنه.
[4] ع م: اختصمنا المسجد.
[5] صحيح *مسلم*، الحج ٥١١؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٩.
[6] ع: ابن.
[7] ع - سئل.
[8] مسند *أحمد بن حنبل*، ١١٦/٥. «وفيه عبدالله بن عامر الأسلمي، وهو ضعيف» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/٤).
[9] ن: إليكم.
[10] ع م: أو البول. روي نحو ذلك عن عدد من الصحابة؛ انظر: سنن *ابن ماجة*، الطهارة ٢٨؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٨/٤-٢٩١.
[11] ك: يرسول.
[12] روي نحوه عن محمد بن عبد الله بن سلام، وهو صحابي تحول من اليهودية إلى الإسلام. وانظر للحديث: مسند *أحمد بن حنبل*، ٦/٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٨٩/٤. وفيه شهر بن حوشب، وقد اختلفوا فيه، ولكنه وثّقه أحمد وابن مَعين وأبو زُرْعَة ويعقوب بن شيبة. انظر: *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢١٣/١.
[13] ع م: مؤمن.

أي تقوى الشرك والخلاف لأمر الله ومناهيه. أو يقول: **فيه رجال يحبون**، أي يؤثرون التطهّر بالتقوى والأعمال الصالحة على غيرها من الأعمال التي تنجّسهم. ويحتمل ما ذكر أهل التأويل من التطهّر[1] من الأقذار والأنجاس، كأنه قال: **فيه رجال**، يؤثرون الإبلاغ في التطهّر[2] من الأقذار والأنجاس التي تصيبهم.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **أفمن أَسَّس بُنيانَه على تقوى من الله**، أي على الطاعة لله[3] والإخلاص له، **ورضوان**، له وطلبِ مرضاتِه، **خيرٌ أم من أَسَّس بُنيانَه على شَفَا جُرُفٍ هارٍ**، أي بُني للاختلاف والتفريق بين المؤمنين والكفر بالله. هذا[4] مُقابلة[5] مكانٍ بمكان. يقول: من بنى بناء على قرار من الأرض مما يَقِرّ به[6] ويُنتفَع به خير ممّن بنى بناء على المكان الذي لا يَقِرّ ويؤدي إلى الهلاك ولا يُنتفَع به. والأول مُقابلةُ فعلٍ بفعل. وهو قوله: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ،[7] كالذي بنى لضد ذلك؟ أي ليسا بسواء. ثم قال: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ،[8] هذا مقابلة فعلٍ بفعل. يقول: الذين بَنَوا المسجد على الطاعة لله والإخلاص له وطلب مرضاته والاجتماع فيه خيرٌ أم مَن بنى للكفر بالله والتفريق بين المؤمنين وضِرارٍ بهم؟[9] هذا مقابلة فعلٍ بفعل. وقوله: **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار**، هذا مقابلة[10] مكانٍ بمكان لما ذكرنا.

وقوله: **أَسَّس**، أصل الأُسّ والأُسُس والتأسيس والأساس واحد.

---

[1] جميع النسخ: من التطهير.
[2] جميع النسخ: في التطهير.
[3] ع: الله.
[4] جميع النسخ + المثل.
[5] جميع النسخ: مقابل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[6] ن – به.
[7] سورة التوبة، ١٠٧/٩.
[8] الآية السابقة.
[9] ع: وضرارهم.
[10] ن ع م: مقابل.

وقوله عز وجل: **شَفَا جُرُفٍ هارٍ**، قال أبو عَوْسَجَة: **شَفَا جُرُف**، قال: شَفَاه فَمُه، والجمع أَشْفَاء.[١] و **جُرُف**: أرضٌ يَسيل فيها السيل حتى يحفرها.[٢] والجِرَفَة جمع. وقوله: **هارٍ**، قال: الهار: الهَشّ الذي ليس بِصَلْب. ويقال: انهار يَنهار، أي انهدم. ويقال: رجل هارٍ، أي ضعيف. وأرض هَشَّة، أي رَخوَة سريعة الانهدام. والهَشّ: الرَّخوة. وقال القُتَبي: **شَفَا جُرُفٍ هارٍ**، أي حَرْفِ[٣] جُرُفٍ[٤] هائر. والجُرُف: ما يتجرّف بالسيول [من] الأودية. والهائر: الساقط. ومنه يقال: تهوّر البناء، إذا سقط وانهار.[٥] وقال أبو عُبَيدة: **على شَفَا جُرُف**، الشَّفَا هو الشَّفِير. والجُرُف: ما تَجْرِف السيول[٦] / من الأودية. و **هارٍ**، يريد هائر.[٧] [٣١٩ظ]

وقوله عز وجل: **فانهار به في نار جهنم**، قال بعضهم: خَسَف الله مسجدهم في نار جهنم.[٨] وفي حرف ابن مسعود: فخرّ من قواعده في نار جهنم.[٩] ويقال:[١٠] حُفِرت فيه بقعة فرُئِي[١١] منها دخانٌ سَطَع. وقال [بعضهم]:[١٢] يَهْوِي ببنائهم الذي بَنَوا في نار جهنم.[١٣] ولا ندري كيف هو وما معناه.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١١٠]

وقوله: **لا يزال بنيانهم الذي بَنَوْا رِيبةً في قلوبهم**، قال بعضهم: **بَنَوْا رِيبةً**، أي حسرة وندامة. وقال بعضهم: **رِيبةٌ**، أي شكا ورَيْبا. ومن قال: حسرة وندامة، فهو على وجهين.

---

[١] ع: أشفاه.
[٢] م: حتى يحضرها.
[٣] ن ع م: أي جرف.
[٤] م: أي جرف.
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٢.
[٦] ك ن ع: تجرف من السيول؛ م: يتجرف من السيول.
[٧] ك: هار. قارن: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٦٩. وانظر: *لسان العرب* لابن منظور، «هور»، «جرف»، «شفي».
[٨] ع – قال بعضهم خسف الله مسجدهم في نار جهنم.
[٩] أخرج أبو الشيخ عن الضحاك قال: في قراءة عبد الله بن مسعود: "فانهار به قواعدُه في نارجهنم"، يقول: خرّ من قواعده في نار جهنم. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٩٣؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١١/٢٣.
[١٠] جميع النسخ: قال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[١١] ن ع: فزوى.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٠ظ.
[١٣] ع – جهنم.

يحتمل أنهم تابوا وندموا على ما صنعوا. ويحتمل حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وبما أرادوا بقوله: وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[1] ومن قال: شكا ونفاقا، [وقال:] **إلا أن تَقَطَّعَ قلوبهم،** إلى الممات، [فمعناه] أي هم على الشك والنفاق إلى الموت.[2] وهو كقوله: **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ.**[3] وأصل الرِيبة التُهمة. يقال: فلان مُرِيب، إذا كانت به تهمة.[4]

وقوله عز وجل: **إلا أن تَقَطَّعَ قلوبهم،** هذا أيضا على وجهين. أحدهما على التمثيل أن الخوف والحزن إذا بلغ غايته يقال: فلان متقطِّع[5] القلب. [فمعناه -والله أعلم- أنهم على الشك والنفاق أبدا، **إلا أنْ تَقَطَّعَ قلوبهم،** أي غير أن قلوبهم متقطِّعة، أي خائفة حَزِنة في غاية الخوف والحزن. والثاني على الاستعارة، غير حقيقة القطع، أي هم على النفاق، **إلا أنْ تَقَطَّعَ قلوبهم،** أي إلى أن يموتوا. فيكون تَقَطُّع القلب كناية عن الموت. ***والله أعلم.***][6]

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة،** يحتمل قوله: **اشترى،** أي استام،[7] لأنّ قوله: **اشترى،** خبر، ولكن يحتمل الاستيام،[8] أي استام أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم لله ليجعل لهم الجنة،[9] ثم بيّن فقال: **يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتَلون.** ويحتمل أن يكون قوله: **اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم،** خبرا عن قومٍ باعوا أنفسهم وأموالهم،

---

[1] سورة التوبة، ١٠٧/٩.
[2] ك: إلى الممات.
[3] سورة التوبة، ٧٧/٩.
[4] و التهمة أصلها الوُهمة. والتهمة: الظن. والجمع تُهَم. واتَّهمته: ظننت فيه ما نُسِب إليه (*لسان العرب* لابن منظور، «وهم»).
[5] جميع النسخ: منقطع.
[6] ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ. ومعناه موجود في كلام المؤلف قبل ذلك. ولعله حذفه لهذا. وقد أكملنا ذلك من *الشرح*، ورقة ٣٦١و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٠٢ظ.
[7] السَّوْم: عَرْض السلعة على البيع. يقال: ساومته واستام عليّ... (*لسان العرب* لابن منظور، «سوم»).
[8] ك: يحتمل على الاستيام.
[9] وعبارة الشارح هكذا: «يحتمل قوله: اشترى، استام، لأنّ قوله: اشترى، خبر عن الماضي، والمراد بهذا إلى يوم القيامة. دل أن المراد منه في المستأنف. وذلك هو الاستيام، أي استام وطلب منهم أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٦١و).

كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ،[١] وقوله: يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ،[٢] الآية. فإذا صاروا بائعين أنفسهم كان الله عز وجل مشتريها منهم.

ثم بيّن أنْ كيف يُباع وكيف يُشترى، فقال: **يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتَلون**، أي يَقتلون العدو،[٣] **ويُقتَلون**، أي يقتلهم[٤] العدو. وقد قرئ الأول بالرفع: فيُقتَلون، والثاني بنصب الياء،[٥] فهو ليس على الجمع أنْ يُقتَلوا ويَقتلوا، ولكن أن يَقتلوا العدو أو يَقتلهم العدو أيهما[٦] كان. أو يقاتلون العدو وإن لم يَقتُلوا، كقوله: وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. وقال: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ،[٧] الآية، سمّى الإيمان بالله والمجاهدة في سبيله تجارة.[٨] ثم قال: **بأنّ لهم الجنة**، بحق الوعد لهم فضلا منه لا بحق البدل.[٩]

ثم قوله: **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**، ذكر شَرْيَ أنفسِهم وأموالهم منهم، وأنفسُهم وأموالهم[١٠] في الحقيقة لله،[١١] له[١٢] أن يأخذ منهم أنفسَهم وأموالهم وأن يُتلِفهم بأي وجه[١٣] شاء، لكنه عامل عباده معاملةَ مَن لا مِلك له في ذلك ولا حق، كَرَما منه وفضلا وجُودا،

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢٠٧.

[٢] ﴿فليُقاتِلْ في سبيل الله الذين يَشْرُون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتِل في سبيل الله فيُقتَلْ أو يَغلِبْ فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/٧٤).

[٣] ن – أي يقتلون العدو.

[٤] م: أي تقبلهم.

[٥] وهي قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي وخَلَف من الأئمة العشرة. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٤٦.

[٦] ن ع م: وأيهما.

[٧] سورة الصف، ٦١/١٠-١١.

[٨] وعبارة الشارح هكذا: «أو أن يقاتلوا العدو وإن لم يَقتُلوا. عرفناه بنص آخر، وهو قوله: ﴿ومن يُقاتِل في سبيل الله فيُقتَلْ أو يَغلِبْ فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾. وقال: ﴿هل أَدُلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾، جعل الإيمان بالله تعالى والمجاهدة في سبيله تجارة مُنجية عن النار، ولم يشترط قَتْلَ العدو لا محالة. دل أن المراد بما ذكرنا هو نفس الجهاد والمقاتلة مطلقا. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٦١و).

[٩] م: البذل.

[١٠] ن – ذكر شري أنفسهم وأموالهم منهم وأنفسهم وأموالهم؛ م – وأموالهم.

[١١] ك: لله حقيقة.

[١٢] ع م – له.

[١٣] جميع النسخ + ما.

ووَعَد لهم على ذلك أجرا وبدلا. وكذلك[1] ما ذكر من القرض[2] له، ووعد لهم على ذلك **الأجر** مُضاعَفا. وكذلك ما وعد لهم من الثواب فيما يعملون لأنفسهم كالعاملين له، حيث **قال:** جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ،[3] وقال: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا،[4] ونحوه، وإن **كانوا** في الحقيقة عاملين لأنفسهم، بقوله:[5] إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ،[6] الآية، لكن ذكر **ما ذكر** فضلا منه وإكراما، إذ هي له[7] في الحقيقة. وهو كما قال: لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا **دِمَاؤُهَا** وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ.[8] فإنما طلب منهم بَذْل أنفسهم وأموالهم له. أو ذكر -والله أعلم- شَرْيَ مالِه في الحقيقة[9] ليعلم الخلق أنْ كيف يعامل بعضهم بعضا.[10] وكذلك قال **الله:** مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا،[11] عامَلهم معاملةَ مَن لا حق له في أموالهم وأنفسهم، ليعامل[12] الناس بعضهم بعضا في أموالهم وأنفسهم كمن لا حق له في ذلك.

وقوله: **وَعْدًا عليه حَقًّا**، أي **وَعْدًا** واجبا **حَقًّا**،[13] **في التوراة والإنجيل والقرآن، أي** وعد ذلك **في التوراة والإنجيل والقرآن**. وفي حرف ابن مسعود: عَهْدًا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن.[14]

وقوله: **وعْدا عليه حقّا في التوراة والإنجيل**، هذه الآية تنقض قول من يقول بأن الإنجيل نزل[15] على التخفيف والتيسير، والتوراةَ بالشدائد. وكذلك قوله: فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

---

[1] ن + وكذلك.
[2] ع م: من الفرض.
[3] ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾ (سورة السجدة، ١٧/٣٢).
[4] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نُضِيع أجرَ مَن أحسنَ عملا﴾ (سورة الكهف، ٣٠/١٨).
[5] ك: لقوله.
[6] سورة الإسراء، ٧/١٧.
[7] ن ع م + حق.
[8] سورة الحج، ٣٧/٢٢. والآية في ذبح القَرابين.
[9] ع - وهو كما قال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فإنما طلب منهم بذل أنفسهم وأموالهم له أو ذكر والله اعلم شري ماله في الحقيقة.
[10] ن ع م - بعضا.
[11] سورة البقرة، ٢٤٥/٢؛ وسورة الحديد، ١١/٥٧.
[12] ع: بعامل؛ م: يعامل.
[13] ع م - حقا.
[14] ك: والفرقان.
[15] ع: ترك.

وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ[١] وذلك مذكور في حكم الإنجيل. إلّا أنْ يقال بأنّ قوله: **وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل**، أي كان هذا مذكورا[٢] لهذه الأمة في التوراة والإنجيل[٣] وما ذكر.

ثم قال: **ومن أوفى بعهده من الله**، هذا على[٤] أن قوله: **اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**، الآية، إنما هو عهد[٥] إليهم[٦] حيث قال: **ومن أوفى بعهده من الله**، أي لا أحد أوفى وأصدق **بعهده من الله**، إن وفيتم أنتم بعهده الذي عهد عليكم. ***والله أعلم***.

وقوله: **فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به**، يشبه أن يكون الاستبشار الذي ذكر وَقْتَ الموت، أن يقول لهم الملائكة: استبشروا **ببيعكم الذي بايعتم به**، في الحياة. هذا[٧] يدل أن البيع يكون بيعا بالبدل وإن لم يتلفّظ بلفظة البيع. وقد ذكرنا فيما تقدم أن الأحكام لم تُعَلَّقْ[٨] بالألفاظ والأسامي، إنما عُلِّقَتْ بمعاني[٩] فيها، فإذا وُجد[١٠] المعاني حُكم بها.

وذلك هو الفوز العظيم، / الذي ذكر. [٣٢٠و]

﴿اَلتَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١١٢]

وقوله عز وجل: **التائبون العابدون الحامدون**، إلى آخره، قال بعضهم: على الصلة بالأول فيما ذكر من الشِّرَى والوعد لهم بالجنة[١١] إذا كانوا على الوصف الذي ذكر. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وأُبي رضي الله عنهما: إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، التائبين العابدين الحامدين -على الصلة بالأول بالكسر، إلى قوله: **والحافظون لحدود الله**، قرأها- والقائمين على حدود الله،

---

[١] ﴿يا أيها الذين آمنوا كُونُوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريّين مَن أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ (سورة الصف، ٦١/١٤).

[٢] ن م: مذكور.

[٣] ع - أي كان هذا مذكورا لهذه الأمة في التوراة والإنجيل.

[٤] ع: على هذا.

[٥] ك + عهد.

[٦] ك: عليهم.

[٧] ك: وهذا.

[٨] م: لم تتعلق.

[٩] ن: بالمعاني.

[١٠] ن + وجد.

[١١] جميع النسخ: الجنة.

أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ.[1] ومنهم من قال: على الابتداء بالرفع: **التائبون العابدون الحامدون**، إلى آخره. ويشبه[2] أن يكون هو[3] الشراءَ الذي ذكر في أول الآية.[4] وما وعد لهم ببذل أنفسهم وأموالهم في الجهاد يكون ذلك أيضا في غيره من الطاعات والخيرات. مَن بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة له والجهد وما ذكر في الآية فهو بَايَع نفسه منه، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ،[5] ونحوه.

وقوله: **التائبون**، يحتمل التائبون من الشرك، أو من جميع المعاصي. **العابدون**، يحتمل الموحّدون؛ ويحتمل **العابدون**، جميع أنواع العبادة.[6] **الحامدون**، قيل: الشاكرون؛ وقيل: المُثْنُون على الله. فإن كان قوله: **العابدون**، من العبادة فيكون **الحامدون**، المُثْنُون على الله؛ لأن العبادات كلها شكر. وإن كان قوله: **العابدون**، الموحّدون فيكون قوله: **الحامدون**، الشاكرون للنعم[7] التي أنعمها الله عليهم.

السائحون، قيل: الصائمون. وعلى ذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن السائحين، فقال: «هم الصائمون».[8] وقال: «وسِياحة أمتي الصيام».[9] وقال القُتَبي: وأصل السائح: الذاهب في الأرض. ومنه يقال: سائح، إذا جرى وذهب.[10] والسائح في الأرض ممتنع من الشهوات. فشبه الصائم[11] به لإمساكه في صومه عن المَطعم والمَشرب وجميع اللّذات.[12]

---

[1] الآية السابقة. «وفي مصحف عبدالله: "التائبين العابدين"، إلى آخرها» (*تفسير القرطبي*، ٢٧١/٨). «ويدل على ذلك قراءة عبدالله وأُبي: "التائبين"، بالياء، على أنه منصوب علىالمدح أو مجرور على أنه صفة للمؤمنين» (*روح المعاني* للآلوسي، ٣٠/١١).

[2] ن: يشبه.

[3] ن ع م - هو.

[4] ك - أول.

[5] سورة البقرة، ٢٠٧/٢.

[6] ن: العبادات.

[7] م: والشاكرون المنعم.

[8] *تفسير الطبري*، ٣٧/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٧/٤-٢٩٨. وذكر ابن كثير أنه مُرسَل جيد؛ انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣٩٣/٢.

[9] لم أجده مرفوعا بهذا اللفظ. لكن روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سياحة هذه الأمة الصيام؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٣٩/١١. وروي عن أبي أُمامة رضي الله عنه أن رجلا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السياحة. قال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» (*سنن أبي داود*، الجهاد ٦؛ و*المستدرك* للحاكم، ٨٣/٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٨/٤).

[10] ك: إذا ذهب وجرى.

[11] ع م: الصيام.

[12] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٣.

وقال أبو عَوْسَجَة: هم الذين يمَضون على وجوههم في الأرض، ليست لهم منازل. يقال: ساح يَسِيح سَيْحا وسِياحة.

الراكعون الساجدون، قيل: المصلّون، وقيل: الخاضعون لله والخاشعون له. وكذلك ذكر في حرف حفصة. **الآمرون بالمعروف**، يحتمل التوحيد، أي آمرون الناس بتوحيد الله. ويحتمل **الآمرون** لهم بالخيرات[١] كلها. **والناهون عن المنكر**، الشرك. ويحتمل كل معصية. **والحافظون لحدود الله**، قال بعضهم: لفرائض الله التي فرضها على عباده، وقال بعضهم: لسنن الله. ولكنْ حافظون لجميع[٢] أحكام الله، لا يجاوزون ما حدّ لهم ولا يُفَرِّطون فيها.

وبشر المؤمنين، يحتمل[٣] البِشارة لهؤلاء الذين سبق[٤] ذكرهم. ويحتمل على الابتداء، أي بَشِّر جميع[٥] المؤمنين، كقوله:[٦] ﴿وَبَشِّرِ[٧] الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾.[٨] ***والله أعلم***.[٩]

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[١١٣]

وقوله عز وجل: **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**، دلت الآية بما نهانا أن نستغفر لمن عَلِمنا أنه من أهل النار[١٠] [على] أن الله لا يغفر[١١] له لِما عَلِم أنه لا يؤمن. فعلى ما عَلِمنا أنه لا يغفر له لم نستغفر[١٢] له. [وعليه] لم يجز لنا أن نقول: إنه أراد الإيمان لمن يَعلم أنه لا يؤمن أبدا، كما لم يجز[١٣] أن يغفر لمن وجبت[١٤] له النار. فهذا ينقض على المعتزلة قولهم: إن الله قد أراد لكل كافر الإيمان، لكنه لم يؤمن.

[١] جميع النسخ + والمعروف.
[٢] ك ع م: جميع.
[٣] ع: ويحتمل.
[٤] ع م: سبقوا.
[٥] ن م: بجميع؛ ع: لجميع.
[٦] ك – وبشر المؤمنين يحتمل البشارة لهؤلاء الذين سبق ذكرهم ويحتمل على الابتداء أي بشر جميع المؤمنين كقوله.
[٧] ع – المؤمنين كقوله وبشر.
[٨] سورة الأحزاب، ٤٧/٣٣.
[٩] ك ن + بذلك.
[١٠] جميع النسخ + لما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦١ظ.
[١١] ع: لا يستغفر.
[١٢] ع م: لم يستغفر.
[١٣] جميع النسخ: لم يجب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦١ظ.
[١٤] ع: لمن وحيت.

ثم قوله:[1] **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**، قال بعض أهل التأويل: إن رسول الله قد استغفر لأحد والدَيْه.[2] وذُكر أنه دخل على[3] أبي طالب عمّه، فدعاه إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فأبى. ثم استغفر له، وقال: «لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك».[4] أو كلام نحو هذا. فنزل قوله: **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى**، الآية.[5]

قال الحسن:[6] لا يحتمل أن يكون رسول[7] من رسل الله لا يعلم أن الله لا يغفر للكافر؛[8] إذ في العقل والحكمة[9] أنْ لا يغفر له، والتعذيب له أبدا.

وعندنا في الحكمة تعذيب الكافر أبدا وأن لا يغفر له لوجوه. أحدها أن في ذلك تسويةً بين العدو ووليّه، ومَن سَوَّى بين عدوه ووليّه فهو ليس بحكيم؛ إذ في الحكمة التمييز بينهما. والثاني أنه إذا عَبد غير الله معه إنما يَعبد غيرَه لجهله، وتلك الجهالة لا ترتفع أبدا؛ لأنه إذا غُفِر له فيقع عنده أنه إنما جُزِي[10] بما جُزِي [به] وغُفِر [له] لعبادته[11] غير الله. والثالث أنه[12] لو غفر للكافر لذهبت[13] حكمة الأفعال؛ لأن الأفعال إنما يؤمر بها لِعواقبَ[14] تُتأَمّل إمّا حمدا وإمّا ذمّا. فإذا غفر له حُمِد بأفعالٍ كان الحق له الذمّ بها، ففي ذلك خروجها عن الحكمة.

---

[1] ن: وقوله.

[2] *تفسير الطبري*، ١١/٤٢، ٤٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٠١، ٣٠٢-٣٠٤.

[3] ع + بن.

[4] جميع النسخ: عنه؛ والتصحيح من مصادر الحديث.

[5] *صحيح البخاري*، التفسير ٩/١٦، و*صحيح مسلم*، الإيمان ٣٩.

[6] كذا في جميع النسخ. ولم أجده عن الحسن. ولعله الحسين بن الفضل؛ فقد ذُكر عنه أنه ضعّف هذه الرواية. انظر: *تفسير القرطبي*، ٨/٢٧٣؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١١/٣٣. وهو أبو علي الحسين بن الفضل البَجَلي الكوفي ثم النيسابوري. ألّف في معاني القرآن. وهو مفسِّر لغوي محدِّث. (ت. ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٣/٤١٤.

[7] م: رسول الله.

[8] م: الكافر.

[9] ن: في الحكمة والعقل.

[10] جميع النسخ + به.

[11] م: لعبادة.

[12] ك - أنه.

[13] جميع النسخ: لذهب.

[14] ع: العواقب.

وجائز أن يكون رسول الله يستغفر للمنافقين قبل أن يتبيّن له أنهم منافقون، فلما تبيّن له نفاقهم كفّ عن استغفارهم. فأمّا أنْ يستغفر للكافر على علمٍ[1] منه أنه كافر فلا يحتمل على ما يقوله بعض أهل التأويل: إنه استغفر لعمّه ولأحد والدَيْه.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[١١٤]

وقوله عز وجل: **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن مَوْعِدَةٍ وعدها إيّاه**، قال بعضهم: وَعْدُه إيّاه الإسلام، فكان استغفاره لأبيه على وعد الإسلام. فإنما كان استغفاره بعد إسلامه؛ ألا ترى أنه قال: رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي / وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ،[2] فإنما طلب له المغفرة [٣٢٠ظ] في ذلك اليوم، وقد كان وعد له الإسلام، لذلك كان استغفر له. ألا ترى أنه تبرّأ منه إذ تبيّن[3] له أنه من أهل النار. ويحتمل أن يكون استغفار إبراهيم لأبيه [هو] طلب السبب الذي به منه يستوجب المغفرة، وهو التوحيد والإسلام.[4] وهو كقول هود[5] لقومه: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[6] وكقول نوح: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[7] ليس يأمرهم أن يقولوا:[8] نستغفر الله، ولكن يأمرهم بالإسلام لِيَغفر لهم ويكونوا من أهل المغفرة. فعلى ذلك استغفار إبراهيم لأبيه. وكذلك قوله: وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ،[9] أي أعطه السبب الذي به يستوجب المغفرة، وهو التوحيد. كان سؤاله سؤال التوحيد؛ إذ لا يحل طلب المغفرة للكافر، وفي الحكمة لا يجوز أن يغفر له.

فإن قيل: فإن كان على ما[10] ذكرتم كيف استثنى: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ،[11]

---

[1] ك: على عمل.
[2] سورة إبراهيم، ١٤/٤٠-٤١.
[3] جميع النسخ: إذا تبين.
[4] ع م - والإسلام.
[5] ع + من أهل النار.
[6] سورة هود، ١١/٥٢.
[7] سورة نوح، ٧١/١٠.
[8] ن: أن يقول.
[9] سورة الشعراء، ٢٦/٨٦.
[10] م: فإن كان ما.
[11] يقول الله تعالى: ﴿قد كانت لكم أُسْوَةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا بُرَآءُ منكم ومما تعبدون مِن دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلاّ قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيء ربّنا عليك توكلنا وإليك أَنَبْنا وإليك المصير﴾ (سورة الممتحنة، ٦٠/٤).

بعدما أخبر أن لنا[١] في إبراهيم قدوة بقوله: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ؟

قيل: يحتمل الاستثناء: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، أي حتى يُعلّم المعنى من استغفاره؛ لأنّا لا نعرف مراد إبراهيم من استغفاره لأبيه. وكذلك استغفار الأنبياء عليهم السلام لقومهم والمتصلين بهم. فاستثنى ذلك إلى أن نعلم مرادهم من استغفارهم.

وقوله عز وجل: **إن إبراهيم لأَوّاهٌ حليم**، قيل: الأَوّاه: الدَّعّاء. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأَوّاه. قال:[٢] «الدَّعّاء الخاشع المتضرع».[٣] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأَوّاه: المؤمن.[٤] وقيل: الأَوّاه: الفقيه المُوقِن، وقيل: المُسَبِّح، وقيل: الأَوّاه: المُتَأَوِّه حُزنا وخوفا. و**حليم**، قيل: الحليم ضدّ السفيه، وقيل: العليم. والحليم هو الذي[٥] لا يغضب ولا يَسْفَه عند سَفَه السفيه.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١١٥] ﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١١٦]

وقوله عز وجل: **وما كان الله لِيُضِلَّ قوما بعد إذ هداهم حتى يُبيِّن لهم ما يتقون**؛ اختلف أهل التأويل. قال بعضهم: الآية في استغفار المؤمنين للمشركين.[٦] وقال بعضهم: الآية في نسخ الأحكام والشرائع التي تحتمل النسخ. فإن كان في الاستغفار للمشركين[٧] فإنه ليس هنالك[٨] نسخ، لأنه لم يسبق لهم الأمر بالاستغفار ولا الإباحة لهم في ذلك. فكأنه[٩] قال: ما كان الله ليجعل قوما ضُلّالاً بالاستغفار بعد إذ جعلهم مهتدين حتى يعلموا بالنهي عن ذلك. *والله أعلم*. وهو يحتمل ما ذكرنا من استغفارهم للمنافقين قبل أن يتبيّن لهم.

---

[١] جميع النسخ: لنا أن.
[٢] م: وقال.
[٣] لم ترد كلمة "الدعاء" في الحديث؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٥١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٠٥.
[٤] *تفسير الطبري*، ١١/٥٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٠٦.
[٥] ن – الفقيه الموقن وقيل المسبح وقيل الأوّاه المتأوه حزنا وخوفا وحليم قيل الحليم ضد السفيه وقيل العليم والحليم هو الذي.
[٦] ن ع: المشركين.
[٧] جميع النسخ: في استغفار المشركين.
[٨] ك ن: هناك.
[٩] ع م: فإنه.

يقول:[١] لا يجعلهم ضُلَّالاً بذلك حتى يبيّن لهم ذلك. وإن كان[٢] في نسخ الأحكام فكأنه -والله أعلم- قال: ما كان الله ليجعل قوما ضُلَّالاً جُهَّالاً بفعلهم الذي فعلوا بالأمر، **حتى يبيّن لهم ما يتقون**، أي حتى يعلموا بالذي يلزمهم الانتهاء عنه، وهو النسخ. هذا في الأحكام التي[٣] تحتمل[٤] النسخ. وأما الأحكام التي لا تحتمل النسخ فلا. وأصله أنّ كل ما كان في العقل امتناعُ نسخِه فإنه لا يَرِد فيه النسخ، وكلّ ما كان في العقل لا امتناعَ على نسخه فإنه يجوز أن يَرِد فيه النسخ.

ثم المسألة فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم به بالنسخ، ما حال العمل الذي عملوا به: يُحَرَّجُون[٥] ويَأثمون في عملهم بذلك في حال نسخه أو يُثابون ويُؤجرون على ذلك؟

فإن كان الفعلُ فعلَ طاعة وقربة فإنه يُثاب في قصده وفعله[٦] ولا يُحَرَّج[٧] فيه.[٨] وإن كان الفعل[٩] ليس بفعل قربة وطاعة ولكن فِعل حِلّ وحرمة فإنه في فعله قبل بلوغ العلم بنسخه لا يُحَرَّج[١٠] في فعله. نحو ما روي أنهم كانوا يشربون الخمر، ثم أتاهم آت، فقال: ألا إن الخمر قد حُرِمت، فصَبُّوها[١١] وكَفُّوا عنها.[١٢] فهم في شربهم بعد التحريم قبل بلوغ الخبر إليهم لا يُحَرَّجون.[١٣] وأما الفعل الذي هو فعل قربة وطاعة فإن لهم القربة في فعلهم، وهو الصلاة ونحوه، [نحو] ما روي أن نفرا كانوا يصلون إلى بيت المقدس، فمرّ عليهم مارّ فقال:[١٤] ألا إن القبلة قد حُوِلت، وهم في الركوع إلى الكعبة، فتحوّلوا نحوها. فأخبروا عن ذلك رسول الله،

---

[١] ك: بقول.
[٢] ك: فإن كان.
[٣] ن: الذي.
[٤] ع م: يحتمل.
[٥] ع: يخرجون. حرّج فلانا أي أثّمه وألقى عليه الإثم. أمّا الثلاثي منه فلم يسمع بمعنى ارتكاب الإثم (*لسان العرب* لابن منظور، «حرج»).
[٦] ك: وقوله.
[٧] ع: ولا يخرج.
[٨] ع م + ولكن.
[٩] ك: فعله.
[١٠] ع: لا يخرج.
[١١] ع: فضبوها.
[١٢] *صحيح البخاري*، التفسير ٥/١٠؛ وصحيح *مسلم*، الأشربة ٣.
[١٣] ن ع: لا يخرجون.
[١٤] ن – فقال.

فلم يأمرهم بالإعادة.[1] لأن الفعل فعل قربة وطاعة، فالطاعة والقربة موجودة في فعلهم. لأن الأفعال التي فُرضت لم تُفرَض لنفس الأفعال، إنما فُرِضت للطاعة والقربة لله فيها. فإنه يُؤجر على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله[2] عز وجل: **إن الله بكل شيء عليم**، بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه مصالحهم.[3] كأن هذا -والله أعلم- خرج لإنكار من أنكر النسخ في الشرائع. يقول: إن الله يعلم بما فيه مصالح الخلق وأنتم لا تعلمون، وفي الناسخ مصالح لهم وأنتم لا تعلمون. ويؤكد ذلك قوله[4] عز وجل: **إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت**، وأنتم عبيده، وليس للعبد إنكار شيء على سيده، وإنما على العبد الطاعة لسيده والائتمار لأوامره والانتهاء عن نواهيه. **يحي ويميت**، أي كما له أن يميت[5] بعد الحياة ويحيي بعد الموت فله أن يتعبّدهم في حالٍ بعبادة وفي حالٍ بعبادة[6] أخرى.

﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١١٧]

وقوله عز وجل: **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار**، الآية، قال بعض أهل[7] التأويل: تاب الله عليهم لزلّات سبقت منهم ولِهَفَوات تقدّمت مِن غيرِ أنْ كان منهم زلّات في هذا -يعني غزوة تبوك- / وهَفَوات. أما التوبة على النبي [فهي] بقوله: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا،[8] وعلى المهاجرين والأنصار فيما كان[9] منهم يوم أُحد ويوم[10] حُنَين، وهو قوله:[11] [٣٢١و]

---

[1] ليس في الحديث: "فأخبروا عن ذلك رسول الله، فلم يأمرهم بالإعادة". ولعله استنباط من حيث إنهم لو كانوا أُمِروا بالإعادة لذُكِر ذلك في الرواية. انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ١٩/٢؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٣.

[2] ن: قوله.

[3] ع م - مصالحهم.

[4] ن ع م: وقوله.

[5] ن - أي كما له أن يميت.

[6] ع م: عبادة.

[7] جميع النسخ: بعض من.

[8] سورة التوبة، ٤٣/٩.

[9] جميع النسخ: ما كان.

[10] م: يوم.

[11] ع م: وقوله.

إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ.[١] وقال بعضهم: تاب عليهم لِهَفَوات كانت منهم في غزوة تبوك. همّوا أن ينصرفوا في غير وقت الانصراف على غير إذنٍ لِشدائدَ أصابتهم. فقال: تاب عليهم لِما همّوا بالانصراف في غير وقت الانصراف. ويشبه أن تكون التوبة التي ذُكر على وجهين سوى ما ذكروا. وهو أنه تاب عليهم، أي جدّد عليهم التوبة للهَفَوات التي تقدّمت أو الثبات عليها مِن غيرِ أنْ كان منهم في الحدوث شيء. ولكن يكون لذلك حكم التجديد أو الثبات[٢] عليها. فيكون كسؤال الهدى وهم على الهدى، كقوله عز وجل: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[٣] وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ،[٤] أي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، فيما مضى من الوقت، آمِنُوا، في حادث الوقت أو اثْبُتوا على ذلك.[٥] فعلى ذلك يحتمل أن يكون قوله: **لقد تاب الله عليهم**، أي جدّد[٦] عليهم التوبة مِن غيرِ أنْ كان منهم هَفْوة أو ثبّتهم على التوبة التي كانت منهم. والثاني أنه ذَكر التوبة، وذلك أنهم حيث صبروا على ما أصابهم من الشدائد والجهد كشف الله عنهم أشياء كانت مستورة عندهم، وجلّى عنهم[٧] أغطية كانت لا تنجلي[٨] لهم مِن قبل. لكن انجلى ذلك لهم وانكشف لصبرهم على الشدائد التي أصابتهم، كقوله: الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،[٩] لمّا صبروا على ما أصابهم من المصائب ازداد لهم تفويض[١٠] وتسليم[١١] الأمر والمَرجِع إليه. وكقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ،[١٢] الآية، ازداد لهم بما صبروا هدى، وتجلّى لهم أشياء لم تكن مِن قبل.

---

[١] هذا في يوم أحد؛ يقول الله تعالى ﴿إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ (سورة آل عمران، ١٥٥/٣). أما عن يوم حنين فيقول الله عز وجل: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويومَ حُنَين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغنِ عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَت ثم ولّيتم مُدبِرين﴾ (سورة التوبة، ٢٥/٩).

[٢] ع م: والثبات.

[٣] سورة الفاتحة، ٦/١.

[٤] سورة النساء، ١٣٦/٤.

[٥] ع م: في ذلك.

[٦] ك: لقد جدد.

[٧] جميع النسخ: وجلاهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.

[٨] ك: لا تتجلى.

[٩] ﴿أولئك عليهم صَلَوَات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (سورة البقرة، ١٥٦/٢-١٥٧).

[١٠] جميع النسخ: تفويضا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٢ظ.

[١١] ك: وتسليما.

[١٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ومن يؤمنْ بالله يَهدِ قلبَه والله بكل شيء عليم﴾ (سورة التغابن، ١١/٦٤).

فعلى ذلك يحتمل التوبة التي ذَكر أنهم لمّا صبروا على ما أصابهم من الشدة والجهد تجلّى لهم أشياء كانت مُغَطّاة. *والله أعلم*. وبَعدُ،[1] فإنه ذكر: **مِن بَعدِ ما كاد يَزيغ قلوب فريق منهم،** ولم يذكر[2] أنها زاغت، وذكر **قلوب فريق منهم،** ولم يذكر قلوب الكل، فهو ما ذكرنا. ويحتمل ذكر التوبة على النبي على الإشراك له مع المؤمنين مِن غيرِ أنْ كان له ذنب؛ لأنه أخبر أن ذنبه مغفور بقوله: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.[3] فهو كما أشركه في الاستغفار كقوله: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[4] أمره بالاستغفار لذنبه على الإشراك له مع الاستغفار للمؤمنين؛[5] إذ أخبر[6] أنه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.

والتوبة من الله تعالى تخرج[7] على وجوه. أحدها التوفيق، وفّقهم للتوبة وأكرمهم بها، كقوله: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا،[8] أي وفّقهم للتوبة فتابوا. والثاني التوبة منه قبولها منهم، أي يقبل منهم التوبة، كقوله: إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.[9] والثالث تاب عليهم، أي تجاوز عنهم وعفا وصفح عنهم. على هذه الوجوه الثلاثة[10] تخرج[11] إضافة التوبة إلى الله.

وقوله عز وجل: **الذين اتّبعوه في ساعة العُسْرة،** قيل: في عُسْرة النفقة وعُسْرة[12] الظَّهْر. وقوله عز وجل: **مِن بَعدِ ما كاد يَزيغ قلوب فريق منهم،** ذُكر في بعض القصة أنه قد أصابهم من الجهد والشدة حتى إن الرجلين ليقسمان التمرة بينهما، وكانت التمرة يتداولونها[13] بينهم، يمصّها هذا ثم يشرب عليها الماء، ثم يمصّها هذا.[14] ذُكر نحو هذا. ولكن لا ندري كيف كان الأمر سِوَى أنه أخبر أن قلوبهم كادت تزيغ من الجهد.

---

[1] ع م – وبعد.
[2] ن ع م: تذكر.
[3] سورة الفتح، ٢/٤٨.
[4] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[5] جميع النسخ: مع استغفار المؤمنين.
[6] ك: إذ أخبره.
[7] م: يخرج.
[8] الآية التالية.
[9] الآية التالية.
[10] ك: الثلثة.
[11] ك ع م: يخرج.
[12] م: وعشرة.
[13] جميع النسخ: يتداولون.
[14] روي نحوه عن مجاهد وقتادة؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٥٥/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٠٩/٤.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١١٨]

وقوله عز وجل: **وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا**، قال بعضهم: **خُلِّفوا**[١] عن التوبة، نحو قوله: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،[٢] فكانوا يبتهلون[٣] ويدعون الله حتى تاب الله عليهم، فتابوا.[٤] وقال قائلون: **خُلِّفوا** عن رسول الله لمّا تقدّمهم القوم، فهم مُخَلَّفون[٥] بتقدّم أولئك. وقال قائلون: **خُلِّفوا**: خَلَّفهم الله، أي خَلَقَ[٦] منهم تخلُّفَهم.[٧] ويشبه أن يكون[٨] قوله: **وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا**، هم الذين تخلّفوا عن رسول الله، ثم ندموا على[٩] تخلُّفهم، فلحقوا رسول الله.[١٠] وهو ما ذكرنا.

وقوله: **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت وضاقت عليهم أنفسهم**، يحتمل هذا على التحقيق. ويحتمل أن يكون على التمثيل. وللتحقيق وجهان. أحدهما **ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت**، ما ذُكر أنهم شَدُّوا أنفسهم بالسواري والأسطوانات، وأَتَوْا بأموالهم التي منعتهم عن الخروج مع رسول الله، وتصدّقوا بالأَرَضِين التي منعتهم عن الخروج،[١١] و **ضاقت عليهم الأرض** بعدما كانت عليهم مُتَّسِعة يَتَّسِعون فيها؛ لأنه ذُكر في القصة أن واحدا[١٢] من هؤلاء مما حبسته أرضه عن الخروج فتصدّق بها على الفقراء، وكان له التوسّع بتلك الأرض ثم ضاقت عليه. والثاني **ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت**، لما حبسوا أنفسهم عن أراضيهم[١٣]

---

[١] ع م – قال بعضهم خلفوا.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ع م: ينتهلون.
[٤] وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومُرارة بن الربيع رضي الله عنهم، وقد روى قصتهم كعب بن مالك في حديث طويل؛ انظر: *صحيح البخاري*، المغازي ٧٩؛ و*صحيح مسلم*، التوبة ٥٣.
[٥] ع: المخلفو؛ م: المخلفون.
[٦] ع م: أي خلفهم.
[٧] ع م – منهم تخلفهم.
[٨] ك: أن أن يكون.
[٩] ع م – تخلفوا عن رسول الله ثم ندموا على.
[١٠] إن كان المقصود أنهم الثلاثة المشهورون الذين أشرنا إلى مصادر قصتهم آنفا فهم لم يلحقوا برسول الله. ولكن ذكر في نفس الحديث أن بعض الصحابة تخلفوا عن رسول الله ثم لحقوا به. انظر: المصادر السابقة.
[١١] *تفسير الطبري*، ١١/١٢-١٤، ١٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢٧٥.
[١٢] ع: أن واحد.
[١٣] ك: عن أرضيهم.

وتركوا شهواتهم وأمانيهم[١] وما يتلذذون به، فذلك ضِيق الأرض. **وضاقت عليهم أنفسهم،** لما شَدُّوا[٢] أنفسهم بالأسطوانات. ويحتمل أن يكون على التمثيل. وذلك أن الخوف إذا اشتدّ على الإنسان[٣] وبلغ غايته حتى يمنعه عن القرار[٤] في الأرض والتلذُّذ فيها / يقال: ضاقت عليه[٥] [٣٢١ظ] الأرض بسَعتها. **وضاقت عليهم أنفسهم،** لِما ذُكر: كان الناس لا يكلمونهم ولا يخالطونهم ولا يبايعونهم ولا يكلمهم أهاليهم.

وقوله عز وجل: **وظنوا أنْ لا مَلجأ من الله إلا إليه،** قال بعضهم: ظنوا أنه لا[٦] نجاة من عقوبة الله إلا عفوه، أي أيقنوا أنْ لا تَخَلّص لهم ولا احتراز لهم[٧] من عقابه. وقيل:[٨] ظنوا[٩] أنْ لا مَلجأ من عذاب الله إلا إلى رحمته. وقيل: **وظنوا أنْ لا مَلجأ،** من رسول الله إلا إلى الله؛ لأنه ذُكر أنهم سألوا رسول الله التجاوز عن ذلك، فلم يجبهم، فأيقنوا عند ذلك أنّ المَفْزَع والمَلجأ إلى الله لا إلى أحد دونه.

وقوله عز وجل: **ثم تاب عليهم،** أي وفّقهم للتوبة[١٠] فتابوا.[١١] **إن الله هو التواب الرحيم،** أي يقبل التوبة، أي قابِلُها.[١٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١١٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين،** في ظاهر[١٣] الآية أن قوما عُرِفوا بالصدق،[١٤] فأُمِروا بالكون معهم. ويشبه أن يكون أمر هؤلاء الذين[١٥] تخلّفوا عن رسول الله

---

[١] م – وأمانيهم.
[٢] ع: لما شددوا.
[٣] ن: بالإنسان؛ ع م: إذا اشتدت الإنسان.
[٤] ع: عن الإقرار.
[٥] ع م: عليها.
[٦] ن ع: أن لا.
[٧] ك ن – لهم.
[٨] ع: قيل.
[٩] ن ع م: فظنوا.
[١٠] ن ع م: التوبة.
[١١] ك: فابوا.
[١٢] ع: أي قائلها. وعبارة الشارح هكذا: «وقوله تعالى: ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾، أي الموفق للتوبة أو القابل لها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٢ظ).
[١٣] ع: الصادقين ظاهر.
[١٤] ك: با بالصدق.
[١٥] ع م – الذين.

بالكون مع المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله. وفيه دلالة على أن[١] الإجماع حجة؛ لأنه أمر بالكون مع الصادقين[٢] في دين الله، فلو لم يلزمهم قبول قولهم لم يكن للأمر بالكون معهم وجه. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وكونوا من الصادقين.[٣] وهو ظاهر. وقوله:[٤] **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**،[٥] يحتمل وجوها. أحدها يقول:[٦] احفظوا الله في حقه ولا تضيعوه، **وكونوا مع الصادقين**، في وفاء ذلك وحفظه. أو **اتقوا الله**، فيما في تَركِ ما امتحنكم به من الخروج والجهاد مع رسول الله وغير ذلك من المِحَن. أو يقول: **اتقوا** مخالفة الله ورسوله فيما يأمركم به، **وكونوا** مع الموافقين لأمره. ***والله أعلم***.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٢٠]

وقوله عز وجل: **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله**، يشبه أن يكون هذا صلة ما سبق منهم من المبايعة والعهود التي[٧] جرت بينهم وبين رسول الله. يقول -والله أعلم- **ما كان**، أي لم يكن، **لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله**، بعدما قبلوا النصر له والمعونة وبايعوه على ذلك. هذا محتمل. ويحتمل[٨] وجها آخر. وهو أن يكون صلة ما ذكر على أثره، وهو قوله: **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظَمَأ ولا نَصَب ولا مَخْمَصَة في سبيل الله**. يقول -والله أعلم- **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله**، وقد جعل بكل[٩] ما يصيبهم في أنفسهم من العَناء والشدة

---

[١] ك ع: دلالة أن.

[٢] ن - في ظاهر الآية أن قوما عرفوا بالصدق فأمروا بالكون معهم ويشبه أن يكون أمر هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله بالكون مع المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله وفيه دلالة أن الإجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين، صح هـ.

[٣] ن ع: مع الصادقين. وانظر: *تفسير الطبري*، ٦٣/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣١٦/٤.

[٤] ن: وهو قوله.

[٥] ن + في وفاء ذلك وحفظه.

[٦] ع م - يقول.

[٧] ن - التي.

[٨] ع: يحتمل.

[٩] ك ن: لكل.

وفي أموالهم من النقصان وما ينفقون من النفقة قليلةً كانت أو كثيرةً أو يصيبون من العدو من القتل[1] والغنيمة، **إلّا كُتِب لهم**، بذلك، **عمل صالح**.[2] أي ما كان ينبغي لهم أن يتخلّفوا عنه وقد كُتِب لهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعَناء[3] وما يصيبون من الخير العملُ الصالح والأجر لهم. ***والله أعلم***. أو يقول: **ما كان لأهل المدينة**، إذا تخلّفوا عن[4] رسول الله أن يتخلّفوا عنه.

وقوله عز وجل: **ولا يَرغبوا بأنفسهم عن نفسه**، يحتمل قوله: **ولا يَرغبوا بأنفسهم عن نفسه**، أي **ولا يَرغبوا**، بالتخلّف، **عن نفسه**. يقال: جاء فلان بنفسه، ورأيت أنا بعيني، ونحوه. أي جاء هو، ورأى هو. فعلى ذلك هذا. **ولا يَرغبوا**، أي ما كان ينبغي[5] لهم أن يَرغبوا **عن رسول الله**. ويحتمل **ولا يَرغبوا بأنفسهم**، أي لأنفسهم، **عن نفسه**. وذلك جائز.[6]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظَمَأ**، قيل: عَطَش. **ولا نَصَب**، قيل:[7] العَناء والمشقّة. **ولا مَخْمَصَة في سبيل الله**، أي مَجَاعَة. **ولا يَطَئُون مَوْطِئًا يَغِيظ الكفار**، قال بعضهم: ولا يقفون موقفا. وقال بعضهم: هو من الوطء.[8] والمَوْطِئ: الشيء الذي يُوطَأ. **ولا يَنالون من عدو نَيْلا**، قيل: مِن قتلٍ[9] فيهم أو إغارة[10] عليهم، **إلا كُتِب لهم به عمل صالح**، أي يكتب ما لهم وما عليهم عملا صالحا[11] مكان من تخلّف[12] منهم مخافة أن يصيبه ما ذكر من العَناء[13] والشدة. يقول: كُتِب لهم بكل ما يصيبهم عملٌ صالح.[14] **إن الله لا يضيع أجر المحسنين**.

---

[1] م: ومن القتل.
[2] م: العمل الصالح.
[3] ع: والعناد.
[4] م: إذا اختلفوا من.
[5] ك – ينبغي، صح هـ.
[6] جميع النسخ + ما ذكرنا.
[7] م – قيل.
[8] ع: من الموطئ. وَطِئ الشيءَ يَطَؤُه وَطْئًا: داسه برجله (*لسان العرب* لابن منظور، «وطئ»).
[9] ع م – من قتل.
[10] ع م: وإغارة.
[11] جميع النسخ: العمل الصالح.
[12] ك: ما تخلف.
[13] ع: من الغناء.
[14] جميع النسخ: العمل الصالح.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٢١]

وقوله عز وجل: **ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كُتِب لهم،** هو ما ذكرنا أنه يجزيهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعَناء في أنفسهم وفي أموالهم من النقصان وما ينفقون، **ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون،** أي يجزيهم لصالح أعمالهم وأحسنها، ولا يجزيهم لسيئاتهم. وهو كقوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،[١] أخبر أنه يتقبّل منهم أحسن ما عملوا ويكفر عنهم سيئاتهم، فعلى ذلك الأول يخبر أنه يجزيهم أحسن ما عملوا في الغزو، ولا يجزيهم سيئاتهم.[٢]

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **وما كان المؤمنون لِيَنفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين،** الآية؛ اختلف أهل التأويل. قال بعضهم: إن نبي الله كان إذا خرج للغزو خرجوا[٣] جميعا معه،[٤] فتبقى[٥] المدينة خالية عن الرجال، فنهى الله عن ذلك، وقال[٦] [فيما معناه]: وما ينبغي للمؤمنين **أن ينفروا كافة،** مع رسول الله، **فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين.** وقال بعضهم: كان رسول الله صلى الله عليه / وسلم إذا بعث سريّة [٣٢٢و] خرجوا جميعا، فبقي هو وحده، و لم يبق[٧] معه أحد ممن يشهد التنزيل ليخبر[٨] أولئك إذا حضروا.[٩]

---

[١] ﴿حتى إذا بلغ أَشُدَّه وبلغ أربعين سنة قال رب أَوْزِعْنِي أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدَيَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين. أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وَعْدَ الصدق الذي كانوا يُوعَدون﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٥-١٦).

[٢] ع م: ويتجاوز عن سيئاتهم.

[٣] ع: وخرجوا.

[٤] ع م – معه.

[٥] ك ن: فيبقى؛ ع: فبقي.

[٦] ك: فقال.

[٧] ك ن م: لم يبق.

[٨] ن ع م: ليخبروا.

[٩] ع م: أولئك حضروا.

وقال آخرون: الآية في الوفود. وذلك أن الوفود إذا قدموا من الآفاق المدينة قدموا مع النساء والذراري جميعا، فأُمِروا أن ينفر الرجال منهم دون النساء والذراري، أو مِن[1] كل قومٍ نفرٌ ليتفقّهوا في الدين.

ذكر[2] في هذه الآية: **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة،** نهى الكل أن ينفروا، وأمر في الآية الأخرى بنفر الكل، بقوله: فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا.[3] فهو يخرج على وجهين. أحدهما أمر بالنفر الجميعَ عند قلة المؤمنين ليكون[4] لهم الكفاية مع العدو. والثاني أمر بالنفر[5] الكلَّ عند النفير. فتكون[6] إحدى الآيتين في حال النفير، والأخرى أنها في غير حال النفير. أو ما[7] ذكرنا في وقت القلة والكثرة. فمن يقول: إن الآية في الذين كانوا يخرجون جميعا مع رسول الله إذا خرج، كأنه نهى عن الخروج جملة مع رسول الله خوفا على أهاليهم وذراريهم[8] [مِن أنْ يَسبيهم] العدو ويأخذ[9] أموالهم. يقول الله: **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين،** أي هلاّ نفر طائفة منهم فيخبروا الكفار المقيمين بما أنزل الله على رسوله من النصر والمعونة والهزيمة على الكفار الذين قاتلوا رسول الله، فيكون ذلك سبب دعائهم إلى الإسلام. وإلى هذا يذهب[10] الحسن والأصم، ويقولون: إن هذه الآية نسخت الآية التي قبله، وهو قوله:[11] مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ.[12] يقول الحسن: إن عليهم أن يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج، فيقول: هذا منسوخ بالآية التي تليها: **وما كان المؤمنون لينفروا كافة،** الآية.[13]

[1] ع م: ومن.
[2] ع: وذكر.
[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا خُذوا حِذركم فانفِروا ثباتٍ أو انفِروا جميعا﴾ (سورة النساء، ٤/٧١).
[4] ع: لكون.
[5] ع م: بنفر.
[6] جميع النسخ: فيكون.
[7] م: وما.
[8] جميع النسخ + لعل.
[9] جميع النسخ: وأخذ.
[10] ك: ذهب.
[11] ع: وهو قول.
[12] سورة التوبة، ٩/١٢٠.
[13] روي عن الحسن وقتادة: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾، قالا: كافة ويَدَعُوا النبي. وروي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾، قال: ليتفقه الذين خرجوا بما يُريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة، ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾. انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٦٩-٧٠.

ومن يقول بأن الآية في الوفود الذين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة[١] بالنساء والذراري[٢] فالنهي لذلك لِما كانوا يضيّقون على أهل المدينة أوطانهم ويُغْلُون أسعارهم ونحوه. يقول:[٣] **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم،** أي يتعلمون الدين وأحكامه، ثم ليرجعوا إلى قومهم فيعلموهم. ومن يقول: الآية في الذين خرجوا ونفروا مع السرايا، نهاهم عن خروج الكل لِما لعله إذا نزل على رسول الله شيء[٤] فلم يكن معه أحد يبلّغه إليهم ثم يبلّغ هو إلى من[٥] غاب عنه ضاع[٦] ذلك. فيقول: **فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم،** أي ليعلّموا قومهم ما نزل على رسول الله وليبلّغوا ذلك إلى من غاب عنه.[٧]

وقوله: **من كل فرقة منهم طائفة،** قيل: من كل عُصْبَة ومن كل قبيلة ومن كل حي. ففي الآية دلالة سقوط فرض السفر لتعلّم العلم والتفقه في الدين عن الكل إذا قام بعض بذلك. يخرجون ويتعلّمون ثم يعلّمون قومهم؛ لأنه قال: **فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة،** الآية. وفيه أيضا دلالة سقوط فرض الجهاد عن الجماعة إذا قام بعضهم عن بعض. وفيه دلالة لزوم العمل بخبر الآحاد[٨] وإن احتمل الغلط؛ لأن ما ذكر من الطائفة يحتمل أن يجتمعوا على ذلك كذبا أو غلطا، ثم ألزم قومهم قبول خبرهم وإن احتمل الغلط والكذب بقوله: **ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.** والآية[٩] تخرج على وجهين. أحدهما أن أهل بلدةٍ وأهل قبيلةٍ يختارون مَن يَصلُح للتفقّه في الدين والتعلّم، فيَنفِر، حتى إذا تفقّه وتعلّم رجع إلى قومهم فيُعلِّمهم. والثاني يأمر مَن يَصلُح للتفقّه بالتخلّف عن الجهاد إذا كان بهم غُنْيَة ليتفقّه عند رسول الله فينذر قومه[١٠] إذا رجعوا إليه من غزاتهم.[١١]

---

[١] ن – المدينة.
[٢] م: ووالذراري.
[٣] ن + يقول.
[٤] جميع النسخ: شيئا.
[٥] م: ثم يبلغ إلى من هو.
[٦] ن: صاع.
[٧] ن: منه.
[٨] ن: الواحد.
[٩] ع: الآية.
[١٠] م: قومهم.
[١١] ن: من غزواتهم؛ ع م: من غزائهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١٢٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار**، اختلف فيه. قال بعضهم: الآية قبل أن ينزل قوله: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً،[١] كان الأمر بالقتال للأدنى[٢] فالأدنى، ثم جاء الأمر بقتال الكفار عامة. وقال بعضهم: إن رسول الله كان إذا غزا ربما كان يجاوز كفارا ويتركهم[٣] وراءه[٤] ويقاتل غيرهم ليكون ذلك آية لنبوته، لِيُعلَم[٥] أنه لا يُبالي بمن يقاتل ولا يخاف من تركهم وراءه، ثم أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الأقرب فالأقرب منهم والأدنى فالأدنى، وأن لا يتركوا العدو وراءهم. إلى هذا ذهب بعض أهل التأويل. وأمكن أن يكون هذا تعليما[٦] من الله المؤمنين أمرَ الحرب وأسبابَه كما علّمهم[٧] جميع ما يقع لهم من الحاجة إلى أسباب الحرب في غير آيٍ من القرآن. من ذلك قوله[٨] عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا،[٩] وقوله: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا،[١٠] الآية، وقوله:[١١] وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ،[١٢] الآية، وغير ذلك من الآيات. أو يحتمل أن يكون أمر بقتال الأقرب فالأقرب منهم كسائر العبادات.

وقوله عز وجل: **قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار**، يخرج على وجهين. أحدهما ما ذكرنا أنه يخرج على تعليم أمر[١٣] القتال منه للمؤمنين. والثاني إنباء عن دوام الجهاد والقتال مع الأعداء أبدا؛ لأنه كلما فتح ناحية وقوما صار الذين / بَقُوا وراء هؤلاء الذين يَلُونهم. [٣٢٢ظ]

[١] سورة التوبة، ٣٦/٩.
[٢] جميع النسخ: بالأدنى.
[٣] م: وتركهم.
[٤] ن – وراءه، صح هـ.
[٥] م: وليعلم.
[٦] ن ع م: تعليم.
[٧] ن: علمه.
[٨] ن ع م: وقوله.
[٩] سورة التوبة، ٤٥/٨.
[١٠] إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فلا تُوَلُّوهم الأدبار﴾ (سورة الأنفال، ١٥/٨).
[١١] ك: وكقوله.
[١٢] سورة التوبة، ٦٠/٨.
[١٣] م: على أمر.

وقوله عز وجل: **وليجدوا فيكم غِلظة**، قيل: شدة عليهم. وفي حرف ابن مسعود وأُبي: وليجدوا فيكم عليهم غلظة، أي شدة. ويُقرأ: غُلظة، برفع الغين، ويُقرأ: غِلظة، بكسرها.[١] وهما لغتان، ومعانيهما واحد.

واعلموا أن الله مع المتقين، أي من اتقى الخلاف له بالنصر لهم والمعونة[٢] على عدوهم. وقوله: **أن الله مع المتقين**، يخرج على وجوه. أحدها ما ذكرنا إذا [اتقوا][٣] الخلاف[٤] له فيما علّمهم من أمر الحرب يكون معهم بالنصر. والثاني معهم في التوفيق والهداية. والثالث في الجزاء.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[١٢٤] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[١٢٥]

وقوله عز وجل: **وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا**، قال أهل التأويل: قوله: **فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا**، يعني يقول المنافقون بعضهم لبعض إذا خلَوْا عن المؤمنين: **أيكم زادته هذه إيمانا**، استهزاء منهم بها وسخرية. فأجاب الله تعالى فقال: **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض**، أي شك ونفاق، **فزادتهم رجسا إلى رجسهم**، أي تكذيبا وكفرا إلى تكذيبهم الذي كان منهم؛ لأن أهل النفاق والكفر ليسوا هم[٥] بأهل إنصاف يقبلون الحجة والدلالة إذا قامت عليهم، إنما همتهم العناد والتكذيب ورد الحجج والدلائل. فكلما ازدادت[٦] [لهم] الحجج والبراهين ازداد لهم العناد[٧] في التكذيب والرد. وأما أهل الإيمان فإن همتهم قبول الحجج والإنصاف، فكلما ازدادت[٨] لهم الحجج والبراهين ازداد لهم الإيمان والتصديق[٩] على ما كان لهم.

---

[١] قرئ بضم الغين في الشاذ؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١١/٥٠.

[٢] ع م - والمعونة.

[٣] في نسخة ك بياض بمقدار كلمة؛ و ن بياض بمقدار عدة كلمات. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٣ظ.

[٤] م: إذ الخلاف.

[٥] ك: هل؛ م: ليسوهم.

[٦] ك ن ع: ازدادوا؛ م: زادوا.

[٧] جميع النسخ: عنادا.

[٨] جميع النسخ: ازداد.

[٩] جميع النسخ: إيمانا وتصديقا.

ثم قوله: **فزادتهم إيمانا**،[1] زادتهم ثباتا ودواما على ما كانوا من قبل بما قام[2] لهم من الحجج والبراهين. وكذلك ازداد لأهل النفاق والكفر[3] بها الثبات[4] على العناد في تكذيب الحجج والآيات. والثاني ازداد لهم الإيمان[5] بالتفسير[6] على إيمانهم بالجملة وإن كانوا مصدّقين لذلك كله جملة، فإذا نزلت[7] لهم نوازل وفرائض ازداد لهم بذلك التصديق والثبات.[8] وأصله أنه لولا ما كان منهم من الإيمان والتصديق لكان هذا منهم ابتداءَ إيمانٍ وإحداثَ تصديقٍ. وكذلك لو لم يكن من أهل النفاق ما سبق من العناد لكان ذلك منهم إحداثَ تكذيبٍ وعنادٍ. فإذا كان منهم ما ذكرنا كان ذلك زيادة على ما كان لما ذكرنا. وقال بعضهم: يزداد لأهل الإيمان خيرات، ولأهل النفاق شر. ولكن هو واحد. وهو ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **فزادتهم إيمانا**... **فزادتهم رجسا**، يخرج على وجهين. أحدهما زادت للمؤمنين إيمانا على الذي[9] كان لهم من الإيمان والتصديق. والثاني زادت[10] لهم حجة وبرهانا لما كان.

وكذلك يزداد لأهل النفاق ضد ذلك.

وقوله عز وجل: **وهم يستبشرون**، قيل: يفرحون بنزولها.

ثم إضافة الزيادة إلى السورة بقوله: **فزادتهم إيمانا**، لوجهين. أحدهما أضيف إليها الزيادة على ما أضيف الغرور إلى الدنيا. وهو لما ذكرنا[11] أنه يبدو[12] منها لهم[13] من التزيين[14]

---

[1] ع + زادتهم إيمانا.
[2] جميع النسخ: قامت.
[3] ك: الكفر والنفاق.
[4] ن – الثبات.
[5] جميع النسخ: إيمانا.
[6] ع: في التفسير.
[7] ك: نزل.
[8] ك ن ع: تصديقا وثباتا.
[9] ع: على الذين.
[10] ك ن ع: ازداد؛ م: زاد.
[11] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٥١/٧.
[12] م: يبدوا.
[13] ك: لهم منها.
[14] ع م: لهم التزيين.

ما لو كان ذلك[1] من ذوي[2] الأفعال والتغرير كان ذلك غرورا. والثاني أضاف التغرير إليها[3] لما بها اغترّ أهلها. وكذلك إضافة الزيادة إلى السورة لما بها ازداد لهم التكذيب والكفر وازداد لأهل الإيمان بها التصديق، فأضيف الزيادة إليها. وقال بعضهم: هو[4] ما ذكرنا أنها حجة ودلالة. فبالحجة يزداد لأهل الإيمان الإيمان[5] بها؛ إذ هم قد اعتقدوا قبول الحجج والدلائل. وأما أهل النفاق والكفر فإنهم أهل عناد ومكابرة؛ إذ قد اعتقدوا العناد وردّ الحجج. فكلما ازداد لهم الحجة[6] ازداد لهم العناد والكفر.[7] وقال أبو بكر الأصم: إنما أضيف الزيادة إليها لأنها كانت سبب الزيادة. وقد تضاف الأشياء إلى أسبابها كما تضاف إلى حقيقة الأفعال. ولكن لا يحتمل[8] أن تكون[9] السورة التي نزلت سببا لزيادة الكفر. لكن الوجه فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٢٦]

وقوله عز وجل: **أوَلا يَرون أنهم يُفتَنون في كل عام مرة أو مرتين**، قيل: يُبتَلَوْن بالجهاد والغزو، فيتخلّفون[10] عنه، فيظهر بذلك نفاقهم وكفرهم. وقيل:[11] يُبتَلَوْن بالشدة والجوع، فيظهر أيضا بذلك نفاقهم، كقوله:[12] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ.[13] وقيل: **يُفتَنون في كل عام مرة أو مرتين**، وذلك أنهم كانوا إذا خَلَوْا[14] تكلموا بالكفر فيما بينهم، ثم إذا أتوا النبي أخبرهم بما تكلموا به في الخلوة، فيفتضحون بذلك، فذلك افْتِتَانه إياهم وابتلاؤه لهم. كان يظهر بما ذكر نفاقهم مرة في الجهاد في سبيل الله، ومرة بالشدة والخوف،

---

[1] م - ذلك.
[2] م: من دون.
[3] ع: إليهما.
[4] ن ع م - هو.
[5] ن ع م - الإيمان.
[6] ع م- ازداد لهم الحجة.
[7] جميع النسخ: عنادا وكفرا.
[8] م: ولكن يحتمل.
[9] ع م: أن يكون.
[10] ع: فيخلفون؛ م: فيحلفون.
[11] ع - وقيل.
[12] ع - كقوله.
[13] سورة الحج، ١١/٢٢.
[14] م: إذا دخلوا.

ومرة بما يُطلِع الله نبيه مما يُضمِرون ويتكلمون به في الخلاء.[1] وتحتمل[2] هذه الآية الوجوه الثلاثة: الجهاد معه، والابتلاء بالشدائد[3] والأفزاع، ويحتمل إظهار الأسرار التي[4] أسرّوا في أنفسهم والافتضاح مما أخفوا. لكن لو كان هذا فذلك مما يكثر منهم، أعني كتمان النفاق وإسرار الخلاف لهم. لكن ذكر المرة والمرتين يرجع إلى الافتضاح[5] والإظهار. فذلك يحتمل أن يكون في العام مرة أو مرتين.

وقوله عز وجل: **ثم لا يتوبون**، عن نفاقهم، **ولا هم يَذَّكَّرون**، بما ابتُلُوا من الافتضاح وظهور النفاق منهم. *والله أعلم*.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[١٢٧]

[٣٢٣و] / وقوله عز وجل: **وإذا ما أُنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم**، قال بعضهم: الآية صلة قوله: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَانًا،[6] أي كان ينظر[7] بعضهم إلى بعض ثم يقولون ما ذكر. ومنهم من يقول: إذا كانت السورة التي نزلت حجة في إظهار الدين والإيمان يسمعون ويقولون: أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَانًا، وإذا نزلت[8] في إظهار نفاقهم وافتضاحهم **نظر بعضهم إلى بعض... ثم انصرفوا**، ولا يسمعون منه السورة إشفاقا، لئلا يظهر نفاقهم.

وقوله: **صرف الله قلوبهم**، يحتمل خلق الله منهم انصرافهم، فأضيف إليه الصرف. ويشبه أن يكون قوله: **صرف الله قلوبهم**،[9] عقوبة، أي عاقبهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد وردّهم[10] الحجج وتركهم[11] التفهّم والنظر والتأمّل في الحجج[12] وتركهم القبول.

---

[1] م – في الخلاء.
[2] ن ع م: ويحتمل.
[3] ن: بالشدة.
[4] ك: الذي.
[5] ع م: يرجع الافتضاح.
[6] سورة التوبة، ٩/١٢٤.
[7] م: نظر.
[8] م: أنزلت.
[9] م – يحتمل خلق الله منهم انصرافهم فأضيف إليه الصرف ويشبه أن يكون قوله صرف الله قلوبهم.
[10] ك: ورد.
[11] ك: وترك.
[12] ع م – وتركهم التفهم والنظر والتأمل في الحجج.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١٢٨]

وقوله عز وجل: **لقد جاءكم رسول من أنفسكم**، اختلف فيه. قال بعضهم: **من أنفسكم**،[١] أي[٢] من البشر. وهو امتنان منه عليهم حيث بعث الرسول من البشر، وله أن يبعث من غير البشر، لكنه بعث من البشر[٣] ليعرفوا[٤] الآيات التي يأتي بها من التمويهات؛[٥] لأنهم يعرفون مَبلغ وُسع البشر في الأشياء وقَدْرَ إمكانهم بعلم الأشياء، فإذا جاء بالأشياء التي هي خارجة عن الطباع[٦] ووُسع البشر في التعلّم[٧] عرفوا أنها آيات[٨] لا تمويهات. مع ما أنْ يتألّفُ كل ذي[٩] جنس بجنسه وينفر من غير جنسه. هذا ظاهر في الخلائق أنّ كل ذي جنس يألف بجنسه ولا يألف بغير جنسه. فبعث الرسولَ من البشر ومن جنسهم ليتألّفوا[١٠] به ويقبلوا منه ما يأتيهم به ويجيبوه إلى ما يدعوهم إليه. وقال[١١] بعضهم: **رسول من أنفسكم**، أي من المكان الذي أنتم فيه، وهو الحَرَم. وقال آخرون: **من أنفسكم**، أي من أنسابكم. وهو أيضا موضع الامتنان عليهم حيث بعثه من أنسابهم، يعرفون نسبه ومولده ونشأته[١٢] مِن بين أظهرهم سليما عن جميع الآفات بريئا عن جميع المطاعن والعيوب؛ لأن المرء إذا كان مولده ونشأته[١٣] في قبيلة أو في مكان لا يُعرَف له النسب ربما يتمكّن فيه الطعن والعيب ويقع التناكُر في نسبه لجهلهم[١٤] بنسبه ومولده[١٥]

---

[١] ع + اختلف فيه قال بعضهم من أنفسكم.
[٢] ك – أي.
[٣] ع – لكنه بعث من البشر.
[٤] م: لتعرفوا.
[٥] ع: من التمويها.
[٦] ع م: من الطباع.
[٧] ك: في التكلم؛ م: في التعليم.
[٨] ك: الآيات.
[٩] ن – ذي.
[١٠] ن ع: لتألفوا.
[١١] ع: قال.
[١٢] ك: ونشأه.
[١٣] ك: ونشؤه؛ ع م: ونشأه.
[١٤] ع: لجهلم؛ م: لجلهم.
[١٥] ن – ونشأته في قبيلة أو في مكان لا يعرف له النسب ربما يتمكن فيه الطعن والعيب ويقع التناكر في نسبه لجهلهم بنسبه ومولده.

ونشأته[1] على السلامة والصحة والبراءة[2] من العيوب. فبعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لئلا يتمكّن فيه ما ذكرنا[3] من المطاعن، ولا يُعرَف[4] بشيء[5] من العيوب والآفات التي ذكرنا فيه.[6] وقال[7] بعضهم: قوله: **من أنفسكم**، أي[8] من العرب أُمّيا كما هم، لا يكتب ولا يقرأ ولا يخطّه بيمينه على ما وصفه في كتابه: النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ،[9] الآية، وقال: وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ.[10] وذلك أن العرب كانت تتمنى أن يُبعَث رسول منهم[11] بقوله: لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[12] الآية.[13] ذكر مجيء الرسول من أنفسهم ليكون أبعد عن المطاعن[14] التي طعنوا فيه والآفات التي ذكروا فيه، وأبْرَأ له[15] عن العيوب التي قذفوها[16] به من نحو السحر والكهانة والجنون والافتراء على الله، وأقربَ إلى المعرفة بأنه رسول؛ لأنه لِما يأتيهم به[17] من الآيات والحجج يعرفون أنها سماوية، لِما عرفوا أنه لم يتعلم السحر ولا أخذوا عليه بكذب قط، ولا جُنَّ قط، بما كان نُشوءه[18] فيما بين أظهرهم.

---

[1] جميع النسخ: ونشاه.
[2] ع: والبراءت.
[3] جميع النسخ + فيه.
[4] ك: يقترف.
[5] م: شيء.
[6] ك – فيه.
[7] ع: قال.
[8] م – أي.
[9] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأُمّيّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).
[10] ﴿وما كنت تتلو مِن قَبلِه من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لارتاب المُبطِلون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٨/٢٩).
[11] ك: منهم رسول.
[12] ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونُنّ أهدى مِن إحدى الأمم﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[13] ن ع م – الآية.
[14] ع م: من المطاعن.
[15] ك ن: وابراه؛ ع م: وابراءه.
[16] ك ن ع: قرفوا؛ م: فرقوا.
[17] جميع النسخ: يأتي بهم.
[18] ن: إنما كان نشأه؛ ع م: نشأه.

وقوله: **عزيز عليه ما عَنِتُّم**، قيل: شديد عليه ما أَعْنَتَكم، أي ما ضَيّق عليكم وضَرّكم. وقال القُتَبي: العَنَت:[١] الضيق.[٢] وقال بعضهم: العَنَت:[٣] الإثم، أي شديد عليه ما أثمتم. وقال أبو عَوْسَجَة: هو إلى الإثم أقرب. وهو يحتمل كل إثم: الكفر وغيره.

حريص عليكم، قال بعضهم: حريص على من لم يسلم أن يسلم. و **حريص عليكم**، بالهدى والرشد.

بالمؤمنين رءوف رحيم، رحمة الدين والإسلام لا رحمة الطبع.

{قال الشيخ أبو منصور رحمه الله:} في قوله: **بالمؤمنين رءوف رحيم**، سمّاه بفعله العمل الحسنَ وبرأفته ورحمته بذلك، أي استحق ذلك الاسم بفعله. وإنما سمّاه بذلك لأن عمله كان لله، لم يكن عمله لنفسه شيئا. وكذلك ماله واكتسابه[٤] له.[٥] فلذلك لم يكن ماله ميراثا بين ورثته.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[١٢٩]

وقوله: **فإن تولوا**، عنك أي أعرضوا عن إجابتك ودعائك إياهم إلى الإيمان والتوحيد، **فقل حسبي الله**، أي يكفيني الله، **لا إله إلا هو**. ويحتمل[٦] قوله: **فإن تولوا**، عنك وردّوا إجابتك والطاعة[٧] لك والانقياد وهمّوا أن يَكيدوك[٨] ويمكروا بك،[٩] **فقل حسبي الله**، أي كفاني الله،[١٠] **لا إله إلا هو عليه توكلت**، أي[١١] على ما وعدني من النصر والظفر **توكلت**، أي اتّكلت على وعده ووَكَلت أمري إليه.[١٢] ويحتمل قوله: **فإن تولوا**، عن نصرك ومعونتك على الأعداء،

---

[١] ن: العنة.

[٢] قال ابن قتيبة: «﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي شديد عليه ما أعنتكم وضركم» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٣).

[٣] ن: العنة.

[٤] ن ع م: واكسابه.

[٥] جميع النسخ: به.

[٦] ع: يحتمل.

[٧] ع: والطاعات.

[٨] ع: أي يكيدوك.

[٩] م: ويمكرو بك.

[١٠] ع – الله؛ م – أي كفاني الله.

[١١] ن – أي.

[١٢] م: إلى الله.

فقل حسبي الله، في النصر والمعونة على الأعداء ويكفيني عليهم. هذا في هذا الموضع أقرب؛ لأنه ذكر على إثر ذكر المنافقين. ويحتمل[1] ما ذكرنا من الإعراض عن التوحيد والإجابة له.

وقوله عز وجل: **وهو رب العرش العظيم**، قيل: هو رب الملك العظيم، أي كل ملك عند ملكه صغير[2] ليس بملك. فإن كان العرش هو السرير على ما قاله بعض أهل التأويل فهو[3] -والله أعلم-[4] السرير الذي يكرم به الأخيار[5] من الخلائق والأبرار منهم. وقد ذكرنا[6] ما قيل[7] فيه فيما تقدم.[8] والله أعلم بالصواب.[9]

---

[1] م – قوله فإن تولوا عن نصرك ومعونتك على الأعداء فقل حسبي الله في النصر والمعونة على الأعداء ويكفيني عليهم هذا في هذا الموضع أقرب لأنه ذكر على إثر ذكر المنافقين ويحتمل، صح هـ.

[2] م – صغير.

[3] م – فهو.

[4] ن – والله اعلم.

[5] ع: الأخبار.

[6] ع: وقد ذكر.

[7] م – ما قيل.

[8] ن: ما تقدم. وانظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٥٤.

[9] ك ن ع – بالصواب.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *الإتقان في علوم القرآن*؛
تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- *أحكام القرآن*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بيروت ١٤٠٥هـ.
- *الاستيعاب*
في معرفة الأصحاب؛ تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري المعروف بابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ١٤١٤هـ.
- *الإصابة*
في تمييز الصحابة؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- *البحر الرائق في شرح كنز الدقائق*؛
تأليف زين الدين زين بن إبراهيم بن محمد المصري المعروف بابن نجيم، بيروت بدون تاريخ (دار المعرفة).
- *البداية والنهاية*؛
تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، بيروت بدون تاريخ (مكتبة المعارف).
- *البرهان في علوم القرآن*؛
تأليف أبي عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.
- *تحفة الأحوذي*
بشرح جامع الترمذي، تأليف أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- *حلية الأولياء*
وطبقات الأصفياء، تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الإصفهاني، بيروت ١٤٠٥هـ.
- *تفسير ابن كثير*
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*، تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، بيروت ١٤٠١هـ.

- *تفسير الطبري*
... المسمى *جامع البيان في تأويل آي القرآن*، *تأليف* أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤٠٥هـ.

- *تفسير عبد الرزاق*؛
تأليف أبي بكر عبد الرزاق بن هَمَّام بن نافع الصنعاني، تحقيق دكتور محمود محمد عبده، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- *تفسير غريب القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- *تفسير القرطبي*
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*، *تأليف* أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، القاهرة ١٣٧٢هـ.

- *تقريب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، حلب ١٤٠٦هـ.

- *تلخيص الحبير*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- *تهذيب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- *الجواهر المضية في طبقات الحنفية*؛
تأليف أبي محمد محيي الدين عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي، كراتشي بدون تاريخ (مير محمد كتب خانة).

- *الحجة في القراءات السبع*؛
تأليف أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، بيروت ١٤٠١هـ.

- *الدراية*
في تخريج أحاديث الهداية، تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، بيروت بدون تاريخ (دار المعرفة).

- *الدر المنثور*
في التفسير بالمأثور، تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٩٣م.

- *رد المحتار على الدر المختار*
شرح *تنوير الأبصار* المعروف *بحاشية ابن عابدين*، تأليف محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي المعروف بابن عابدين، بيروت ١٣٨٦هـ.

- *روح المعاني*
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن الدارقطني*؛
تصنيف أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- *سنن الدارمي*؛
تصنيف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *السنن الكبرى*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن سعيد بن منصور*؛
تصنيف أبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الرياض ١٤١٤هـ.
- *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط – محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ١٤١٣هـ.
- *السيرة النبوية*؛
لأبي محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، بيروت ١٤١١هـ.

- *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٦ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 426].
- *شرح معاني الآثار*؛
تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- *صحيح البخاري*؛
الجامع الصحيح، تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *صحيح مسلم*؛
تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *صحيح ابن حبان*؛
تصنيف أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- *صحيح ابن خزيمة*؛
تصنيف أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- *طبقات المفسرين*؛
تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٣٩٦هـ.
-*العبر*
في خبر من غبر، تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٤٨م.
- *فتح الباري*
بشرح صحيح *البخاري*، تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — محب الدين الخطيب، بيروت ١٣٧٩هـ.
- *فتح القدير*
الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الخولاني الشوكاني، بيروت بدون تاريخ (دار الفكر).
- *فرائد الأدب*؛
تأليف لويس معلوف، بيروت ١٩٦٦م.
- *القاموس المحيط*؛
تأليف أبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن الفيروز آبادي، القاهرة ١٣٣٠هـ.

- **الكاشف**
في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق محمد عوامة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **كتاب الآثار؛**
تأليف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الحنفي المعروف بالإمام أبي يوسف، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني، بيروت ١٣٥٥هـ.

- **كتاب التوحيد؛**
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق بكر طوبال أوغلي — محمد آروتشي، أنقرة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- **كتاب السبعة**
في القراءات، تأليف أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٤٠٠هـ.

- **كتاب العين؛**
تأليف أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، تحقيق مهدي مخزومي— إبراهيم السامرّائي، بغداد ١٩٨٤م.

- **كشف الخفاء**
ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، بيروت ١٤٠٥هـ.

- **لسان العرب؛**
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، بيروت ١٤١٤هـ.

- **لسان الميزان؛**
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **المبسوط؛**
تأليف أبي بكر شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **مجاز القرآن؛**
تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق Fuat Sezgin، بيروت ١٩٨١م.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛**
تأليف نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، القاهرة — بيروت ١٤٠٧هـ.

- **المستدرك**
على الصحيحين، *تصنيف* أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- **مسند أحمد بن حنبل؛**
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *مسند البزار*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، بيروت - المدينة ١٤٠٩هـ.
- *مسند الربيع*؛
تصنيف الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، تحقيق محمد إدريس - عاشور بن يوسف، بيروت ١٤١٥هـ.
- *مسند أبي يعلى*؛
تصنيف أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- *المصنف*
... *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*، تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض ١٤٠٩هـ.
- *المصنف*؛
تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ.
- *المصنوع*
في معرفة الحديث الموضوع، تأليف أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بعلي القاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- *المعجم الأوسط*؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله الحسيني، القاهرة ١٤١٥هـ.
- *معجم قبائل العرب*؛
تأليف عمر رضا كحالة، بيروت ١٩٨١م.
- *المعجم الكبير*؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- *الموطأ*؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *النشر في القراءات العشر*؛
تأليف أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- *نصب الراية*
لأحاديث الهداية، تأليف أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق محمد يوسف البنوري، القاهرة ١٣٥٧هـ.
- *النهاية في غريب الحديث*
والأثر، تأليف أبي السعادات مجد الدين مبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي — محمود محمد الطناحي، ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.


دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ